6

# التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الثانية - العدد السادس - الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ الموافق يونيو 2005 مسيحي

# ميورقة

## الجزيرة ذات الألف وجه

محمد بشاري / فرنسا:

**موقع الإسلام في أوروبا الجديدة**

علي الحلو / إسبانيا:

**ثاباتا والعرب**

سالمة عبد الجبار / ليبيا:

**آل بوش ووهم النهايات**

محمد أبو بكر / نيجيريا:

**عثمان فودي بين الذكرى الصحيحة والزائفة**


أكمل الدين إحسان أوغلي / تركيا:

**الإسلام ليس جغرافيا واحدة..**

تيموثي سافيج / أمريكا:

**أوروبا والإسلام**

**تلميع الهلال وصدام الثقافات**


ومن أحسن قولا
ممن دعا إلى الله وعمل
صالحا وقال إنني من المسلمين

إبراهيم علي الربو*

# الحياة.. تجدّد

الحياة تجدّد، فلولاه ما عرفنا لها قيمة، ولولاه ما أدركنا أن الزمن فيه الماضي والحاضر والمستقبل... لولا التجدّد لأسِنت البحيرات وتجهمت السماء في وجه الأرض، وتعبت الأغصان من حمل ثمارها، وابيضَّ رأس الليل من توالي السواد... وهذا عدد جديد من مجلة التواصل به يتجدّد الوصل ويتعزّز الاتصال ويستمر العطاء الفكري المسؤول...

قد يكون وصْلُنا أقل من آمالنا واتصالنا أضعف من أمنياتنا، وتواصلنا على تردّد ضعيف، لكن حسْبُنا أن نجتهد، وأملنا أن نحصل على أجرين، فإن لم يكن فنحن متأكدون بأن أجراً واحداً سيثبّت أقدامنا على الأرض مهما كانت هشاشة تربتها، ويساعدنا على الصعود رغم تفتّت بعض الصخور التي تستند عليها أرجلنا، ونُطْبِقُ عليها بأصابعنا، ورغم هشاشة هاتيك وتفتّت هذه ستبقى أعيننا على القمة التي لن يكون إدراكها يسيراً دون اتصال وتواصل مع كل الناطقين بلغة الضاد.

الحياة تجدّد، الجدة حياة، وهذا عدد جديد، قد تكون في جدّته حياة وفي حياته جدّة، فإن كان ذلك كذلك فهو مرادنا، وإن لم يكن كما نأمل فإن لكل امرئ ما نوى، ويبقى الأمل في أن ننجح غداً فيما أخفقنا فيه اليوم، وأن نتجاوز عثرة الظلمة بخطوات راسخة في ضوء النهار، وأن نكون العطار الذي لا يدَّعي بأنه قادر على إصلاح ما أفسده الدهر، ولكن حسبه أن يشير إلى مواقع الفساد ليتواصل المصلحون ويتّصل الصالحون فيكون في تواصلهم الصلاح وفي اتّصالهم الفلاح.

الحياة تجدّد وهذا عدد من التواصل جديد لكن جِدّته قد تكون قديمة ونحن في ذلك معذورون فالجِدة أمر نسبي وما لا يُدرك كُلُّه لا يُترك جُلُّه، وقد يكون قِدَمُه جديداً، ونحن بذلك فخورون، لأننا أدركنا حقيقة أن لا جديد بلا قديم، وأن ذلك ما كان ليعرف لولا وجود هذا... وأيّاً يكن الأمر فها نحن نضع الركيزة السادسة في قنطرة التواصل، بمشاركة ثُلَّة من الكُتّاب والباحثين وكلنا أمل بأن مكوّنات هذه القاعدة من تقارير ومقالات ودراسات وحوارات واستطلاعات ستكون أساساً متيناً من أسس تلك الركيزة التواصلية التي نريد منها أن توصلنا للآخر فيرانا، وأن يعبرها من الضفة الأخرى فتراه، فإن رأيتم رأينا فأعينونا وإن رأيتم غير ذلك فلن تبخلوا علينا بالنصح، لأنكم مؤمنون برسالة التواصل، والمؤمن مرآة أخيه.

هذه خطوة جديدة على طريق التواصل، نخطوها في اتجاهكم، فإن قابلتمونا بمثلها في اتجاهنا فنعمًا هي، فما التواصل إلا سعي إنساني متبادل في محاولة لإدراك حكمة الله في التنوّع والاختلاف، وإن آثرتم البقاء في أماكنكم حتى تُقيِّموا خطواتنا فلا تثريب عليكم، فالحياة تجارب وما كنا لنعرف النجاح لولا تجارب الإخفاق، وما أظن أنكم عارفوه...

والتواصل وهي تقطع خطوتها السادسة في تجاربها الثرية نأمل ـ ولا شك أنكم تأملون ـ أن يُكتب لها النجاح الأسمى عبر هذا المنعطف التاريخي تجدداً.. وتجديداً.. أخذاً وعطاء.

وما التوفيق إلا من عند الله

* كاتب ـ ليبيا



# في هذا العدد

## الافتتاحية

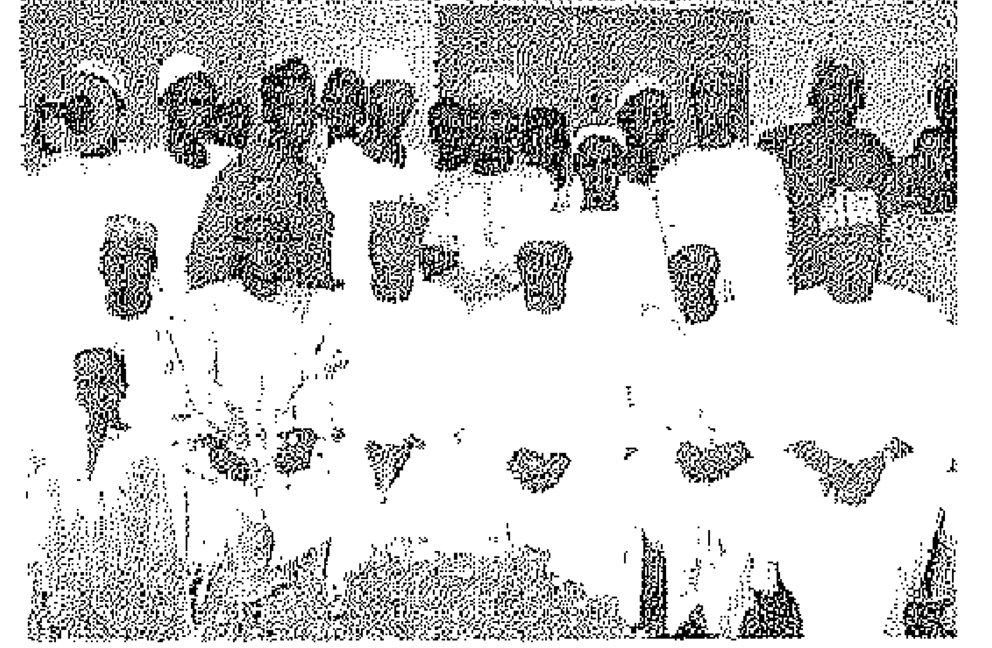


## تقارير



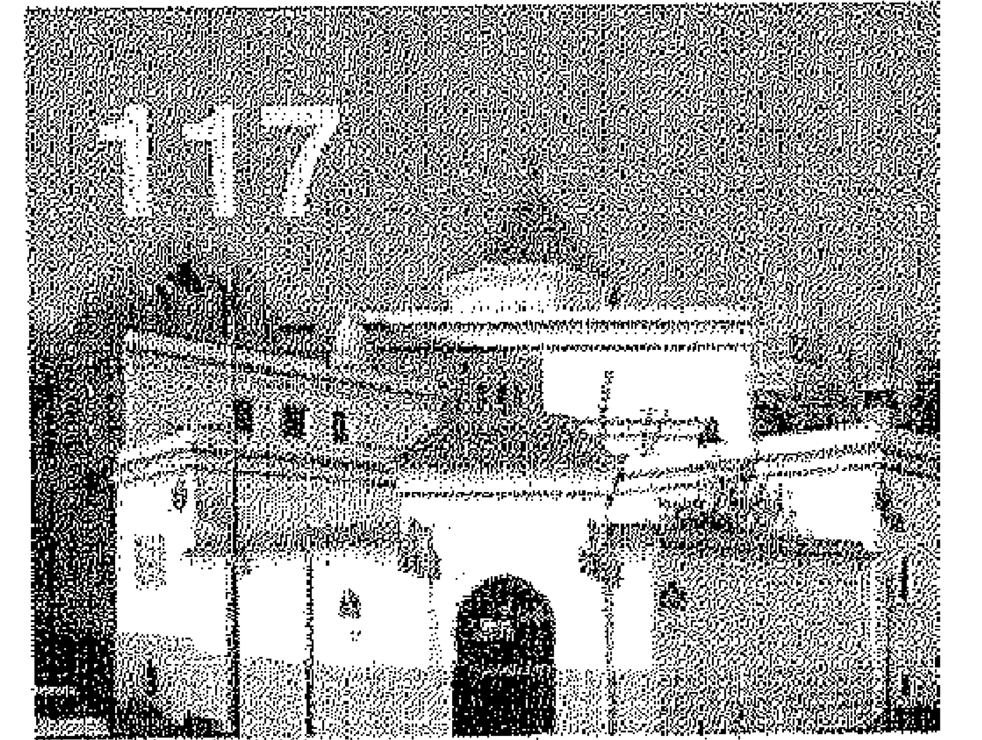
## مقالات





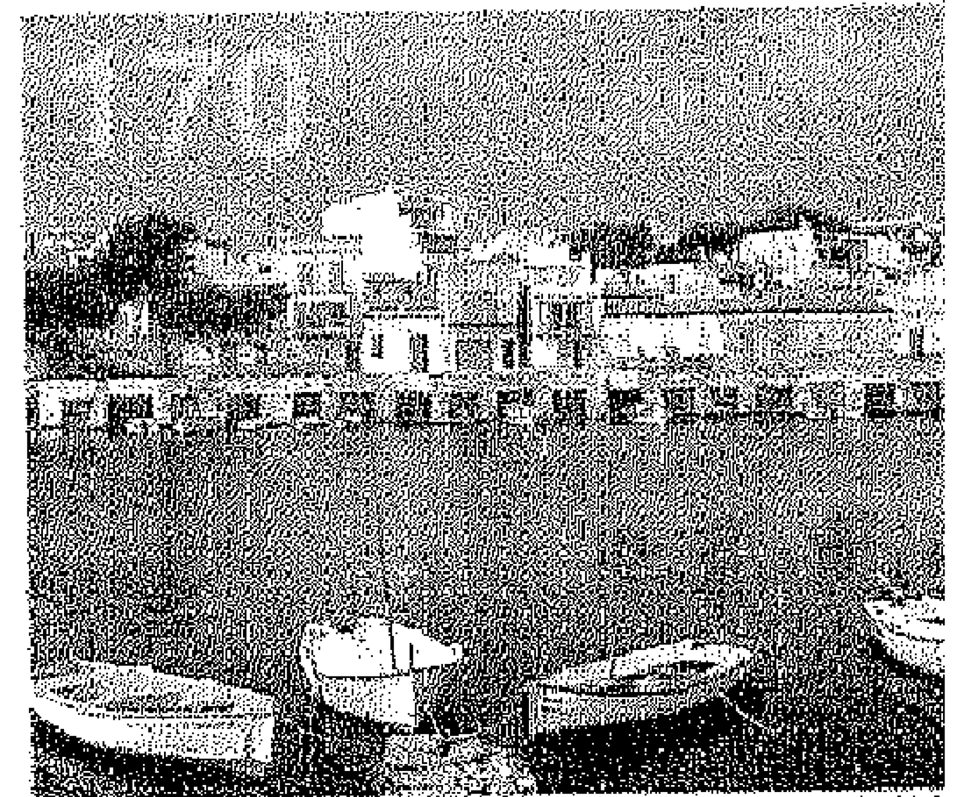
تقارير

جهود جمعية الدعوة الإسلامية في تعليم اللغة العربية في إفريقيا




دراسات

أوروبا والإسلام: تلميع الهلال وصدام الثقافات




استطلاعات

❖ ميورقة ذات الألف وجه

التواصل
AT-TAWASUL
مجلة ثقافية عامة
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثانية - العدد السادس
الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ
الموافق يونيو 2005 مسيحي



المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني - كلم 5
هاتف: 4800730 / 48084615
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس - الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

## دراسات



## محاضرات



## حوارات



## استطلاعات



## الواحة



## كتب



## منتدى التواصل



## ونتواصل

# شـــروط النـشـر في مجـلـة

# التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

**ملاحظات:**

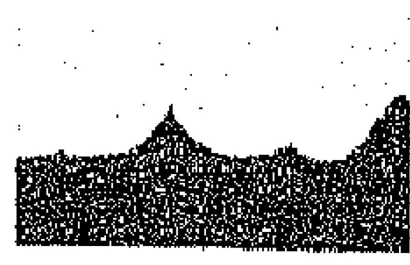
- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.




❖ جهود جمعية الدعوة الاسلامية في تعليم اللغة العربية في إفريقيا

❖ جمعية الدعوة الاسلامية العالمية والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو)

**(تعاون من أجل إفريقيا)**



### جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في

# تعليم اللغة العربية في إفريقيا

إعداد: محمد حسن جحا*

أولت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية اهتماماً بالغاً بتعليم اللغة العربية في جميع أنحاء العالم، باعتبارها لغة القرآن الكريم، والوسيلة الأكثر ضرورة لفهم تعاليمه وتطبيق شريعته. ومن أجل الوصول إلى تلك الغاية التي تأتي على رأس أهداف الجمعية التي حددها قانون إنشائها؛ قامت بإنشاء المدارس ودعم الجامعات وطبع الكتب وتوزيعها وتقديم المنح، وإنشاء كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، وإقامة الدورات التعليمية والتدريبية وتنظيم المؤتمرات العلمية والتعاون مع المؤسسات الدولية في تطوير برامج اللغة العربية في مختلف الساحات. وقد لقي هذا البرنامج إقبالاً كبيراً من جماهير المسلمين في كل مكان، نظراً لأن هذه اللغة لغة القرآن الكريم، وهو الأمر الذي ساعد في تخطي الكثير من العوائق التي كان دعاة التغريب يواجهون بها برامج تعلم وتعليم العربية، خاصة في إفريقيا، التي تشهد جهداً مكثفاً في هذا المجال، بالنظر إلى عمق الارتباط بين الأفارقة والعرب، وتأصل الثقافة العربية في القارة نتيجة الهجرات العربية إلى مختلف مناطقها. وفي السنوات الأخيرة ألّحت حاجة الأفارقة إلى تعلم اللغة العربية لزيادة ارتباط دول القارة بالعالم العربي اقتصادياً وثقافياً، وهو الأمر الذي استوجب توسعاً في البرامج وزيادة في حجم المؤسسات وتطوير الوسائل.

وإذا كان التعليم في معناه الواسع هو المحور الذي تدور حوله أنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية؛ فإن تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية المرتبطة أصلاً باللغة العربية هو المكون الأساس لذلك المحور، تلك حقيقة نرى ضرورة الإشارة إليها في بداية هذا التقرير الموجز عن جهود الجمعية في تعليم اللغة العربية في إفريقيا، التي تواصلت على مدى أكثر من ثلاثة عقود من عمرها. وقد لا يكون يسيراً أن نتتبع بشيء من التفصيل تلك المسيرة التعليمية للجمعية خلال كل هذه الفترة ، وفي مساحة جغرافية بحجم القارة السمراء، وحسبنا في هذا التقرير أن نشير إلى أهم مسارات تعليم اللغة العربية في إفريقيا وآلياته ونتائجه، رغم صعوبة فصل ما هو تعليمي عما سواه من أنشطة ثقافية في تاريخ طويل ومتنوع من العطاء.

وإذا أدركنا أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم

* كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي/ ليبيا

صورة خاصة



دفعة من الدارسين الأفارقة استفادوا من برامج الجمعية

وأن المسلمين في القارة السمراء يمثلون ما يزيد على ( 75 ٪) من مجموع السكان، وأن اللغة العربية هي لغة إفريقية يتكلم بها أكثر من ( 160 ) مليوناً من العرب الأفارقة؛ فإننا سنكون أكثر إدراكاً لأمرين أساسين، أولهما أن هذا العمل يعتبر أمراً استراتيجياً على المدى البعيد، ومهماً في رسم ملامح الهوية الإفريقية، أما الأمر الآخر فهو ضرورة تحقيق أكبر استفادة ممكنة من هذه المعطيات الثقافية والتاريخية في تنفيذ برامج الجمعية.

وفضلاً عن هذا هناك عوامل مهمة وأساسية ساعدت الجمعية على الاضطلاع بدور متميز في مجال تعليم العربية في إفريقيا، ومثّلت الأرضية التي بنت عليها برامجها التعليمية، وكانت الجدار الذي تستند إليه دائماً وهي تقوم بحمل تلك المسئولية التاريخية وأدائها، وأيضا فإن ظروفاً هيأت المناخ المناسب لذلك العمل التعليمي وأزالت جل العقبات من طريقه، يأتي في مقدمتها المكانة التي تحتلها ثورة الفاتح في قلوب الأفارقة، الذين يرون فيها دعماً حقيقياً لإفريقيا ودفاعاً عن خصوصيتها الحضارية والثقافية. ويمكننا أن نقول وبكل موضوعية وتجرد بأنه لولا جهود ثورة الفاتح وقائدها لما كان للجمعية أو لغيرها أن تجد هذا المناخ المناسب، الذي مكنها من إنجاز أهدافها التعليمية في القارة الإفريقية. فرحلات الأخ القائد لإفريقيا، والصلوات الجامعة التي أم فيها ملايين المسلمين، ولقاءاته مع الأوساط الثقافية في القارة؛ كانت المحرك الذي يدفع باستمرار أبناء القارة إلى التشبث بخصوصيتهم الثقافية، ويحرضهم على رفض التبعية الثقافية، والاعتزاز بكل مكونات الشخصية الإفريقية، واعتبار اللغة العربية واحدة من تلك المكونات. ولعل تلك الخطوات المضيئة كانت المؤشر العملي الرئيسي الذي بدأت بعده الجمعية في تنفيذ برنامج طموح لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية

عرف باسم (برنامج ما بعد كانو) وهو البرنامج الذي لم يسبق له مثيل في برامج تعليم اللغة العربية لأبناء القارة.

هذه إيماءات رأينا أن نشير إليها قبل الدخول في صلب هذا التقرير الذي يتحدث عن جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مجال نشر اللغة العربية في القارة الإفريقية، وهو مجال واسع من حيث آلياته ووسائله ومتعدد من حيث مداخله وأقسامه، والجمعية في رسالتها الدعوية لم تكتف بآلية محددة في ذلك الميدان، ولم تدخله من بوابة واحدة، بل اعتمدت آليات متعددة، ودخلت إلى الميدان من أبواب شتى، تمثلت أساساً في العنصر البشري من أساتذة وموجهين ومشرفين تربويين، كما تمثلت في كتب منهجية ووسائل ايضاح ومبان تعليمية مختلفة الأحجام والأهداف، فضلاً عن مكملات أخرى لا غنى للعملية التعليمية عنها.

وإذا نظرنا إلى البوابات التي ولجت منها الجمعية إلى ميدان تعليم العربية في إفريقيا وجدنا أنها كانت متعددة ومتنوعة، فالمنظمات الدولية والإقليمية والتجمعات الشبابية والنسوية والملتقيات الدعوية والإذاعات المسموعة والمرئية والجامعات ومؤسسات البحث العلمي؛ كلها استخدمت من الجمعية كأدوات في برنامج طموح لنشر اللغة العربية والتعريف بعلومها.

وحيث إن العنصر البشري هو الأساس الذي تقوم عليه أية عملية تربوية، فقد عملت الجمعية على مضاعفة الاهتمام بذلك العنصر وإعداده إعداداً جيداً للاضطلاع بمسئولية نشر اللغة العربية وتعليمها، ولعل كلية الدعوة الإسلامية التي تأسست عام 1974 كانت أول مؤسسة تنشئها الجمعية لتحقيق تلك الغاية، حيث تخرج فيها ـ منذ تأسيسها وحتى اليوم ـ (3983)



صورة خاصة

فتاة إفريقية تقتحم عالم الحاسوب

طالباً منهم (933) طالباً إفريقيا، يتوزعون على (34) جنسية ، وهؤلاء جميعهم مؤهلون لتعليم العربية والثقافة الإسلامية، ويمارس (75 ٪) منهم مهنة تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مراحل مختلفة وبطرق عديدة. ويتنامى التوجه نحو إفريقيا الذي قادته ونجحت فيه ثورة الفاتح، وتزايد الإقبال على تعلم العربية؛ فقد تم افتتاح فروع للكلية في كل من : تشاد، السنغال، بنين، وتمثل نسبة الخريجين الأفارقة في الكلية الأم (67٪) من عدد الخريجين، جلهم يمارسون مهمة تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية تحت مظلات مختلفة، منها مظلة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تشرف مباشرة على (2381) مدرساً وداعية، يتوزعون على (34) بلداً إفريقيا،

صورة خاصة


من المدارس التي بنتها الجمعية في إفريقيا

ويقومون بأعباء دعوية يمثل تعليم اللغة العربية جزءاً أساسياً فيها.

غير أن تنامي الرغبة في تعلم العربية لدى الأفارقة، ووجود العناصر المحلية ذات الكفاءة المناسبة للقيام بالمهام والمسئوليات التعليمية؛ جعل الجمعية تتعاقد مع (2030) مدرساً محلياً في عدد من الدول الإفريقية، يتوزعون على (1141) مؤسسة تعليمية، ويستفيد من خدماتهم أكثر من (316164 دارساً).

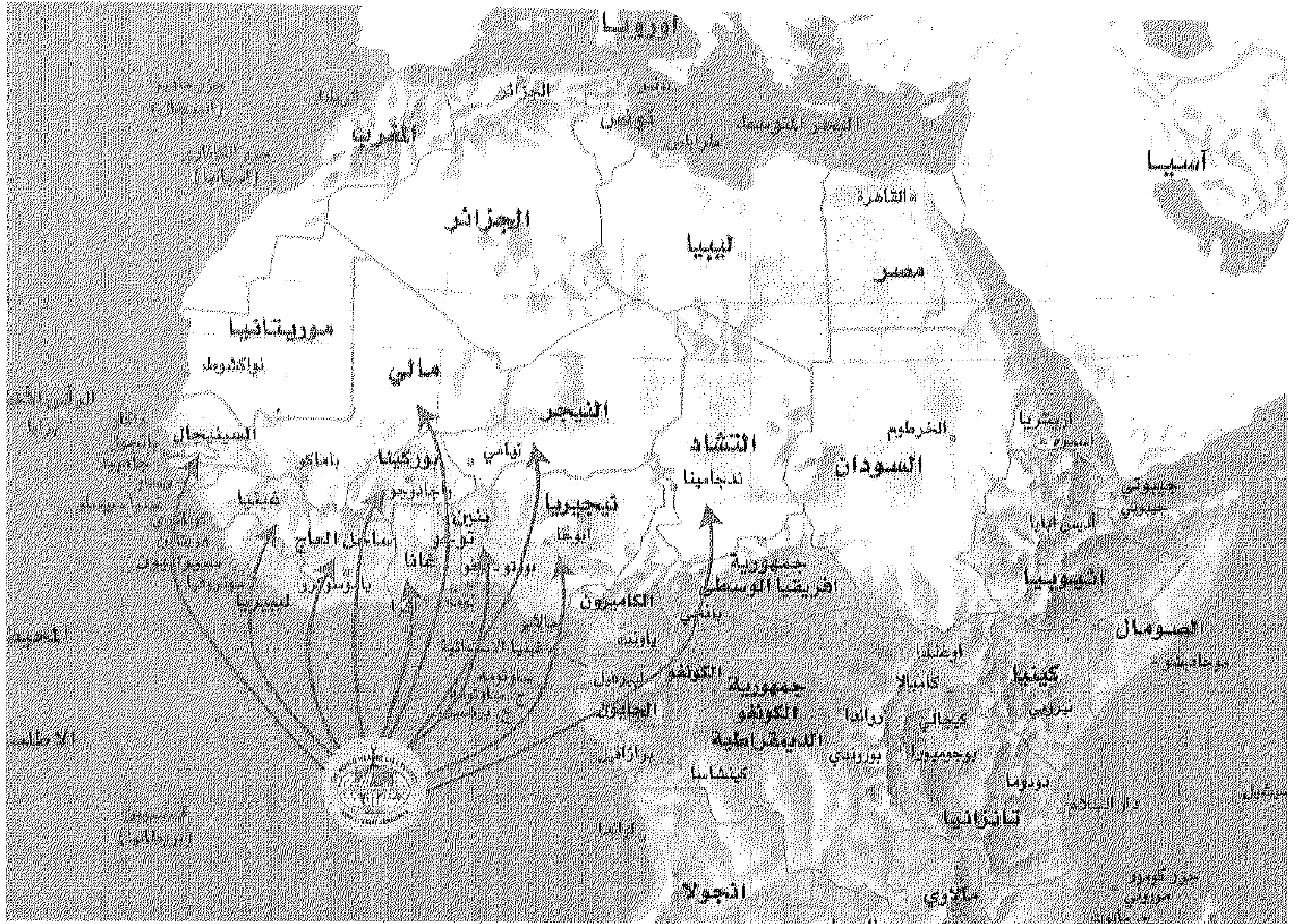
كما تم اختيار (200) مائتي مدرس ليبي من المؤهلين تربوياً لتدريس اللغة العربية والإشراف على برامجها في دول الساحل الإفريقي، هذا إضافة إلى الاستعانة ببعض العناصر المؤهلة تأهيلاً عالياً في بعض الدول الشقيقة في إطار اتفاقيات تعاون أبرمت بين الجمعية وكل من الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المغربية، حيث استعانت الجمعية بـ (40) أستاذاً يعملون تحت إشرافها في معاهد وجامعات إفريقية لتعليم اللغة العربية وعلومها.

ولعله من المناسب أن نشير ـ ونحن بصدد الحديث عن العنصر البشري الذي يعتبر الأساس كما أشرنا في أي عملية تعليمية ـ إلى الدورات التدريبية والتأهيلية لمدرسي اللغة العربية، التي تهدف إلى رفع كفاءة أولئك المدرسين وإطلاعهم على أحدث النظريات التربوية، وهي دورات بلغت في مجموعها (380) دورة، نفّذ بعضها بالتعاون مع منظمات دولية متخصصة في إطار اتفاقيات لها مع الجمعية مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو) والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إليكسو) ورابطة الجامعات الإسلامية... واستفاد من تلك الدورات أكثر من (20386) مدرساً... موزعين على جل الدول الإفريقية.

**المدرسون والموجهون والمشرفون التربويون:**

1 ـ تم تعيين (2078) مدرساً محلياً في عدد من الدول الإفريقية، وقد انتقي هذا العدد بعد دورات تدريبية اختبارية شارك فيها الآلاف، وقد باشر هؤلاء المدرسون أعمالهم في مئات المدارس والمعاهد والمؤسسات التربوية في كل من: النيجر، نيجيريا، بوركينا فاسو، التوجو، غامبيا، مالي، بنين، غانا، تشاد، السنغال، وساحل العاج.

2 ـ تمّ التعاقد مع أحد عشر مدرساً لتدريس اللغة




دول استفادت من دورات تدريبية للمعلمين

العربية في دول الساحل انتدبوا من الأزهر الشريف ونظمت لهم دورة توجيهية بالجماهيرية العظمى لتعريفهم بالمهام الموكلة إليهم في إطار البرنامج الذى تضطلع به الجمعية لتعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في إفريقيا.

3 ـ تمّ التعاقد مع عشرين أستاذاً من المغرب الشقيق بترشيح من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتدريس اللغة العربية في الثانويات بمالى والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو وبنين والتوجو.

4 ـ تمّ ايفاد (116) مائة وستة عشر مدرساً وموجهاً ليبياً متخصصاً في تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى كل من : تشاد، النيجر، مالي بوركينا فاسو، نيجيريا وبنين، وقد تم اختيار هؤلاء المدرسين والموجهين بعد انتظامهم في دورات مركزة تناولت جوانب أكاديمية وثقافية عامة وتلقيهم محاضرات فنية متخصصة، أخضعوا بعدها لامتحانات تحريرية وشفوية للتأكد من كفاءتهم العلمية والثقافية للاضطلاع بالمهام الموكلة إليهم، ويمارس هؤلاء الأساتذة مهمة التدريس والتوجيه والاشراف التربوي في عشرات المدارس والمعاهد في الدول المعنية.

5 ـ كما يقوم أربعة وستون من خريجي كلية الدعوة الإسلامية بتدريس اللغة العربية في الدول الإفريقية التالية : مالي، النيجر، تشاد، ساحل العاج بنين، رواندا، غانا والتوجو.

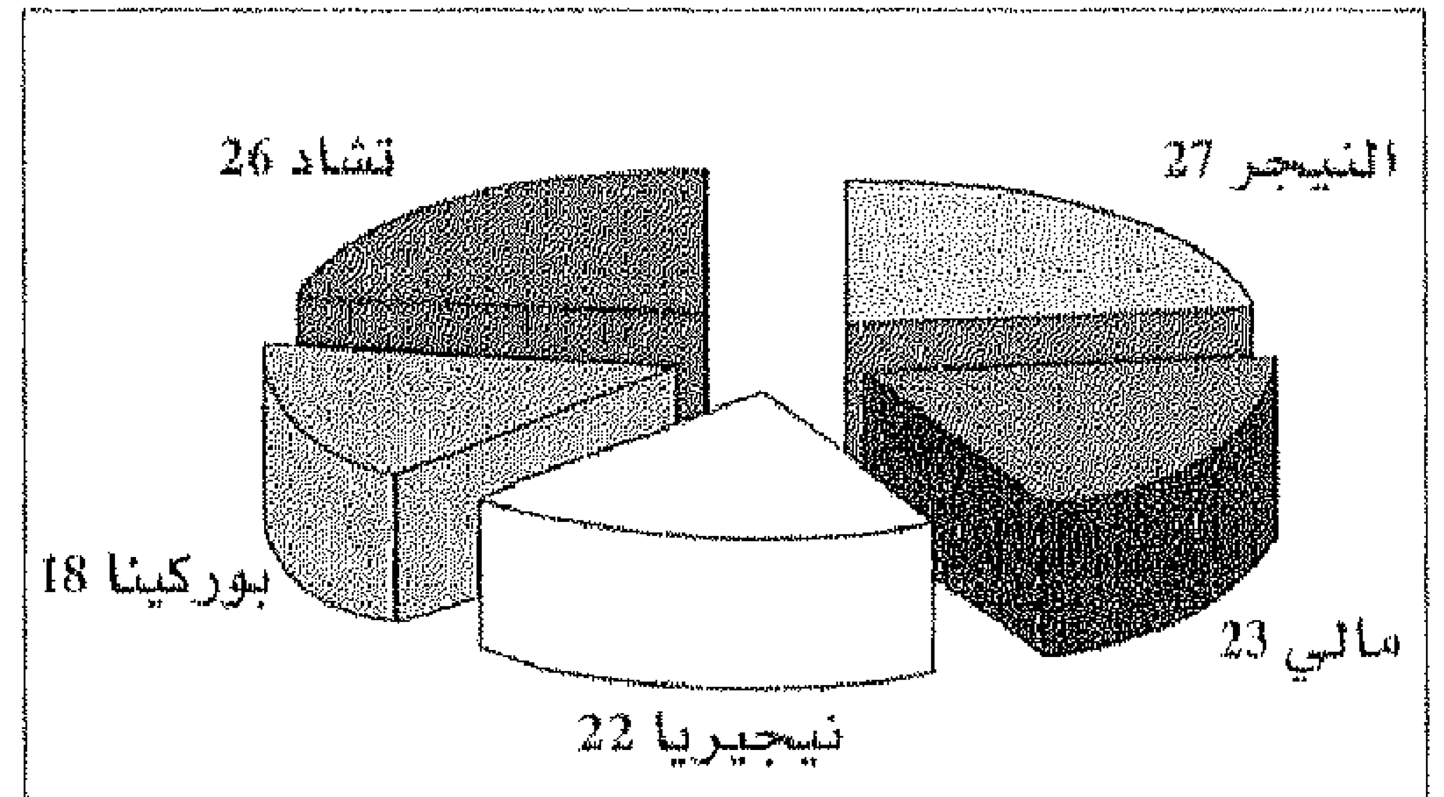
6 ـ بالتعاون مع المجلس الإسلامي الأعلى في أوغندا، تعاقدت الجمعية مع (56) مدرساً عهد إليهم تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المدارس الحكومية في جميع محافظات أوغندا.

7 ـ كان ناتج العملية التعليمية الكبيرة التي قدّمها برنامج ما بعد كانو انتظام (187941) طالباً




إفريقيات من احدى الدورات التعليمية التي تقيمها الجمعية

وطالبة في تعلم اللغة العربية، جهزت لهم كافة المتطلبات الدراسية ويتوزعون على خمسة أقطار إفريقية.




## دعم الجامعات

وحيث إن الجامعة هي المؤسسة الأهم في إعداد كوادر التعليم العربي، فقد تمّ دعم بعض الجامعات بأساتذة يحملون مؤهلات التخصص الدقيق (الدكتوراه) للتدريس في أقسام اللغة العربية وعلومها، حيث أوفد سبعة أساتذة إلى جامعة ساي الإسلامية بالنيجر، وأربعة إلى جامعة عبد الله بايرو بنيجيريا، وأستاذان إلى جامعة باماكو بمالي، هذا إضافة إلى إنشاء كرسي للغة العربية وآدابها بجامعة باماكو في إطار برنامج التعاون مع منظمة «اليونيسكو» وآخر بجامعة ساي بالتعاون مع منظمة «الاسيسكو»، وتم مؤخراً افتتاح قسم للغة العربية بكلية اللغات بجامعة مكريري بأوغندا، وقدمت الجمعية دعماً للقسم تمثل في مجموعة من الوسائل التعليمية وأجهزة حاسوب وأجهزة عرض مرئي وأجهزة تصوير ونسخ، إلى جانب كمية من الكتب المنهجية المعدة من قبل الجمعية، وسلسلة تعليم العربية للناطقين بغيرها، كما أن المفاوضات جارية مع جامعة واغادوغو لإنشاء قسم للغة العربية فيها.

وبالتعاون مع الحكومة الأوغندية أبرمت الجمعية والمجلس الإسلامي الأوغندي الأعلى اتفاقاً تقوم الجمعية بموجبه بالتأهيل العلمي والتربوي في كليتي

كيبولي وكابوكونغى لـ 560 مدرساً اختيروا بواقع عشرة من كل محافظة ليتم تعيينهم بعد ذلك من قبل الحكومة الأوغندية مدرسين للغة العربية والثقافة الإسلامية.

### التعاون مع المنظمات الدولية المتخصصة :

في إطار الاتفاقيات المبرمة مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) تمّ إنجاز ما يلي :

أ - إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة باماكو بمالي في إطار برامج التعاون بين الجمعية ومنظمة اليونيسكو، وتفعيلاً للاتفاقية التي أبرمت بين الجانبين في هذا الخصوص.

ب - أبرمت اتفاقية بين الجمعية والبنك الإسلامي للتنمية واليونيسكو لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع «محو الأمية في افريقيا» وهو المشروع الذي يهدف إلى إعادة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي.

كما أبرمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية اتفاقية مع منظمة الإسيسكو باعتبارها الذراع الثقافي لمنظمة المؤتمر الإسلامي لتنفيذ عدد من المشروعات التعليمية.

غير أن العنصر البشري رغم أهميته في العملية التعليمية، إلا أنه ليس كل شيء فيها، فالكتاب والمبنى المدرسي والوسيلة التعليمية أمور أساسية فيها أيضاً، وهو ما حدا بالجمعية إلى الاهتمام بها فواصلت دعم وبناء المؤسسات التعليمية، حيث أسهمت كلياً أو جزئياً في إنشاء أكثر من (65) مؤسسة تعليمية في ثلاثين بلداً إفريقيا، مكنت مئات الآلاف من الدارسين من أن يتلقوا تعليمهم في ظروف أحسن، وزودت تلك المؤسسات بالوسائل التعليمية والكتب المنهجية، حيث أعدت الجمعية مناهج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، تمّ طباعة (4,744,000) نسخة منها وتوزيعها على عدد من المؤسسات التربوية في (25) دولة إفريقية، كما نظمت بالتعاون مع منظمة (الإسيسكو) ثمان اجتماعات لخبراء تربويين في دول الساحل الإفريقي، لوضع تعديلات على بعض مناهج المدارس الأهلية في مادتي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ودعمت عشرات المؤسسات التربوية ببعض الوسائل التعليمية المعينة في شكل ملصقات ورسومات وصور، بلغت في مجملها عشرة آلاف نسخة. كما تمّ إنجاز ثلاثة آلاف حقيبة من الحقائب التعليمية المعنونة بـ (أتعلم العربية)، وذلك في إطار اتفاق بين الجمعية ومؤسسة (همزة وصل) المغربية المتخصصة في إنتاج الوسائل التعليمية الخاصة بتعلم العربية للناطقين بغيرها.

### مراكز القراءة

ولعل ما يجدر ذكره في هذا الإطار هو المشروع الكبير المعروف بمراكز القراءة الذي نفذته الجمعية بالتعاون مع الإسيسكو، وهو برنامج يهدف إلى إيصال المعرفة إلى المناطق والقرى النائية في دول الساحل، ويتكون كل مركز قراءة من مبنى من ثلاث إلى أربع غرف، تحتوي على مكتبة ملحق بها صالة قراءة وفصلين دراسيين وغرفة مزودة بجهاز تسجيل مرئي وجهاز إذاعة مرئية لعرض الأشرطة الوثائقية والتعليمية والتاريخية، ويعمل أستاذان في كل مركز من هذه المراكز التي تعتبر مراكز للتعليم المفتوح، حيث يقومان بإعطاء دورات في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فضلا عن تنظيم عروض مرئية من خلال الأشرطة التي زودت بها هذه المراكز ، وقد تمّ إنشاء (70) مركزاً للقراءة في المناطق الريفية والنائية في كل من : ( مالي، النيجر، بوركينا فاسو، غينيا، غامبيا،

السنغال، نيجيريا)، ويحتوي كل مركز على فصل لتعليم العربية ومحو الأمية من خلال دورات تعليم اللغات الإفريقية بالحرف العربي للرجال والأطفال والنساء.

وما يمكن الإشارة إليه بإيجاز في هذا السياق ما يلي:

- ❖ تمّ تعيين خبير تربوى متخصص للعمل في مركز الهجرة بمدينة تمبكتو وهو المركز الذي يقوم على تأهيل المدرسين تربوياً ويقوم بوضع وتصحيح مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية، وقد أشرف هذا الخبير على عدد من الأنشطة التربوية في مقاطعات مالى الشمالية ( قاو، تمبكتو كيدال) ويقوم إضافة لذلك بإلقاء محاضرات ثقافية في مركز أحمد بابا للمخطوطات في تمبكتو.
- ❖ تمّ تنظيم دورتين تدريبيتين للمدرسين والمخططين التربويين في مالي وسيراليون استفاد منها أربعون خبيراً تربويا، كما نظم في باماكو اجتماع تشاورى موسع لمشرفي التعليم العربي في دول الساحل تم فيه وضع أولويات كل دولة فيما يتعلق بمتطلبات تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية.
- ❖ وفي إطار مشروع إعادة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي تمّ توزيع مائتى آلة كاتبة بعد أن قامت الجمعية بادخال تعديلات عليها تتناسب وطبيعة تلك الحروف، ووزعت تلك الآلات على وزارات التعليم في سبع دول إفريقية وأقيمت للمشرفين على استخدامها في الدول المعنية دورتان تدريبيتان احداهما في كانو والأخرى في الخرطوم استفاد منهما أربعون دارساً.


صورة خاصة

طفل إفريقي يقرأ القرآن

- ❖ تم تزويد كل من قسم المخطوطات بجامعة بايرو بكانو في نيجيريا ومركز أحمد بابا في تمبكتو بمالي بمنظومة كاملة لتصوير ومعالجة المخطوطات تمكيناً لهاتين المؤسستين من الحفاظ على الكنوز التراثية العربية فيهما.
- ❖ أقيمت دورات تدريبية نظمتها الجمعية بالتعاون مع منظمة الاسيسكو في مالي وتشاد استفاد منها (250) مدرساً من مدرسي اللغة العربية من مختلف محافظات الدولتين.
- ❖ تم إيفاد أستاذين للتدريس والإشراف على برامج اللغة العربية في جامعة ساي بالنيجر.
- ❖ نظمت دورة تدريبية لموجهي اللغة العربية في جيبوتي، شارك فيها عشرون موجهاً رشحوا من قبل وزارة التعليم الجيبوتية، تلقوا محاضرات في مجال عملهم من قبل أساتذة متخصصين، كما

عرضت بعض الأشرطة الوثائقية ونظمت حلقات نقاش حول موضوع الدورة وبرامجها.

❖ من أجل دعم برامج تعليم اللغة العربية والاهتمام بدورات التوعية والتقوية لمدرسي اللغة العربية التي تتولاها وزارة التعليم السنغالية، فقد أقيمت دورة لمعلمي اللغة العربية حضرها (80) مدرساً لمدة شهر وذلك في إطار التعاون الثقافي بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومنظمة الإيسيسكو.

وفي إطار التعاون بين الجمعية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، تم تنفيذ دورة تدريبية للموجهين التربويين عقدت في واجادوجو عاصمة بوركينا فاسو، حضرها (25) موجهاً تربوياً من دول الساحل الإفريقي كما نظمت في ذات الإطار دورة تدريبية محلية في النيجر حضرها (120) مدرساً من جميع المحافظات النيجرية تلقوا خلالها محاضرات عملية ونظرية هدفت إلى النهوض بكفاءاتهم العلمية والتربوية.

كما أقيمت حلقة دراسية حول اللغة العربية في النيجر، شارك فيها عدد من الأساتذة والمهتمين بالثقافة العربية الإسلامية من كل من جامعة ساي بالنيجر جامعة محمد الخامس بالمغرب وجامعتي الفاتح وخليج التحدي بالجماهيرية العظمى.

وقد أعطى التعاون مع هذه المنظمات الدولية للجمعية وعملها العلمي والثقافي القبول الدولي وأبرز حضارية رسالتها وتوجهها.

## تأليف المناهج وطبعها وتوزيعها

قامت الجمعية بإعداد منهج لمادتي (اللغة العربية) و(الثقافة الإسلامية) يلبي حاجة المستويات المختلفة للطلاب في هاتين المادتين، حيث قسم المنهج إلى فرعين رئيسيين هما: اللغة العربية والثقافة الإسلامية، واشتمل كل فرع على ثلاث مراحل وتمّت تغطية كل مرحلة بما تحتاج إليه من المعلومات المهمة والضرورية في هاتين المادتين مع الأخذ في الاعتبار سهولة التناول وبساطة الأسلوب.

وقد تمّ تقويم المنهج متكاملاً من قبل لجنتين، إحداهما من الخبرات الليبية، والأخرى عربية، ضمتا عناصر ذات خبرة طويلة في إعداد المناهج، وقد زكت اللجنتان هذا المنهج وأوصتا بتوزيعه على مختلف الساحات الإسلامية، باعتباره يحقق متطلبات التدريس الحديثة كافة في هذا المجال، وبلغت الكمية المطبوعة منه (1,680 ,000) نسخة وزعت بكاملها على مئات المدارس الإفريقية التي اعتمدت هذه السلسلة منهجا أساسيا لمادتي اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

وما يمكن الإشارة إليه في نقاط موجزة :

1 ـ تمّت طباعة (450 ,000) نسخة من كتاب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بأجزائه الثلاثة، وتم توزيعها على عدد من المؤسسات التربوية والثقافية في دول الساحل الإفريقي.

2 ـ تمّ تقديم (1,350 ,000) نسخة من كتب منهج اللغة العربية والتربية الإسلامية المعتمد في الجماهيرية العظمى إلى جمهورية تشاد، حيث استفاد من تلك الكمية عدد من المدارس والمؤسسات الثقافية في مختلف المحافظات التشادية.

3 ـ تمّت طباعة ثمانية عناوين من الكتب الثقافية المؤكدة للإنتماء العربي الإفريقي، كما تم اقتناء ثمانية عشر عنواناً من إصدارات مركز الدراسات الإفريقية بمدينة سبها، وزعت على دول الساحل وبعض الدول الإفريقية الأخرى.

4 ـ تمّ دعم اتحاد المدارس العربية الأهلية بالنيجر

بكمية من كتب اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي أعدتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

5 ـ عملت الجمعية من خلال علاقاتها بالمؤسسات الثقافية والجامعات والجمعيات الإسلامية والطرق الصوفية على تشجيع استعمال الحرف العربي في اللغات المحلية، حيث قامت بالآتي :

أ ـ تمّ بالتعاون مع مكتبة القادرية بكانو طباعة كتابين عن الطريقة القادرية.

ب ـ تمّت مراجعة عدد من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات المحلية تمهيداً لطباعتها بالحرف العربي بدل الحرف اللاتيني.

6 ـ ساهمت مطبوعات الجمعية باللغة العربية في مساعدة الأفارقة على تعلم اللغة العربية وعلى نشر الثقافة العربية والإسلامية في ربوع المؤسسات العلمية وفي الأوساط الثقافية المختلفة.

وفي إطار التنسيق مع عدد من الجامعات الإفريقية تمّ قبول عدد من الطلاب في أقسام اللغة العربية، بمنح من الجمعية، وذلك في الجامعات التالية :

| الجامعة | عدد المنح |
|---|---|
| جامعة عبد الله بايرو بنيجيريا | (20) عشرون منحة |
| جامعة مايدوغري بنيجيريا | (10) عشر منح |
| الجامعة الإسلامية بالنيجير «جامعة ساي» | (20) عشرون منحة |
| جامعة نيامي بالنيجر | (10) عشر منح |
| جامعة مالي | (20) عشرون منحة |
| جامعة انجامينا بتشاد | (30) ثلاثون منحة |
| جامعة بوركينا | (20) عشرون منحة |
| جامعة السنغال | (47) سبع وأربعون منحة |
| جامعة راوندا | (8) ثمان منح |
| جامعة اوغندا | (6) ست منح |
| جامعة موسى بن بيك بالموزمبيق | (10) عشر منح |
| جامعة كيب تاون بجنوب إفريقيا | (1) منحة واحدة |

## توظيف الوسائط الإعلامية

ونظراً لما تقوم به الإذاعات المسموعة في إفريقيا من دور تعليمي وتثقيفي، باعتبارها الأداة الإعلامية الأوسع انتشاراً في الأرياف والأدغال والقرى النائية؛ فقد دعمت الجمعية مادياً وببرامج تعليمية عدداً من تلك الإذاعات المسموعة في كل من (بنين التوغو، مالي، كينيا، أوغندا، جنوب إفريقيا) بما مكّنها من الاستمرار في إعداد وبث وتطوير برنامج تعليم اللغة العربية في هذه الإذاعات، ليحتل جزءاً أكبر من خارطة برنامجها العام، وهو الأمر الذي شجع مسئولي تلك الإذاعات على تطوير برنامجها التعليمي، وتوسيع دائرة المستفيدين منه، لتكون هذه الإذاعات ـ وما شابهها من الأجهزة الإعلامية ـ أداة من أدوات تعليم العربية، وخاصة بالنسبة للكثيرين الذين لم تتح لهم فرصة الالتحاق بالمدارس النظامية أو الأهلية.

## الدعاة والأئمة والمرشدون الدينيون

إن مهمة الدعاة والأئمة والمرشدين الدينيين مهمة تعليمية بالدرجة الأولى من خلال المساجد والمراكز، ودور تحفيظ القرآن الكريم، ويحتل تأثيرهم الإجتماعي مرتبة مميزة في تعليم اللغة العربية، لذلك حرصت الجمعية على أهمية إعدادهم وتكوينهم وتنظيم دورات محلية وملتقيات إقليمية لهم ليضطلعوا بدورهم كاملاً. ويعمل عدد كبير من هؤلاء الدعاة مدرسين لتعليم اللغة العربية في المدارس المحلية، أو مدرسين في الدورات التي تقيمها مكاتب الجمعية في الخارج لتعليم اللغة العربية.

وبلغ عدد الدعاة الذين تمّ تعيينهم في إفريقيا (333) داعية، منهم (120) تخرجوا في كلية الدعوة الإسلامية وفروعها، موزعين على الدول الإفريقية التالية: غانا، جنوب افريقيا، التوجو، أوغندا، رواندا،



دورات تدريبية للمرأة الإفريقية

بوروندي، زائير كينيا، أثيوبيا، زمبابوي موزمبيق، بوتسوانا، تشاد، إفريقيا الوسطى، مدغشقر، موريشيوس، النيجر، بوركينا فاسو، مالي، غامبيا، تنزانيا، بنين، نيجيريا، الكاميرون، الكونغو، السنغال، موريتانيا، غينيا بيساو، سيراليون، ليبيريا، غينيا كوناكري، زامبيا، ملاوي، جيبوتي، السودان.

ونظمت لهؤلاء دورات وملتقيات للرفع من كفاءتهم العلمية، ودرس على أيديهم من خلال فصول دراسية ودورات تعليمية أكثر من (80,000) دارس.

ومن ناحية أخرى فقد قدّمت الجمعية مئات المنح الدراسية لمساعدة طالبي تعلم العربية وخاصة من الطبقة الفقيرة، حيث تمّ تقديم (262) منحة دراسية للتعليم المتوسط والجامعي منها (100) منحة لطلبة أفارقة في جامعة ساي بالنيجر و(28) منحة للدراسات العليا في جامعات إفريقية أخرى، كما توزعت باقي المنح على مؤسسات تعليمية متوسطة هذا عدا الدارسين بكلية الدعوة وفروعها والذين يحظون بتوفير كل المستلزمات الدراسية وبالعناية الصحية وكامل الخدمات الاجتماعية الأخرى.

وقد قامت الجمعية بجهود كبيرة من أجل أن يحظى المتخصصون في العربية وعلومها وآدابها بالمكانة التي تليق بهم بعد أن شعروا في فترات سابقة بالتهميش، نظراً لاستحواذ الثقافة الفرانكفونية والإنجلوسكسونية على مناحي الحياة الثقافية في عدد من الدول الإفريقية فكرمت الرعيل الأول منهم وشجعت المبدعين ومنحت جوائز للمتفوقين في المدارس والجامعات ومكنت الذين تركوا آثاراً ثقافية متميزة في بلدانهم من أداء فريضة الحج وعينت

الآلاف من الدعاة والمدرسين والموجهين التربويين ومسئولي أقسام اللغة العربية ومستشاري تدريسها في الوزارات الإفريقية المتخصصة، بعد أن كانت جل تلك الوظائف حكراً على المثقفين فرنسياً أو إنجليزيا... وقد ساهم كل ذلك بالاعتزاز بالعربية كجزء من الهوية الإفريقية من ناحية ومن ناحية أخرى ضاعف أعداد المقبلين على تعلمها وشجع آخرين على التخصص في علومها..

وحيث إن ملتقيات الدعاة والمخيمات الشبابية والملتقيات النسوية تعتبر من الأنشطة الثابتة التي تعقدها الجمعية سنوياً في مناطق مختلفة من القارة الإفريقية، فقد كانت مدخلاً لتعليم العربية فغالباً ما تحتوي برامجها على محاضرات حول اللغة العربية ودورها في بناء الشخصية الثقافية للأفارقة وخاصة المسلمين منهم، كما كانت تلك الملتقيات فرصة للتعرف على الكفاءات المناسبة للاستفادة منها في هذا البرنامج.

## الدورات التعليمية والتدريبية

**1 ـ دورات تعليمية مستمرة**

تنظم الجمعية بصورة مستمرة دورات لتعليم اللغة العربية في مكاتبها بإفريقيا وبالتعاون مع المنظمات والهيئات الإسلامية، بلغ عدد الذين استفادوا منها (15000) دارساً ودارسة، انتظموا في هذه الدورات لفترات مختلفة تتفاوت بين بضعة أشهر وسنة دراسية كاملة ويشمل هذا العدد دارسين من كل من : غانا، بوروندي، ساحل العاج تنزانيا مدغشقر، أوغندا رواندا، بنين، مالي، جنوب إفريقيا، النيجر، موزمبيق، أثيوبيا، الصومال، جيبوتي، بوركينا فاسو، التوجو، زمبابوي.

**2 ـ دورات تأهيل المدرسين والموجهين**

- ❖ عملاً على تأهيل المدرسين تربوياً ورفع كفاءتهم العلمية في مجالات علوم التربية وطرق التدريس وكيفية استخدام الوسائل التعليمية المعينة في تدريس اللغة العربية، أقيمت دورتان في غانا إحداهما بالعاصمة أكرا والثانية بمدينة تاكوارادي، بالتعاون مع اتحاد مدرسي اللغة العربية والمؤتمر الشعبي الإسلامي، وقد اشتملت الدورتان على محاضرات في طرق التدريس وعلم النفس التربوي وقواعد استخدام الوسائل التعليمية في مجال تعليم اللغة العربية.
- ❖ وفي الإطار ذاته أقيمت ثلاث دورات أخرى في كل من تمبكتو بمالي ومنطقة توغان ببوركينا فاسو، ومدينة داكار بالسنغال، وقد تركزت جميعها على تثقيف المدرسين وإطلاعهم على آخر المستجدات في مجال تعليم اللغة العربية وكيفية تطوير أساليب تعلمها لترقى إلى المستوى الذي عليه تدريس المواد الأخرى.
- ❖ في كلية الدعوة الإسلامية أقيمت دورتان دراسيتان لمدة سنة كاملة لمن تحصلوا على درجة ممتاز من مدرسي اللغة العربية في الدورات التي أقيمت لهم ضمن برنامج ما بعد كانو وعدد هؤلاء (82) مدرساً متميزاً، وقد تحصل الناجحون فيهما على دبلوم الدراسات العليا وعهد إليهم الإشراف على تدريس اللغة العربية في دولهم وتنشيط برامجها، وتعتبر هاتان الدورتان المتقدمتان نواة لدورات أخرى متنوعة تقام في كثير من دول القارة تعتمد اختيار المتميزين في تدريس اللغة العربية وتأهيلهم.

وبالإضافة إلى هاتين الدورتين تم بكلية الدعوة الإسلامية إقامة عدد من الدورات للرفع من مستوى

القائمين على تدريس اللغة العربية في عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية، أشرف عليها متخصصون ذوو مؤهلات عالية وقد استفاد منها (400) دارس.

3. دورات ما بعد كانو :

وهي دورات استهدفت اختيار المدرسين المحليين في دول الساحل والصحراء وفق ما أشير إليه سابقاً، حيث نظمت لهم احدى عشرة دورة تدريبية اختبارية استفاد منها (6000) ستة آلاف دارس.

## دعم المؤسسات التعليمية والثقافية

❖ ولمّا كانت الجهود المباشرة لتعليم اللغة العربية لا تفى بالغرض المطلوب وتحتاج إلى استثمارات كثيرة، فإن الجمعية اتبعت أسلوب دعم الجهود الأهلية والصوفية وأحياناً الرسمية في مجال تعليم اللغة العربية بتشجيع القائمين عليها ودعم مدرسيها والرفع من مستواهم والقيام بصيانة المدارس وتوفير مستلزمات العملية التعليمية للغة العربية والدعاية لها، فقد حظيت عشرات الجمعيات والمؤسسات الإسلامية بدعم مرافقها التعليمية والثقافية والاجتماعية، وقد تفاوت ذلك الدعم حجماً ونوعاً واستفاد منه أكثر من مائتي مؤسسة تعليمية تنتشر في البلدان الإفريقية التالية: مورشيوس، أوغندا غامبيا، أثيوبيا، نيجيريا، مالى، تشاد، غينيا كوناكري، سيراليون، السنغال، تنزانيا، بوركينا فاسو بتسوانا، بنين، مدغشقر، غانا، زمبابوي، ساحل العاج، كينيا، موريتانيا، جزر القمر، بوروندى، ارتيريا، السودان، ليبيريا، غينيا بيساو، إفريقيا الوسطى، الجابون، جيبوتي، رواندا، الصومال، الموزمبيق، النيجر وجنوب إفريقيا.

وإذا كان الدعم الذي أشرنا إليه سابقاً جزئياً أو مرحلياً كما هو الحال في أغلب تلك المؤسسات، فإن الدعم قد يكون كاملاً ومستمراً في مؤسسات أنشأتها الجمعية وتولت الإشراف عليها، كما هو الحال في المؤسسات التالية :

| اسم الجهة | البلد |
|---|---|
| مدرسة المركز الإسلامي كوتونو | بنين |
| مدارس أبادر | أثيوبيا |
| مدرسة عمر المختار | مدغشقر |
| المدرسة العربية للحضارة الإسلامية | غامبيا |
| المعهد الإسلامي بريكاما | غامبيا |
| اتحاد المدارس الإسلامية | مالي |
| معهد الفاتح الإسلامي | أوغندا |
| عنابر عمر المختار | تشاد |

## بناء المدارس والفصول الدراسية

❖ في دول المسار : بنين،، التوجو، غانا ، بوركينا فاسو النيجر وجنوب تشاد، تمّ بناء مائة وواحد وسبعين فصلاً دراسياً وتأثيثها وتزويدها بالمستلزمات المدرسية وتوفير المدرسين المؤهلين وتهيئة الظروف المناسبة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وقد تمّ بناء هذه الفصول في المناطق التالية : 55 فصلاً في بنين و30 فصلاً في التوجو و25 فصلاً في غانا و21 فصلاً في بوركينا و9 فصول في النيجر و31 فصلاً في تشاد.

## المؤتمرات والندوات :

❖ من أجل الاهتمام بتعليم اللغة العربية والتعبئة لتفعيل برامجها وتسهيل وسائل تعلمها شاركت الجمعية في المؤتمر السنوي لقدماء جمعية الطلبة

المسلمين في حي أبو بوغار بساحل العاج والذى حضره (450) مشاركاً من مختلف مناطق ساحل العاج وصدرت عنه توصيات من أهمها مطالبة المؤتمر الحكومة باعتبار اللغة العربية إحدى اللغات المقررة بمناهج التعليم نظراً لأن (65 ٪) من السكان مسلمون.

❖ نظمت بالعاصمة السنغالية داكار ندوة حول اللغة العربية في غرب إفريقيا شارك فيها عدد من موجهي ومدرسي اللغة العربية بالمدارس الحكومية السنغالية والمدارس العربية الإسلامية الحرة وأساتذة الجامعات ورؤساء الجمعيات الإسلامية وعدد من الباحثين والمهتمين باللغة العربية في كل من السنغال وغامبيا وغينيا بيساو وغينيا كوناكري وموريتانيا ومالي، وقدمت في هذه الندوة بحوث تناولت بالدراسة والتحليل تاريخ دخول اللغة العربية إلى دول غرب إفريقيا وتطور تعلمها ودور الزوايا الصوفية والجمعيات الإسلامية وما قدمته في هذا المجال، كما نظم بداكار بالتعاون مع المركز الإقليمي للتعليم الفني ملتقى أساتذة ومعلمي اللغة العربية الذي أقيم تحت عنوان «نحو منهجية أفضل لتعليم اللغة العربية».

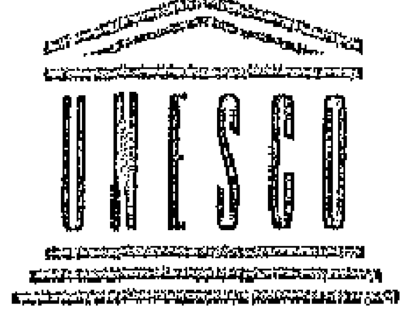
❖ وفي جمهورية تشاد أقيمت ندوة بعنوان «اللغة العربية في تشاد الماضي والمستقبل» وأكدت الندوة على أهمية تعليم اللغة العربية وضرورة توحيد مناهج تعلمها وأوصت بأن يتم الاهتمام بتعليم اللغة العربية ونشرها مساعدة لجمهورية تشاد لتكون العربية اللغة الثانية فيها كما نصّ دستورها على ذلك، ولدعم هذا التوجه وتثبيت العربية في الوعي الثقافي الإفريقي فقد نفذت الجمعية مشروعاً متكاملاً في انجامينا عاصمة تشاد تمّ فيه تعريب أسماء الشوارع والطرقات وقد لقي هذا العمل ارتياحاً شعبياً كبيراً.

هذه الجهود المباشرة وغير المباشرة، سواء منها الذي ينتظم في السياق العام لنشاط الجمعية منذ تأسيسها، أو ذلك الذي يكون جزءاً ملحوظاً من البرامج الرائدة في تعليم اللغة العربية، مثل برنامج ما بعد كانو، وبرنامج دول المسار رحلة القائد إلى القمة الافريقية في لومي، أو مسار القائد إلى جنوب تشاد، كان لها دورها في إقحام مئات الآلاف من الأفارقة في برامج تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، بطريقة أو أخرى، وفتحت أمامهم فرصة تعلم اللغة العربية وتعليمها، وأحياناً استعمالها في الحياة الثقافية والحياة العامة؛ ساعد على ذلك جهود العلماء وأهل التصوف ووسائل الإعلام الإذاعية والصحف الإسلامية المحلية. وتبقى دائماً هناك فرصة أكبر لتوسيع مساحة هذا الجهد وتفعيله، ويقتضي ذلك استثمارات أكبر بإمكانها عند توفرها أن تحدث نقلة نوعية في هذا الإطار، كتلك التي أحدثها برنامج ما بعد كانو.

هذه خطوط عريضة عن أنشطة الجمعية فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية وعلومها في القارة الإفريقية - عرضناها بإيجاز يوضح أهم مسارات ذلك العمل الكبير الذي يتنامى يوماً بعد يوم بتنامي دور ثورة الفاتح في القارة السمراء، كما أوضحنا أهم المداخل التي تمّ الاستفادة منها في تعليمها، غير أننا ندرك أن الميدان ما زال في حاجة إلى جهود وإمكانيات أكبر لتحقيق الغايات المرجوة التي ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في أن نستمر في السير نحوها.






**جمعية الدعوة الإسلامية العالمية**
**والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو)**

# تعاون من أجل إفريقيا

## الاجتماع الثالث للجنة الشراكة من أجل التنمية في إفريقيا (نيباد) نموذجاً

إعداد: **علي محمد الويفاتي***

تشهد العلاقات بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة «اليونيسكو» نمواً مضطرداً يدل على الثقة المتبادلة وإدراك الطرفين أهمية تطوير العلاقات والتعاون في مجال تخصصهما الثقافي والإنساني بشكل عام.

ولا شك أن الخبرة الكبيرة التي اكتسبتها الجمعية من خلال تعاملها مع الشأن الإفريقي، خاصة في مجال الإغاثة والعمل التعليمي والدعوي، جعلتها مصدراً مهماً لكل المؤسسات الدولية والأهلية تستعين بها عند وضع برامج ثقافية وتعليمية تنفذ في إفريقيا.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تركز في البرامج التي تضطلع بها في إفريقيا على العمل الإنساني بمختلف جوانبه، خاصة في مجالات التعليم والتدريب والاهتمام بالمرأة، بالإضافة إلى العمل الإغاثي.

ومن هذه الخاصية التي تنفرد بها الجمعية برزت استعانة اليونيسكو بها لتنظيم واستضافة الاجتماع الثالث للجنة الشراكة من أجل التنمية في إفريقيا (نيباد) خلال يومي السابع والثامن من شهر الماء 1373 من وفاة الرسول ﷺ مايو 2005 مسيحي بمقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس / ليبيا.

واللجنة التي استضافت الجمعية اجتماعها الثالث لها علاقة مباشرة باليونسكو، فمهمتها تقديم المشورة والإقتراحات الخاصة بمشروعات التنمية البشرية والاقتصادية في إفريقيا، وهو الأمر الذي يجعل من الخبرات التي اكتسبتها الجمعية طوال عملها في إفريقيا مفيدة لهذه اللجنة التي ستجد إجابات عديدة ومناسبة للمسائل المطروحة أمامها.

حضر الجلسة الافتتاحية بالإضافة إلى الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، السيد كواتشيرو ماتسورا، مدير عام المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة اليونيسكو والسيد بمبولا اوجونكيلو أمين عام تجمع دول الساحل والصحراء

---

* كاتب وصحفي / ليبيا


صورة خاصة

من اليمين السادة: كواتشيرو ماتسورا، بمبولا اوجونكيلو رئيس لجنة النيباد، ميشيل اوموليا

(س.ص) ورئيس لجنة «النيباد»، والسيد ويلفرد ايمفولا رئيس المجموعة الإفريقية بمنظمة التربية والثقافة والعلوم بالأمم المتحدة والسيد ميشيل اوموليو رئيس المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم، وأمينا اللجنتين الشعبيتين العامتين للثقافة والتعليم العالي بالجماهيرية، ومدير المعهد الإفريقي للبحث التطبيقي والإنماء الاجتماعي.

كما حضر جلسة الافتتاح عدد من الخبراء والمختصين بمنظمة اليونيسكو وقسم إفريقيا بالمنظمة وعدد من رؤساء البعثات السياسية المعتمدين لدى الجماهيرية العظمى.

## من أجل رسم الأولويات التنموية

ومن خلال كلمة الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في جلسة الافتتاح ندرك فلسفة هذه الاستضافة عندما قال : إننا نلتقي اليوم لنتبادل الخبرة مع أهل العلم والرأي من خلال المنظمات الدولية من أجل أن نرسم أولويات التنمية في إفريقيا في مجالات العلوم والثقافة، خاصة وأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لها تاريخ طويل في التعاون مع منظمة اليونيسكو من خلال اتفاقيات الشراكة لأنها تحمل رسالة سامية تعمل من أجل تحقيق أهدافها.

## الجمعية شريك مهم لليونيسكو

وقد سار السيد كواتشيرو ماتسورا المدير العام لليونسكو في كلمته على نفس المنوال عندما أعرب عن تقديره للدور الذي تضطلع به الجمعية، مشيرا بالخصوص إلى مسيرة التعاون بين الجمعية واليونيسكو، موضحاً أن الجمعية تعتبر من الشركاء المهمين للمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم

التابعة للأمم المتحدة، في العديد من الأنشطة والبرامج الثقافية والعلمية والتنمية البشرية، ولا سيما الاهتمام بالثقافة الإسلامية.

ودعا ماتسورا في كلمته إلى ضرورة الاستفادة من كل المؤتمرات والاجتماعات التي تكرس لدعم القارة الإفريقية من أجل دعم مسيرة التنمية فيها وتحقيق الرخاء والتقدم لشعوبها ووضع الخطط اللازمة التي تحدد الأولويات والاحتياجات التي تجعل القارة الإفريقية مواكبة لحركة التطور في العالم وان يكون ذلك من خلال التعاون المستمر مع كافة مؤسسات وهياكل الاتحاد الإفريقي.

وأشاد كواتشيروماتسورا المدير العام للمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة (اليونيسكو) بالجهود التي بذلها القائد معمر القذافي، من أجل توحيد القارة الإفريقية، والتي توجت بإعلان وتأسيس الاتحاد الإفريقي العظيم الذي انطلق من مدينة سرت في 9-9-99.

**إعلان سرت**

**مشروع بالغ الأهمية لمستقبل الأفارقة**

وقال: انتهز هذه الفرصة لأعرب للقائد معمر القذافي عن خالص الشكر والامتنان لما حققه للأفارقة.. مضيفاً أن إعلان سرت ليس حلماً، بل مشروع بالغ الأهمية أثبت الأفارقة من خلاله وجود قارتهم في العالم.

وأكد ماتسورا في كلمته أنه لا يمكن تحقيق تنمية مستدامة في إفريقيا بدون الأفارقة أنفسهم، موضحا أن خير دليل على ذلك هو انعقاد هذا الاجتماع على أرض ليبيا التي لها اهتمامات خاصة بالقارة الإفريقية التي أصبحت تحظى باحترام دول العالم وتتحدث معها بلغة واحدة.

**الإتحاد الإفريقي**

**تجسيد لتصميم الأفارقة**

وألقى ميشيل اومولبوا، رئيس المؤتمر العام لليونيسكو، كلمة أعرب فيها عن سروره للمشاركة في هذا الاجتماع الذي يكتسي أهمية تاريخيه، مشيراً إلى أهمية المؤتمر باعتباره يبحث سبل إيجاد آلية لتوفير الدعم للقارة الإفريقية والتزام العديد من دول العالم بذلك.. مؤكدا على أن الاتحاد الإفريقي هو تجسيد لتصميم الأفارقة على بناء قارتهم والوصول بها إلى التقدم والرخاء.

**❖ الاهتمام بالتعليم وتدريب المدرسين والمدربين ومكافحة الأمية وإعادة النظر في النظام التعليمي في كثير من دول القارة.**

**❖ دعم مسيرة التنمية في إفريقيا وتحقيق الرخاء والتقدم لشعوبها من الأولويات والاحتياجات التي تجعل القارة الإفريقية مواكبة لحركة التطور في العالم.**

من جانبهما أعربا رئيس المجموعة الإفريقية باليونسكو ويلفرد ايمفولا، ورئيس لجنة النيباد بمبولا اوجو نكيلو، عن تقديرهما للجماهيرية العظمى احتضانها لهذا الاجتماع الذي يكتسي أهمية خاصة من خلال المهام الجسام التي سيقوم بمناقشتها فيما يتعلق بالشراكة الجديدة للتنمية في القارة الإفريقية وإيجاد آليات للتعاون مع كافة المنظمات الدولية من أجل القارة الإفريقية وتقدمها وذلك من خلال المبادرات والمشاريع في إطار هذه الشراكة.

صورة خاصة

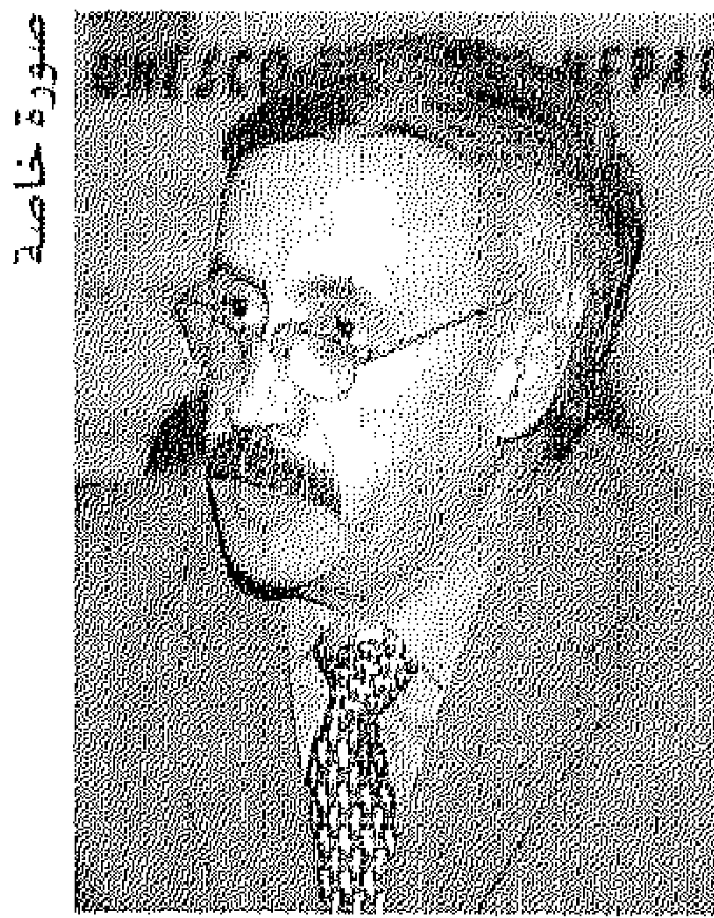


جانب من المشاركين في الاجتماع

## البعد الثقافي لافريقيا

وتحدث أمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة في الجماهيرية، عن البعد الثقافي الذي تحظى به إفريقيا وقال : إن إفريقيا غنية بالتاريخ والثقافة وهما المهمان في بناء الحضارة الإنسانية.. داعيا إلى ضرورة الاستماع إلى صوت إفريقيا، هذه القارة التي قاومت على مر العصور وعبر التاريخ كل سياسات المحق والإزالة، لتسهم في مشروع عظيم، معرباً عن التفاؤل بقدرة الاتحاد الإفريقي على النهوض بالقارة من خلال العلماء والمفكرين والباحثين والقادة المؤسسين الكبار الذين حافظوا على إفريقيا قوية عظيمة.

صورة خاصة





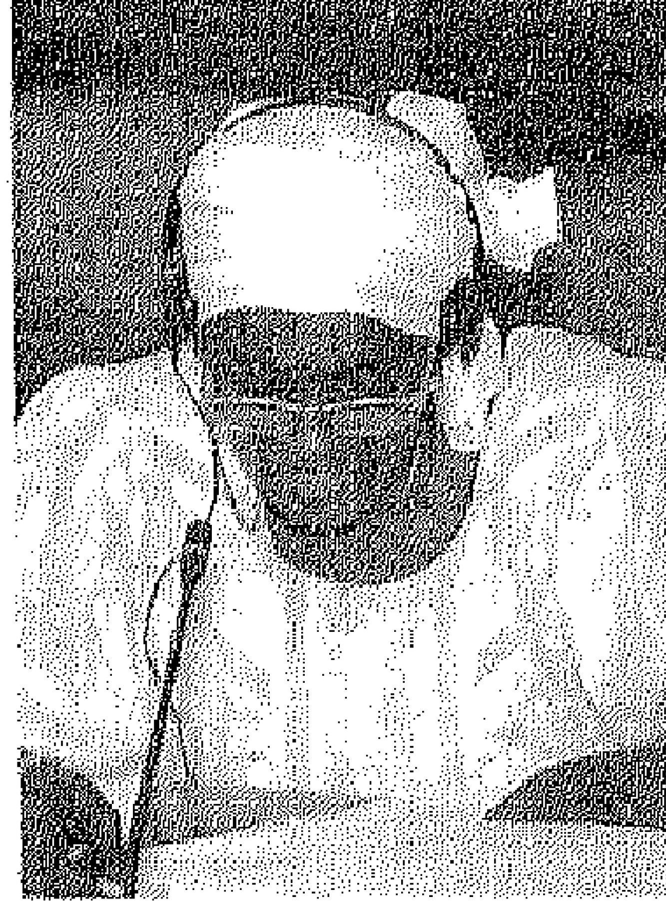
أمين اللجنة الشعبية العامة للثقافة - الجماهيرية

## خبرة الجمعية أمام النيباد

واستمع المشاركون في أعمال الدورة الثالثة للجنة الشراكة الجديدة من أجل التنمية في أفريفيا، لورقة عمل قدمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، حول خبرتها في مجال الشراكة مع المنظمات والهيئات الدولية وفي مقدمتها اليونيسكو، استعرضت من خلالها العديد من الجوانب المتعلقة بإسهامات الجمعية، حول « الشراكة - وخبرات جمعية

الدعوة الإسلامية العالمية» واعتماد الجمعية على الشراكة مع جميع المنظمات العالمية والإسلامية، من أجل تكاتف الخبرات والتعاون في سبيل الخير والسلام والتنمية.. ومدى ما يلاقيه ذلك من قبول واستحسان كبيرين، على المستويين الشعبي والحكومي في دول القارة.. وأشارت الورقة إلى التعاون مع منظمة اليونيسكو في العديد من مشروعات البحث العلمي بالقارة الإفريقية مستعرضة جانباً من جهود الجمعية في دعم العديد من الجامعات في إفريقيا وكذلك الشراكة مع دول غرب إفريقيا، **موضحة أن ذلك يتم وفق برنامج تربوي ثقافي يستفيد منه 313000 طالب ويشرف عليه 1500 أستاذ، ويوفر له قرابة 3 ملايين كتاب بالإضافة إلى دورات التدريب المهني، وورش العمل ودورات التمريض وكفالة الأيتام، ودعم 3100 مؤسسة مهنية في إفريقيا إضافة إلى دعم 40 مؤسسة طبية بالمستلزمات الطبية اللازمة لها** وغيرها من الأعمال الإنسانية التي تقوم بها الجمعية مؤكدة أن تعاون منظمة التربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو» مع الاتحاد الإفريقي يشكل بداية حقيقية للتنمية في إفريقيا.

وأشارت الورقة إلى أن علاقات التعاون المتميزة بين الجمعية وهذه المنظمات الدولية، والتي بدأت منذ ربع قرن، قد تم من خلالها إنجاز عدد من البرامج الكبرى مثل، إنجاز موسوعة إعادة كتابة تاريخ الإنسانية، ومشروع البحث عن مصادر المياه في دول الساحل، ومشروع إعادة كتابة اللغات بالحرف العربي، والمشروع الموسوعي الكبير الذي لازال العمل مستمرا فيه وهو «المظاهر المتنوعة للثقافة الإسلامية»، هذا إضافة إلى دعم الجمعية لمشاريع أخرى قيد التنفيذ منها المعرض العلمي الجوال الذي يعكس إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، وكذلك إقامة كرسي للحوار في أوروبا وآخر للغة العربية وعلومها في إفريقيا.


صورة خاصة

أباه ديالو

**خبرات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، في مجال الشراكة مع المنظمات والهيئات الدولية وفي مقدمتها اليونيسكو، تثري الاجتماع.**

كما استعرضت ورقة الجمعية علاقات الشراكة من أجل تنمية افريقيا مع عدد من المنظمات الدولية الأخرى مثل الايسيسكو والاليكسو وبعض المنظمات الاقليمية الأخرى.

وفي ختام الورقة تمّ التأكيد على أن العمل المشترك والتعاون الثنائي والجماعي سبيل لا مناص منه من أجل تحقيق تنمية حقيقية في القارة الإفريقية، مؤكدة على ضرورة أن يبتعد ذلك التعاون عن أي نوع من استغلال الظروف الإنسانية الصعبة في بعض مناطق القارة في محاولة التأثير على ثقافة الناس أو العبث بمكونات هويتهم الحضارية.

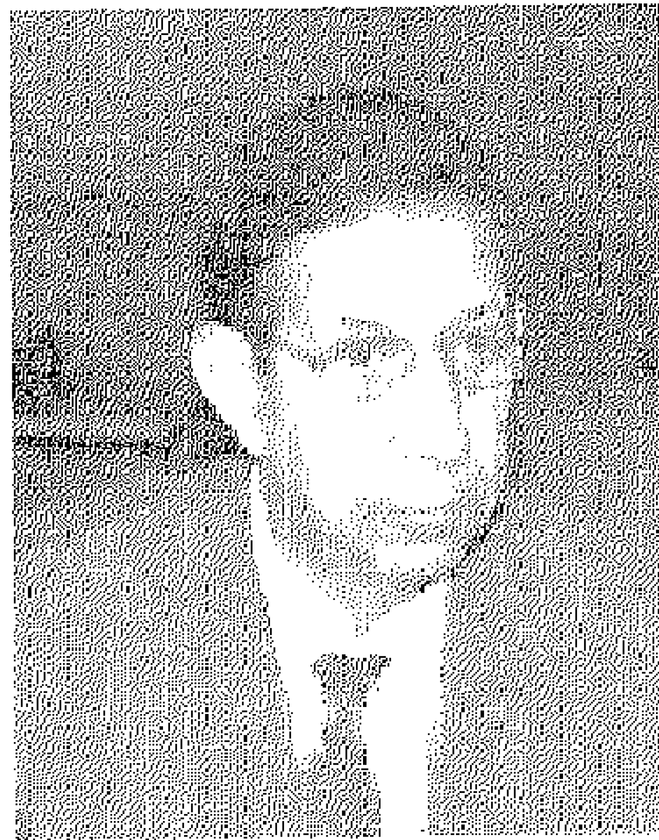
واستعرضت الورقة باختصار أنشطة الجمعية في إفريقيا في مجال التربية والثقافة والخدمات الإنسانية، وكذلك قدمت لمحة عن استثماراتها في القارة والتي تُعد مصدراً مهماً في تمويل مشاريعها التربوية والإنسانية في مختلف أنحاء إفريقيا.

## الشراكة والتعليم للجميع

وتركزت الورقة التي قدمتها الأستاذة اباه ديالو، المختصة بشؤون التعليم بالنيباد على «الشراكة والتعليم للجميع».. موضحة أهمية التعليم والتربية باعتبارهما من أهم الاستثمارات التي يمكن أن تنفذها دول القارة الإفريقية للمساهمة في رفع مستوى الإنتاج، مؤكدة على أهمية التعليم، باعتباره اللبنة الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة.. مشيرة إلى العديد من الإحصائيات التي تعكس واقع ضعف نسبة التعليم الابتدائي في إفريقيا.. متطرقة إلى مسببات ظاهرة الأمية للوقوف عليها ومكافحتها.. مؤكدة على ضرورة توظيف كافة الإمكانيات لتدريب المدربين والمعلمين لتنفيذ برامج التربية والثقافة والعلوم في إفريقيا.

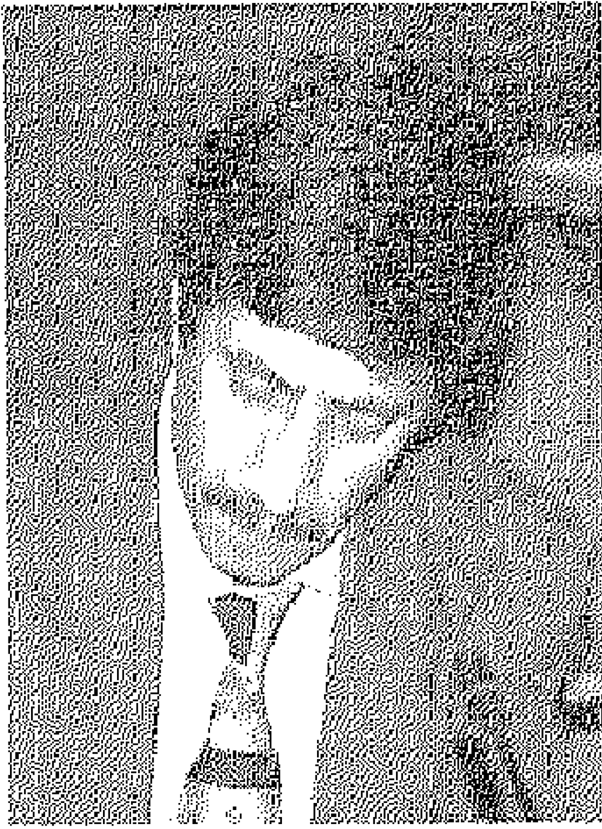
## تبادل الخبرات

ومن جهته أكد الأستاذ موسى كاي، في الورقة التي قدّمها بعنوان «الشراكة والبحوث العلمية والتكنولوجية ومراكز الامتياز»، على ضرورة الاهتمام بالمناهج الدراسية، والشراكة في مجالات التعليم والبحث العلمي بين الدول الإفريقية والمنظمات الدولية، للاستفادة من الخبرات الدولية في مجالات التعليم.. مشيراً إلى ضرورة تحديد الموارد المخصصة للشراكة.. موضحاً أن الشراكة لا تعتمد على الدعم المالي فقط بل تعتمد أيضاً على تبادل الخبرات والموارد البشرية، في العلوم الأساسية والتعاون بين القطاعات الخاصة والعامة لدفع عجلة العلم والتقنية.. مشددا على أهمية مراكز الامتياز لتعزيز التعاون العلمي الإقليمي بين مختلف المراكز العلمية، لتعزيز العمل البحثي بهدف التوصل إلى نتائج أفضل.



صورة خاصة

منير بوشناق



صورة خاصة

عبد الرحمن مروان

## الشراكة والتنوع الثقافي

كما قدَّم منير بوشناق نائب المدير العام المختص بشؤون الثقافة في النيباد، ورقة حول الشراكة والتنوع الثقافي، أكد فيها على التفاعل الثقافي بين اليونيسكو ودول الاتحاد الإفريقي.. مشيرا إلى أهمية التقدير السليم للواقع والموارد المتاحة والمحافظة على التراث ووضع إطار تشريعي لصيانته من خلال تنفيذ اتفاقية حماية التراث العالمي عن طريق حماية المواقع الأثرية من تهريب مكوناتها إلى خارج القارة.. مؤكداً على أهمية إعادة اللغات الإفريقية في الأطوار الأولى من مراحل التعليم للحفاظ على الهوية والخصوصية الإفريقية.

## خطة 2006 ـ 2007

وتضمن جدول أعمال اللجنة عرض آخر تطورات مسيرة نيباد والاتحاد الإفريقي وعرضاً حول تنفيذ توصيات اللجنة في دورتها الثانية المتعلقة ببرنامج التعليم والعلوم والثقافة والإعلام إلى جانب عدد من المقترحات المقدمة من قبل المدير العام لليونيسكو بالإضافة إلى مناقشة مسودة الخطة المقترحة والميزانية لعام 2006 ـ 2007 مسيحي وتوصيات المجلس التنفيذي لليونيسكو في دورته السابعة عشرة.

## دفع عجلة التقدم

وبخصوص تطورات مسيرة نيباد والاتحاد الإفريقي، قدَّم عبد الرحمن مروان، منسق تنمية الموارد البشرية «بالنيباد».. ورقة أشار فيها إلى نتائج مؤتمر وزراء التعليم الذي عقد بالجزائر مؤخرا.. داعيا الاتحاد الإفريقي لتبني أهداف النيباد وتطلعاته ووضع الخطط والبرامج لتحقيق التنمية المستدامة في إفريقيا، مشيرا بالخصوص إلى الاستعدادات التحضيرية لعقد مؤتمر وزراء الثقافة بالقارة الإفريقية، والاجتماع الوزاري للعلم والتقنية.. مؤكداً على ضرورة حشد الإمكانيات والموارد البشرية والمادية في القارة الإفريقية لدفع عجلة التنمية فيها.

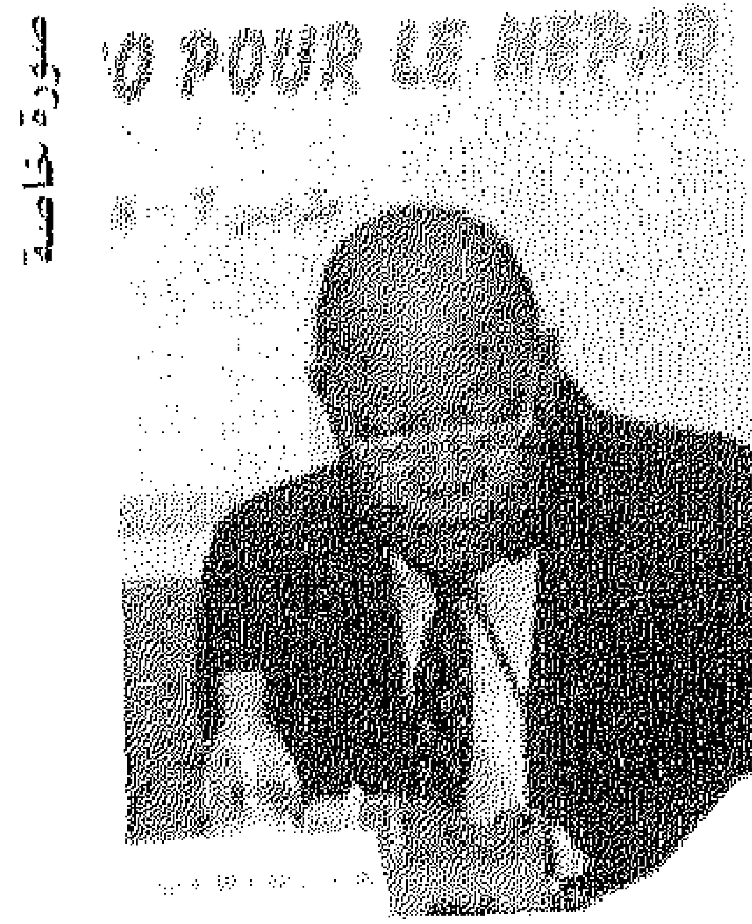
## تعزيز الثقافة

ومن جهته استعرض مدير مكتب التخطيط الاستراتيجي باليونيسكو، هانز دروفيل، برنامج منظمة اليونيسكو للعامين القادمين.. موضحاً أنه سيسهم في تحقيق تطلعات «النيباد» في تنفيذ العديد من المشاريع التنموية في القارة الإفريقية مثل البرامج العلمية والتدريب وتعزيز الصناعات الثقافية والحوار بين الأديان، ودعم تعليم اللهجات الإفريقية ومكافحة الفقر والأمراض وكذلك برامج التربية والتعليم والثقافة، مؤكداً أنها تحظى بالاهتمام الأكبر من قبل المنظمة ضمن تلك البرامج.

## مكافحة الأمية

وقدمت أباه ديالو نائب المدير العام المختص بشؤون التعليم بلجنة الشراكة الجديدة للتنمية فى إفريقيا، استعراضا للمبادرات التي ستطلقها النيباد والتي انبثقت عن قمة الجزائر وعرضها على القمة القادمة للاتحاد الإفريقي لتجسيدها على ارض الواقع، موضحة أن هذه المبادرة تركز على الاهتمام بالتعليم وتدريب المدرسين والمدربين ومكافحة الأمية وإعادة النظر في النظام التعليمي في كثير من دول القارة، واقتراح سياسات تعليمية جديدة لتحقيق برنامج عملي وتعليمي متكامل ودعمه.

## عدم الفصل بين العلم والثقافة



صورة خاصة

الدكتور التيجاني سيريس

وطرح منير بوشناق نائب المدير العام المختص بشؤون الثقافة تصوراً لبعض المشاريع الثقافية التي ستنفذها النيباد خلال العامين القادمين في إطار عدم الفصل بين العلم والثقافة.. مؤكداً على تكريس الصلات بينهما، وإدراج العنصر الثقافي في جميع السياسات التي تتخذ.. مشيرا إلى المؤتمرات المزمع عقدها في القارة، كمؤتمر وزراء الثقافة واجتماعات لجنة التراث العالمي التي ستعقد اجتماعاتها في دوربان بجنوب إفريقيا.

## اللغات والآثار

مشدداً على أهمية التراث ودوره في الحفاظ على هوية وثقافة القارة، مستعرضاً برامج المنظمة في هذا الجانب من خلال صيانة عدد كبير من المواقع الأثرية فيها وحمايتها وتطوير بعض اللغات واللهجات الإفريقية المهددة بالاندثار، والترويج لعدد كبير من مؤلفات المؤرخين الأفارقة، التي تبرز تاريخ إفريقيا


صورة خاصة

حضور من مختلف الأعراق والأجناس والشعوب

ومساهماتها في صنع الثقافة الإنسانية، مؤكداً أن منظمة اليونيسكو بصدد إعداد برنامج للتنمية السياحية وتطوير صناعتها مما يسهم في إتاحة فرص عمل جديدة لأبناء القارة.

## برامج مستقبلية

كما استعرضت ممثلة المدير المختص بالعلوم الاجتماعية والإنسانية بالنيباد «مفيدة غوشا»، عدداً من المواضيع المدرجة ضمن برامج اليونيسكو في إفريقيا لاستشراف العلوم والفلسفة والأمن البشري وتعزيز حقوق الإنسان من خلال حشد الخبراء والاختصاصيين الاجتماعيين في إفريقيا لإنجاح هذه البرامج وتحقيق التنمية وتعزيز التعاون بين التجمعات الإقليمية بالقارة والتكامل العلمي والاقتصادي في كامل القارة.

## تنمية وسائل الاعلام

وقدَّم الأستاذ محمد عبد الرزاق، ممثل قطاع الاتصالات والمعلومات بالنيباد، استعراضاً لبرامج منظمة اليونيسكو في هذا القطاع، والرامية إلى تنمية وسائل الإعلام والاتصال وتسخير تقنية المعلومات لأغراض التربية والثقافة والعلوم وانتفاع المجتمعات الإفريقية منها.

## إفريقيا لها مكانة خاصة

وقدَّم هانز دروفيل، مدير مكتب التخطيط الاستراتيجي باليونيسكو، عرضاً حول مسودة الخطة المقترحة للميزانية لعام 2006 ـ 2007 مسيحي وتوصيات المجلس التنفيذي لليونيسكو في دورته السابعة عشرة.. مشيراً إلى انه تم تخصيص 610 ملايين دولار للمنظمة في هذه الميزانية.. مؤكداً أن




تبادل محضر التوقيع على الإتفاقية بين أمين الجمعية (يمين) ومدير عام اليونيسكو (يسار)

القارة الإفريقية تحتل مكانة خاصة ضمن أنشطة اليونيسكو، حيث تحظى بالأولوية ضمن برامجها.. متطرقا إلى بعض التوضيحات المتعلقة بالمشاريع المتعلقة بهذه الميزانية كالتعليم والنظم الحيوية والعلوم الإنسانية والتقنية والاتصالات والتنوع الثقافي ومكافحة آفات العصر، كالأمراض والفقر والأمية.

## الجمعية واليونيسكو.. تواصل وتكامل

وقعت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) على مذكرة تفاهم لدعم وتعزيز التعاون بينهما في المجالات الثقافية والتعليمية، وذلك على هامش الاجتماع الثالث للجنة الشراكة الجديدة للتنمية في إفريقيا، الذي عقد خلال النصف الأول من شهر الماء (مايو) الماضي.

وقد تضمّنت المذكرة التي وقعها الأخ أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمدير العام لليونيسكو كواتشيرو ماتسورا التأكيد على دعم وتعزيز التعاون، وزيادة حجم المساعدات التي تقدّمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لمنظمة اليونيسكو، من أجل المساهم في تحقيق المشاريع التعليمية والتربوية والثقافية والاتصالات التي تنفذها اليونيسكو، وخاصة في القارة الإفريقية، كما تضمنت المذكرة ضرورة التنسيق بين الجانبين في عمليات التكامل الإقليمي وشبه الإقليمي بالدول الإفريقية، وإنجاز أولويات الإتحاد الإفريقي في مجال اختصاصات منظمة اليونيسكو.

# مقالات

ملف

# أين يكون موقع الإسلام في أوروبا الجديدة ؟

د. محمد بشاري*
ترجمه عن الفرنسية : عبد الحميد غريبي

لا يمكن لنا أن نستشرف مستقبل المسلمين في أوروبا دون استعراض العلاقة التاريخية بين الإسلام وأوروبا.

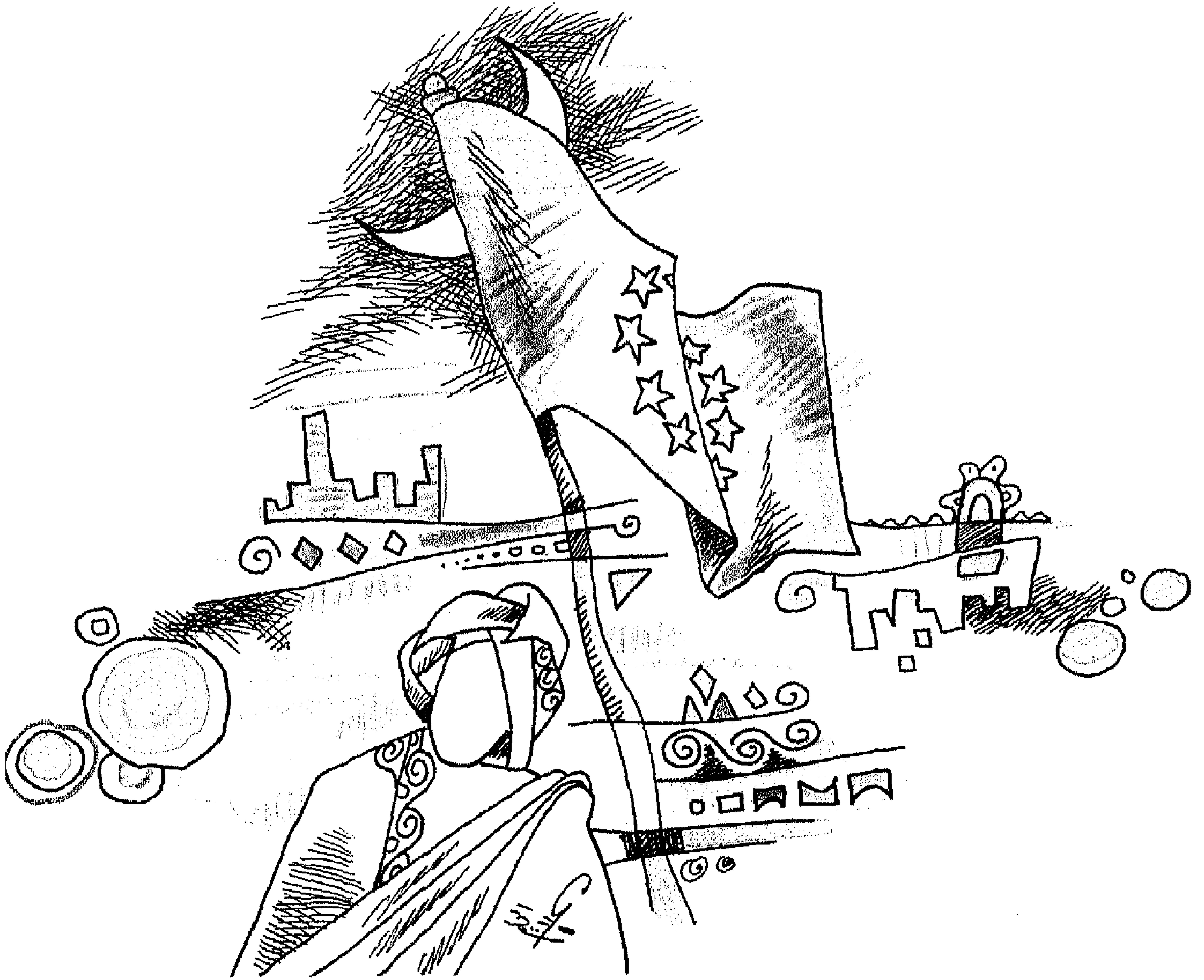
فلو نظرنا مثلاً في الحضارة الإسلامية في الأندلس عن سبعة قرون من الزمن لوجدنا أن النهضة الأوروبية مدينة لها بالكثير من العطاء الفكري والعلمي ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن المسلمين في تلك الحقبة أسهموا بشكل أساسي في وضع قواعد تلك النهضة.

وفي المجال الديني والأخلاقي قدّمت الحضارة الأندلسية لأوروبا وللعالم دروسًا في التسامح والانفتاح على الآخر، ولم يحدث أبدًا أن شعر المسيحيون أو اليهود بأي نوع من أنواع التميز الديني أو العرقي، بل وصل التسامح إلى درجة أن أحد أكبر المعابد التاريخية في طليطلة وهو «سانت ماري بلانش» الذي وقع تحت سيطرة المسلمين كان يصلي فيه المسلمون يوم الجمعة والمسيحيون يوم الأحد واليهود يوم السبت، وفي ذلك رمز لمدى تسامح المسلمين، ويقول «غوستاف لوبون» إن للإسلام أثرًا كبيرًا في تنمية التآلف والوفاق بين الطوائف في المجتمعات الأوروبية خلال العصور الوسطى.

وكمثال على تقدم الحضارة الأندلسية في ذلك الوقت نشير إلى أن البابا (سلفستر الثاني) واسمه «جيربرت دوريلاك» قبل اعتلاء المقعد الرسولي كان قد تتلمذ على علماء مسلمين في قرطبة، حيث استقى من نبع «العلوم العربية». كما يقول. ودرس الرياضيات في الجامعات الأندلسية، وكذلك الفيلسوف اليهودي «ابن ميمون» الذي تأثر إلى حد بعيد بابن رشد ومؤلفاته ودراساته لأعمال أرسطو وأفلاطون، ويذكر «برترانت جيلو» أن مهندسي النهضة أخذوا عن المسلمين العلوم والتقنيات، وكان فضل علماء قرطبة وصقلية عليهم كبيرًا.

ونذكر أيضًا القس (ريمون لولو) وهو أحد كبار المستشرقين في ذلك الزمن الذي تخرج من

* رئيس الفدرالية العامة لمسلمي فرنسا ونائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية وأمين المؤتمر الإسلامي الأوروبي / فرنسا



الجامعات الأندلسية كان يوصي المحافل المسيحية في أوروبا بأن يحدثوا إصلاحًا دينيًا مؤسسًا على المعارف المشتقة من الفكر الإسلامي!

وإذ نسوق هذه النماذج من التأثير العميق الذي كان للحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية فإننا لا نفعل ذلك لمجرد التباهي بفضل الإسلام على الأمم المسيحية الأوروبية، لكن غرضنا هو رد الاعتبار لدور المسلمين التاريخي في التطور الحضاري الذي شهده الغرب والعالم في الماضي، ولتنبيه المسلمين أنهم قادرون - إذا أرادوا - على الإسهام في مستقبل الحضارة الأوروبية والعالمية، وعليهم تبعًا لذلك ألا يعتبروا أنفسهم مجرد جالية منغلقة على نفسها، بل يتوجب عليهم أن يشاركوا في البناء الحضاري في المحيط الذي يعيشون فيه.

وبالرغم من سقوط الأندلس في سنة 1492 مسيحي، بانهيار إمارة غرناطة، إلاّ أن ««المورسكيين» استمروا في نقل المعارف الإسلامية إلى أوروبا، خصوصًا بعد لجوء بعضهم إلى فرنسا، حيث استقبلهم (هنري الرابع) وكان لموقفه الإيجابي تجاه المسلمين الأثر البالغ في السياسة الفرنسية آنذاك، حتى إن خليفته (فرانسوا الأول) عقد حلفًا مع (السلطان سليمان) الذي أمدّه بجيش قوامه (30) ألف جندي تمركز في مدينة «تولون» سنة 1542

مسيحي لحماية فرنسا من هجمات ما سمي بـ«تحالف الملوك الأوروبيين» ضدها.

وفي سنة 1773 مسيحي، أبرم (لويس السادس عشر) اتفاقية مع السلطان العلوي (سيدي محمد بن عبدالله) بنى بموجبها عدد من المساجد في فرنسا، وهكذا أصبحت الجالية الإسلامية تتشكل شيئًا فشيئًا، ولكنها لم تشهد زيادة سريعة إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين.

ولم يظهر ما أصبح يسمى بـ (الإسلام الأوروبي). أي جالية لها خصائصها الاجتماعية والثقافية والدينية. إلا بعد تسارع الهجرة وقدوم مجندين مسلمين خلال الحربين العالميتين، وعزز الجاليات الإسلامية اعتناق العديد من الأوروبيين للدين الإسلامي في (شبه سريّة) ثم في العلن، وهم الآن في مقدمة المعنيين بالحوار والمتصدين للنقاش الدائر حول الإسلام الأوروبي.

ويبلغ عدد المسلمين في أوروبا حاليًا حوالى (15) مليونًا أكثرهم مواطنون في دول الاتحاد الأوروبي.

ومن أبرز القضايا التي يثيرها المسلمون في الاتحاد الأوروبي حاليًا، قضية الاعتراف بالدين والمسائل القانونية التي لها علاقة بذلك.

وبعد مرور فترة من الزمن قوبلت مطالب المسلمين بعدم الاكتراث، وأصبحت دول الاتحاد تهتم شيئًا فشيئًا بالوجود الإسلامي، وتبدي استعدادًا للنظر في تطلعات المسلمين المقيمين في أراضيها، والدليل على ذلك أن المسئولين في تلك الدول يطلبون حاليًا من المسلمين تعيين مؤسسات تمثلهم لدى السلطات الرسمية.

وإذا أخذنا في الاعتبار نظرة الأوروبيين للإسلام وما يشوبها من أفكار مسبقة وافتقار إلى الموضوعية والعقلانية في الكثير من الحالات بسبب آثار النزاعات القديمة؛ فإن قبولَ بل طلبَ تعيين ممثلين للجاليات الإسلامية للحوار مع المسئولين الرسميين يعد في حد ذاته تطورًا إيجابيًا مهمًا.

واهتمام الأوروبيين الجديد بالتحاور مع المسلمين يقلّل من تأثير الاعتقاد السائد لدى الغربيين بأن الإسلام مخالف في جوهره للمضمون العقيدي اليهودي / المسيحي، وهو لذلك غير قابل أو قليل القابلية للاندماج في المجتمعات الغربية، وإزاء هذا الموقف الإيجابي للمسئولين السياسيين يمكننا القول إن استراتيجية التربية تركت مكانها لاستراتيجية تقول بضرورة بحث إمكانيات دخول الإسلام في حركة اندماجيّة داخل الإتحاد الأوروبي.

**❖ لم يظهر ما أصبح يسمى بـ (الإسلام الأوروبي). إلا بعد تسارع الهجرة وقدوم مجندين مسلمين خلال الحربين العالميتين.**

**❖ التعريف بالثقافات الدينية وإسهام كل دين في إزدهار الحضارات يذكي التواصل والتعارف.**

تسعى (الفدرالية القومية لمسلمي فرنسا) إلى توسيع دوائر التفكير والنقاش والحوار في جميع الاتجاهات. وتعتبر ذلك نقطة بداية لعقد العديد من الملتقيات لتبادل الآراء والمعلومات والدراسات بين المسئولين السياسيين والمتخصصين وقادة المنظمات الإسلامية والصحفيين.

لقد شاركت الفدرالية في إنشاء (المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية) الذي يحتاج . لكي يقوم بمهمته ـ إلى حد أدنى من الاتفاق بين المسلمين ـ

وليس إلى الإجماع ـ لكنه لن يكتفي بمجرّد الجلوس أمام المسئولين الرسميين أو بحضور رئيسه إلى قصر (الإيليزيه) بمناسبة الاحتفال برأس السنة!

وأخذت (الفدرالية) في الاعتبار البعد الأوروبي بحضورها داخل (المؤتمر الإسلامي الأوروبي)، وعلينا الآن أن نحقق الحد الأقصى من التشاور بين الهيئات الممثلة للمسلمين التي تم إنشاؤها خلال السنوات الماضية في مختلف دول الاتحاد الأوروبي، وذلك لأن التنسيق على مستوى الاتحاد يوفر إمكانية أكبر لحل مشاكلنا، مثل مشكلة الموارد المالية التي نحتاج إليها في مجال إقامة الشعائر في الدول العلمانية، وإعداد القائمين على المساجد وأماكن العبادة والنشاط التوجيهي والتربوي الذي يعنى بالشباب.

ولكن هذا لا يجب أن ينسينا المشاكل الأخرى التي يجب حلها، مثل مشكلة البنود الخاصة بالموروث الديني الأوروبي التي يتضمنها مشروع الدستور الأوروبي، ومشكلة العلاقات بين المراجع الدينية الأوروبية التي تتجاهل الإسلام بشكل غير طبيعي، فوجود أفكار مسبقة ذات طابع أيديولوجي له علاقة بتجاهلنا، الأمر الذي يقلق المسلمين. وبالرغم من بعض التقدم الذي لاحظناه في السنوات الماضية إلاّ أن الوضع لم يتغير كثيرًا.

إن إهمال الشأن الإسلامي قد يحمل على الاعتقاد بأن أوروبا شكلت على هيئة (نادٍ مسيحي) يمكن أن يسمونه (نادٍ يهودي/ مسيحي) إذا أرادو أن يظهروه في صورة نادٍ متفتح!

وإذا كان توجسنا صحيحًا فإن الأوروبيين لا يأبهون بنظرية (الوحدة السماوية للأديان) التي صاغها مسلمون أوروبيون مثل: «عبدالواحد رينيه غينون» و«مصطفى ميشال فالسان» (الدين القيم أو الدين الأمل).

وعندما نذكّر بالعطاء الذي قدَّمه الإسلام بسخاء إلى أوروبا فإننا نسعى إلى تصحيح مغالطات تاريخية في أوروبا، وهي مغالطات يسميها البحاث العدول المنصفون (ثغرات في التاريخ الأوروبي، لا يمكن قبولها أخلاقيًا ولا موضوعيًا).

وكما ترون فإن المشاكل كثيرة، ومع ذلك فإن إصلاح الخطأ والتقدم ممكن جدًا، وسيكون عملنا ناجحًا إذا توصلنا إلى اقناع المتشائمين منا - الذين لا يرون إلا المشاكل - بأن إحراز تقدم مشجع ممكن دون شك.

وأعيد التأكيد بأن تأملنا في تاريخ الأندلس الذي يظهر أن التوافق والتقارب بين الإسلام والمسيحية الأوروبية كان أوكد من التنازع، يساعدنا على استشراف مستقبل جيد للإسلام في أوروبا.

وأود أن أشير هنا إلى أن الديانات الكبرى في زمننا هذا تعاني من التأثيرات المتناقضة للعولمة، وتدفع بها نحو مواجهات تكون أحيانًا عنيفة جدًا ومتصادمة، بسبب خوف كل منها من الذوبان وفقدان الهوية، وتكون أحيانًا أخرى أقرب إلى الاعتقاد بأن العولمة ستعطيها فرصة للتواصل والإثراء المتبادل، بل وفي هذا الخضم يميل الإسلام إلى تبني الموقف الأول، أي موقف الدفاع ورد الفعل القوي، وذلك بسبب قرون من الضعف، وربما أيضًا بسبب التباينات التي ظهرت بحكم اتساع مجاله الجغرافي، واختلاف درجات النمو بين مختلف المناطق التي يشملها، وتشابهه في ذلك بعض الأديان الأخرى مثل «الأرثوذكس» في أوروبا الشرقية والتيارات «البروتستانتية» في إفريقيا.

أما في أوروبا التي تتحرك نحو الوحدة الاندماجية فإني أعتقد أن الأديان السائدة فيها تجد

في تلك الحركة فرصة للتعارف والانفتاح، حيث أن الاتحاد الأوروبي يعطيها الحركية (الديناميكية) التي تمنعها من التقوقع، مستلهمة منها طاقة التفاعل الإيجابي.

والفضاء الأوروبي يملك خبرات تاريخية في السلم والحرب، وفي الاستقرار والاضطراب، ورصيداً وافراً من التجارب السياسية والاجتماعية، من الحكم المطلق إلى الحكم الديمقراطي، ومنها نبعت المبادئ الإنسانية مثل مبادئ حقوق الإنسان، فتاريخ أوروبا حافل بالتجارب الفاشلة والتجارب الناجحة.

### ماذا قدمت أوروبا للأديان وللإسلام بصورة خاصة؟

استغرقت مسيرة أوروبا نحو الاتحاد زمناً طويلاً مليئاً بالمصاعب والعثرات، واهتدت إلى أن تحقيق هدفها الوحدوي لا يكون إلا إذا أخذ في الإعتبار الحفاظ على خصوصيات كل دولة من دولها، ومنها المتعلقة بالأديان، وساعدها في ذلك مبدأ حياد النظم الحاكمة تجاه الأديان، ولكنها ملزمة - في ذات الوقت - بحماية حق جميع الأديان في التعبير عن نفسها، وكذلك حق جميع الثقافات في التعايش، وأثبتت تلك الحقوق في مشروع الدستور الأوروبي. ومعنى هذا أن الكاثوليكية - مثلاً - لا تستطيع أن تدعي أنها - بحكم تفوقها العددي - الراعية للثقافة الدينية أو الممثلة للشعوب الأوروبية، وهذا يعني أيضًا أن الكنيسة الكاثوليكية لا تملك حق التمتع بأية ميزة أيًا كان نوعها عن سائر الأديان.

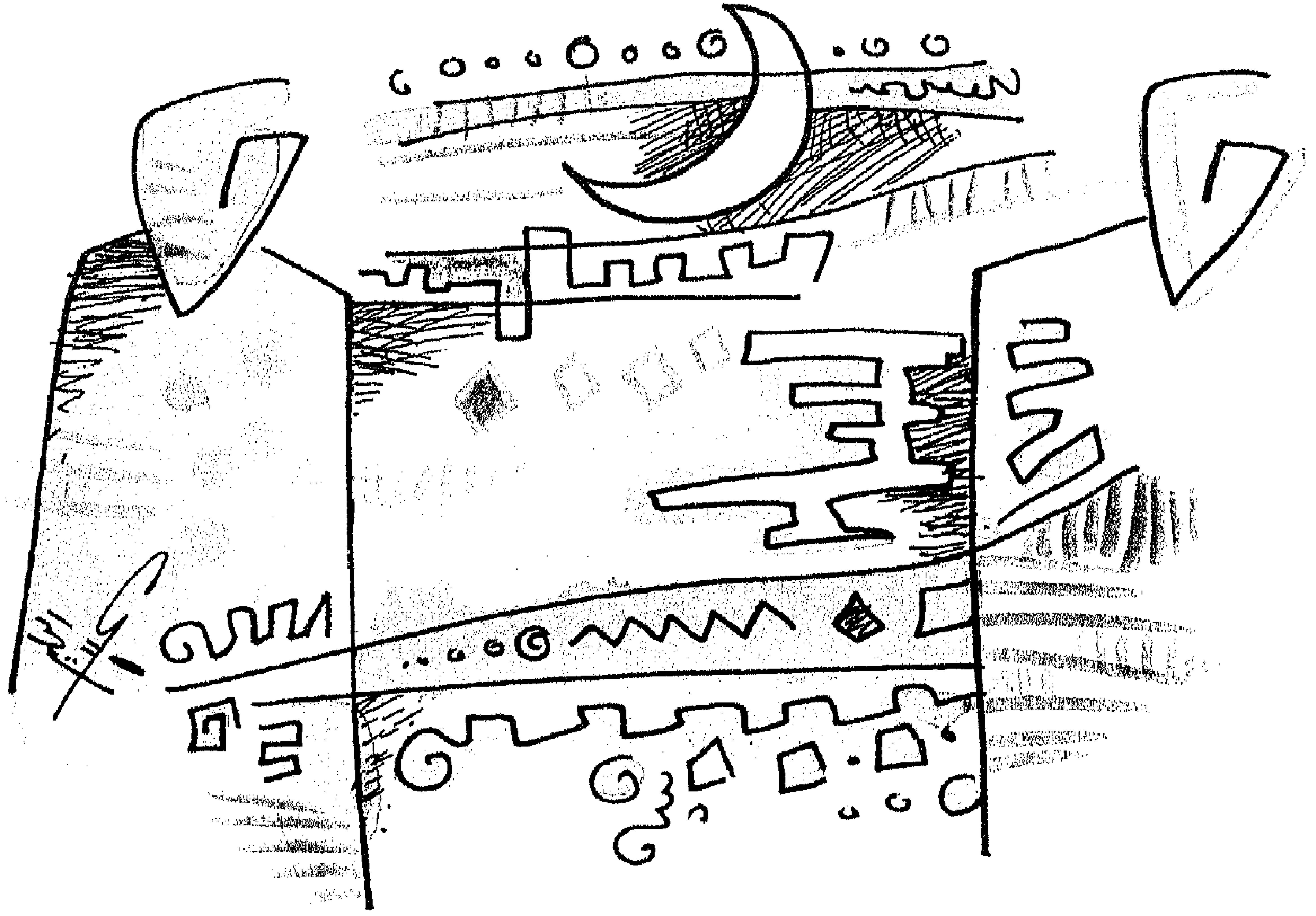
وفي ظل هذا التوجه لا يحتاج الإسلام إلى إثبات ذاته تاريخيًا، لأن ذلك لا يشترط عليه لإثبات حقه في الوجود والتعبير عن نفسه في الاتحاد الأوروبي، وعدم التفضيل بين الأديان في أوروبا الجديدة يغني ممثلي الأديان عن مشقة الدخول في صراعات بين بعضها بعضًا لإثبات الأحقية التاريخية، الأمر الذي قد يؤدي إلى استقبال العداء وتحريك الجروح القديمة، والكل في غنى عن ذلك، أما التعريف بالثقافات الدينية وإسهام كل دين في ازدهار الحضارات فذلك - إذا ما اختصر على الأوجه الإيجابية وابتعد عن التذكير بالمآسي والصراعات - أمر مطلوب لأنه يذكي التواصل والتعارف.

**❖ عدم التفضيل بين الأديان في أوروبا الجديدة يغني ممثلي الأديان عن مشقة الدخول في صراعات بين بعضها بعضًا لإثبات الأحقية التاريخية.**

والذي يجب أن يكون واضحًا في أذهاننا أن عدم الاعتماد على الأحقية التاريخية التي يتولد عنها التنافر والتنازع في إثبات أفضلية دين عن دين؛ لا يعني بالنسبة للإسلام إهمال واجب تصحيح المفاهيم الخاطئة والمضللة، بل على المسلمين أن يبذلوا جهودًا مكثفة لإظهار إيجابيات الحضارة الإسلامية، فضلاً عن مبادئه، كي يتقبله الأوروبيون ويغيرون نظرتهم الخاطئة إليه.

يجب علينا أن نعي جيدًا أن الدستور الأوروبي الجديد يرفض مفاهيم الأقدمية والأغلبية أو الأقلية في كل ما يتصل بالثقافة والفكر، فالكل يملك حق الوجود في إطار تعدد الثقافات، ويعتبر ذلك التعدد والتنوع بمثابة الثراء الحضاري، وفي هذا تكمن فرصة الإسلام في لعب دور فاعل في أوروبا الجديدة.

وإذا واصلنا العمل على هذا المستوى من خلال المحافل القاريّة (الأوروبية) سيتمكن المسلمون من تفعيل قدرة الإسلام على التكيّف مع الخصائص

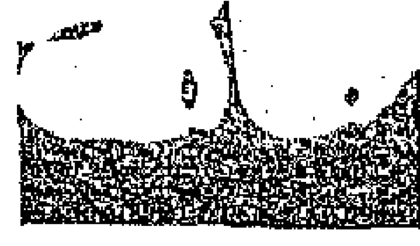


المحلية، وتمكين تلك الخصائص أن تتجانس مع الإطار الأوروبي العام.

ولعل أولى الأولويات في العمل الإسلامي هي قبول التعدد وفق الظروف المحلية، وعدم التحسّب أو الرضوخ لأي توجيه خارجي، أو لتدخل بعض الدول الأصلية للمهاجرين المسلمين في شئونهم الدينية لمصالح ذاتية، وكذلك مقاومة ما من شأنه أن يُسيء للإسلام ويلحق به وصمة الإرهاب.

إن للإسلام فرصة ثمينة في الإسهام في التفاعل الحضاري داخل الاتحاد الأوروبي في إطار ديمقراطي، وكذلك له فرصة استخدام قدرته الفائقة على التكيف واستنباط الحلول بفضل خاصية المرونة التي يتميز بها، والتي مكنته من الانتشار عبر الآفاق، واستيعاب الحضارات على اختلافها، وللإسلام فرصة ثانية لإثبات شموليته وقدرته على التصدي للمشاكل والظروف المستجدة التي تنتجها الحضارة الأوروبية المتقدمة، الأمر الذي سيمكّن المسلمين الأوروبيين من لعب دور متميز ضمن تيار العولمة.

وسيكون للإسلام في خضم المتغيرات مجال واسع للتأثير في مجريات الأمور، بفضل سمته العالمية، وعمق قيمه، وباعتباره صالحًا لكل زمان ومكان. وبناء على ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن هذا الدين سيكون قوة حيّة وفاعلة في تحقيق الوفاق والانسجام في الفضاء الأوروبي، وعندها سوف يتجاوز ويختار أولئك الذين يريدون أن يسود العداء والتمييز بين الأديان، وعندها أيضًا سوف يخيب ظن دعاة صدام الحضارات..



# الأدب العربي والمستعربون الأوروبيون

عمر لطفي العالم*

في هذا المبحث لا أزعم أنني أتتبع تتبعًا أمينًا قضية عُمرها قرون، ما أفعله لا يزيد على كونه محاولةً قُصد بها التعريف السريع بركن شبهِ مُهملٍ يتعلق بالموقف الأوروبي من تراثنا الأدبي أولاً، ومن ثم تصحيحًا لسوء فهم طالما لازم تناول أعمال بعض المستشرقين بالخصوص.

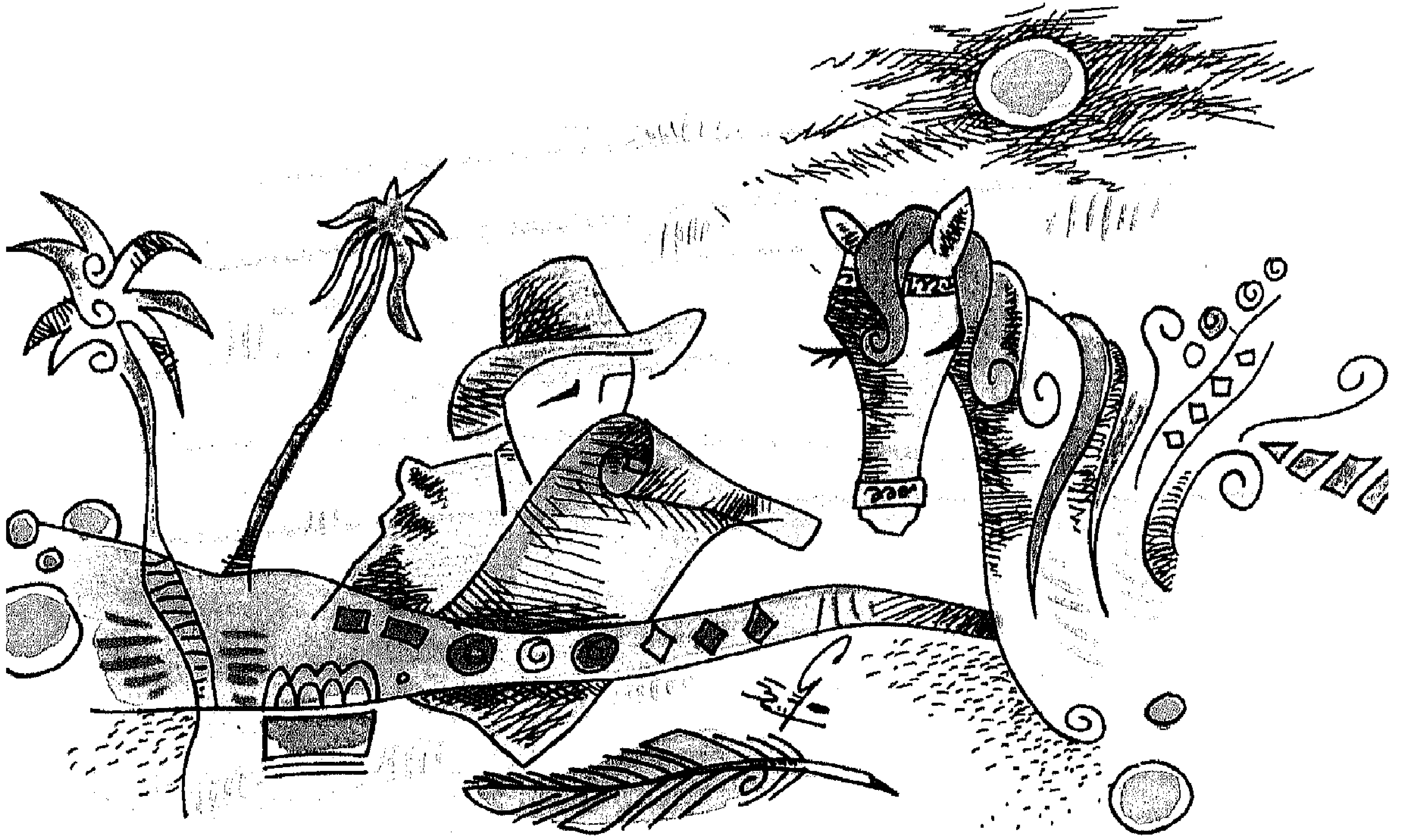
والحق أنني قرأتُ لأدباء وكُتّاب معاصرين، فلم يُشْفِ غُلتي ما بذلوا من جُهدٍ يُشكرون عليه، إذْ إنَّ الهدف الأساس لم يتحقق، كما أنَّ الثغرة ما زالت كما كانت. يخطئ من يظن أنَّ الإقبال على دراسة الأدب العربي (Arabiche Literatiir)، كان دائمًا استجابةً عفوية لداعٍ خاص، أو أنَّ تيارًا واحدًا تقاذف حِسَّ المتأدب الغربي، فصرف ذهنه وقلبه إلى الشرق بكل ما فيه من سِحر وعطر.

يصعب الفصل تاريخيًا بين الاستشراق (Orientalism)، كحركة ذات توجُّه ديني وأول تماسٍ بثقافة العرب اللغوية والأدبية، وخيرُ شاهد على ذلك هو إجماع المؤرخين على أن نقطة الالتقاء الأولى كانت في الأندلس، حين صُعق الفرنجة من انتصارات الموحدين، فلما فتّشوا وجدوا أنَّ العقيدة هي المحركُ والدافع، وهكذا نشأتْ فكرةُ التعرُفِ على سرِّ ما أطلق عليه الهرطقة المحمدية (M. Herasie)، ولأسباب تتعلق بطبيعة هذا المبحث، لا يُستحسنُ الخوض في تفاصيل وملابسات الشروع في أول ترجمة لاتينية للقرآن بوصفه كتابًا مرجعيًا في اللغة والأدب كما للدين، فنحنُ في اللغة والأدب أولاً وآخرًا.

سببٌ آخرُ أسوقة لا يقلُ عن سابقه أهمية إنْ لم يزدْ عليه، ربما كشف عن مقدار تشابك العامل الديني بالمعرفي اللغوي تاريخيًا. إنَّ تفسير ما أبهم من الكتاب المقدس (alte Testament) حفَّزَ رجالَ اللاهوت على دراسة لغات المنطقة موئل الكتب السماوية، فشكل سببًا وجيهًا للاهتمام بالعربية أيضًا، بوصفها لغةً تتحدَّرُ من أسرة اللغات السامية، مما حمل المجمع الكنسي البابوي على إنشاء مقاعد للدراسات الشرقية (العربية من بينها) في عدد من الجامعات والمعاهد الأوروبية العليا.

لماذا القرآن ماضيًا وحاضرًا؟ أبقى مع هذا السؤال وأعود بالذاكرة القهقرى. فالعربُ - وليس غيرُهم أحدٌ - كانوا أولَ من قرَّر شرعية الاحتكام إلى الكتاب فيما يستشكل، وهُمُ الذين مزجوا مزجًا عضويًا فريدًا لا فكاك منه ولا مندوحة عنه، بين ما استدبروا من جاهلي أشعارهم وما استقبلوا من

* كاتب، باحث ليبي / سورية



همـوم كـتَّابهـم، آيـةُ ذلك أن عبدالله بن عبـاس أو (ترجمان للقرآن) كما يوصف، هو صاحب المقولة الشهيرة (الشعرُ ديوان العرب)، وكان للعربية حضورٌ قويٌّ أيضًا، ربما في واحدة من أخطر المنعطفات التاريخية قاطبة فنعني بذلك (مصحف عثمان) «فلما احتدم النقاش حول كلمة (تابوت) بالتاء المفتوحة أو المربوطة، أمر الخليفة أن تُكتب بالتاء المبسوطة على لغة قريش». ولا أغالي لو مدحتُ بكثير من الثقة ما رددتّه قبلي (زيجريد هونكه): «إن حضارة العرب قامتْ أساسًا على اللغة».

وبعد، فلمّا سئل المستشرق الألماني المعروف (رودي بـاريت R. Paret) عن تعريف للاستشراق، اختزل الماضي والحاضر في كلمة واحدة «الفيولوجيا (philoigie) والحق أن مقولته تلك تمثل خلاصةً لواقع تواصل قرونًا، فالخطوة التالية بعد كسر الجمود الثقافي الذي استغرق زهاء 500 سنة بين الجارين المتنافرين، أعقبه انفتاح غير محدود على كل ما يتعلق بلغة العرب وثقافتهم. بعدها تُرجم القرآن إلى جميع اللغات الأوروبية الحيَّة، لتبدأ تباشير مرحلة لاحقة يُنظر إليها على أنها الأهمُّ بعد ترنُّحٍ حلَمتَ فيها التاريخ فأبى أن يوافينا بشيء، ثم استأنف مسيرته فوضع أقدامنا على عتبات القرنِ السابع عشر فجاءةً، بحجة ما أصاب الحركة من خمول، ولأن الأدب - مُعظمُهُ - صورةُ العصر ومرآة الزمان، فلا بد من إجراء تقويم نحدد فيه الأُطر العامة التي استوحى منها أولئك الأدباء واللغويون أدبهم، أو تلك التي فرضتْ عليهم أنماطَ الأعمال بحكم خضوعهم كغيرهم لتقاليد الكنيسة وفتاواها في العصر الوسيط، على هذا يمكن تلخيص الموقف الأدبي آنئذ بما يلي:

1 ـ ظل الغرض الأساس من الدراسات الأدبية واللغوية والأنشطة العقلية الأخرى لاهوتيًا بحتًا، وُظف

لخدمة الكتاب المقدس حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر.

2 ـ أفرز الصراع بين الرومانسيين (romantikern) والسلطة (autoritaet) طبقة تمرّدت على التقاليد وشقتْ طريقها الخاص.

3 ـ وحين رانت العقلانية بكل المنهج الأكاديمي المتشدد، طغتْ على ما سواها وتعزز ذلك بالظهور القوي لمنهج الدراسات المقارنة (V.ret-horle) أو (autoritaet) ومنهج البحث التاريخي.

إن الاتجاهات الثلاثة تركتْ بصمات واضحة على أسلوب التعامل مع تراثنا الأدبي الحي، وكان من نتائجها الملموسة ظهور طائفة من الأعمال نصنفها في الآتي:

أ) **لغويةٌ فقهيةٌ:** كان من البديهي أن تتركّز هذه الدراسات على القرآن الكريم للأسباب المذكورة آنفًا، ولأنه ـ أي الكتاب ـ كان النافذة الأوسع التي أطلّ المستعربون من خلالها على فقه اللغة العربية، وباستثناء بعض معاجم اللغة القديمة التي ألّفها الرهبان مع بدايات الحركة، ولم يتوفر الباحثون في هذه المرحلة على تأليف كتب بالمعنى الواسع للكلمة، وجُلُّ ما فعلوا أنهم قاموا بنشر ملاحظاتهم وبحوثهم على صفحات الدوريات والمجلات الاستشراقية المتخصصة، يأتي في مقدمة هذه الدوريات «مجلة جمعية المستشرقين الألمان» و«مجلة الدراسات الشرقية» و«مجلة الدراسات الآسيوية» و«مجلة الإسلام» التي لم يصدر منها سوى أعداد قليلة فقط، والملاحظ على هذه الدوريات وغيرها، أن الطابع اللغوي «المقارن بالذات» هو الغالب على أعدادها، ثم يأخذ في التناقص والتنوع بالموضوعات الأخرى كلما تقدم الزمن، ولعل ذلك مؤشرٌ على التحولات المنهجية في طريقة التعامل مع التراث، ولكي نكون أكثر التصاقًا بالموضوع، أقدمُ بعض الأمثلة ممهورة بأسماء أصحابها: مفرداتٌ ومصطلحات مثل: طاغوت، عكرش، باقية، أساطير الأولين، كتاب، نصيب، هاروت، وماروت، «لا تقولوا راعِنا بل قولوا انظرْنا» لأنها كلمة عبرية (Raina). ثم مسائل في قواعد اللغة، على سبيل المثال: (إيَّا) العربيَّةُ مع اللاحقة في حال الابتداء: فإذا هو إياها، فإذا هو إيَّاه، أقول هي إيَّاها، وإياه أُريدَ بقولهم في المثل، إياك نعبد، إياك تُعبدُ، إنَّك إيَّاه وهو إياك. استعمال (نفس وروح) في الترجمة السواحلية للقرآن. إلا أن الدراسة المقارنة للحرف، للكلمة، للتعبير، للفكرة باستحضار مقابلاتها (Paralelle) في العبرية أو الآرامية، والتوغل في الجذور اللغوية والاشتقاقات مثل (قرأ، مِقْري، قريانه) في اللغات الشرقية القديمة بهدف التأكد من أصل الكلمة العربية وإنْ كانت أصيلة أم دخيلة، والوقوف على حقيقة المعنى لأجل التفسير، تشكل السمة الغالبة على هذه الدراسات، لكنَّ هذه الدراسات ـ وما أكثرها ـ لمْ تمُرَّ بدون معارضة، يقول المستعرب فوك: على أنه وإن وُجدت حالاتٌ تترادف فيها كلمات عربية وأخرى عبريةٌ من حيث الرسمُ والمعنى (كبعض أسماء القُربى ومفردات العدد) إلاَّ أن هذه المفردات محدودة الاستعمال، ولا تُثبتُ نفسها إلاَّ عندما تكون الكلمة العبرية معروفة في المدى الأرحب، والغالبُ هو أن تكون المعاني مختلفةً تمامًا بالرغم من التطابق الشكلي مثل (Yasab) (يجلس) مقابل (يَثبُ) بالعربية، أو (هاهِنْ) بالعبرية مقابل (كاهن) بالعربية. أو لأن للألفاظ المشتركة جذورًا لا علاقة فيما بينها اشتقاقيًا مثل (دقاق ودقٌ)، لذا فإن حَمْل معنى كلمةٍ عربية على مرادف عبري له غيرُ مُلزم



زيجريد هونكه

إطلاقًا. ومن التطابق المحكم لفظ ريم بالعربية (rim) مع (reem) العبرية.

وكثيرًا ما كانت هذه الآراء (العلمية) تخضع للمتابعة والمراجعة والنقد والتعليق، وربما استمر الحوار والجدل شهورًا حول المسألة الواحدة، ما جعل من تلك الدوريات منبرًا حُرًا أثرى الدراسات الشرقية وأغناها، لكنَّ حظ المشاركة فيها من أصحاب اللغة نفسها كان مُقلاً للأسف لدرجة العدم. وإذا كان من فضلٍ حقيقي يُسجل أنها كانت شبه مدرسة لمن تخصص. وقد برزت أسماءٌ لا حصر لها، فازتْ بقصب الشهرة فيها أسماء مثل «جرونباوم، جريمة، نولدكه، كونستلنجر، آ. فيشر، وغيرهم» إلا أنه العائق الأهم الذي اعترض مسار الدراسات العربية في تلك الفترة، كان يرجع إلى الدراسات الموسوعية التي استولت على جنان العلماء فكانت أقرب إلى اللهو منها إلى الجدّ، كذلك الإصرارُ على النظر إلى العربية بوصفها لغة (تفرعتْ) عن العبرية، اتجاهٌ رعاه المستشرق شولتنز (1686- 1750) وشهد على يديه ذروة انتصاره. «وقد أراد الإفادة من الثروة اللفظية العربية الهائلة في تحديد معاني المفردات العبرية، وقام بتطبيق ذلك فعلاً على 35 موضعًا مبهمًا في التوراة، وقدَّم طرحًا مُؤداه أنَّ أقدم الآثار العربية هي أحدث عهدًا من التوراة من حيث الجوهر»، وقد أرجع أشعارًا عربية متأخرة إلى عصر سليمان وموسى، ليؤكد على أن مصطلح (يعرب بن قحطان) أُعيدت صياغته من قبل إسماعيل أبِ القبائل العربية بحسب النموذج اللغوي العبري في أصله الأول. وهذه نظرية خياليةٌ تفتقر لكل حدس دقيق وإدراك لحقائق التاريخ. شخصيةٌ مُهمةٌ أخرى إنْ تأخرتْ زمنًا فلا تختلف عن سابقتها منهجًا، ونعني بها المستعرب اللاهوتي (هايزيش ايفالد 1803 ـ 1875)، الذي وجَّه اهتمامه لدراسة العهد القديم، وسعى إلى تفسير صيغ اللغة بالاعتماد على القوانين العامة عقليًا من خلال المنهج التأملي التركيبي. وقد شكل كتابه (دراسة نقدية لقواعد العربية) (لايبزيغ 1831) محاولة مستميتة لإحلال تفسيرٍ منطقيٍ جديد محل نظام قواعد الفصحى، لكنَّ هذا القرن المدقع لم يُودع إلاَّ وقرَّتْ أعيننا بشخصية عوَّضت كل ما فيه من تجهم وعبوس، حين أهدانا أديبًا رقيقًا ومفكرًا ألمعيًا، طغى بحُبه وهيامة بلغة العرب وآدابهم على ما دونه من تعصب وجهل وانغلاق.

> «لو أردنا خدمة العربية للزم أن لا نتعامل معها من موقع اللاهوت»
>
> المستعرب الالماني يوهان ياكوب

(يوهان ياكوب رايسكه Y.J. Reiske 1716 ـ 177) أولُ مستعرب مشهور أنجبته ألمانيا، كان ظهوره في ظلمات عصره أشبه ما يكون بمعجزة، اعتمد على موهبته في التغلب على صعوبات الخوض في خصوصيات العربية، بالاعتماد على المصادر المخولة التي كانت متوفرة في زمنه، إن المسافة الزمنية أو بالأحرى المعاناة الفاصلة بين ولادته لأب دبَّاغٍ وارتحاله مهمومًا محزونًا، تحكي قصة حزينة جسَّدها بقوله: (إنْ لم تدركني العناية الإلهية في وقت قريب فسأذهب فداءً للعربية). وقد عرفنا سطوة المتنفذين الدينيين على مرافق الدولة وموارد الثقافة، فقد دفع ثمن جرأته غاليًا حين قال: (لو أردنا خدمة العربية للزم أن لا نتعامل معها من موقع اللاهوت). وكان أن أتهمت مؤلفاته (بالعلمانية) و(بالهرطقة)، وأوصد في وجهه كل باب لترويج مؤلفاته أو حتى كسب قوته من مهنة التدريس.

إن الإنجاز الأهم أن رايسكه رفع من منزلة فقه اللغة العربية إلى مصاف علم مستقل، ولم يستطع أحدٌ أن يحاربه في خصوصية قواعدها واستقلاليتها، كما لم يتصدَّ أحدٌ مثله عن وعي وإدراك لأصحاب اللغة المقدسة (العبرية)، أعماله كثيرة لكنَّ أشهرها

(رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدو) التي أصدرها سنة 1755 وترجمة ألمانية للامية العرب للشنفري ككتاب تهنئة. ويومَ هنّأه صديق له بقصيدة لاتينية، ردَّ على خطاب التهنئة بسبعة أقوال مأثورة اقتطفها من تصنيف الميداني، وفي السنة التي تلتْ قدَّم شرحًا مدرسيًا للشاعر القاضي (أكثم بن صيفي)، ثم عاد سنة 1765 فطلع على جمهور القُراء بتجربة للشعر العربي من ديوان المتنبي، كانت عبارة عن اثني عشر بيتًا من أبيات النسيب بالإضافة إلى قصيدتين كاملتين في الرثاء، وفي السنة نفسها قدَّم أغلى ما عنده مهرًا لعروسه (كريستينا)، باقة مختارة من الغزل مترجمة إلى الألمانية، ثم ترجم مقامة الحريري 26 سنة 1737.

لقد راوح الحكم على المستعرب رايسكه بين نقد لاذع، ثناء مُفرط أو مغالطة تنمُّ عن نقلٍ مرتجل من المصادر الأجنبية، أما السبب الأول فقد بات معروفًا، وأما الثاني فربما لأنه ابنٌ لمدينة لايبزيغ التي عُرفت به وعُرف بها، وبالنسبة للثالث فقد ذكر الباحث العربي (محمود المقداد): (وفي ألمانيا مات رايسكه قبل عشرين سنة من افتتاح كرسي اللغة العربية في باريس سنة 1795، وكان هو نفسه يُسهم بأعماله في إبعاد الطلاب عن الدراسات العربية أكثر من إسهامه في استقطابهم حولها)، لا أعرف من أين أتى الباحث بهذا الهراء. ولأنه كان مُحبًا مُتيمًا بالعربية وآدابها فقد استحق لقب (شهيد الأدب العربي) (myrtiner der arabishen literature) عن جدارة واستحقاق.

ليس بعيدًا عن سابقه، ارتفعت قائمة المحبين والمعجبين بالكلمة والأدب العربيين، فأتحفنا الألمان بشاعر فذٍ خرق هو الآخر تقاليد عصره، حين أضاف لقائمة الرومانسيين إسمًا كبيرًا آخر، ما ذُكر للشعر والإبداع مَعْلَمٌ إلا تقدم وتقحم، ركب فريدريش روكرت (ruckert) (1788 ـ 1866) مركبًا خشنًا حين اختار أن ينظم آيات القرآن بلغته الأم شعرًا، وقد وصف (وجدي يوسف) هذه الحالة وصفًا مقاربًا حين قال: (أكب روكرت في بداية أمره على دراسة القرآن، ونشر بعض آياته بترجمة جميلة في إحدى المجموعات الألمانية سنة 1824، وعزم سنة 1842 على طبع الترجمة بأسرها لكنه لم يوفق، وهكذا ظلت على حالها إلى أن قام المستشرق أوغست موللر (Augusut Mullyr) بنشرها بعد وفاة المترجم باثنتين وعشرين سنة، وذكر في مقدمته أنه لا يوجد في الدنيا من استطاع القيام بترجمة مساوية لتصنيف روكرت هذا، برغم أن شاعرنا لم ينقل متن الكتاب بتمامه، بل اكتفى بترجمة ثلاثة أرباعه، وقد حافظ في الصياغة الألمانية على الأسلوب الخاص بالقرآن لحدٍ ما، وإن لم يتتبع النص كلمةً فكلمة، وقيل إن هذه الترجمة أقرب إلى إعجاز القرآن من كل الترجمات التي صدرت في أوروبا، وبجانب ذلك انتخب الشاعر بضع آيات صنَّف منها أشعارًا وأمثالاً وأبياتًا ألمانية.

لكنَّ البروفسور (شفاللي) الذي أصدر الطبعة الثانية من (تاريخ القرآن)(Geacbudte des Qurans) له رأي آخر، يقول: (إن توضيحه النحوي للنصوص يتعطل مباشرة عند المواضع الصعبة نزولاً على بحر الحديث، وهي غلطة ما انفكتْ تعاني منها سائر الترجمات المتأخرة وصولاً إلى يومنا هذا، وبذلك لا يكون مجمل القرآن قد نوقش، بل إنَّ انطباعًا خاطئًا حول أسلوب الأصل قد نُبه، حين أُدخلتْ على الفترة الزمنية ثقيلة الوزن طويلة النفس) يعني السور المدنية (عناصر غريبة عليها) وأضاف في الهامش: (وأخالف موللر كل المخالفة فيما ذهب إليه). روكرت من جانبه عبَّر عن مذهبه في الترجمة حين قال: (إن صبغة الترجمة هي أن ترى كيف تتبدل أرواح المعاني في أثواب الكلمات)، ولعل أبرز ما ميزه كشاعر مترجم ـ أترك الحديث لمجدي يوسف مرة

أخرى - لم يكونوا يعرفون الشعر ذا القافية الواحدة، فإن الشعر الألماني أقربُ إلى الموشح أو المربع أو المسدس. جديرٌ بالذكر أن القافية الألمانية لا تتشكل بحرف واحد بل هي مركبة من تكرار مقاطع معينة من الكلمة أو من كلمات كاملة ذات وقع (Rhytm)، وإنني إذ أتفق معه في هذا الرأي، أقدمُ شاهدًا آخر ولكن من الشعر الانجليزي للشاعر (Gray)

So the darkness shall be the light,

And the stillness the dancing,

Whispers of running streams,

And winterlightning.

هكذا سيصبح الظلام نورًا والسكون رقصًا، همسات الجداول الجارية وبرق الشتاء.

ترجمة روكرت لشعر عربي، محفوظة في مجلات مدينة شفاينفورت.

أقدم روكرت على نشر ثماني مقامات قلَّد فيها أنواع الجناس، ثم ترجم المقامات كلَّها عدا أربعًا أو خمسًا، وأضاف إليها حواشي وملاحظات من المراجع العربية، بعد فترة قصيرة ترجم حماسة أبي تمام التي لم تصدر إلا في سنة 1846.

كان أمينًا في نقله عن النص العربي، فحرص على عدم إهمال أي تشبيه مهما يكن غريبًا، وعمل على حل عقدة ما استشكل، وسعى سعيًا حثيثًا للمحافظة على الوزن العربي سواءً كان بسيطًا، طويلاً أم وافرًا، فإذا تعذر ذلك لأسباب جمالية، عَدَل وتبنى وزنًا يقارب الوزن الأصلي.

الشخصية الثالثة هي المستعرب النمساوي (جوزيف فون هامر بورجشتال) (Von Haumer Purgstahi) الذي كان أستاذًا وأبًا روحيًا للشاعر الكبير روكرت، وُلد هامر سنة 1774 وتُوفي فجأة سنة 1856 في أثناء عكوفه على مؤلفه (تاريخ العرب الأدبي)، ألف ما يزيد على 75 كتابًا، وكتب مئات المقالات والتراجم، كان في أسلوبه مقلدًا للأسلوب الشرقي المزين بالسجع، المتلاعب بالألفاظ، كثير التشابيه والرموز بقصد إنعاش الذاكرة بين الشرق وروحه والغربِ وعقلانيته، طرَّز عبارات بشتى أساليب الخطابة حتى عجز الغربيُّ عن فهمها، عمل رئيسًا لتحرير مجلة (نفائس الشرق) واتخذ الآية الكريمة:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة البقرة، الآية:142] شعارًا لها.

لقد قرأت كلامًا كثيرًا حوله، أكثرُه موضوعيةً كان بقلم أستاذ قدير جامل في بادئ الأمر على عادتهم: (على كل مؤرخ ينوي العمل على العربية أو الفارسية أو التركية سيجد نفسه مضطرًا للعودة إلى كتب هامر) ثم أعاد الكرَّة فأوسعه بلا هوادة نقلاً فاق ما دونه: (.. والأسوأ من هذا، أنَّ هامر لم يقدِّم لنا رأيه إلا لمامًا حول أعمال المؤلفين النثرية التي أتى على ذكرهما، وهكذا نجد أنفسنا أسرى لعنوان الكتاب ولما قاله العرب عن أنفسهم)، غير أن الإعجاب الذي حُرم منه العارض حازت عليه نصوص القصائد الجاهلية من خلال بساطة الحياة، كان وصفًا مختزلاً يتأجج حرارةً وشررًا، انتُزعت الصور من البيئة، من الألوان الزاهية المتألقة.

إن أدق جزئيات حياة البدوي هي التي قدَّمت كل ما أحاط بالعربي، قوسِه، جوادِه، والخصالِ الكريمة التي شبَّ عليها، وما يستحق الإعجاب أكثر، هو معاناةُ الشاعر التي تستمدُّ نبضها من مشاعر الاعتزاز بالحرية والقيم الخاصة، وهكذا فهي فسيفسائية جريئة، عامرةٌ بالتحرر، متعطشة للدم والثأر، والواقع أن الناقد - فودكه - قام بأفضل وأجمل عرض لتراثنا الشعري قبل الإسلام، ولا سبيل للإفاضة فيها لأسباب تتعلق بالعرض المعقول طولاً.

أما الشخصية الرابعة المميزة فهي شاعر ألمانيا الكبير (يوهان فولنجانج جوته D.W.Goehe 1710 - 1782)، إن أبرز سمة نقرؤها في الشاعر الأديب من

خلال النافذة التي نُطل بها عليه، أنه «لم يوظف أحاسيسه الشعرية لفهم إقليمي، ولا تحيّز لتراث وطني أو عقيدة واحدة، بل كان فنانًا عالميًا، فيه التقت صورة الشرق بالغرب، وفي عام 1772 مسيحي، عكف جوته على تلاوة القرآن في ترجمة ألمانية، ثم في ترجمة لاتينية، أما الانطباع الذي سجله جوته بعد قراءته فها هو ذا بدون زيادة أو نقصان: (إنها قصصٌ رائعة من الديانتين المسيحية والموسوية.. إطنابٌ بلا حدود وتكرارٌ تشكلان هيكل هذا الكتاب المقدس، الشيءُ الذي قد يملّه القارئ لأول وهلة، لكنه يعود فينجذب إليه، ثم لا يلبث في النهاية أن ينتزع منه الإعجاب والاحترام)، وهذا القول يناقض تمامًا ما ذكره عبدالرحمن صدقي في مجلة (فكر وفن): «ولا يرى جوته في هذا الاطناب والتكرار ما يراه النقاد الغربيون من دواعي الملل، لأنّ محمداً لم يرسل برسالة شاعر للتفنن في القول، والتنويع في ضروب الكلام، وعرض الصُّور المزركشة من الأخيلة والأوهام لاستحداث المتعة على النحو الذي يفعله الشعراء، بل إنّ محمداً بعيدٌ - بنص القرآن - عن هذا الوصف، إنه نبي مُرسل لغرضٍ مُقدَّرٍ ومرسوم، وهذا الغرض هو تبليغ الشريعة وجمعُ الأمم حولها لينضموا تحت لوائها»، ولم يُشر القائل إلى المصدر الذي أخذ منه، وأيًا ما كان فحكمُهُ الأخير على القرآن ينتزع الإعجاب والاحترام في القرآن وهو يجبُّ ما قبله، ويتجلى لنا تأثر جوته بروح وعبارات القرآن الكريم واضحًا في (ديوانه الشرقي) من ذلك المقطوعة التي اخترناها تحت عنوان «تعويذة»: لله المشرق والمغرب، وفي راحتيه الشمال والجنوب. هو الحق ومشيئته في عباده حق، له الأسماء الحسنى، تبارك الله اسمه وتعالى علّوا كبيرًا، آمين:

«يتخطفني وسواس الغواية، وأنت المُعيد من شر الوسواس، فاهدني اللهم في الأعمال والنيات إلى الصراط المستقيم.

فاشكر ربك إذا ابتليت واشكر ربَّك إذا عوفيت».

ومن مظاهر تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، استعارة ألفاظ صريحة من الآيات الكريمة وإدراجها في سياق نصوصه الأدبية، يقول: «لِمَ لا أستعمل ما طاب لي من التشابيه، والله لا يستحيي أن يضرب للحياة مثلاً من البعوضة؟» وتلك إشارة إلى الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ...﴾ [سورة البقرة، الآية: 26]

ولعل ذروة أقواله هذا البيتُ المقتبس من أشعار الحكمة في ديوانه: إذا كان الإسلام معناه التسليم لله فنحن - جميعًا - نحيا ونموت مُسلمين.



**«إذا كان الإسلام معناه التسليم لله - فنحن جميعاً نحيا ونموت مسلمين».**

**الشاعر الالماني غوته**

هذا وقد ألّف جوته في شبابه تمثيلية عن محمدﷺ.، فصلُها الأول تحت عنوان: «مناجاة محمد»، فيها صوَّر الرسول في إحدى خلواته في الصحراء المترامية الأطراف تحت سماءٍ زاهرة النجوم، واعتمد الشاعر في المناجاة على مضمون آيات من سورة الأنعام لدحض الشرك (73 ـ79)، ثم يدور حوار بين الرسول ومُرضعته حليمة السعدية، ومَنْ يُتاح له الإطلاع على الحوار بأكمله وعلى مذكرات جوته، سيلمس مقدار تغلغل جوته في خصوصيات الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية. لقد اقتصرنا في الحديث هنا على الألمان وحدهم، أما مساهمات غيرهم من الأوروبيين فستكون موضوعًا في مقالة قادمة إن شاء الله .

# ثاباتا (Zapata) والعرب

د. علي حسين الحلو*

عندما يذكر اسم المكسيك كدولة ذات موقع جغرافي وتمازج حضاري متعدد يلمع بالذاكرة على الفور اسم الثائر المكسيكي (ثاباتا) مفجر وزعيم إحدى أهم ثورات العصر الحديث، والذي يقترن اسمه في الذاكرة العربية بالذات باسم (سيمون بوليفار) في فنزويلا، وإذا كان نحو قرن من الزمن يكاد ينصرم على اندلاع ثورة المكسيك الشعبية والتي قامت في العشرين من شهر الحرث (نوفمبر) عام 1910 مسيحي فإن زعيمها (ثاباتا) لا يزال باقياً في ضمير وقلب كل مكسيكي حر، ويرى المكسيكيون أن ثورة (ثاباتا) تشكلت في البداية من جموع الفقراء والفلاحين شبه المعدمين، وكان المنطلق الأول للثورة القضاء على الظلم والجوع والحرمان وإعادة الأرض والحرية إلى أصحابها الحقيقيين وبوضع حد لجور وتعسف الإقطاعيين.

كان إيميليانو ثاباتا Emiliano Zapata ويكتب اسمه بالعربية «زباتا» من أوائل المطالبين بالأصلاح الزراعي في المكسيك حيث تحتكر المساحات الشاسعة من الأرض لصالح فئة محدودة من السكان، ويعمل على توزيعها على المستحقين من الفلاحين، وكرّس جل وقته لهؤلاء الحيارى، ومات من




الثائر المكسيكي (ثاباتا)

أجلهم، ومن أجل استرداد كرامتهم وحقوقهم، واليوم فإن فقراء المكسيك، وخاصة في منطقة موريلوس Morelos جنوب المكسيك شديدو الاعتزاز باسم ثاباتا، الذي يكنون له كل الاحترام والتقدير والوفاء،

* كاتب، سفير فلسطين الأسبق في المكسيك / اسبانيا

ولقد عشت ولمست هذا الوفاء بين أولئك الفقراء عندما كنت أعمل بالمكسيك في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بين عامي 1990 ـ 1994 مسيحي، وخلال إحياء الذكرى التسعين للثورة المكسيكية قرأت العديد من المقالات عن الثورة، وعن دور إميليانو ثاباتا، إلا أن مقالاً مهماً لفت انتباهي، حيث لم أكن أعلم كعربي بأن ثاباتا ارتبط بعلاقات حميمة مع مجموعة من العرب المغتربين كانوا يقيمون في موريلوس حيث كان يعيش.

والحقيقة أن تلك العلاقات الحميمة، والتي تطورت إلى روابط الأخوة والصداقة التي جمعت ثاباتا بأولئك العرب تكاد تكون مجهولة تماماً في المكسيك (باستثناء منطقة موريلوس)، وربما يكون هناك من يريد تجاهل هذه الحقيقة، وعدم تداولها لكي تبقى نسياً منسياً.

من هنا أسعى بهذه النبذة المختصرة إلى تعريف العرب، وخاصة الباحثين منهم، بتلك الروابط مع المزيد من الحقائق عن حياة ثاباتا الذي أحب العرب، ودافع عنهم في غربتهم حيث كانوا يعيشون بعيداً عن أوطانهم وأهليهم.

ولد إمليانو ثاباتا في بلدة تسمى أيالا Ayala عام 1883 مسيحي، أما فترة طفولته فإنها غير معروفة تماماً، إلا أن هناك بعض المراجع تشير إلى أنه كان فتى شجاعاً قوياً سريع الانفعال، فلم يكن يتردد لحظة واحدة عن التمرد والعصيان ضد المعاملة السيئة التي كان الإقطاعيون يعاملون بها الفلاحين الفقراء.

كان ثاباتا ينتمي إلى عائلة فقيرة من الفلاحين، مما اضطره للعمل منذ الصغر في حقول الأغنياء.

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المدرسين الذين علموا ثاباتا خلال المرحلة الابتدائية أجمعوا على أنه كان يتمتع بذكاء واضح.

الحب كان من طبيعته، ولكن حبه الأكبر كان للفلاحين ولأصدقائه العرب المغتربين، وكان كثير الجلوس مع شيوخ قريته للتحدث معهم وأخذ النصائح والعبر منهم.

وكم من مرة دافع ثاباتا عن الفقراء والمستضعفين، وكان عندما يرى ظلماً أو جوراً أو عدواناً يقع على أحد منهم فإنه لا يتردد قط عن مقاومة هذا الظلم بالقوة وكثيراً ما كان يستعمل سلاحه الخاص في الدفاع عنهم، كان يدافع عن الفلاحين والفقراء المكسيكيين والعرب الذين كانوا هم أيضاً من الفقراء يبيعون في شوارع موريلوس. ففي تلك الفترة عانى المغتربون العرب أقصى أنواع الرفض والتمييز العنصري والإهانة، وعانوا الأمرين من قبل الطبقة الأقطاعية التي كانت تهيمن وتسيطر على كل شيءٍ بالمكسيك.

وكانت قوات الشرطة التابعة أثناء حكم الرئيس الجنرال بورفيريو دياث Porfirio Diaz تطارد البائعين العرب في شوارع موريلوس وتعاملهم معاملة غير انسانية، وقد حكم دياث المكسيك مرتين آخرها



ثاباتا في شبابه إلى اليمين بالصورة

انتهت سنة 1911 مسيحي، وقد حفظ له التاريخ جملته الشهيرة : «مسكينة هي المكسيك، إنها بعيدة جداً عن الله وقريبة جداً من الولايات المتحدة الأمريكية»

"Pobre Mexico tan lejos de dios.

Ytan cerca de los estados unidos"

لم يجد هؤلاء المحرومون العرب أحدا يدافع عنهم ويرفع كل هذا الجور والأزدراء إلا إيميليانو ثاباتا، فكان الصديق والأخ الحنون للمغتربين العرب، وبالمقابل فقد أحبه هؤلاء وتعلقوا به لأنه وقف إلى جانبهم في الأوقات الصعبة، لقد تصدى ثاباتا وبكل قوة وفي أكثر من مرة لقوات الشرطة في موريلوس من أجل الدفاع عن حق العرب في حياة حرة و كريمة.

كان إيمليانو ثاباتا يحب الجلوس مع أصدقائه العرب لسماع قصصهم والتعرف على مشاكلهم وقضاياهم، كان شغوفاً ومعجباً بالقصص العربية، وكان مهتماً بالثقافة والحضارة العربية والإسلامية والعادات والتقاليد العربية، وكان معجبا أيضا بالمأكولات العربية وخاصة الشرقية، ذلك لأن أغلبية العرب المهاجرين إلى المكسيك وقتئذ هم من أصول سورية ولبنانية و فلسطينية وعراقية.

وكان ثاباتا يعرب دائماً عن أعجابه منذ الصغر باللغة العربية، وكان يطلب من أصدقائه العرب أن يعلموه بعض الكلمات من هذه اللغة الجميلة كما يقول ثاباتا.

وكان مهتماً بالدين الإسلامي ومعرفة أركانه ومبادئه، والإطلاع على سيرة النبي محمد ﷺ.

وعندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره انخرط في العمل السياسي، ولكنه قمع واضطهد لأنه كان ينادي بأفكار مختلفة تماماً، وبالتحديد ينادي بإعادة الأراضي والحرية لأصحابها الحقيقيين.

وعندما بلغ السابعة والعشرين بدأ يحقق بعض الانتصارات، التي اعتبرت انتصاراً لكل المحرومين، وبالطبع كان انتصاراً لأصدقائه المتغربين العرب، حيث نالوا بعض حقوقهم، وأصبحوا أحراراً، يتمتعون بالمساواة وبالأمن والإحترام والكرامة والتي كانت معدومة تماماً.

وعند اندلاع الثورة المكسيكية يوم 20 من شهر الحرث (نوفمبر) 1910 مسيحي كان إميليانو ثاباتا من أوائل قادتها، وانضم العديد من الفلاحين الفقراء إلى صفوف الثوار، لأنهم كانوا يرغبون في الوقوف إلى جانبه.



**كان ثاباتا مهتماً بالدين الإسلامي ومعرفة أركانه ومبادئه، والإطلاع على سيرة النبي محمد ﷺ**

وخلال فترات الهدنه كثيراً ما كان يتحدث للفلاحين عن الأراضي والحرية التي سلبت منهم من قبل الأقطاعيين والنظام الدكتاتوري.

وكان يقص على الفلاحين الثوريين حكاياته وقصصه مع أصدقائه العرب منذ الصغر، ويحدثهم عن العرب وقصصهم وعن كرمهم والذي يعتبر من أهم الصفات التي يتمتعون بها.

وبعد سبع سنوات من الثورة والنضال انتصر ايميليانو ثاباتا، وظل أميناً لمبادئه، ومدافعاً عن الفلاحين الفقراء، وبقي طوال حياته زاهداً في كرسي الحكم. فلم يجلس عليه يوماً واحداً رغم إمتلاكه له. وبعد هذا الإنتصار لم ينس ثاباتا أصدقاءه العرب القدامى، الذين أحبهم وأحبوه فقد أجزل لهم العطاء، ومنحهم امتيازات كثيرة، وأصبحوا في وضع يحسدون عليه، وبالفعل لقد كان انتصار ثاباتا انتصاراً لكل المحرومين والفقراء.

ولكن قوى الشر والاستغلال لم ترض عن هذا

«مسكينة هي المكسيك، إنها بعيدة جداً عن الله وقريبة جداً من الولايات المتحدة الأمريكية»

"Pobre Mexico tan lejos de dios. Ytan cerca de los estados unidos".

الرئيس المكسيكي بورفيريو ديات

الوضع الجديد، ولم تقبل به، ولم تكن راغبة في التخلي عن السلطة وعن النظام الإقطاعي، وتحالفت من أجل قتل روح هذه الثورة التي كان ايميليانو ثاباتا رمزاً لها، فتآمرت عليه، واغتالته في بلدة شيناميكا Chinameca يوم 10 من شهر الطير (ابريل) عام 1919 مسيحي، حيث انهال عليه الرصاص من كل جانب، لكن جواده الأبيض انطلق بعيدا عن مكان المصيدة التي وقع بها صاحبه.

اغتيال ايميليانو ثاباتا كان ضربة مؤلمة لجميع الفقراء المكسيكيين وأصدقائه العرب الذين وقع الخبر عليهم كوقوع الصاعقة...

لكن العديد من كبار السن في المناطق الجنوبية التي كان عاش فيها ايميليانو ثاباتا مثل: اننكويلكو Anencuilco وبلده كواوتلا Cuautla رفضوا قبول هذا الخبر الحزين ولم يصدقوه على الإطلاق، إنهم يرددون دائماً أن رجلاً شجاعاً آخراً هو الذي ذهب ومات بدلاً من ثاباتا.

الغريب في الأمر أن شيوخ المنطقة في موريلوس يؤكدون حتى يومنا هذا ويصرون على أن ثاباتا لم يمت، وأن أصدقاءه العرب الذين أحبوه قد حملوه معهم الى البلاد العربية لكى يطلعهم على تجاربه التي خاضها في المكسيك.

غالباً ما يتحسر هؤلاء الشيوخ لأن غياب ثاباتا قد طال في البلاد العربية، وانه قد آن الأوان لكي يعود من هناك، وأن أملهم ما زال كبيراً في عودته إليهم، والى موريلوس.

إنهم يقولون: حتماً سيعود ثاباتا يوماً ما إلى الجبال الجنوبية وهو يرتدي زيه المشهور من أجل النضال مجدداً دفاعاً عن الفلاحين الفقراء الذين سرقت منهم أراضيهم وطردوا منها بعد غيبته في



ثاباتا في أواخر أيامه

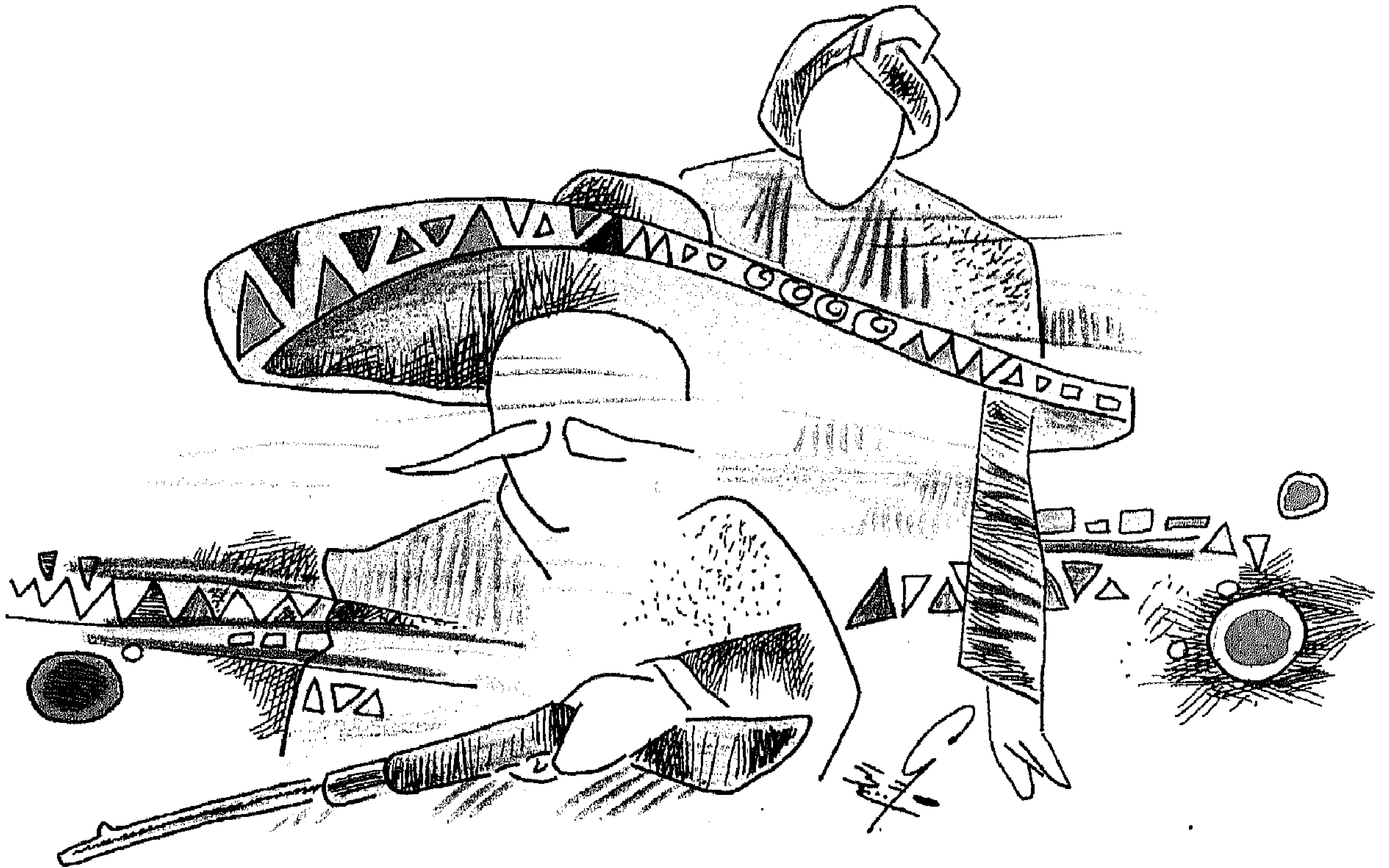
البلاد العربية وللدفاع عن الحرية التي سلبت منهم.

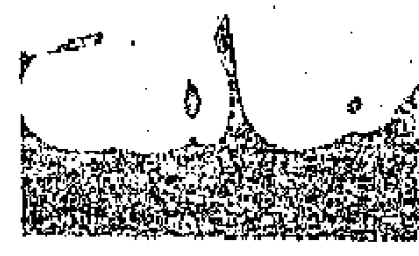
هذا ما يقوله ويعتقده ويؤمن به كل شيوخ بلده شينا ميكا Chinameca التي اغتيل فيها ثاباتا عن عمر يناهز ستة وثلاثين عاماً، ويعيش ابنه البالغ من العمر حوالي 86 عاماً في مدينة موريلوس.

تلك هي بعض من قصة الثائر إميليانو ثاباتا مع العرب في موريلوس، والتي ينبغي أن يعرفها العرب والمكسيكيون على حد سواء لأنها قصة من قصص الصداقة والأخوة الاحترام المتبادل.

لذا فسنظل نحن العرب نكن كل الاحترام والتقدير لذكرى ثاباتا، شاكرين له على الدوام كل ما قدمه إلى إخوتنا العرب في المكسيك من دعم ومساعدة ومحبة.

وختاماً نقول لشيوخ بلدة شينا ميكا Chinameca بأن إيميليانو ثاباتا يعيش معنا في البلاد العربية، ولكن داخل قلوبنا وقلوب كل الأحرار والمدافعين عن الأرض والحرية والكرامة أينما كانوا.





# إيطاليا
# وتاريخ الدراسات العربية والإسلامية

محمد القاضي *

كان الأوربيون على اتصال بالشرقيين منذ العصور القديمة التي شهدت ميلاد أولى العلاقات التجارية والسياسية بين أوروبا والشرق، بحكم قانون التطور ونمو الحاجات العلمية، وظهور حركات التبشير. وقد توثقت هذه العلاقات في العصور الوسطى أكثر من السابق، ومن ثم دخلت طوراً جديداً مع ظهور الرأسمالية في أوروبا التي أصبحت بحاجة متزايدة إلى الشرق وخيراته، فغدت معرفة دقائق الأمور المتعلقة بشعوب هذه الرقعة الحساسة من العالم مهمة وضرورية، فرضت ظهور علم قائم بذاته على صعيد القارة الأوروبية عرف بالاستشراق، الذي استهدف دراسة تاريخ شعوب الشرق واقتصادياتها ولغاتها وفنونها وعاداتها ودياناتها وفلسفتها، وغير ذلك من المواضيع، فيكون بذلك الاستشراق وليداً شرعياً للنظام الرأسمالي، واستجابة ضرورية لمتطلباته، وليس مجرد صدفة كما يعتقد البعض. وظهر كحقل علمي مستقل في القرنين السادس عشر والسابع عشر. والاستشراق كعلم إنساني هو بدوره امتداد لبقية العلوم الانسانية التي ولدت في الغرب.

### إيطاليا وبداية الاتصال مع البلاد العربية:

كانت إيطاليا بحكم قربها نسبيًا من دنيا العرب في شمال إفريقيا وفي الشرق الأدنى على اتصال مبكر ووثيق بالبلاد العربية، يعود في القدم إلى العهد الروماني، أي إلى ما زيد على العشرين قرنًا من الزمن. ثم بدأت هذه الصلات تتوطد منذ أن احتل العرب «صقلية» وقسمًا من جنوب إيطاليا في القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشر للميلاد. وقد بلغت جزيرة صقلية أوجها الحضاري في عهد ولاتها الفاطميين بني أبي الحسين الكلبيين ( 336 ـ 431 هـ/ 947 ـ 1040م ). إن فترة السيادة العربية على جزيرة صقلية تميزت إجمالاً بالتسامح الديني والارتقاء الحضاري، كما تميزت بالازدهار الزراعي والنشاط التجاري. وقد أحدث العرب تغييرًا مهماً في نظام ملكية الأرض وتوزيعها. والمفردات العربية الكثيرة في اللهجة الصقلية شاهد على مبلغ اهتمام العرب بالزراعة.

إن دور صقلية في انتقال التراث الفكري العربي إلى بقية بلدان أوروبا دون دور الأندلس، ومع ذلك، فإن عظمة مملكة صقلية النورمانية في القرن الثاني

* كاتب وباحث / المغرب

عشر الميلادي أدت ـ بفضل مسلمي الجزيرة ـ إلى قيام حركة النهضة الإيطالية. كما كان لعلماء صقلية مكانة مرموقة في تاريخ العلوم الأوربية، فقد عرفوا التعليل الهندسي والرياضيات التطبيقية، وكان بين أيديهم كتاب (المجسطي) لبطليموس، وهو العمدة عند القدامى في علم الفلك. كما أن مدرسة «سالرنو» الطبية كانت في طليعة مدارس الطب بأوربا، وكانت تتوفر في صقلية المكتبات والمخطوطات.

ومما يؤثر عن أحد رجال البلاط في «بَلَرْمُ» في منتصف القرن الثاني عشر قوله لطالب انجليزي اسمه «روبرتوس» كان يزور صقلية ثم أخذ يستعد للعودة إلى بلاده: ولم العجلة ؟ ولماذا لا تبقى في صقلية التي هي جنة أهل العلم؟.

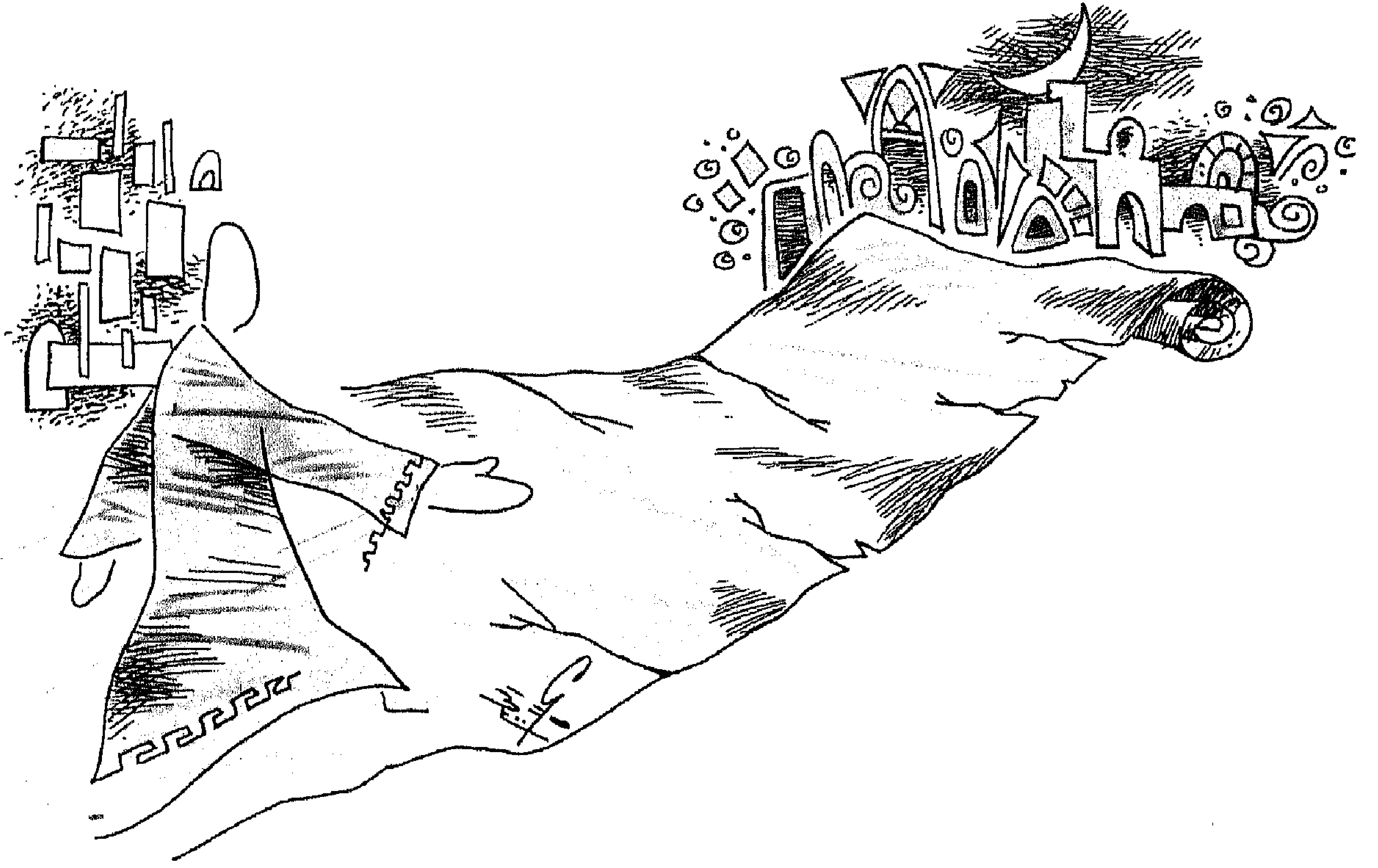
كانت اللغة العربية لغة العلم دون سواها في العصر الوسيط. وبسبب تفشي الجهل في أوربا آنذاك، كان الناس ـ منذ مطلع القرن الثاني عشر ـ يتوجهون إلى صقلية والأندلس للتعرف على أسرار الكون وعلومه. وبالرغم من الإقبال على طليطلة فإن البعض رأى أن صقلية كانت تحظى بمزية كبرى، لأنها كانت ثقافيًا ما تزال جزءًا من العالم العربي، كما كانت على اتصال بالشرق اليوناني. ففي صقلية دون سواها كان يمكن دراسة الحضارتين العربية واليونانية مباشرة والمقارنة والجمع بينهما. وساهم الإيطاليون مساهمة فعالة في مدرسة طليطلة بالأندلس، وكان من روادها الإيطالي (جيراردو داكريمونا) المتوفى عام 1187م، الذي انتقل إلى طليطلة وترجم إلى اللاتينية ما لا يقل عن سبعين مؤلفا عربيا، نذكر منها كتاب (المجسطي)، وبحثًا في علم الفلك لجابر ابن أفلح، وآخر لابن الهيثم عن الشفق، وقانون الطب لابن سينا، والموجز في الفلك للفرغاني، وتعليق التبريزي على الكتب العشرة الأولى لإقليدس، وكتاب الأنوار لربيع بن زيد، وبحثًا موجزًا في الجبر لا يعرف مؤلفه، وكتاب الجبر للخوارزمي.

هذا، وقد بدأت جامعة «بولونيا» في سنة 1076م تهتم بعلوم العرب وتعنى بالدراسات العربية، ثم تبعتها جامعة «نابولي» في سنة 1224م وجامعة «سيينا» في سنة 1246م وجامعة «روما» في سنة 1248 ثم جامعة «فلورنسا» في سنة 1321م وجامعة «بادو» في سنة 1361م ثم الجامعة «الغريغورية» في سنة 1553م اهتمت باللاهوت والحق القانوني الشرقي والدراسات الإسلامية.

**ترجم الايطالي جيراردو داكريمونا أكثر من سبعين مؤلفاً عربياً في علوم الفلك والطب والرياضيات وغيرها.**

وفي سنة 1584م أسس البابا (غريغوريوس الثالث عشر) الكلية المارونية في روما التي لا تزال قائمة حتى اليوم، والتي تخرج منها على مدى قرنين من الزمن نخبة من المتخصصين باللغات الشرقية انتشروا في حواضر البلدان الأوربية، أمثال روما وباريس وفلورنسا والإسكوريال ومدريد ولشبونة، يترجمون للملوك والأمراء إلى جانب التدريس في الجامعات والاهتمام بجمع المخطوطات. وأخذت الكنيسة الكاثوليكية في إرسال البعثات التبشيرية إلى الشرق، وكانت ترمي من وراء ذلك إلى أن تضم الكنائس الشرقية إليها. وأدركت هذه البعثات أنه لا بد ـ حتى تصل إلى غرضها ـ من أن تتقن لغة البلاد التي تريد التبشير فيها. وكان هذا هو الباعث الأول على دراسة جدية للغة العربية.

ووضحت الفكرة عند أهل أوروبا بأن الانتصار بالسلاح والاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين لا يساعد على دخول المسلمين في



المسيحية، ووجدوا أن خير سبيل إلى ذلك هو الجدل في العقيدة. ولهذا عملوا جادين لمعرفة حضارة العرب وعاداتهم وأخلاقهم وعلومهم ولغتهم.

كما ازداد الاهتمام بالمخطوطات العربية، مما استوجب جلب علماء من بلاد المشرق العربي لتدريس اللغة العربية، وفهرسة هذه المخطوطات، والمساهمة في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية. ولعل أسماء العديد من اللبنانيين أمثال جبرائيل الصهيوني الأهدني (ت 1648م) ويوحنا الحصروني (ت 1626م) وإبراهيم الحاقلاني (ت 1665م) وسواهم ممن كان لهم تأثير بارز في انطلاق الدراسات العربية في إيطاليا. كما قام يوسف السمعاني (1687 ـ 1768م) بعد ذلك بوضع الأساس للمكتبة الشرقية، ووصف وتلخيص كل المخطوطات الشرقية الموجودة في مكتبة الفاتيكان.

وحوالي سنة 1650م تولى «دي سيليسيا» الإيطالي ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، ولكنها لم تطبع. وقام «ماراتشي» (ت 1700م) بترجمة كاملة للقرآن إلى اللاتينية سنة 1698م وكان قد قدَّم لها بشروح وتعليق في أربعة أجزاء نشرها سنة 1691م، واعتمد فيها على مصادر عربية للمفسرين والشراح المسلمين.

وظهرت ترجمة «ماراتشي» للقرآن باللاتينية والنص العربي، واعتمد «سيل» على ترجمة «ماراتشي» في ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم سنة 1734م.

**العلماء الإيطاليون والدراسات الإسلامية:**

كان لعلماء إيطاليا اهتمام كبير بكتب المعاجم واللغة، فأخذوا في دراسة الألفاظ العربية واللغة،

ولعل أقدم ما نعرفه عنهم مخطوطة محفوظة الآن بمكتبة فلورنسا من القرن الثالث عشر، وهي قاموس بالعربية واللاتينية لا يعرف مؤلفه. ولهذا القاموس أهمية خاصة، فقد شكَّل الألفاظ العربية كما كانت تنطق في القرن الثالث عشر، وهو بذلك يفيد في دراسة اللهجات العربية في ذلك القرن.

واستمر اهتمام علماء إيطاليا بدراسة اللغة العربية وألفاظها. ففي سنة 1592م ظهرت دراستان في النحو، إحداهما (الكافية لابن الحاجب)، التي لاقت نجاحًا متواصلاً. والثانية (الأجرومية) لابن آجروم كما أظهر العالم الإيطالي «أنطونيو جيجاي» اهتماما بتأليف المعاجم فنشر سنة 1632م في مدينة ميلانو قاموسًا باللغتين العربية واللاتينية في أربعة أجزاء ضخمة، واعتمد فيه على القاموس للفيروز أبادي اعتمادًا كبيرًا، وبذلك كان له السبق في تعريف الغرب بالمعاجم العربية والاهتمام بها. فقد كان على اطلاع واسع على اللغات العربية والعبرية والفارسية.

ويرى ميشال فاني في دراسته لتاريخ الاستشراق في إيطاليا المنشورة في مجلة (العربي) عدد: 31 والخاص بالاستشراق : أن دخول المطبعة العربية إلى إيطاليا يعتبر أقل أهمية لإيطاليا من أهميتها بالنسبة إلى علاقة اللغة بالتقنية وما يمثل ذلك من برهان. فمع النهوض، سيعود للظهور كل ما يتناول قضايا الترجمة والاتصال... ومن البين أن انعدام التقدم في الدراسات العربية متصل بواقع أنه لم يكن يوجد في أوروبا حروف طباعة عربية. فإذا كان ينبغي طبع نص، كان يجب حفره على الخشب وفقًا لنموذج واحد هو نموذج الحروف المنفصلة التي لم يكن هناك من يعرف كيف يجب وصلها تمامًا. وحتى عندما يكون مُحسِنٌ مستعدًا لتحويل طبعة كاملة، كما هي حال (غيوم بوستيل) فإن الحروف المحفورة بيد غير المحققة، لم تكن قادرة على إنتاج مجموع متناسق. لقد أنشأ (فرديناند دي ميديشي) دوق توسكانة الأكبر، مدعوماً من الرهبنة بدافع البابا غريغوار الثالث عشر، مطبعة ذات حروف جيدة صنعها (ريموندس) عرفت بمطبعة (ميديكيا) وكان هذا الأخير قد أمضى مدة في الشرق وأتقن العربية، فعمل على قطع حروف عربية جديدة للمطبعة ملتقطة غير متفرقة كما كانت من قبل؛ وطبع بالحروف الجديدة (قانون) ابن سينا سنة 1586م، و(الأناجيل) سنة 1591م و(الكافية) لابن الحاجب، والأجرومية لابن آجروم سنة 1592م، وكتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي وكتاب (النجاة) لابن سينا سنة 1593م. وكان السلطان مراد الثالث (1547 ـ 1595م) قد سمع منذ سنة 1588م ببيع مطبوعات هذه المطبعة في أنحاء الدولة العثمانية، وكان أولها كتاب تحرير أصول أقليدس لناصر الدين الطوسي (طبع سنة 1594م).

**كانت المطبعة العربية في إيطاليا حافزا للهولندي، «رافيلينجيوس» في إنشاء مطبعة في هولندا، كما كانت أساس تفكير الطبيب الألماني «كيرستن» في إنشاء مطبعة عربية فى ألمانيا.**

وكانت المطبعة العربية في إيطاليا حافزا للهولندي، «رافيلينجيوس» (1539 ـ 1597م) في إنشاء مطبعة في هولندا، ولكنها لم تصل في شكل حروفها إلى المستوى الراقي الذي وصلته المطبعة الإيطالية كما كانت أساس تفكير الطبيب الألماني «كيرستن» (1575 ـ 1460م) في إنشاء مطبعة عربية فى ألمانيا. ولكنه لم يجد من يشجعه من حكام ألمانيا على الاستمرار في مطبعته فحملها معه إلى السويد حيث توفي هناك سنة 1640م.

ومرّت على الطباعة العربية مدة فتور في أوائل القرن السابع عشر، فالكتب العربية المطبوعة لم تجد رواجًا في الشرق، إذ كان مظهر الكتاب المطبوع يخالف ما اعتاد عليه الناس من شكل الخط العربي المنسوخ، وكانت العناوين تنقص الكتب، كما كان بها أخطاء مطبعية ونحوية كثيرة. أضف إلى هذا أن القارئ العربي أخذ يشك في نية الغرب من طبع هذه الكتب. وهنا اضطرت المطابع العربية في أوروبا إلى الانصراف عن طبع كتب الأدب والدين واتجهت إلى طبع المعاجم وقواعد اللغة.

أخذت الصلات الاقتصادية والسياسية بين الدول المسيحية في الغرب والدول الإسلامية في الشرق منذ القرن السابع عشر مظهرًا جديًا، كما اتخذت الدراسات العربية طريقًا مثيرًا ظهر بعد الثورة الفرنسية، وتقدّمت هذه الدراسات تقدّمًا محسوسًا في القرن التاسع عشر، وتوسع العلماء في الدراسات التاريخية والآداب العربية والدراسات الفقهية، والجغرافية وعلم الفلك والفكر الإسلامي. وظهر في طليعة القرن التاسع عشر مستشرق كبير كان له الدور الفعّال في بعث الدراسات الاستشراقية في إيطاليا، وهو (ميكيل أماري 1806 ـ 1889م) صاحب المؤلفات الشهيرة عن تاريخ المسلمين في بلده صقلية. كما عنى بنشر وترجمة وشرح الشهادات العربية في تسجيلا فلورنسا. كما نشر بالاشتراك مع (سيكيا بريلي) جزءًا من كتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي.

ولأمارى يعود الفضل ـ كما يقول المستشرق الإيطالي المعاصر (ريزيتانو) ـ في وضع الحوليات المسماة (المكتبة العربية الصقلية) التي طبعت على نفقة جمعية المستشرقين الألمان في ليبزيج سنة 1857م. إن ميكل أمارى بمكانته العلمية وأهمية عمله، هو الذي أدخل الدراسات الشرقية إلى إيطاليا، وأعاد تقويم الإرث العربي لإيطاليا في صقلية، في لحظة ولادة إيطاليا الحديثة.

### الاستشراق الإيطالي بين الإنصاف والاجحاف:


ليوني كايتاني

إن الاستشراق الإيطالي. أو كما يسميه المستشرق الإيطالي الكبير (فرانشيسكو غابريلي) (الاستعراب) لأنه وُجه لدراسة اللغة العربية وآدابها وحضارة المسلمين وعلومهم، فلا يكاد يوجد له أثر واضح في غير الدائرة العربية. قد ركز جهده حول دراسة العربية الفصحى والإسلام.

ولإيطاليا علاقة خاصة بالعالم العربي، وبالتالي بالأدب والثقافة العربيين، ولا تأتي هذه الخصوصية في العلاقة من خلال السيطرة الاستعمارية التي تمتعت بها كل من فرنسا وإنجلترا مثلاً في أجزاء شاسعة من المنطقة العربية، بل جاءت نتيجة علاقة تاريخية تمتد لقرون عديدة، بسبب تواجد العرب في صقلية وجنوب إيطاليا في القرنين الحادي عشر، والثاني عشر بعد الميلاد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وكان لوجود الفاتيكان في إيطاليا أثر كبير في توطيد الصلة بينها وبين البلاد الشرقية، نظرًا لما يوليه هذا الأخير من أهمية كبيرة جدًا في التبشير بالدين المسيحي، ومحاولة تنصير الشرقيين في كل مكان. فكان له أثر كبير كذلك في ظهور الاستشراق الايطالي وتطوره.

ونظرًا للطابع الديني الذي غلب عليه، فقد تركزت دراساته وأبحاثه على الإسلام والمسلمين، وخاصة العرب منهم، إلى جانب الاهتمام باللغة العربية وتأليف الكتب فيها وفي بعض لهجاتها. ولكنه ما لبث أن تحول إلى دافع تجاري ثم إلى دافع سياسي وخاصة عندما بدأت إيطاليا غزو ليبيا سنة 1911م. وكان من بين المعارضين القلائل في البرلمان الإيطالي لهذا الاحتلال المستشرق الكبير «ليوني كايتاني» (مؤرخ ومستشرق اهتم بالتراث الإسلامي) وقد تعرض لكثير من النقد اللاذع إبَّان معركة انتخابية سنة 1913م حيث كانت ملصقات منافسة ترسمه وهو يرتدي الطربوش التركي. لقد كانت المؤثرات التي دعت هذا المستشرق لأن يقف موقف المعارضة عظيمة الأثر على نفسه، فقد ألف هذا المستشرق الحوليات العشر التي تنتهي عند القرن الرابع الهجري وتتعلق بدراسة تراث الإسلام. لقد كان كايتاني مكروهًا من طرف القوميين الطليان، ولأنه كان معارضًا للفاشية، معتدًا برأيه فنفي إلى كندا بعد أن حرمه موسوليني من الجنسية. فتوفي هناك سنة 1935م.

يقول عنه «نوانشيسكو غابريلي»: يبقى موقف «كايتان» البعيد الدال على اقتناع سياسي وإنساني الذي تحدى به رأي مواطنيه. فبودنا أن تقوم ليبيا اليوم المستقلة ـ من بين العديد من الذكريات غير السارة للاحتلال الإيطالي ـ بإحياء ذكرى كايتاني، لأنه سبق الزمن ونادى بالتخلص من كل سيطرة أجنبية. كما لا ننسى الموقف النبيل الذي وقفه المستشرق (يوجينيو غريفيني) الذي أنقذ المخطوطات التركية التي كاد الإيطاليون يحرقونها في طرابلس في الأيام الأولى للاحتلال. وقد عرفته مصر مديرًا لدار الكتب من سنة 1920 ـ 1925م، قام بنشر الموسوعة القانونية لزيد بن علي، ووضع فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة (الأمبروزيانا) بميلانو.

لقد تمكن بعض المستشرقين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تتلمذ عدد من قادة الفكر العربي عليهم، وأذكر منهم على سبيل المثال الدكتور طه حسين الذي درس على المستشرق (نللينو). كما يتميز الاستشراق الإيطالي عن غيره بوجود الكثير من المستشرقات اللاتي أسهمن بجد وافر في مجال الدراسات الشرقية، إضافة إلى وجود ما يسمى بالوراثة العلمية، ففي مجال الاهتمام بالدراسات الشرقية نجد الأبناء يسيرون على خطى آبائهم ويكملون ما بدأوه ويجمعون ما أنجزوه، وكمثال على ذلك: (جويدي) وابنه ميكل انجلو. و(نللينو) وابنته ماريا، و(غابريلي) وابنه فرانشيسكو، الذي يعتبر شيخ المستشرقين الإيطاليين، فقد توفي سنة 1996م، وكان واحدًا من ألمع خبراء القضايا العربية والإسلامية، وأحد أعلام الثقافة الإيطالية في القرن العشرين. تمكن من نيل شرف عضوية أكثر من مجمع علمي في وقت واحد: المجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1948م، ثم المجمع اللغوي بالقاهرة وبغداد، وعمان، ورئيس المعهد الشرقي منذ سنة 1969م. ساهم بجهد

**لقد تمكن بعض المستشرقين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق والعيش فيه والتدريس في جامعاته وخاصة مصر، وقد تتلمذ عدد من قادة الفكر العربي عليهم.**

واضح في نشر التراث العربي الإسلامي والاهتمام به حفظًا وتحقيقًا وترجمة. ألَّف ما يزيد على مائة وخمسين بحثًا وكتابًا من أبرزها: (أثر ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوروبية) الذي نشر سنة 1944م، و(تاريخ الأدب العربي) نشر سنة 1951م، و(عالم الإسلام) سنة 1953م، و(خصائص الحضارة العربية الإسلامية) سنة 1956م، و(محمد والفاتحون العرب الكبار) سنة 1967م، و(اليوميات العربية للحروب الصليبية) سنة 1969م وغيرها من المؤلفات سواء التي كتبها هو أو بالاشتراك مع غيره من المستشرقين أو التي ترجمها من العربية إلى الإيطالية. أسس فرانشيسكو غابريلي مدرسة قائمة بذاتها في عالم الاستشراق الإيطالي، وكوَّن أجيالاً من الدارسين المهتمين بالعالمين العربي والإسلامي.

تميز فكره بالتحرر والصدق والاطلاع الواسع وفهم سليم للعرب، وتقدير لمقامهم في الماضي والحاضر. قدَّم للقارئ الإيطالي عددًا من فرائد الأدب العربي والإسلامي، نشر العديد من المقالات في الصحف اليومية ومخاطبة الناس مباشرة، وله من المداخلات الإذاعية والمتلفزة الكثير، حيث شرح ببساطة طبيعة الاسلام وتعاليم القرآن الكريم، ورفض بوقار العالم أي إشارة أو ربط بين الإسلام والعنف، ودفع بالعقول قبل العواطف إلى ضرورة فهم حياة المسلم وتفكيره، حياة العربي وعقليته، وتلك الأواصر التي تربط بين الحضارتين العربية والإسلامية والحضارات العالمية الكبرى التي أغنت الإنسانية بمناهل المعرفة والإرشاد.

ظل طوال حياته مثالاً للعطاء الفكري والاتزان العلمي والتواضع الإنساني، حظي باحترام وتقدير كبير من طرف الأدباء والمفكرين الإيطاليين والعرب. قال قبل أن يتوفى: (ليس لي إلا أمنية واحدة وهي أن يخترع الشرق قيمًا جديدة ومبتكرة قادرة على إغناء ميراث البشرية على هذه الأرض).

لقد سيطر المسلمون على البحر الأبيض المتوسط وجعلوه بحيرة إسلامية، مما اضطر الغرب الأوروبي إلى الاعتماد في اقتصاده على دواخل القارة الأوروبية فقط، بدلاً من البحر، بسبب هيمنة المسلمين عليه إلى حد كبير. وكان لهذا أثره في التدهور الاقتصادي لبلاد الغرب.

ونجد خلاصة التأثيرات العربية على الحضارة الإيطالية في الكلمات العربية التي دخلت اللغة الإيطالية، وتتركز في المبادلات التجارية والجمركية وأسماء الواردات والمهن، يضاف إليها بعض العلوم كالفلك والتنجيم والرياضيات والكيمياء والصيدلة والطب والفلسفة.

## المراجع:


1 ـ كتاب دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية/ الدكتور أمين توفيق الطيبي.

2 ـ كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه/ ترجمة وإعداد: هاشم صالح.

3 ـ كتاب الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا/ الدكتور ميشال جحا.

4 ـ مجلة كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، ليبيا/ العدد الثالث 1986م.

5 ـ مجلة الفكر العربي / عدد: 13، 1983م.

6 ـ مجلة المجلة المصرية / عدد: 37، 1963م.

ملف

# آل بوش ووهم النهايات

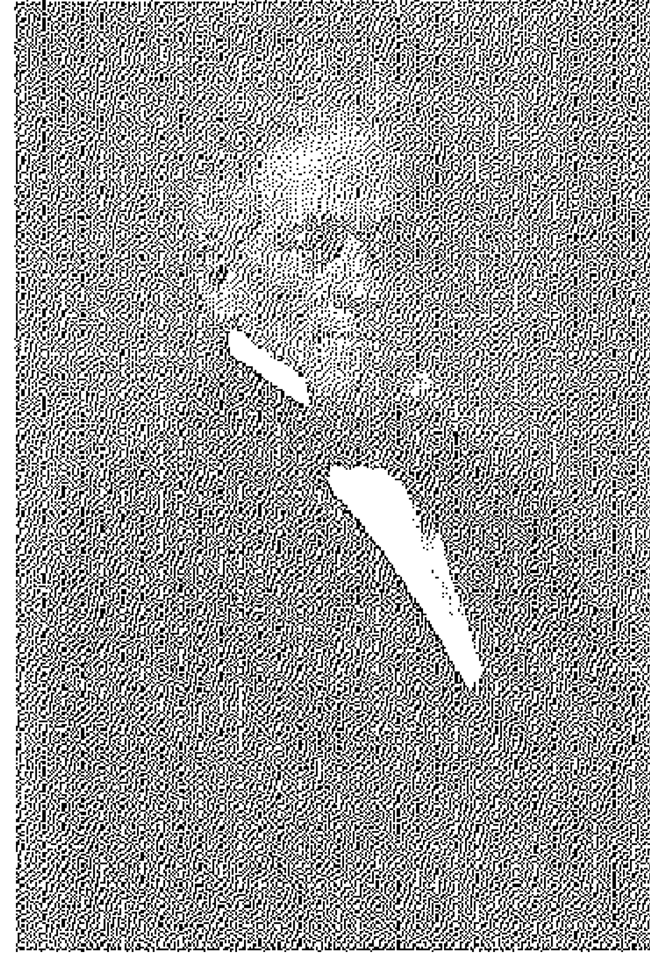
د. سالمة عبدالجبار *

يعرف الكثير من الباحثين والمهتمين بتاريخ الفكر السياسي أن الأبحاث الغربية قد عملت على طمس مراحل عديدة من التاريخ الإنساني، وعملت على تشويه تلك المراحل، وذلك لارتباطها بأهداف سياسية، واعتمادها على الغرب وحده بكل تراثه، باعتباره الإطار المرجعي الوحيد في كل تلك الدراسات والأبحاث.

كما يعرف هؤلاء أهمية وضرورة فهم الآخر.. الغرب الذي بنى أمجاده وأسس حضارته وفق مقدمات تاريخية بدأت من الشرق، وجاءت بذلك الدعوة ملحة إلى ضرورة استحداث دراسات تحدد الموقف من التاريخ والحضارة، استكمالا لعملية التحرر وصياغة المستقبل الفكري، لمواجهة كل أشكال الهيمنة والاستلاب والتغريب.

هذه الدعوة إلى ضرورة كتابة صفحات جديدة من التاريخ تمثل ردة الفعل الواعي على ظواهر الاستلاب والتغريب التي يقوم بها الغرب في مواجهة الإسلام لتحقيق مآربه في التوسع السياسي وزيادة الهيمنة الغربية على شعوب الأرض ومحو الثقافات وتذويب الهويات.

ويبدو من خلال جملة المعطيات الفكرية والتاريخية المطروحة أن الغرب لم يتردد في قراءة الإسلام قراءة متعمقة متفحصة لفهم جوانب الفكر والدين والثقافة والسلوك، من أجل وضع الخطط والاستراتيجيات نحو ذلك الهدف المرسوم، وهو المزيد من التوسع والهيمنة والسيطرة.



جورج بوش الجد

نقول ذلك وبين أيدينا نسخة مترجمة لكتاب خطير يحمل عنوان: (محمد: مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين).

المثير أن مؤلف هذا الكتاب (جورج بوش) 1796–1856 وهو الجد الأكبر لجورج بوش الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية كان استاذاً في جامعة نيويورك متخصصًا في اللغة العبرية، وكان من البارزين في دراسة حفريات النصوص القديمة وأسفار (العهد القديم) «التوراة» كما كان واعظًا دينيًا في علم اللاهوت والأديان، وقد

* كاتبة وأستاذة جامعية/ ليبيا

انحصرت على ما يبدو معظم نشاطاته في المراكز العلمية والدينية والمؤسسات الجامعية، وما زالت هذه الدراسات في الجامعات الأمريكية والغربية عامة تمثل المصدر والمرجع للعديد من الأبحاث الجامعية التي شكلت بعد ذلك اتجاهًا عامًا للعديد من الدارسين الذين تخرجوا واستلموا مراكز قيادية، وهذا الفهم الخاطئ للإسلام اعتنقته المؤسسات السياسية، واستخدمت القوة للسيطرة على عالم الإسلام والمسلمين، وهي في ذلك متأثرة بأفكار وآراء ما يتضمنه ذلك الفكر والخطاب الديني والعلمي الذي احتوته تلك الدراسات.

هذا الكتاب نموذج للكره الأمريكي الغربي للإسلام، وهو أحد مصادر الفكر الغربي الأمريكي المتطرف، ويقدم لمجموعة من المزاعم والافتراءات على شخصية الرسول محمدﷺ. وحددت تلك الافتراءات والمزاعم الأسلوب الذي يسير عليه ساسة أمريكا ومن تبعهم في فهمهم للإسلام والمسلمين، بل إن هذه النوعية من المؤلفات قد أثرت تأثيرًا كبيرًا في مجريات تاريخ الأحداث في المنطقة، حيث مركز الديانات والرسالات السماوية، وهي الموجهة للفكر السياسي المعاصر تجاه المنطقة، الذي يشهد عودة إلى الأصول والالتفاف حول السلفية وتوجيهها الاتجاه الخاطئ، لمزيد من التناقضات والأزمات في المنطقة.

الكتاب جدير بالقراءة والفهم، لأنه يمثل اتجاهًا خطيرًا لضرورة فهم الآخر، وهو يدل دلالة واضحة على الروح العدائية تجاه الإسلام ودولته التي أسسها الرسول محمدﷺ ورغم ادعاء المؤلف بالعلمية والمنهجية في دراسة هذا الاتجاه الذي فرض نفسه على العالم منذ ظهور الإسلام، فإن صفحات الكتاب مليئة بالافتراءات والتشويه لدور الرسول ﷺ في التبشير بدعوة الإسلام، وبطولاته في توسيع دائرة الإسلام من مكة إلى العديد من أصقاع المعمورة، منذ عهده وحتى بعد الخلفاء الراشدين في الدولة الإسلامية.

يقول مؤلف الكتاب في ص17 من النسخة الأصلية:

(إن تاريخ العالم لم يشهد - باستثناء التأثير الذي أحدثه دين الإنجيل - ثورة كبرى قد أحدثت تغييرات في العالم المتحضر أكثر مما أحدثته دعوة محمد الإسلامية منذ ظهوره مرورًا بتقدمه و(هيمنته).

**المؤسسات السياسية اعتنقت فهماً خاطئاً للإسلام وهي متأثرة بأفكار وآراء فكر ديني مؤسس على دراسات غير دقيقة.**

لذلك فإن تاريخ الإسلام وطبيعته أصبح مثيرًا للاهتمام لكل العقول المتنورة، فهذا الدين جزء مهم وشائق من تاريخ الجنس البشري العام، وهذا يدفعنا - حسب رأي المؤلف - إلى الاهتمام بهذا الأمر اهتمامًا جديدًا أقوى من ذي قبل، إن كثيرين من الكتّاب المتميزين الذين درسوا هذا الدين وعبقريته وتاريخه، وينظرون إليه بوصفه هرطقة مسيحية أو نتاجًا لهرطقات قال بها بعض المسيحيين؛ أكثر من وصفهم له بأنه خرافة وثنية)!!

من هنا فقد كان قدر هذا الدين أن يرتبط بكل العقائد الفاسدة التي أفسدت الإنجيل، وبقدر ما نفضح هذا النبوة ونكشفها بقدر ما نكشف الادعاء الحالي الموجود على ظهر هذا الأرض، كلما عجلنا بسقوط الخداع، وكلما زاد اهتمامنا بعمق هذه المناطق التي طالت فيها سيادة هذا الدين. ص 18.

(وبقدر اهتمامنا بالإسلام يكون اهتمامنا بحياة مؤسسه وشخصيته وأعماله، هذا الشخص (الغامض) الذي خرج من قبائل الجزيرة ولم يكن ذا مكانة تسمو على مكانة تاجر في قافلة، ولم يكن يتمتع بمزايا عقلية خاصة، ولم يكن يتميز بامتلاكه قوة أو

نفوذاً، ومع هذا فقد تمكن ـ رغم العقبات العديدة ـ من تأسيس مثل هذه الامبراطورية الواسعة التي تضم ملايين البشر، والتي استمرت أكثر من ألف ومائتي سنة). تلك هي رؤية آل بوش العلمية ـ كما يعتقدون ـ حول دين الإسلام ورسوله الكريم محمدﷺ. لا نريد أن نعطي هذه الافتراءات على خاتم الأنبياء أهمية لنعمل نحن أو غيرنا على تفنيدها، لأنها باطلة أصلاً، ومن خلال الدراسات التاريخية والدينية التي شهدت بطلان تلك الدعاوى وفسادها وانحطاط منطقها الفكري وأسلوبها البياني، لأنها تعتمد على رؤية محدودة وأفق ضيق وعداء للإسلام وللرسول ﷺ وللمسلمين عبر التاريخ.

إذ أننا نهدف هنا في هذه الإشارة السريعة، وفي هذه التحديات التي يشهدها الإسلام والمسلمون، خاصة ما يقوم به البيت الأبيض وآل بوش الجدد من مواجهات فجة وسطحية، لا تدل إلا على حقد وكره دفين للإسلام ورسوله الكريم ـ عليه الصلاة والسلام.

كما أن معرفة الفكر الديني الذي يسود رأس الرئيس السابق هو ذاته الفكر الديني المتوارث لآل بوش منذ فترة بعيدة، وبالتالي فإننا لكي نملك المواجهات الحقيقية والواعية لتلك الممارسات التاريخية والسلوكيات التي نراها اليوم، والتي تدل دلالة واضحة على عدم الفهم، والازدراء الناشئ عن سوء الفهم لعقيدة الاسلام والمسلمين. لا بد لنا من فهم عميق لأحوال الآخر وظروف تفكيره وتكوين شخصيته، ولا بد أن نعمل على تكثيف الجهود من مؤسسات علمية وباحثين ومؤسسات دينية، لوقف تلك التفاهات، والإيمان بقوة بأن ما بيننا وبين الغرب الأمريكي هي حرب مستمرة لن تتوقف، الهدف الأساسي هو الإسلام، القوة الإسلامية العادلة، الإسلام النهضة، حتى يستطيع بسط هيمنته بأشكال مختلفة، إما عن طريق النظام الجديد، أو عن طريق العولمة، أو عن طريق صدام الحضارات.

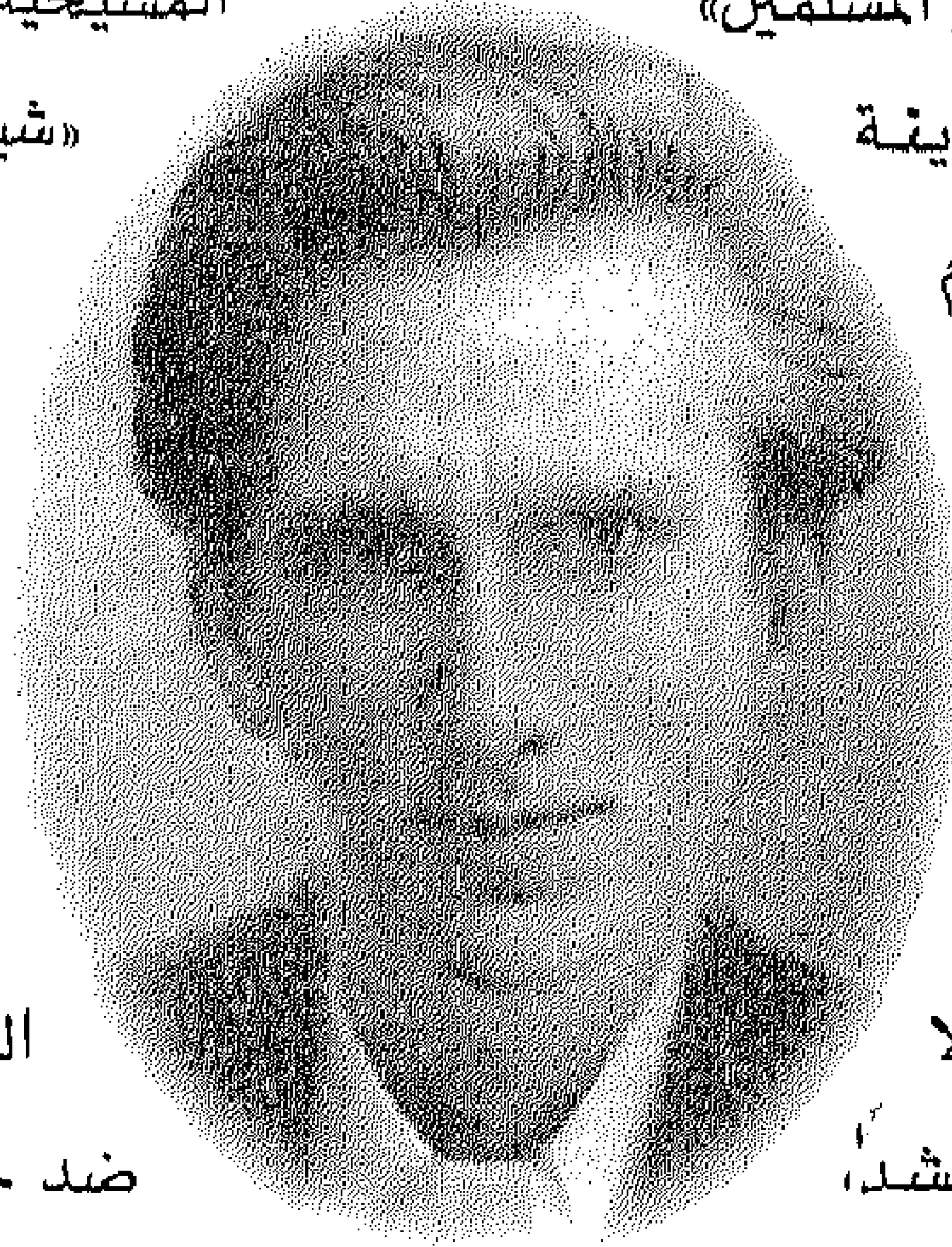
لا بد من إعادة قراءة التاريخ بفهم مستنير وايمان عميق بجوهر الإسلام. والجدير بالذكر ـ في هذا السياق ـ أنه بعد أحداث 11 سبتمبر وبالتحديد في 16 سبتمبر 2001 مسيحي، أعلن الرئيس الأمريكي «بوش الصغير» حملة صليبية ضد الإسلام وأمته وعالمه، واضعًا إياهم تحت اسم «الأشرار، والإرهاب».

لقد حاول البعض تصوير عبارة الرئيس الأمريكي الحالي «بوش الصغير» ـ والتي جاءت في خطابة مباشرة في بعد أحداث 11 سبتمبر، والذي أعلن فيه بداية «حملة صليبية» ضد الإسلام والمسلمين، وأطلق عليهم اسم «الأشرار والإرهاب» بأنها زلة لسان[1] تدل على قلة الثقافة والفهم للتاريخ الإسلامي، إلا أن سيل الكراهية الذي انهال على الإسلام، سواء من وسائل الإعلام أو كبار المسؤولين وصنّاع القرار، إلى جانب الممارسات العدوانية التي مارستها الحكومات الغربية بقيادة وضغوط أمريكية، إنما يدل دلالة واضحة على أن عبارة «حملة صليبية» كان يقصد بها ذات المعنى في التاريخ الوسيط، أثناء الصراع التاريخي الذي مارسه الغرب الاستعماري ضد الشرق والشرقيين، وهي النزعة الاستعمارية ذاتها التي تعاني تغلف الأطماع الغربية بالمسيحية. وإذا كان الرئيس الأمريكي «بوش الصغير» قد استخرج مصطلح الأشرار الذي أطلقه على الدول والتوجهات الإسلامية المعارضة لسياساته من (سفر المزامير) فإن حربه على الإسلام هي حرب عادلة وفق المفهوم المسيحي!! وإنه كان خلال حملته الصليبية الجديدة قد تعود أن يبدأ يوم عمله في البيت الأبيض بالقراءة

---

1 ـ صحيفة العربي القاهرة 2003/3/16.

في كتاب عظات إنجيلية قصيرة عنوانه (أعظم ما يمكنني لأعظم العلماء) للقسيس أوزوالد تشيمبرز الذي توفي عام 1917 وهو يحرض جنود نيوزيلندا وأستراليا على ضرورة غزو القدس في الحملة التي قادها الجنرال الانجليزي «اللنبي» 1861 ـ 1936 [2] وإذا كان هذا هو الطقس المقدس الذي يبدأ به بوش الصغير كل صباح، وإذا كان قد أعلن عن البعد الديني في حملته هذه على «الأشرار المسلمين» عندما خطب في «إبريلاند» بمدينة «ناشفيل» متوجهاً إلى رجال الإعلام الديني في الحزام الإنجيلي بجنوب أمريكا، حيث قال: «إنهم (المسلمون) الأشرار يكرهون حقيقة أن نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة». حتى أن أحد المشتركين في ذلك اللقاء قال: «لا يسعني أن أتصور المسيح يدعو حشداً يهتف له إلى الحرب كما سمعت الرئيس يفعل»[3].



أوزوالد تشيمبرز

وقد وصف الكاتب الانجليزي (جيلبرت كيه) الروح الدينية والنزعة الصليبية في هذه الحملة الأمريكية فقال إن أمريكا أمة بروح كنيسة، وإن الرئيس الحالي والرئاسة الحالية هما الأشد رسوخاً في هذا الإيمان خلال العصور الحديثة «وإذا كانت تلك هي وقائع شهادات الأمريكيين الغربيين فإن القساوسة من «اليمين الديني» والمسيحية الصهيونية كان لهم دور قيادي في هذه الحملة ضد الإسلام والمسلمين، لقد ذهب قساوسة «التحالف المسيحي» والمؤتمر المعمداني «والجيب السامري» مع الجيش الأمريكي في احتلاله للعراق «وهم لا يخفون رغبتهم في تحويل المسلمين إلى المسيحية لا سيما في بغداد»[4].

أما القس ـ فرانكلين جراهام ـ الذي ترأس حفل القسم الدستوري لبوش الصغير، والذي يعتبر الأب الروحي الذي قاد بوش من «السُّكر إلى الرب» والولادة المسيحية الجديدة يقول عن الإسلام إنه دين «شيطاني وشرير»[5].

والقس «بات روبرتسون» هو أوسع قساوسة اليمين الديني نفوذاً في الإعلام الأمريكي، ورئيس التحالف المسيحي الذي يتحكم في انتخابات الرئاسة والكونجرس، هو القائل عن الإسلام «إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف، وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل»[6].

والقس «جيرى فامن» هو القائل عن الرسول محمدﷺ إن محمداً هو الشيطان نفسه[7].

إذن المواجهة بين أمريكا والإسلام اليوم هي مواجهة ذات أبعاد ودلالات تجمع بين أفكارهم في الدين والسياسة والمصالح الأمريكية وفرض القيم والنموذج الأمريكي الغربي في العالم الإسلامي، وها هو السيناتور الأمريكي «جوزيف ليبرماك» مرشح الرئاسة يعلن أن المواجهة مع الإسلام هي حملة لفرض القيم وليس السياسات فقط ، يقول: لا حل مع العرب والإسلام إلا أن تفرض أمريكا عليهما القيم

---

2 ـ صحيفة النيوزويك الأمريكية عدد ديسمبر 2001 السنوي.
3 ـ صحيفة الشرق الأوسط 2002/2/14م.
4 ـ مجلة النيوزويك الأمريكية في عدد 11 مارس 2003م.
5 ـ صحيفة واشنطن بوست 2001/1/18م.
6 ـ صحيفة الحياة، لندن، 2002/2/26م.
7 ـ صحيفة الشرق الأوسط، لندن 2002/3/3م.

والنظم التي نراها ضرورية، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا منذ استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول الأخرى[8].

أما مارجريت تاتشر فهي تتحدث عن أن المعركة هي حول القيم والمصالح، فتقول «إن المسلمين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب، وإنهم يمثلون أيدلوجية عدائية لأمريكا والغرب، فهم كالشيوعية في الماضي، ولا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى لهزيمتهم[9]».

وهذه القيم التي تريد هذه الحملة الصليبية فرضها على الإسلام والمسلمين هي قيم الغرب التي تريد تغيير طبيعة الإسلام، وعزله عن شؤون الحياة والمجتمع، وتحويله إلى صورة عن المسيحية الغربية التي فصلت بين (ما لقيصر وما لله) مكتفية بما لله وخلاص الروح ومملكة السماء خارج هذا العالم، هذه الحملة الصليبية هي ضد الإسلام الرافض لقيم الغرب وسياسات الغرب الليبرالية العلمانية.

**ذهب قساوسة التحالف المسيحي والمؤتمر المعمداني والجيب السامري مع الجيش الأمريكي إلى العراق بهدف تحويل المسلمين إلى النصرانية.**

ولا بد أن يدرك العالم جيداً أن الكنيسة عبر التاريخ قد حافظت على موقفها الثابت من المسألة اليهودية، إذ كان دعم الغرب المسيحي للحركة الصهيونية يتخذ أشكالاً متعددة ومجالات شتى، ويذهب البعض في تفسير ذلك إلى أنه التقاء الهدف بين الغرب والصهيونية، أو لظروف ومصالح اقتصادية، ويعتقد البعض الآخر أن الأمر هو نتيجة عداوة تاريخية بين الإسلام والمسيحية واليهودية منذ صدر الإسلام، وتلك هي أسباب الحروب الصليبية، لكن الأمر الذي لا يعرفه الكثيرون أن أسباب ذلك الدعم والتأييد المتواصل إنما هو لأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية، وإلى جهد دؤوب ومنظم بذلته الكنيسة الغربية عبر العصور.

إذ أن الكنيسة قد فسَّرت بذلك كل النبوءات والإشارات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) كما جاءت في «رؤيا دانيال» وفي «سفر حزقيال» كذلك ما عرض في «رؤيا يوحنا» اللاهوتي، كل ذلك بما يحقق أهداف الكنيسة في عودة «يسوع المخلص» وصارت أرض الميعاد حقيقة روحية وليست رقعة جغرافية مادية.

من هنا تجسدت هذه العلاقة في إطار الحركات الدينية والمجموعات الأصولية الإنجيلية، التي أهمها الطائفة التدبيرية، أو الكنيسة المرئية، وهي طائفة لها أتباعها الآن في أمريكا، وتعرف «بالتدبيريين»، أهم أقطابها بيل غراهام وجيري فالويل وبات روبرتسون وجيمي سواغرت وريتشارد هات، وتعتمد هذه الطائفة على الجانب المرئي في تبشيرها كوسيلة رئيسية لإيصال رأيها لعامة الناس، وهم جميعاً يبشرون بنظرية «هرمجدون» حيث يؤمنون بها ويعملون من أجل تحقيق هذه النظرية وهذا الهدف، ويجعلون من تأييد إسرائيل نوعًا من العبادة، لأنه بذلك تتحقق عودة المسيح، والطريقة المثلى لذلك هي المعركة الأخيرة بين الخير والشر، بين إسرائيل وجيوش العرب والإسلام.

ولكن ما هي هرمجدون ؟

تروي الكاتبة الأمريكية غريس هالسيل تجربتها

---

8 ـ صحيفة الأهرام 2002/1/16م.

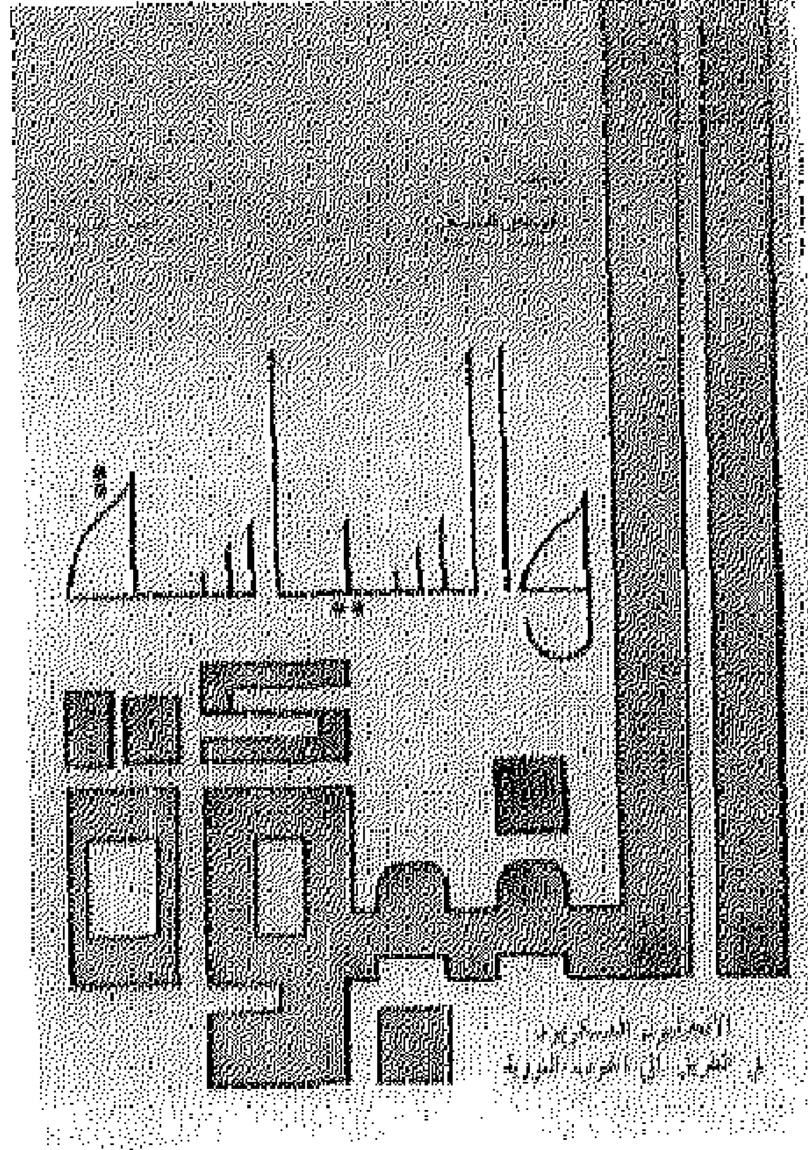
9 ـ صحيفة الشرق الأوسط. لندن 2002/2/14.

في كتابها «النبوءة والسياسة» حول البحث عن جواب لهذا السؤال «ما هي هرمجدون»؟ وتقدم لطبيعة العلاقة بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، كما تقدم التفسير الصحيح والعميق للمواقف الأمريكية المؤيدة للصهيونية والمعادية للعرب والإسلام، وهي الكاتبة التي شهدت بنفسها عمليات التضليل والتزوير الديني الذي مارسته الصهيونية المسيحية من أجل تطويع نصوص الكتاب المقدس لخدمة المشروع الصهيوني والسياسة الأمريكية، كما يقدم الكتاب شهادة حية مدعمة بالوقائع والنصوص و الأرقام للدور الكبير الذي لعبته الصهيونية المسيحية في الماضي لمصلحة «إسرائيل» والدعم الهائل الذي تقدمه هذه الحركة لتنفيذ سياسات الصهيونية العدوانية التوسعية، وتستمد هذه النظرية أصولها الدينية من (سفر دانيال) الإصحاح السابع والثامن، و(سفر حزقيال) الإصحاح 38، كذلك (رؤيا يوحنا) الإصحاح 13.

الأمر المثير أنه في عام 1970م حذر القس بيلي غراهام - الإنجيلي التدبيري الشهير في هذه الطائفة - من أن العالم يتحرك بسرعة نحو هرمجدون، وأن الجيل الحالي هو آخر جيل في التاريخ !؟ وفي مناسبة أخرى يقول: إن أناسًا كثيرين يتساءلون عن هرمجدون وعن موقعها: إن الكتاب المقدس يعلمنا أن آخر حرب في التاريخ سوف تكون في هذا المكان في الشرق الأوسط [10].

إن ما جاء في (نبوءة دانيال( و(سفر حزقيال) و(رؤيا يوحنا) إنما تمثل المضامين السياسية لمستقبل العالم الإسلامي، وما قدمه جورج بوش الجد الأكبر لآل بوش في كتابه المشار إليه هو تفسير لتلك النبوءات وتقديمها في الوعظ الديني الكنسي.

إذ من الواضح أن هذه النبوءات هي التي تخطط السياسات وتضع الاستراتيجيات وفق نصوصها الموصوفة بأنها دينية، وهي تهدف لإزاحة الخريطة الإسلامية، والإستفراد بشعوبها وتفريقها وتقسيمها وبث الخلاف بينها وإثارة النعرات، ويسقط بذلك العالم، ويعود إلى الدين الحقيقي على حد تفسير بوش والتدبيريين لرؤيا دانيال ورؤيا حزقيال.



«النبؤة والسياسة» ترجمة نشرتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

لقد انتشرت هذه الأفكار بقوة بعد القرن الرابع الميلادي، بعد إعلان أغسطينوس رفضه هذه العقيدة، وإيمانه بأن ملك المسيح هو ملك روحي لا حرفي في مدينة الله، واختفت بعد ذلك حتى القرن السادس عشر في عهد الإصلاح الديني، حيث ظهرت مرة ثانية وانتشرت بقوة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، خاصة في أوساط العامة، أثناء قيام الثورة الفرنسية 1798 مسيحي إذ نفت هذه الثورة البابا بيوس الرابع إلى فالنسيا في فرنسا، وبذلك سقط حكم (الوحش). وهنا استخدمت هذه الرؤيا استخدامًا سياسيًا، إذ أكدوا - بناء على ذلك - رفضهم لحكم روما وسلطان البابا عليهم، وعدوا البابا هو الوحش المذكور في سفر الرؤيا، مما أصبح واضحًا تفسير أصحاب هذا المعتقد (الوحش 666) على أنه منذ البداية كان (نبوخذ نصر) ثم أي شخصية سياسية تعارض اتجاهاتهم السياسية، وهكذا يرى التدبيريون

10 - قاموس الكتاب المقدس عن مجلس الكنائس العالمي ص999.

أصحاب هذه العقيدة أن الثورة الفرنسية قد حققت نبوءة دانيال النبي!!

في 29 الصيف (يونيو) 1791 مسيحي طلب الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان من القس التدبيري بيلي غراهام أن يلقي خطابًا في مجلس التشريع في كاليفورنيا، في هذا الخطاب أعلن غراهام أن البديل الوحيد لمآسي العالم هو الخطة الواردة في الكتاب المقدس (رؤيا حزقيال ويوحنا) حيث إنه سيأتي يوم يتدخل فيه الله في تاريخ الإنسان و يأتي المسيح!![11].

لا بد أن نشير في هذا السياق إلى أن هذه الرؤى والنبوءات، وما صاحبها من تفسيرات، لها تأثير كبير على السياسة الدولية، وصارت هي المحرك الأساس لها باعتبارها المعتقد الخاص للشعب الأمريكي، وهي بذلك ليست منفصلة عن الواقع السياسي في المنطقة وقضاياها.

بل إن تأثير هذه التيارات الدينية وأفكارها الأصولية في العلاقة مع الغرب أمر لم يعد بالإمكان تجاهله، خاصة أن هذا التيار قد بدأ فعلاً في نقل معتقداته من حيز الإيمان إلى حيز الفعل والتنفيذ. تلك هي الأبعاد الحقيقية للمواجهة وللمخططات الأمريكية وسياساتها من أجل السيطرة على مواقع عديدة في العالم ، لتؤكد مدى سيطرة البعد الديني على خريطة الأحداث الدولية.

وفي كتابه (أقواس الهيمنة) يشير إبراهيم أبوخزام[12] إلى أن التفوق الأمريكي أصبح من حقائق الحياة التي سوف تستمر، كما أن الامبراطورية الأمريكية صارت فريدة في التاريخ، حيث التفوق الشمولي في المجالات العسكرية والاقتصادية؛ هذه الرؤيا المستقبلية التي يقدمها مؤلف الكتاب حول مستقبل العالم في ظل أقواس الهيمنة، إنما تؤكد أن الأسلوب الأمريكي في الحياة، وما يتسم به من جاذبية، أصبح استدعائيًا يثير الإعجاب، فأمريكا ليست قوة مسيطرة فقط ، وإنما هي ممسكة بمفاتيح السيطرة، ولن تسمح لغيرها بأن يقترب من منطقة السيطرة ومفاتيحها. ورغم أهمية ما يطرحه الكتاب إلا أن أهمية الجانب الديني في السياسة الأمريكية يبدو واضحًا عبر التاريخ في الأحداث الدولية للسياسة الأمريكية وتداعياتها على العالم.

**يتم وضع السياسات الأمريكية والغربية وفق نصوص توصف بالدينية تستند إلى الإنجيل والتوراة.**

النبوءات الدينية هي التي تخطط للسياسة الأمريكية، والطوائف الدينية في أمريكا قد عملت على تأكيد هذه النبوءات وتنفيذها على الواقع في أمريكا وخارجها، إذ تعتقد هذه الطوائف الأصولية الإنجيلية أن الحرب على العرب والمسلمين (الأشرار) وقتل أطفالهم ونسائهم هو عمل مقدس[13] وهو تنفيذ لأمر الرب كما ورد في سفر (دانيال) وسفر (حزقيال) الإصحاح 38، ويعتقد أتباع هذه الطوائف أيضًا أن الرب يبارك من يؤيد إسرائيل، بل إن قيامة إسرائيل وتفوقها وعودة بني إسرائيل هو واجب مقدس، الإصحاح 36؛ الغريب أن العديد من أتباع هذه الطوائف هم من الشعب الأمريكي، وهم يؤمنون بهذه العقيدة إيمانًا حرفيًا، حيث هناك إرساليات عديدة لنشر هذه الفكرة حول العالم، وخاصة بين مسيحيي الشرق، كما يؤمن هؤلاء

11- (رونالد ريغان والحكايات الخرافية عن هرمجدون ص 171 عن كتاب شهود يهوه).

12- إبراهيم أبو خزام: أقواس الهيمنة.

13- سفر حزقيال الإصحاح 38.

بأنه حتى يعود إليهم المسيح المنتظر لابد من تحقيق الآتي:

أ ) ـ عودة اليهود إلى فلسطين.

ب) ـ إقامة دولة يهودية.

ج) ـ التبشير باللاهوت الإنجيلي لجميع الأمم.

د ) ـ هناك شعوب لا تؤمن بالمسيح ستقود حربًا على إسرائيل وهم (الأشرار) العرب والمسلمون.

ويروج لهذه الآراء والمعتقدات عديد المبشرين، حيث تمتلك الأصولية الإنجيلية محطات البث الإذاعي المرئي وشركات الإنتاج الإعلامي، كما تمتلك المدارس والجامعات والشركات التجارية والمؤسسات البحثية والمقاعد في مجلس الشيوخ والنواب، إلى جانب امتلاك الصحف والمجلات والمصارف.

كما تعمل هذه الطوائف على إخضاع الآليات الحديثة والتقنية المتطورة لخدمة عقائدها وأهدافها، من ذلك أن مكوك الفضاء (تشالنجر) التقط صورًا سنة 1980 لما ادعى أنه بقايا مدينة توراتية أسطورية في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، بالتحديد في منطقة الربع الخالي، كانت تسير إليها سفن النبي سليمان من نواحي فلسطين بحسب الرواية التوراتية[14].

والجدير بالذكر أن الطائفة البروتستانية الأصولية هي أكثر الطوائف الإنجيلية في تبني المعتقد الصهيوني، وتعرف لذلك بالطائفة التدبيرية، ويبلغ عدد أتباع كنائسها أكثر من أربعين مليونًا، وهي تضم الشخصيات الأبرز في المجتمع الأمريكي سياسيًا واقتصاديًا وتربويًا وإعلاميًا، وحتى عسكريًا، ومعظم الأصوليين أتباعها يعلنون عبقريتهم بصراحة، وهم يعتقدون بتفوقهم على السود والهنود والكاثوليك والصينيين واليابانيين والهندوس والمسلمين، كما تدعي هذه الطائفة بأنها تقوم بعملية تجديد ديني بإحياء النصوص التوراتية والإنجيلية، وهي تخرج عن السلطان الكنسي التقليدي في فهم النصوص وتفسيرها، بعد أن كان ذلك خاصًا برجال الكنيسة وحدهم في الماضي، لكن هذه الحركة في الإحياء والتجديد لها أبعاد سياسية ونفعية لفئات تتستر بالنصوص الدينية لتحقيق مصالح معينة؛ وحيث كان تأييد إسرائيل مطلوبًا فإنها تقدم المسوغات لذلك باسم الرب، وحيثما كانت مواجهة الإسلام والحرب على المسلمين ومحو هويتهم فإنها تجد المبررات لذلك من النصوص «المقدسة» في التوراة والإنجيل، وحيث يكون الترويج للحرب لإنعاش تجارة السلاح فهي تدعو إلى ضرورة الحرب المقدسة. الأمر الأكثر غرابة أنه عندما يتناقض القرار الإسرائيلي مع النظام الدولي والشرعية الدولية والمعاهدات فإن السياسة الخارجية الأمريكية تعلن أن القرار الإسرائيلي يجب أن ينفذ ويحترم. لأنه يعكس إرادة الرب!! هكذا تقول نبوءاتهم في الأسفار المقدسة.

**المسلمون يرفضون القيم الغربية ويمثلون ايديولوجية عدائية لأمريكا والغرب، ولا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى لهزيمتهم»**

**مارجريت تاتشر**

إن ما يحرك الغرب المسيحي بطوائفه الدينية المتعددة هو معتقداتهم الخاصة ونبوءاتهم التوراتية التي بنوا منها نظامًا نظريًا عن عودة اليهود إلى أرض الميعاد وإقامة مملكة صهيونية تمهيدًا لعودة المسيح آخر الزمان!!!

تلك هي بعض دعاوى نصوصهم المقدسة !!

14 ـ صحيفة نيويورك تايمز.

ملف

# العلم والبعد الروحي للدين

د. صلاح الجابري *

إن التفكير العلمي مطلب ضروري لفهم الواقع وتغييره بما يتلاءم مع مصلحة الإنسانية وأهدافها العليا، وهو إذ يُعْنَى ببعد من أبعاد الواقع وليس بالواقع على الإطلاق ؛ فإن هناك جوانب متعددة من واقع الحياة لم يستطع العلم أن ينتهي إلى حلّ مُرْضٍ لمشكلاتها. فلا أحد يستطيع إنكار حقيقة التقدم التكنولوجي المذهل الذي حققه العلم الحديث في شوطه القصير، ومع ذلك فإن آمال البشرية بالحرية والعدالة والعيش بسلام ما زالت أحلاماً يقصر العلم عن تحقيقها. ويكفينا بياناً الوضعُ الراهنُ للعالم، فإذا أردت أن تدرك هذه الحقيقة فما عليك إلا أن تضع التقدم العلمي وطريقةَ التفكير العلمية في ذهنك، ثم تنظر وتتأمل الطريقةَ التي يُدارُ بها العالم. لذلك لا يمكن أن يقال إن العلم وحده قادر على خلق إنسانية صالحة (حقيقية). قد تقول إن سبب ذلك هو سوء استخدام الإنسان للطريقة العلمية في التفكير، وهذا صحيح، وربما دقيق، لكن القائل نفسه ليس لديه من الضمانات الكافية التي تحول دون وقوعه في هذا الازدواج المعياري الذي هو مصدر عذابات الإنسانية وويلاتها. سينتهي بك التسلسل لا محالة إلى المراهنة على نوعية القيم التي تحملها، وها نحن نعود مرة أخرى إلى الدين، كقاعدة سلوكية، لا يستقيم سلوك الفرد دون أن يتخذ منه أساساً في العمل والتفكير في مجالات خاصة. وربما هذا ما يريده الإسلام وما تهدف إليه فلسفته في الحياة، يريد أن يؤسس الحياة الاجتماعية على معايير تضمن عدالة العلاقات التي تحكم الإنسان بالآخر، ووفقاً لذلك ستتخذ الطريقة العلمية دورها الحقيقي ومجالها الصحيح الذي يؤدي إلى إنتاج يتزامن مع ضمان استقرار الإنسانية وحمايتها من تدهورها الذاتي المحتوم في غياب تلك المعايير.

إن المفارقة حادة ـ في الغرب اليوم ـ بين التقدم العلمي وتدني المعايير الأخلاقية والإنسانية، وهذا مؤشر على أن العلم عندما ينتج تقنيات حربية فهو لا يضمن ـ بحكم أهدافه وآلياته ـ حماية الإنسانية من الخطر الذي يهدد وجودها، ولن يستطيع العلم أن يقدم هذا الضمان، فإذا كان بإمكانه أن يصنع قنبلة نووية فليس بإمكانه أن يخلق

* كاتب وأستاذ جامعي / ليبيا

إنساناً، وأثبت العصر الحديث أن العلم يمكن أن يحوّل مجتمعا بأكمله إلى مجتمع متوحش ودموي ؛ لأنه لا يمتلك آليات حماية نفسية أو قيمية.

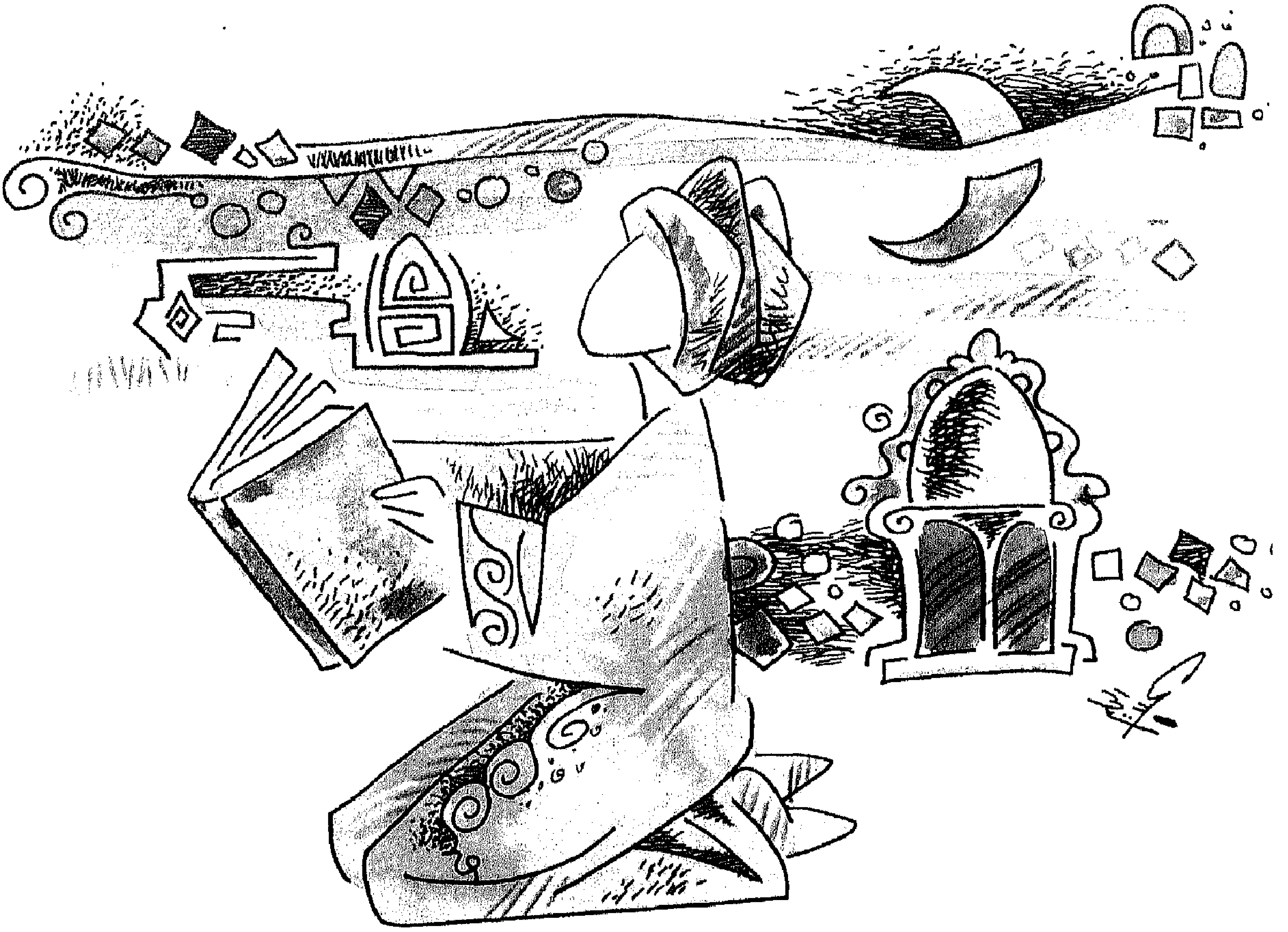
لذلك فالبناء النفسي للإنسان الذي يَخُصُّ بُعْدَهُ الأخلاقي مسألة جوهرية وقاعدة تحتية لازمة لكل عملية نهوض حضاري إنساني، وهذا البناء هو الهدف الجوهري من الدين الرسالي، الذي يعبر عن مشروع إنساني لا يرتبط بشعب دون آخر، ولا بعرق دون آخر. وقد عبَّر الإسلام عن هذه الرسالة الإنسانية، وتؤكد فلسفته في الحياة أن منفعة أي علم أو ممارسة أي سلوك متعلقة بقاعدة سلوكية تؤمّن العدالة والمنفعة الجمعية، التي تضمن للإنسانية خلاصها من خطر الحرب المدمِّرة والرعب النووي، ومن قلقها وحيرتها الدائمة تجاه الحياة وأهدافها.

إذن.. العلم ليس الميدان الوحيد الذي يعبِّر عن حاجة إنسانية جوهرية، فالدين يعبر أيضاً عن حاجة جوهرية، لا يمكن الاستغناء عنها والتقليل من خطرها، بل إننا نرى، ومن منطلق فلسفتنا الإسلامية، أن الدين أكثر جوهرية وضرورة من كل النشاطات البشرية الأخرى ؛ لأنه القاعدة التي تُبنَى عليها سائر نشاطات الإنسان الأخرى، فإذا صلحت هذه القاعدة كان البناء العلوي سليماً ومضمون البقاء، وهذا الضمان هو الذي يخلق الطمأنينة والاستقرار النفسي، بدل الخوف والقلق والرعب الدائم من مستقبل الحياة. ونحن نذهب إلى أبعد من ذلك، إلى القول بأن إهمال الدين وتركه في يد حفنة من الجهلة والفقهاء المتزمتين هو الذي أفقده قيمه، وحوّله إلى مجرد وسيلة لتحقيق مآرب سياسية، من خلال أساليب التكفير الذي خلق أرضية الإرهاب، ولا أعلم ديناً قدم وسائل علاج عدوانيةِ الإنسان وتوحشِهِ مثلما قدّم الإسلام ونبيُّه، ومع ذلك نشاهد أحداثاً تدميرية، ربما تفوق خطر القنبلة النووية الغربية أو الإسرائيلية، تحصد أرواح آلاف الأبرياء، باسم الدين والإسلام.

فإذا كنا ننعى على العلم أنه لم يقدم آليات حفظ الكيان الإنساني، في الوقت الذي قدَّم فيه خدمات خيالية للإنسانية، فماذا نقول عن الدين ؟ هل هو أيضاً لم يقدم آليات تحصين الفرد من النكوص إلى وحشيته ؟

**إن المفارقة حادة في الغرب اليوم بين التقدم العلمي وتدني المعايير الأخلاقية والإنسانية، وهذا مؤشر على أن العلم عندما ينتج تقنيات حربية فهو لا يضمن ــ بحكم أهدافه وآلياته ــ حماية الإنسانية من الخطر الذي يهدد وجودها.**

للدين بعدان متكاملان، إذا تم التفكيك بينهما، واحتفظ الإنسان بأحد الأبعاد دون الآخر، يفقد قدرته على تحصين الإنسان. وهذان البعدان هما : البعد السياسي، والبعد الروحي. وأعني بالبعد السياسي السلطة، والصراع السياسي والعسكري حولها، وثانياً الفكر التبريري لتاريخ السلطة، وثالثا - وهو مرتبط بالجانبين المتقدمين - التمذهب والتحزب الديني. وأنا أعني بالتمذهب هنا ليس الاختلاف العلمي في الآراء والاجتهادات الفقهية، وإنما أعني التمذهب الفكري المرتبط بتبرير السلطة والعمل على بلوغها بأي شكل من الأشكال. إن الإسلام الممارس بكل أشكاله عبر تاريخنا الطويل يرتكز على المعنى الأخير، الإسلام السلطوي، أو المذهبي. في حين يتم تغييب البعد الروحي، ولا يعطى له الحيز المناسب، على الرغم من أنه البعد الأكبر في نظر الإسلام. وهذا الإسلام السياسي، بحكم كونه يمارس حالة صراع دائمة مع



كتل معارضة.. منافسة، شجع أساليب التكفير ضد المنافس، في أي جناح من أجنحة المعارضة، فتشكل لدينا تراث من التكفير امتد تدريجياً حتى شمل الاختلاف العلمي في المسائل الفقهية، بل امتد - بطريقة مثيرة للسخرية- ليشمل الميدان العلمي الطبيعي الدقيق، فقد جرَّ حماس التكفير بعض الفقهاء إلى الحكم بتكفير وقتل من سلم ببعض الحقائق العلمية، وقد قمنا بتربية أجيال من الشباب نعلِّمهم كيف يمارسون التكفير، بدل التفكير، أعني كيف يشكلون مواقف سياسية مبررة دينياً تجاه الآخرين، هذا الآخر الذي اتسع بسبب هذه الممارسة ليشمل لا الغرب المسيحي أو اليهودي وحده، بل شمل كل ما هو مختلف حتى في دائرة الدين الواحد. بتعبير آخر : كل ما لا يشبهني فهو ليس مني، وبالتالي يجب أن لا يكون، وبتعبير يحكي عن لسان حالهم، على الله أن لا يخلق من يختلف عني، وإذا خلقه فأنا سأقتله، أعدمه، أسحقه...!!

لا توجد في هذا البعد في حد ذاته أي آليات تصون مبدأ العدالة التي يفترض أن تحكم العلاقة بين أفراد المجتمع المختلفين، هذه الآليات توجد خارج هذا البعد، توجد في البعد الثاني (الروحي) المغيَّب عن الساحة، والمحارَب في كثير من الأحيان، لأنه يتصادم مع آليات القمع التي يمارسها البعد الأول ويبررها بانتقاءات واختزالات مقصودة. البعد الروحي هو الذي يحتضن آليات الارتقاء بالوضع الإنساني إلى أسمى مستوياتها، وبغيابه تختفي هذه الآليات عن مسرح الممارسة الفعلية، وهنا مكمن الكارثة، فلقد انقسم المسلمون إلى فئات تُعْنَى بالبعد الأول دون الثاني، وأخرى تعنى بالبعد الروحي دون الأول. وقد وجد هذا تشجيعاً من الأسر الحاكمة

وغيرها، حماية لنزعة التبرير الدينية، لكن وبال هذا الأمر كان أكبر، إذ تحوَّل إلى ثقافة وتربية تلقَّن للصغار والكبار، فأنتج أجيالاً إما منكفئة على ذاتها ومنعزلة عن المجتمع، وإما منافحة من أجل السلطة بأساليب لا تنتمي إلى الدين، وانتهت أخيراً إلى تبرير الإرهاب، فالإرهاب وليد واقعي للبعد السياسي المنفك عن البعد الروحي في الإسلام، والإرهاب واحد في آلياته وقسوته في كل بيئة ينشأ فيها، سواء البيئة التي نشأت فيها النازية، أو الجيش الأحمر، أو الحركة الصهيونية، أو الجيش الأيرلندي السري، أو الحركات الأصولية التي تمارسه في العالم الإسلامي. والاختلاف الوحيد ليس في طريقة القتل والتدمير كما يتوهم بعض المحللين، بل في التبرير فقط، فهذا تبرير ديني، وذاك تبرير عرقي، أو سياسي... وهكذا.

أعود إذن إلى النقطة الجوهرية، وهي أن التربية الدينية المنهجية استندت إلى تعليم الاختلاف على أنه خروج على المقدس، على الرغم من تعدد هذا المقدس واتساعه، حتى شمل المذاهب والأشخاص والقادة التاريخيين، وزرعت في النفس الفردية والوعي الجماعي خوفاً غير مبرر من هذا المختلف، ودربت الشباب على التكفير، فأصبح ممارسة مزاجية، حتى يخيل إليك وأنت تقرأ الفقه وكأنه شتائم، فقلما يخلو كتاب، قديم أو حديث، من شتيمة أو لعن، فأصبح العصاب الديني سمة جماعية تميز مجتمعاً من المجتمعات عن غيره. وإذا أضفنا إلى هذا قلة الاهتمام ـ وربما انعدامه ـ بالبعد الروحي والأخلاقي، الذي يذوب حدة ذلك العصاب ؛ ندرك حجم المأساة وخطرها على المجتمع. فبغياب آلية كبح جماح العصاب الجماعي، لا يمكن للعمل الفقهي، العلمي أو الأصولي، أن يشكل رادعاً لذلك العصاب الذي قد يفجر في الفرد عدوانيته، أو (الوحش القابع في داخله) على حد تعبير علماء النفس. فهل نحن ندرِّس العدوانية ؟ بعد أن جردنا تراثنا من كل بعده الروحي والإنساني، واستبقينا صراعاتنا التاريخية، التي أضفينا عليها طابع القداسة، ثم شكلنا علمنا وثقافتنا على صورة ذلك الصراع، وبالمحاكاة معه؟؟. يبدو أن ذلك هو الأقرب إلى الصواب، فعلنا ذلك، فخانتنا، بعد ذلك، شجاعة التصحيح، خوفاً من الاتهام، من الردة، التي يمنحها كل مذهب معنى ينسجم مع منطلقاته وطموحاته.

**البعد الروحي هو الذي يحتضن آليات الارتقاء بالوضع الانساني إلى أسمى مستوياتها، وبغيابه تختفي هذه الآليات عن مسرح الممارسة الفعلية.**

المخرج الوحيد من أزمة الإفلاس الفكري هذه هو تفعيل البعد الروحي والأخلاقي، وتمتلك فلسفة الإسلام تراثاً ضخماً من الروحية، تنطلق بالإنسان نحو المطلق، وتنتشله من حضيض الممارسة اللاإنسانية ؛ لترتقي به في سلم ذي درجات لا متناهية، فتشعل فيه جذوة الحب، فتغيبه عن ذاته، لكنها لا تغيِّب وعيه بالآخر، بل تجعله يدرك فيه أجمل آيات الخلق الإلهي، مهما كان مختلفاً، وهي مرحلة إبصار يعجز البصر الطبيعي وهو في حضيض الصراع السياسي أو الاقتصادي أو غيره، أن يحقق مثلها، أو قريبا منها أبداً.

الإنسان في فلسفة الإسلام لم يخلق في مرتبة وجودية واحدة ساكنة لا يبرحها من بداية حياته حتى مماته، كلا، إنما هو في حركة وارتقاء دائمين، منذ أول لحظات حياته، وحتى مماته، وربما بعد الممات. وقد وفر له الدين وسائل ذلك التحرك التهذيبي، ففيه يكتسب طاقة لا تنضب، تتزايد طرداً بتزايد

ذلك الارتقاء حتى بلوغه أقصى الدرجات الممكنة. هنا تفاضل في الارتقاء، نجده حتى في اليوم الآخر، في الجنة، وكذلك في النار. وهذا التفاضل لا يمكن فهمه إلا في ضوء هذا الارتقاء الروحي في الدنيا، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾

[سورة الانشقاق، الآية:6]

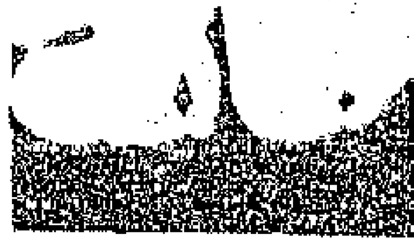
هذا الاقتراب الإنساني من ساحة الحضرة الإلهية المقدسة، فيه درجة من القرب يصبح فيها الإنسان – على ما جاء في الحديث القدسي، يسمع بسمع الله، ويرى بعين الله، ويدرك بالله أيضاً. هذا إنسان اعتصم بالله، فلا خوف عليه من السقوط في حضيض الصراع البهيمي، فتتحول الإنسانية في وعيه إلى قيمة عليا، وهنا تتجسد حقوق الإنسان في أسمى صورها، فلا يمكن أن نتصور طروء أي لون من ألوان العبث والعدوانية والعصاب على سلوك هذا الإنسان الكامل.

في هذه الفلسفة وحسب، يمكننا أن نفهم مبلغ الحاجة إلى الدين ؛ فعندما يتأزّم الوضع الإنساني، بسبب التقنية، أو الجهل، أو السياسة والعسكر؛ فالمنقذ الوحيد للإنسانية من ظلامها وليلها هو هذا البعد النوراني للدين، الجوهر الحقيقي الذي تصبح كل المعاني الأخرى مجرد أعراض، لا تكتسب معناها الحقيقي إلا إزاءه، وحين التوحد به.

من هنا يحق لنا أن نحكم بخطأ (أوجست كونت) الذي نظر إلى الدين بصفته مرحلة تجاوزها تطور الفكر البشري، مثلما تجاوز الفكر الميتافيزيقي، إلى الفكر العلمي أو الوضعي، الذي هو سمة العصر الحديث وحاجته الجوهرية والوحيدة التي تكفل له التقدم المادي والاستقرار النفسي الدائم. وللأسف فإن العديد من مثقفي عالمنا العربي ما زالوا يرددون كالببغاوات هذه العبارة الخاطئة أو الكاذبة تماماً. وتحقيقا لمآرب سياسية، راحوا يلتمسون تبريراً لذلك بربط الدين بالأسطورة. وذلك - في رأينا - يعبر عن جهل واضح بالدين وسماته التي تميزه عن الأسطورة، كما يتميز هذين عن الفكر العلمي.

والحقيقة أننا يجب أن نميز بين الفكر الديني والدين، فالفكر الديني ينطوي على نزعة التعامل مع الدين كأيديولوجيا، وهذا ما يجعله في حالة صدام وصراع مع ألوان الفكر الحر الأخرى كالفكر العلمي والفلسفي؛ فعلى الرغم من ضرورة الدين، وخصوصية وظيفته التي لا يمكن أن يشغلها أي ميدان علمي أو فلسفي آخر، فهو له ميدانه الخاص أيضا، ولا يمكن أن يكون بديلاً عن العلم أو الفلسفة. والدين الحق هو في توافق وانسجام تام مع العلم الموضوعي والفكر الفلسفي الحر، ولذلك فالدين كقاعدة أخلاقية وروحية تحتية شيء، والفكر الديني، كأيديولوجيا شمولية ترفض ألوان التفكير الأخرى، وتريد أن تحتل محلها، شيء آخر. ويمكن للإنسان أن يجمع أصناف التفكير الثلاثة في شخصه من دون تضارب : فأنا مع ظواهر الطبيعة وفهمها أسلك سلوك العالِم، وفي تأملاتي بالحياة والإنسان والكون والبرهان فأنا فيلسوف، وفي علاقاتي مع الآخرين ومع المجتمع - من الناحية الحقوقية والسلوكية - فأنا أخلاقي متديّن. ولكن عندما أدرس المجتمع، في علاقاته الداخلية، وبنيته، والقوانين المتحكمة في السلوك الاجتماعي؛ فيجب أن أكون عالماً أيضاً.

**عندما يتأزّم الوضع الإنساني، بسبب التقنية، أو الجهل، أو السياسة والعسكر؛ فالمنقذ الوحيد للإنسانية من ظلامها وليلها هو هذا البعد النوراني للدين.**



# منهجية الإسلام

محمد رجاء حنفي *

يعد الإسلام الدين الخاتم لجميع الأديان السماوية السابقة، وهو دين عام للناس جميعا، فلا نبي ولا رسول بعد رسول الله ﷺ ولا دين ولا رسالة بعد رسالة الإسلام.

والإسلام لم يأت خاصا لجماعة بعينها، ولا لقبيلة بذاتها، ولا لمكان محدود دون آخر، ولا لزمان ينتهي بعد انقضائه، وذلك لأن الإنسانية شبت به عن الطوق، وهو الدين الذي يخاطب العقل، ويحتكم إليه في كل أموره.

ونصوص القرآن واضحة كل الوضوح في أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، يقول الحق عز وجل:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: 40]

ونصوص القرآن صريحة بعموم رسالة الإسلام، يقول سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 158]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 1]

ويقول رسول الله ﷺ: (كان كل نبي يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود).

ومما يؤيد ويؤكد عموم رسالة الإسلام أنه اعتنى بمطالب الجسد والحياة والأحياء، بقدر ما اعتنى بالناحية الروحية، سواء بسواء، فطالب الإنسان بأن يرقى في دائرته الإنسانية وليس في طبيعة أخرى خارجة عن طبيعته، ورقيه يكون بالمثل الإنسانية السامية التي تتمثل فيه، ويمثلها هو والإسلام لا يطلب منه أن يكون ملاكاً، كما أنه لا يريد له أن ينحط عن بشريته وينزل بها إلى درك الحيوانية. يقول المولى عز وجل:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ

---

* باحث في الدراسات الإسلامية / مصر

أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: 77]

فهذه الآية القرآنية واضحة كل الوضوح في مراعاة الطبيعة الإنسانية، فلقد اعتنى الإسلام بأمرين: الإيمان بالإنسان، وإشباع حاجاته وغرائزه عن طريق سوي، حيث نظر الإسلام إلى واقع الإنسان، باعتبار أن التدين غريزة ثابتة فيه وفطرة طبيعية.

ومن أدلة عموم رسالة الإسلام أنه دين العلم والعقل، فقد دعا إلى التدبر والتأمل، وجعل التفكير فريضة وعبادة.

ولقد علم مبدع الكون ومنشئه، وخلق العقول والأفكار، ومصدر المعارف والعلوم، ومبدئ الأنوار والإلهامات، أن الناس في الفهم والتفكير، وإدراك الحقائق، والوصول إلى المعرفة؛ لن يكونوا متماثلين ولا متشابهين، وإنما سيكونون في هذا الأمر على درجات متفاوتة، ومراتب مختلفة، وفرق متناقضة، بل ستفصل بينهم فروق شاسعة، وهُوّات سحيقة.

**من أدلة عموم رسالة الإسلام أنه دين العلم والعقل، فقد دعا إلى التدبر والتأمل، وجعل التفكير فريضة وعبادة.**

ولو أن الخالق المبدع، العليم بكل شيء، جعل الطوائف كلها في مستوى واحد، ونظرتهم إلى الأشياء بمنظار واحد، وانحصارهم في دائرة واحدة، وتطلعهم في المعرفة إلى أفق واحد؛ لكان ذلك مبايناً للحكمة، ومنافياً للعقل، وبالتالي متعارضاً مع العدالة.

ومن هنا فإن المولى تبارك وتعالى، وهو الحكيم الخبير، قد رسم للمعرفة طريقاً تتلاءم وتتناسب مع جميع العوطف البشرية، وتتسق مع جميع العقليات، وتباين الملكات، ولقد أشار إليها جميعاً القرآن الكريم.

## الطريق الأول: طريق النظر

ولهذا الطريق للوصول للمعرفة مرحلتان:

**المرحلة الأولى:** أرضية، وهذه المرحلة من أشد المراحل بدائية، وألصقها بالأرض، وأقربها إلى السذج والبسطاء، حيث إنها تخاطب العامة بما تحت أيديهم من معلومات، وما تحت أبصارهم من مرئيات، ثم توجههم إلى استنباط ما هو بعيد عنهم، لعلهم يهتدون. يقول عز وجل في محكم كتابه:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية، الآيات: 17-20]

وإننا لو تأملنا هذه الايات الكريمة لوجدنا أنها تنزل إلى مستوى العامة، وتجاريهم في أفكارهم البدائية، والتي عبرّت عنها العقلية البدوية الجافة منذ القديم، فتقول: إذا كان البعر يدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفلا يدل هذا العالم على العليم القدير؟!.

**المرحلة الثانية:** نصف أرضية ونصف سماوية، وهذه المرحلة أرقى من المرحلة السابقة، وقد جعلها المولى سبحانه لمن لديه جانب من رقي العقل، ورفع وجهه إلى السماء ينظر فيها، لا ينظر إليها، إذ أن النظر إلى الشيئ نظر حسي قوامه البصر، والنظر في الشيء نظر عقلي قوامه الذهن المعتمد على الحس، وقد يكون ماهو أسمى من الذهن، وهو إعمال الفكر الصافي المجرد من الموروثات والعادات والتقاليد البالية. وقد سما القرآن الكريم بهذه الفئة من مجرد النظر إلى السماء إلى النظر فيها، عن طريق التأمل في سر خلقها ووجودها، يقول جلت حكمته:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [سورة ق، الآيات :6-10]

ثم انتقل هذا الإرشاد الإلهي بهذا الفريق من مرحلة النظر في الشيء، إلى درجة النظر في إبداع السماوات، وسير الكواكب في أفلاكها، ودورانها حول محورها، دون أن تتلاقى أو تتلاحق أو تتصادم. وفي التأمل في هذا الملك العظيم، ودقة صنعه، وإتقان إبداعه، وإتمام رعايته، وكمال العناية به؛ والوصول من هذا كل إلى نتيجة يقينية، وهي وجود خالق الكائنات ومبدعها وباريها وراعيها، وفي هذا يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 164]

ويقول سبحانه :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: 190، 191]

### الطريق الثاني: طريق الأسباب والمسببات

إن هذا الطريق موجه إلى فريق من الناس لا يقنعه سوى ما تفعله الأسباب في مسبباتها، ولا يرضيه غير التأمل في نشوء المسببات، ولا يرى طريقاً آخر للاستدلال على وجود الخالق المبدع سبحانه عز وجل إلا هذا الطريق.

وهي طريق ينتقل بها المفكر من درجة النظر إلى الكائنات بعين البصر في الموجودات، إلى درجة النظر بعين الذهن المعتمد على الحواس، وعندئذ يتحقق له استنتاجه المقصود، وهي وسائل لغاية واحدة. فمن الآيات القرآنية الكريمة التي تربط الأسباب بمسبباتها قول المولى سبحانه :

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

[سورة النحل، الآيات:10-13]

وللاستدلال على البعث بقول سبحانه وتعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾

[سورة ق، الآيات:9-11]

### لإعمال الفكر في القران الكريم طرق متعددة

إن الطريقين السابقين اللذين اتخذهما القرآن الكريم مثلاً ونموذجاً على أعمال الفكر، ليسا هما كل ما في القرآن الكريم من طريق لإثارة العقل وإعمال الرأي، ففي القرآن الكريم طرق أخرى تدمغ الفكر، بسيطا كان في تكوينه وتوجهه، أو واعياً راغباً في الوصول بجوهره لليقين، من أجل تحريره من التقليد، أو التسطح أو التبلد، ولحمله على التأمل والتدبر، ونزع الأقفال، حتى يصل إلى الفاعل الواجد الموجود بالقوة وبالفعل سبحانه عز وجل.

ولقد لام القرآن الكريم الذين لا يلتفتون إلى كل ما يحيط بهم ولا يتدبرونه، ولا يستفيدون منه بما يعود بالخير على الحياة والأحياء. ويقول سبحانه وتعالى :

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: 105]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد، الآية: 24]

**مبادئ هي منهج الإسلام ودلالة عموميته**

ومما يؤكد عمومية الإسلام ويدل على منهجيته الواقعية، في أمور الحياة، ومعالجة مشاكلها، ووضع الخطوط العريضة للحياة المثلى التي يجب أن يسير عليها الناس مهتدين بهديها في حياتهم ومعاشهم، وأمور كثيرة ومتعددة.. من بينها :

❖ أباح الإسلام كل ما كان طيباً وملائماً للفطرة، وحرَّم كل ما كان من شأنه أن يضر بالفطرة ولا يناسبها. يقول الحق جل شأنه :

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل، الآيتان: 114، 115]

❖ دعا الإسلام إلى احترام الأديان التي سبقته، وترك أهلها وما يدينون به، دون أن يتعرض لهم أحد، بل لا يكمل إيمان المسلم إلا إذا آمن بالأديان السماوية السابقة الصحيحة، واحترم كتبها ورسلها، مصدقا لقول المولى سبحانه وتعالى :

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 136]

ويقول سبحانه :

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 285]

❖ أرسى الإسلام قواعد التعايش السلمي لتطيب الحياة ويسعد الناس جميعاً، وليعيش العالم كله في سلام، فأمر بالعدل والوفاء بالعهد وإعطاء كل ذي حق حقه، يقول المولى سبحانه مقرراً حق المسلم في المودة والمؤاخاة والمناصرة:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: 71]

أما غير المسلم فله حق البر والعدل والمودة بالحق، يقول عز وجل:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: 8]

❖ منع الإسلام التعرض لأهل الكتاب بأي لون من ألوان الأذى، أو الاعتداء عليهم، طالما لم يقم الدليل لدى الحاكم على قيامهم بإحداث فتنة أو قلاقل تعرض أمن الدولة ومصلحتها للخطر، وطالب بأن يكون الحديث معهم بالكلمة الطيبة، ودعوتهم بالحسنى. يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا

وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 46]

وزيادة في الإنسانية لم يحرم الإسلام أكل طعامهم، بل جعله حلالاً للمسلمين، وبالتالي فأكلهم من طعام المسلمين حلال لهم، كما أباح الإسلام للمسلمين أن يلتقوا مع أهل الكتاب في مصاهرة ونسب، وأباح للزوجة الكتابية أن تظل على دينها، وأن تذهب إلى كنيستها أو بيعتها، في حرية كاملة وبر مكفول . يقول الحق جل جلاله:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾
[سورة المائدة، الآية: 5]

ويقول الرسول ﷺ (من آذى ذميا كنت أنا خصمه ومن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة)، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: (من آذى ذميا أذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى).

هذا ومن القواعد المقررة في الإسلام، في شأن أهل الكتاب الذين يقيمون داخل الدولة الإسلامية، أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين في الحقوق والواجبات كافة.

❖ جعل الإسلام للحرب صورة مشروعة لإحقاق الحق واستتباب الأمن ورد العدوان، يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾
[سورة الحج، الآيتان: 39، 40]

❖ الإسلام يجنح إلى السلام ويميل إليه، حقنا للدماء وإرساء لقواعد الأمن، يقول سبحانه :

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 61]

بيد أنه في نفس الوقت يطلب من المسلمين أن يكونوا على يقظة تامة، وعلى أهبة الاستعداد، مصداقًا لقوله سبحانه :

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 60]

❖ طالب الإسلام المسلمين بوجوب المحافظة على النفس والعرض والمال والدين والعقل، وهذه هي الضروريات الخمسة في الإسلام، وهي التي سيكون السؤال عنها يوم القيامة.

❖ الإسلام زاخر بالمبادئ، وحافل بالقيم والتعاليم، ومليء بالنماذج، وبه العديد من المثل والقواعد السلوكية، التي تحفظ على الإنسان كنهه وكيانه وآدميته واحترامه، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتعرض لها بما يتلاءم مع الفطرته البشرية، فجاء كاملا متكاملا، ليس به أدنى ثغرة،، يقول تبارك وتعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: 3]

❖ الإسلام نعمة ورحمة وشفاء وخير للمؤمنين، وخسارة لمن كفر به، ولا يرد النعمة إلا شقي، ولا

يرفض الرحمة إلا المجنون، ولا يرد الخسارة إلا من اتبع هواه وسار وراء وسوسة شيطانه، يقول سبحانه:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[سورة المائدة، الآيتان: 15، 16]

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 82]

❖ طبيعة الإسلام مرنة، لأنه يحمل بين طياته مرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان، فباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه من أجل الوصول إلى الأحكام العلمية والعملية التي تفيد الحياة وتتطور مع تطورها، إذ أن الإسلام لا يعرف الجمود، بل له في كل قضية رأي، وفي كل حكم نظر، ولديه لكل مشكلة حل، ولكل سؤال جواب. والدليل على ذلك هو أن الإسلام عاش وسيعيش إلى أن يرث الله الإرض ومن عليها، مهما تغيرت الظروف زماناً أو مكاناً، أو تلاءمت معه شرقا أو غرباً.

❖الإسلام راعى العادات والتقاليد السائدة الصالحة، ولم يختلف معها في الأحكام الجزئية الشرعية، حرصاً على المصلحة العامة، ودفعاً للحرج، وإبعادا للمشقة، يقول الحق جلت حكمته :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

[سورة البقرة، الآية: 185]

ويقول عز وجل في محكم كتابه :

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

[سورة الحج، الآية: 78]

❖ سنّ الإسلام القواعد الكلية للمحافظة على المقاصد العامة، تطبيقاً لقول رسول الله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار).

الإسلام دين المساواة بين البشر، فالناس جميعها مردهم إلى أب واحد وأم واحدة، وهذا ما تدل عليه الآية القرآنية الكريمة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: 13]

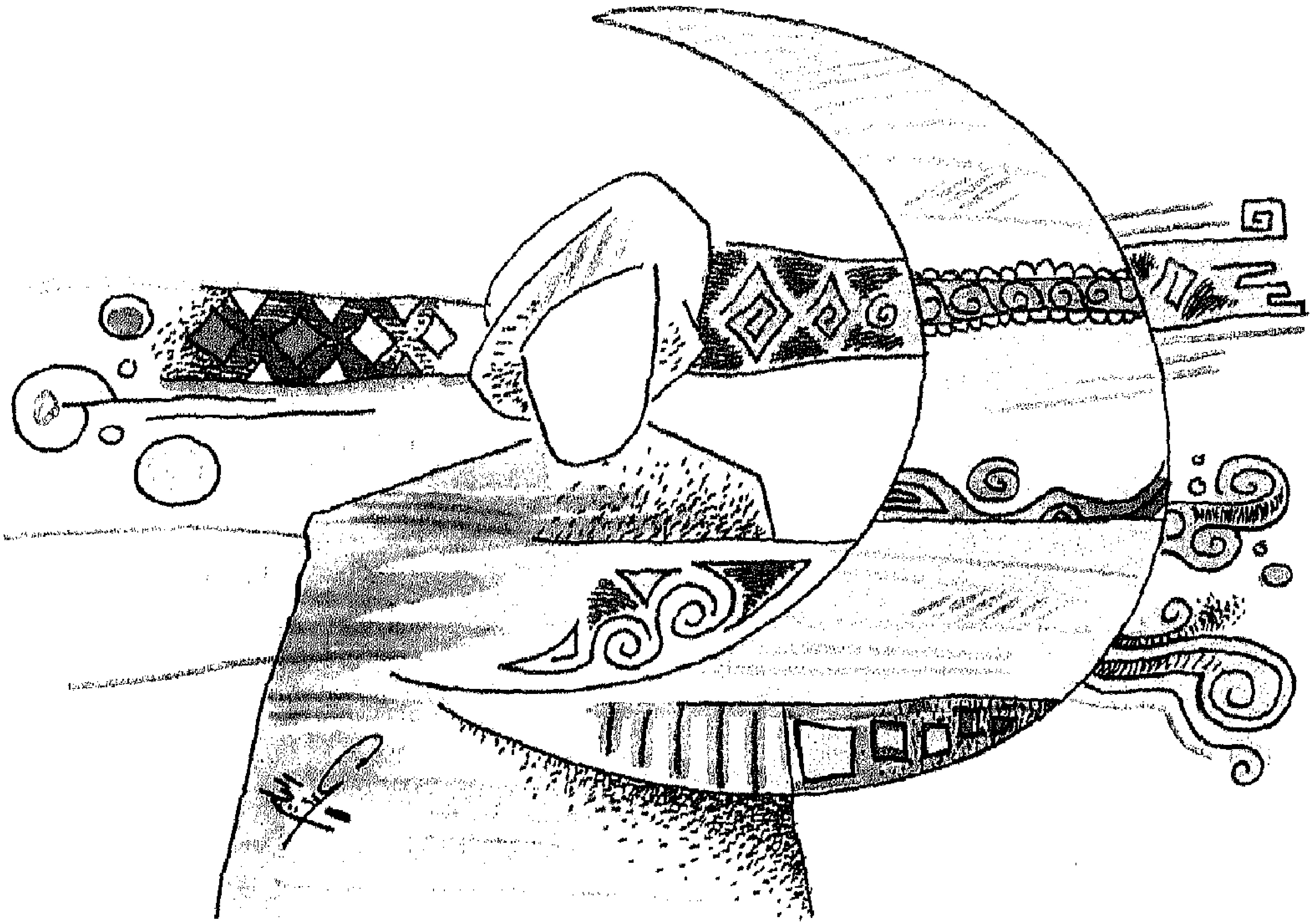
ويقول رسول الله ﷺ: (الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فالتقوى والعمل الصالح والالتزام بالشريعة؛ هي محك الإيمان قوة وضعفاً، إيجاباً وسلباً.

ومن هنا كان أساس التفضيل عند المولى سبحانه وتعالى، وقاعدة المساواة، هو أن يتقن الإنسان عمله، ويقوم به على الوجه الأكمل، فلا يركن إلى حسب أو نسب أو غنى أو منصب، ويرعى حق المولى سبحانه، وحق نفسه، في كل ما يقدم عليه من عمل وإن صغر، ولا يحقر عمل غيره وإن قل، ولا يدعي لنفسه عملاً لم يقم به، أو لم يؤده على الوجه الأكمل، وأن يعرف حجمه في المجتمع بحسب وضعه وعمله وجده واجتهاده، أو بمعنى أشمل وأعم أن يضع نفسه في موضعها الصحيح، ويعرف قدره.

هذا غيض من فيض، أو قطرة من بحر كما يقال، فالإسلام يستهدف أمن الإنسان وطمأنينته وسعادته، ويرسم منهج حياته فرداً وواحداً في المجتمع، ويوضح سبل حمايته من نفسه ومن غيره.

وبعد..

فالحقيقة أن الإسلام يضع منهجاً كاملاً ومتكاملاً من حيث النظرية والتطبيق، وهذا المنهج يضمن لكل مسلم الاتزان النفسي والفكري والحضاري والاجتماعي والاقتصادي، وهذا لم يرد - على وجه الإطلاق - في أي نظرية من النظريات التي



وضعها البشر حتى اليوم، حيث إن هذه النظريات قد تنجح في بعض الجوانب، وتفشل في البعض الآخر، وقد لا تنجح في أي جانب من الجوانب.

إن الإسلام يقدم فكراً شاملاً متكاملاً عن أصل الحياة وأصل الإنسان والهدف من الحياة، كما أنه يقدم فلسفة أخلاقية رفيعة، تأخذ بيد الفرد والمجموعة نحو حياة مثالية، تصل به إلى ما فيه خيره وسعادته.

والإسلام يضع نظرية للمعرفة تطيح بالفلسفات الوضعية كافة، وإلى جانب هذا فهو يرفض تماماً أن يكره أحدا على الدخول فيه، ولا يتوصل إلى الاقتناع به عن طريق المناقشة الهادئة الهادفة، واستشارة العقل وإعمال الفكر والمنطق. يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ...﴾
[سورة البقرة، الآية: 256]

ويقول عز وجل:

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾
[سورة الكهف، الآية: 29]

إن المشكلة الحقيقة التي يواجهها الإسلام لا تكمن في مبادئه وقيمه ومثله، وهل هي صالحة لكل زمان ومكان أم لا، ولكن المشكلة تكمن في المسلمين أنفسهم، تكمن في أولئك الذين يفرطون في أعظم منحة وهبها لهم المولى سبحانه وتعالى، وهي منحة الإسلام، وذلك عندما يستغرقون في المباحث الفلسفية، ويدرسون النظريات الوضعية، دون أن يدرسوا الإسلام دراسة كافية، ومن غير معرفة بكتاب الإسلام وأحكامه التشريعية، ودراسة الجوانب الرائعة في الفقه الإسلامي، التي تؤكد أن الإسلام هو دين الإنسانية، الصالح لها في كل زمان ومكان.. وإلى آخر الزمان.

نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظ الإسلام من خصوصه، ومن أتباعه الذين يهاجمونه، ولن يستطيعوا أن ينالوا منه شيئاً، فهو عام وجامع مانع.

# فضاءات التخييل وتأويلاته في تحليل النص

د. مشكور كاظم العوادي *

يبقى استشراف المعنى أول المهمات في التحليل الأسلوبي والبياني، لما له من صلة بعلائق الذهن ومسارب النفس وفضاءات الوجود، فمن تلك المعاني يقف معنى التخييل، وهو أن يجعل الشاعر أو الخطيب اجتماع الشيئين في وصف علةَ الحكم الذي يريد، وإن لم يكن في المعقول ولا مقتضيات العقول ، ولا يؤخذ الشاعر بأن يأتي على ما مصيره قاعدة وأساساً ببينة عقلية، بل سلم مقدمته التي اعتمدها[1]، وهو معنى فيه خاصية التفعيل الفني المتأمل، ذلك أنه مستمد من الخيال الذي يعد عنصرا للإثارة النفسية، والحفز نحو الانبساط لشيء أو الانقباض عنه. يقول ابن سينا «وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل، والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور غير روية وفكر واختيار»[2].

فالخيال هو الطريق المؤدي إلى إبراز الصورة الشعرية. ويؤكد حازم القرطاجني أهمية الخيال وقيمته في تحقيق الانفعال النفسي، وانعكاس ذلك على وظيفة الشعر، أي هو القيمة التي بها يكون الشعر وبدونها لا يكون. لذا فهو يقول بعد اعتماده على الفارابي وابن سينا، أن الشعر لا يكون شعراً من حيث هو صدق أو من حيث هو كذب، بل من حيث هو كلام مخيل.. ليؤكد أن الخيال يعدّ أساساً مهماً في صناعة الشعر.. وينظر بعدها في أن أحسن مواقع التخييل هي أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول، كتخييل الأمور السارة في التهاني، والأمور المفجعة في المراثي . فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول، وشدة التباسه بها؛ يعاون التخييل على ما يراد من تأثير النفس لمقتضاه . فمن التخييل الحق الصحيح الذي يقرر معنى لا وهم فيه قول المتنبي:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

لأن العقل يشهد بأن الشرف لا يوصف به رجل دون امرأة من حيث الجنس ، ولكن من حيث الخلق والقدر، وفي هذا تفضل الرجل، كما أن الشيء لم

* كاتب وأستاذ جامعي عراقي / ليبيا

1 ينظر:أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني ص235.
2 . الإشارات والتنبيهات- ابن سينا- ق4 ص 140.

يكن شريفاً أو غير شريف من حيث أنّث اسمه أو ذُكّر، بل الشرف للمسميات من حيث أنفسها.

أما التخييل القريب من التعليل بما هو غير معروف مما يدخل في المبالغة البعيدة، كقول المتنبي أيضا:

لم تحكِ نائلك السحاب وإنما
همّت به فصبيبها الرحضاء

فالأصل أن يشبه الجود بالغيث، فأغرق المتنبي فجعل الغيث عاجزاً عن محاكاة الممدوح في نائله، وأنه أصيب لذلك بالحمى، فليس المطر إلا عرق الحمى، فهنا مبالغة غريبة لا تزيد التصوير قوة ولكن تزيده غرابة.

ويرد التخييل عند عبد القاهر بثلاثة معان (معنى منطقي كلامي، ومعنى فني شبيه بمعنى المحاكاة، ومعنى بياني. متأثراً بتقسيم ابن سينا أنواع التخييل إلى تشبيه واستعارة وتركيب منهما).

فأما المعنى المنطقي الكلامي فإنه يضع التخييل مقابلاً للحقيقة، وهذه الموازنة مأخوذة من موازنة ابن سينا بين التخييل والتصديق، مع أنه لم يجعل التخييل ضد الحقيقة، بل جعله طريقاً خاصاً في ايقاع المعاني، إذ لا يعتمد على صدق المعاني بل على تمثيلها بالمخيلة، فالكلام الحقيقي قد يكون مخيلاً إذا سلك به الشاعر مسلكاً يجعل له قبولاً في النفس وتصوراً في الحس، وهذا المعنى معنى التصوير والتمثيل، ويختفي هنا ويحل محله النظر إلى التخييل على أنه نوع من القياس الخادع، ويمثل عبد القاهر الجرجاني لذلك بقول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

فقوام التخييل عنده أن الشاعر قد أجرى قياس تمثيل بين فعل السيل بالمكان العالي، وفعل الغنى بالرجل، وأثبت للأمر الثاني حكم الأول، من دون أن يكون بين الطرفين اشتراك في علة الحكم، وهي السيولة والإنصباب، التي لأجلها ينحدر الماء عن المكان العالي. وكذلك يقع في هذا الباب قول البحتري:

وبياض البازي أصدق حسناً
إنْ تأملتَ من سواد الغراب

فهو يريد أن يحسن المشيب بقياسه على البازي، زاعماً أن حسن البازي في البياض لونه، وإذا كان المشيب أبيض فهو أحسن كذلك، والشباب بالعكس، وعلة الحكم هنا كاذبة في المقيس والمقيس عليه، إذ ليست نفرة النفس من الشيب ولا إقبالها على الشباب للونٍ فيهما، وكذلك لا تعجب النفس بالبازي لبياضه، ولا تنفر من الغراب لسواده، فهذا أيضاً قياس خادع.

والبحتري يبني المعنى على أساس التسليم بمقدمته: وهو أن عائب الشيب لم منه إلا لونه، مع تناسي سائر المعاني الصحيحة التي من أجلها كره وعيب. [1]

وهذا الضرب من القياس الخادع في نظر عبد القاهر موضوع الشعر والخطابة، فهو يقول:

**«الشعر كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليه ما قصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك»**

3- ينظر: شرح كتاب الشعر لأرسطو، ومعه دراسة شكري عياد ص258- 259.

«أن تجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علة لحكم يريدونه، وإن لم يكن في المعقول ومقتضات العقول... » (4)

وعبد القادر يوازن بين التخييل والحقيقة، وهو أبعد ما يكون عن صفة البليغ، وأقرب ما يكون إلى صفة المتكلم، فهو - مع النظرة المنطقية إلى العمل الشعري - حريص كل الحرص على أن ينظر إلى المعاني من جهة (الصدق والكذب) لا من جهة حسن الصورة، إذ يتخذ هنا فكرة الصدق والكذب معياراً للتميز بين الاستعارة والتخييل، فيقول: إنك حين تستعير لا تقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة للمستعار له، وإنما تقصد إلى إثبات الشبه، فلا مخالفة هناك بين الخبر والمخبر عنه.

وبعد أن حصر معنى التخييل في هذا القياس الشعري الخادع، لما لهذا الفن من نكت ولطائف وبدع وظرائف؛ لا يستكثر لها الكثير من الثناء، ولا يضيق مكانها من الفضل عن سعة الإطراء، لأن الاحتفال والصنعة في التصويرات تروق السامعين وتروعهم، والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم ... ولأجل هذا المعنى - معنى اقتران التصوير أو التخييل في الشعر بشيء من التلاعب بذهن السامع - حرص عبد القاهر على ألا يستعمل كلمة التخييل حين يتحدث عن التشبيه والتمثيل والاستعارة، لأن هذه الأساليب قد وردت في القرآن الكريم، وسنرى كيف عيب على الزمخشري استعماله كلمة (التخييل) في حديثه عن بلاغة القرآن. (5)

فعبد القاهر يأخذ من كلمة (التخييل) دلالتها على تحسين صورة المعنى وتجسيمه للحس، فيجعل ذلك معنى جامعاً للتشبيه والتمثيل والاستعارة، فكأنه استعاض في معظم بحثه البياني عن كلمة التخييل بالتشبيه والاستعارة والتمثيل، لأن هذه عنده أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها.

أما الزمخشري فقد لجأ إلى استعمال هذه الكلمة متأثرا بعوامل دينية لم تكن العوامل واضحة جلية عند عبد القاهر، وإن تأثر بها هو في خصائصه الأسلوبية ورصده الموضوعي.

فقد وجد الزمخشري آيات يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

[سورة البقرة، الآية: 255]

وقوله سبحانه:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

[سورة الزمر، الآية: 67]

وآيات أخرى لا يمكن فهم التصوير فيها على أنه تشبيه تمثيل، كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾

[سورة الأعراف، الآية: 172]

وقوله:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 72]

وقوله:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ...﴾ [سورة الحشر، الآية: 21]

فقال في هذه الآيات جميعها إنها (تمثيل وتخييل) وإن الألفاظ فيها يجب ألا تحمل على جهة حقيقة ولا على جهة مجاز، وإنما هي تمثيل وتصوير حسي.

فمن ذلك نلحظ تفسيره لقوله تعالى:

4 - أسرار البلاغة ص 235.

5 - كتاب الشعر، دراسة شكري عياد ص 216.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

[سورة الأعراف، الآية: 172]

قال: «إنه من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مخيرة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم، وقال لهم ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك ..»

والزمخشري ينبه على عظم شأن هذا الباب ولطف مأخذه في تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر، الآية: 67]

فيقول: «ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى، في القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديماً، وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير».

ومن هنا فالتخييل عند الزمخشري هو تصوير المعنى للحس، وهو أعم من التشبيه التمثيلي ومن الاستعارة، وهنا يدقق الزمخشري في إظهار الفرق بين (أصل المعنى) وهو المعنى الذي وضع أولاً في الذهن، و(صورة المعنى) وهي المتحددة في الخارج، حتى ليقرر أن الألفاظ لا تستعمل في التخييلات على جهة الحقيقة ولا على جهة المجاز، أي أنها وإن لم يتعلق غرض القائل بمعناها القريب، فهي لم تنتقل عن هذا المعنى إلى معنى سواه، هي (تمثيل) للمعنى فحسب، وهذا ما يجعل التخييل عند الزمخشري أعم من التشبيه والاستعارة، بل هو ضرب من التأويل .. وهو كذلك يبدو عند التحليل النصي المتأمل.

ونجد فكرة (التخييل والمحاكاة) مطبقة أوسع تطبيق عند حازم القرطاجني، وإنه توسع في تطبيقها على ألوان الفن القولي، فقد طبقها على محاكاة المحسوسات مما لم يوجد مثاله في الشعر اليوناني، وطبقها على الحكم الشعرية، وعلى القصص أيضاً، وأفاد ذلك من تحديد ابن سينا لكلمة (المحاكاة) الذي ردها إلى عمل المخيلة.

وبذلك «تَرفع المحاكاة من فكرة اتساق التجربة البشرية وتماثلها، وتحفيز الناس إلى توكيد الاستمرار التاريخي في ذلك النسيج المتشابك الذي يدّعي بالتقليد، وتستغل فكرة الأصالة من وجهة أخرى اختلاف الناس في جلب الانتباه إلى تفرد التجربة الفردية، وتقود إلى رأي في التاريخ منشق فيه التبدلات المفاجئة هي القاعدة، وترى التغيرات الخطيرة تحدث إذ ذاك بعرضية ملطّفة.» [6]

لقد عقد القرطاجني فصلا للتعريف بماهية الشعر وحقيقته فقال: «الشعر كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليه ما قصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك» [7].

ومن هنا يرى حازم القرطاجني أن التخييل والمحاكاة هي الحقيقة المميزة للشعر، وأن المحاكاة قد تقوم بنفسها، وقد تستند إلى عوامل أخرى مساعدة، يذكر منها حسن تأليف الكلام وقوة صدقة وقوة شهرته. وهو يدلنا على اقتران المحاكاة بالتعجيب، وما للتعجيب من أثر في تحريك النفس وتقوية الانفعال.

6 ـ قضايا في النقد الأدبي؟ روثفن ـ ترجمة د. عبد الجبار المطلبي ص 233.

7 ـ منهاج البلغاء ـ القرطاجني، ص 40.

ملف

# الكتاب والمكتبة
# وثقافة الطفل المسلم في عصر المعلومات

د. مفتاح محمد دياب *

اهتمت البلدان والمجتمعات المتقدمة منذ زمن بعيد بأطفالها، حتى غدا هذا الاهتمام يحتل مكان الصدارة في الخطط والأولويات والاهتمامات والبرامج، على كل المستويات المحلية والوطنية والقومية، وبذلت الجهود الكبيرة في تعليم الأطفال وتربيتهم وتثقيفهم، وإنشاء المؤسسات التي تعنى بالطفولة من كل جوانبها الصحية والنفسية والتعليمية والثقافية والاجتماعية، ويلعب الجانب الثقافي دورًا رائدًا وطليعياً وفعالاً في تحقيق التطلع والطموح نحو غد مشرق للمجتمع، مع عدم إهمال الجوانب الأخرى بالطبع. والاهتمام من طرف المجتمعات بأطفالها يأتي من إدراك هذه المجتمعات أن الاهتمام بالطفولة هو حجر الزاوية في ضمان مستقبل المجتمع وتطلعه لبناء عالم أكثر سعادة.

وهناك عنصران لعلهما من أهم العناصر التي تساهم في الرفع من مستوى الثقافة الموجهة للأطفال هما الكتاب والمكتبة. فالكتاب يحتل مكان الصدارة في ثقافة الطفل، والمكتبة باعتبارها المؤسسة الثقافية التي تعمل على تحقيق الأهداف والبرامج التي يخطط لها المجتمع، من أجل تثقيف أطفاله ثقافة واعية تنبع من فلسفة نفسه.

أولاً - كتاب الطفل:

يعدّ الكتاب من أهم الوسائط الثقافية وأقدمها، عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من وسائط الكتابة، وما يزال يقوم بدوره في التثقيف والتعليم حتى وقتنا الحاضر، وفي المستقبل أيضاً، بالرغم من ظهور الوسائط الإلكترونية المتقدمة، التي أخذت تنافس الكتاب المطبوع أو الورقي في نقل الثقافة والمعلومات للإنسان، وما يزال الكتاب المطبوع من أقوى الوسائط وأكثرها انتشاراً بين الناس، بسبب الصفات التي تتوفر فيه ولا تتوفر في غيره من الوسائط الأخرى[1].

ويشكل الكتاب أهم الوسائط المطبوعة التي تشد الطفل وتدفعه إلى القراءة والحصول على المتعة

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا

والتسلية والترفيه، عن طريق ما تضمه الكتب من قصص وحكايات ونوادر، وغيرها من المعلومات المختلفة.

ولا يثمن قيمة الكتاب وأهميته ودوره الكبير الذي يقوم به في مجال التثقيف والتهذيب إلا المجتمعات التي تعيش حياة قوامها العلم والمعرفة، حيث تتصل الحياة الثقافية فيها اتصالاً وثيقًا بالكتاب، وغيره من الوسائط التي تعين الأفراد على اكتساب المعلومات والمعرفة.

وتأتي أهمية كتب الأطفال من كونها أداة تقود الأطفال إلى التفكير والتأمل وطرح الأسئلة والاستفسارات سواء على أنفسهم أو على الآخرين المحيطين بهم، وهي بذلك تؤهل الطفل إلى الانتقال إلى مرحلة المراهقة والشباب بشكل إيجابي وسليم، دون أي خوف من الانحراف أو الجنوح الذي يحدث نتيجة أسباب متعددة، اجتماعية ونفسية وثقافية.

وللكتاب أيضاً أهمية أخرى تتمثل في قدرته على غرس وتعميق الصفات الإنسانية النبيلة لدى الأطفال، والقدرة على تمكين الطفل من تذوق الجمال، واستيعاب كثير من القيم والمعارف والمفاهيم الأخرى، التي يحتاج إليها الطفل أثناء فترات نموه المختلفة، بالإضافة إلى ناحية أخرى مهمة هي جانب إدخال السرور والمتعة والفرح على قلب الطفل[2].

والكتب، وكذلك الوسائط المطبوعة الأخرى، باعتبارها توفر نصوصاً ثابتة على الورق تمكّن الأطفال من اكتشاف ما إذا كانوا يفهمون ما يقرءونه أم لا، ويتذكرون الأفكار والمفاهيم والقيم وغيرها، عن طريق الرجوع مرة ومرة أخرى إلى النص، ويمكن لهم أن يتحدثوا عن الأفكار الواردة، أو ينكروا فيها عبر فترة من الزمن، ثم يعودون إلى النص الأصلي للتأكد، وهذا الثبات للمعلومات يسمح - بشكل دقيق وكبير - بمعالجة المفاهيم الواردة في الكتاب[3].

ويرى بعض الخبراء المعنيون بدراسة القراءة، أن الهدف الأساسي لقراءة الكتب عند الأطفال هو من أجل تأمين الارتباط المستمر بين النمو الجسمي والفكري والإدراكي عند الأطفال، مع تجنيبهم أي انقطاع يمكن أن يحدث في نمو شخصياتهم أثناء انتقالهم من مرحلة إلى مرحلة أخرى، خاصة في الفترة التي يحتاج فيها الطفل إلى زيادة معارفه ومعلوماته بصورة دائمة ومستمرة. هذه المعلومات والمعارف يمكن أن يلبيها الكتاب بشكل مناسب ومقبول لدى جميع الأطفال، على اختلاف مستويات نموهم العقلي. ومقدرة الكتاب، كمادة مطبوعة، تأتي من كونه يقدم الحقائق والمفاهيم والأفكار والمعارف مثبة على الورق - وفي حالة الكتاب الالكتروني على الشاشة - حيث يستطيع الطفل أن يسيطر على الموقف القرائي حسب ظروفه الخاصة به. فهو يقرأ عندما يريد، وكما يريد، والاطلاع على المادة يمكن أن يتكرر حسب رغبة القارئ، وطبقا لمدى قدرته على الفهم والاستيعاب[4].

**تأتي أهمية كتب الأطفال من كونها أداة تقود الأطفال إلى التفكير والتأمل وطرح الأسئلة والاستفسارات سواء على أنفسهم أو على الآخرين المحيطين بهم.**

**يعدّ الكتاب من أهم الوسائط الثقافية وأقدمها، عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من وسائط الكتابة.**

بالإضافة إلى خاصية أخرى للكلمة المطبوعة، وهي أنها أقدم وسائل الاتصال الجماهيري التي تعامل معها القارئ منذ اختراع الطباعة وحتى الوقت الحاضر، هذه الصفات أو الخواص التي يتميز بها الكتاب، والوسائط المطبوعة الأخرى، قد لا تتهيأ

للأطفال من خلال بعض الوسائط الثقافية الأخرى، مثل الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية، والمسرح والسينما.

وكتب الأطفال تقوم بدور كبير وفعال في المحافظة على التوازن بين سعادة الأطفال الشخصية والتوازن الاجتماعي، وخصوصاً إذا كتبت بواسطة مؤلفين وكتّاب يتحلون بالحساسية المرهفة والتفكير الواعي، ولهم القدرة على ملاحظة الأطفال، ويتذكرون كثيراً من الأشياء التي حدثت لهم في طفولتهم. وقد تساعد كتب الأطفال أيضاً على فهم الكبار لأطفالهم والأطفال الذين يتعاملون معهم في المدرسة أو المكتبة أو أي مكان آخر، وتعمل كتب الأطفال على مساعدة الطفل في بناء مفهومه للمجتمع الذي يعيش فيه، ومعرفة دوره في هذا المجتمع، وتساعد الأطفال على تشكيل وتدقيق مفاهيمهم عن الناس الآخرين والعلاقات معهم، بالإضافة إلى دورها الكبير في مساعدة الأطفال على فهم أنفسهم.

والواقع أن هناك الكثير من التطورات العلمية والثقافية أدت إلى تزايد الاهتمام بتنمية الأطفال، وبالتالي إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه كتب الأطفال في هذا الصدد، وعن طريق الأنواع المختلفة من كتب الأطفال، واختلاف المضمون الذي تحمله، مثل كتب القصص، والكتب العلمية، والكتب الدينية، وكتب الشعر والأناشيد، ودوائر المعارف والموسوعات، وكتب الجغرافيا والرحلات، والتاريخ والسير والتراجم، يمكن للطفل أن يشبع العديد من حاجاته النفسية مثل الحاجة للأمن والإحساس بالطمأنينة، وحل المشكلات، والحاجة إلى تحقيق الذات، والحاجة إلى المعلومات والمعرفة(5).

ومن أجل أن يؤدي الكتاب بأنواعه المختلفة ومضامينه المتعددة الدور المطلوب منه في تثقيف الطفل في مراحل الطفولة المختلفة، لا بد أن تتوفر



فيه العوامل التي تجعله كتاباً جيداً، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والموضوعات التي يتناولها، وينطبق هذا القول على الوسائط المطبوعة الأخرى، وكذلك الكتب والمجلات الالكترونية الموجهة للأطفال.

**ثانيًا ـ مكتبات الأطفال :**

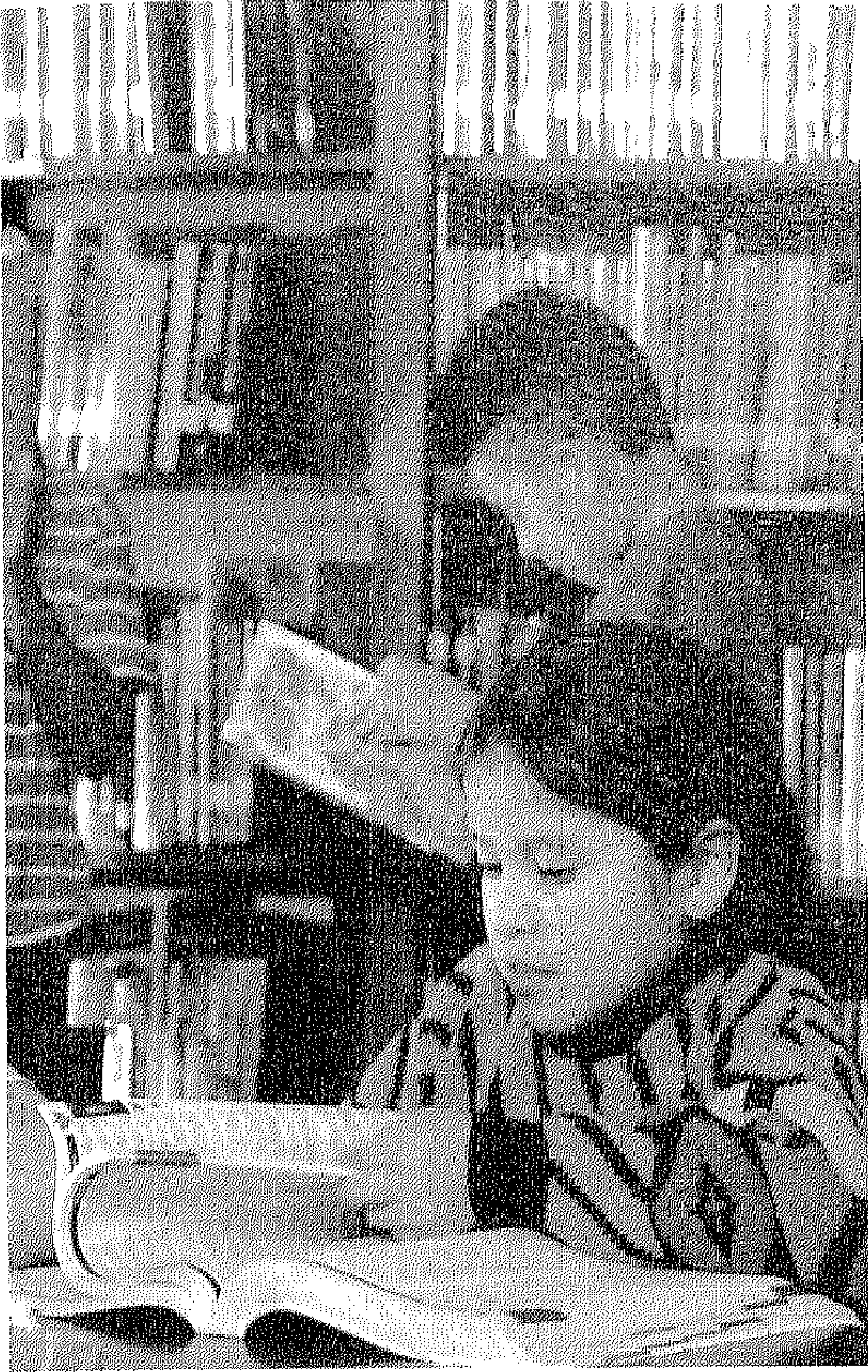
تحظى مكتبات الأطفال في الدول المتقدمة وبعض البلدان النامية باهتمام كبير، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي أو المنظمات المهنية المتخصصة في خدمات المكتبات. ويأتي هذا الاهتمام نتيجة إدراك هذه المجتمعات أن جمهور الأطفال ـ الذي يشكل نسبة كبيرة من عدد السكان ـ له الحق في الثقافة باعتباره جزءاً من المجتمع تكفل له كل القوانين أن يكتسب المعرفة والثقافة الذاتية متى شاء، وأن تقدم له التسهيلات كافة التي تمكنه من الحصول على ما يريد من خدمات مكتبية كأي فرد آخر.

ومكتبات الأطفال لها دور فعال - باعتبارها مؤسسات ثقافية اجتماعية - في صنع شخصية الطفل، وتوسيع آفاقه ورؤيته للعالم من حوله، ونظرته للحياة من كل جوانبها نظرة تفائلية وطموحة، نظرة آنية ومستقبلية، لذلك يقع التخطيط لإنشاء مكتبات الأطفال العامة ضمن أولويات الخطط الاجتماعية والثقافية في عدد كبير من بلدان العالم، التي وعت أهمية الجوانب الثقافية للأطفال وقيمتها بالنسبة لمستقبل المجتمع والأمة.

وبشكل عام، فإن الخدمة المكتبية للأطفال تهدف إلى مساعدة الطفل في الحصول على الخبرات التي تساعده على النمو العاطفي والفكري، وهذه الأهداف للخدمة المكتبية للأطفال، تتشابه تقريبا في كل البيئات التي يعيش فيها الأطفال. وبالرغم من اختلاف فلسفة الخدمة المكتبية للأطفال في المجتمعات والبلدان المختلفة، فإن العامل المشترك بينها هو أنها تهدف إلى الارتقاء بالمستوى الفكري للطفل الذي ترى فيه مستقبلها[6].

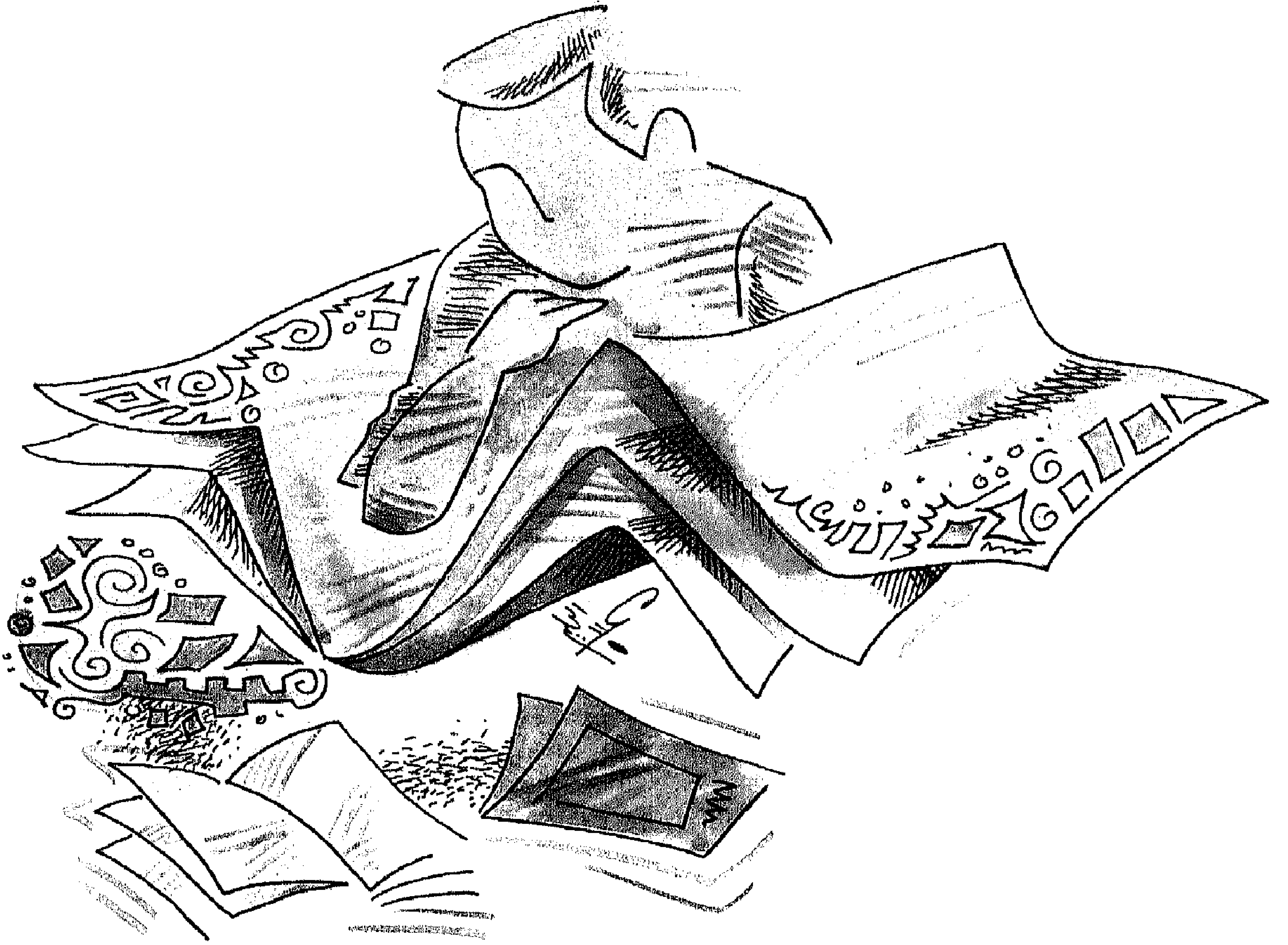
وفي عصر تكنولوجيا المعلومات، فإن الأطفال يحتاجون إلى إعدادهم وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا الحديثة التي ستصبح جزءاً من حياتهم، وللتكيف مع عالم التكنولوجيا المتغير، فإن مكتبات الأطفال يمكن أن تساعد الأطفال على استخدام التكنولوجيا والتكيف معها، عن طريق تعليم الأطفال استخدام الحواسيب والتقنيات الأخرى التي تستطيع أن تشجع وتدفع الطفل إلى التعلم، وتوفير التوصل الحر للحواسيب مع عدد من البرمجيات الموجهة للأطفال والشباب الصغار من أجل الاستكشاف، كما أنها تمنح فرصاً لاستخدام تكنولوجيا المعلومات المختلفة التي تخزن وتسترجع المعلومات[7].

وفي المجتمعات الأوروبية - خصوصًا الاسكندنافية- واليابان، يتم تشجيع الأطفال على أن يصبحوا مستخدمين رسميين للمعلومات وهم في



السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، وحيث إن المكتبة عادة هي أول مجموعة منظمة من المواد المعلوماتية يتعامل معها الأطفال، فإن الطفل يمكن أن يتعلم مفهوم البحث عن مواد معلوماتية معينة في هذه المؤسسة، ويتعلم أساسيات البحث في النظم التكنولوجية المتوفرة بالمكتبة، وأولها الفهرس الآلي. وهناك عدة دراسات وأبحاث تشير إلى إمكانية تصميم نظم معلومات خاصة باستعمال الأطفال بأسلوب يجعل من عملية البحث عن المعلومات عند الأطفال عملية سهلة وغير معقدة، خصوصاً من ناحية مفاهيم البحث أو التفتيش في هذه النظم[8].

إن دور المكتبة وخدمات المعلومات لم يعد يقتصر على توفير المعلومات والموارد المعلوماتية للتعلم، والعمل، والحياة فقط. ففي عصر التكنولوجيا المتطورة، يحتاج الأفراد إلى خدمات توجههم لفهم المعلومات، وترشدهم إلى عملية البحث عن المفاهيم



والمعاني. والزيادة في استخدام تكنولوجيا المعلومات من طرف الجمهور عموماً، ومن طرف الأطفال والشباب خصوصاً، تزيد من قيمة وأهمية الدور الذي يلعبه المدرس والمكتبي أو أمين المكتبة في نقل وتوصيل مهارات المعلومات، التي ستكون أساسية ومهمة جدًا للأفراد بكل فئاتهم للحياة و للتكيف مع ظروف المعيشة في القرن الواحد والعشرين[9].

إننا نعيش عصر المعلومات والتكنولوجيا المتطورة بشكل سريع، وهذا العصر تأتي معه بتحديات كبيرة لمكتبيي الأطفال، والتغيرات التي أحدثتها التكنولوجيا الحديثة في كثير من المجتمعات، جعلت مهمة العمل مع الأطفال في المكتبات صعبة أكثر من أي وقت مضى، حيث فرضت عليهم معرفة الكثير عن الأطفال، والوسائط الثقافية، واحتياجات الأطفال المعلوماتية والترفيهية، من أجل تطوير خدمة مكتبية تثري الأطفال وتثير تفكيرهم وخيالهم[10].

والطفل العربي والمسلم ليس استثناء من هذه القاعدة، إذا لم كن في حاجة أكبر إلى الاهتمام بالنواحي التكنولوجية الحديثة واستخدامها.

**خاتمة:**

إن الاهتمام بثقافة الطفل العربي والمسلم، في هذا الوقت الذي تمر به الأمة العربية والإسلامية، وما تعانيه من تفرق وضعف، تمليه علينا ضرورة النهوض والتقدم الحضاري الذي يطمح ويتطلع إليه المجتمع العربي والإسلامي، ولا يمكننا أن نخطو خطوات إيجابية في سبيل اللحاق بركب التقدم العلمي

والتكنولوجي، الذي تعيشه المجتمعات الأخرى، إلا إذا بدأنا بالطفل، الذي يعتبر أساس مستقبل المجتمع، ومن أجل أن يكون طفل اليوم ركيزة أساسية في تقدم المجتمع غداً، فلا بد من الاهتمام المكثف بالجانب الثقافي للطفولة، كما نهتم بالجوانب الصحية والنفسية والاجتماعية وغيرها[11] ولا يمكن للعرب والمسلمين دخول مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، إذا لم يبادروا من الآن في إعداد الطفل العربي والمسلم لهذا المجتمع المعلوماتي والتكنولوجي، الذي نطمح أن ندخل إليه بقوة ولا نكون فيه متفرجين فقط.

ويجب التذكير بأن جميع المؤسسات الثقافية والإعلامية والاجتماعية أيضاً في المجتمع العربي والإسلامي، هي المسئولة عن ثقافة الطفل العربي والمسلم، وعليها جميعاً تقع مسئولية اختيار الثقافة الجيدة والواعية، التي من شأنها بناء جيل عربي ومسلم سليم التفكير، مثلما يكون سليم البنية، من أجل مستقبل المجتمع العربي والأمة الإسلامية. هذه المؤسسات يجب أن تأخذ في اعتبارها بشكل قوي مقاومة ما علق في أذهان أطفالنا من معلومات خاطئة نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي الذي تعرض ولا يزال يتعرض له الطفل العربي والمسلم، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، خصوصاً القنوات الفضائية.

ويقع على عاتق المؤسسات السياسية والثقافية في البلدان العربية والإسلامية عبء ومسئولية التخطيط السليم والمبرمج لإنتاج وتقديم ثقافة واعية وسليمة، تراعي مستويات الأطفال الفكرية والتربوية، وأن تبذل الجهود والأموال من أجل إقامة مؤسسات ثقافية خاصة بالأطفال، كمكتبات الأطفال، وأندية الأطفال العلمية، ومراكز خدمات الأطفال، ودور نشر خاصة بإنتاج أوعية المعرفة الموجهة للأطفال على إمتداد مدن وقرى الوطن العربي والعالم الإسلامي.

**لا يمكن للعرب والمسلمين دخول مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، إذا لم يبادروا من الآن في إعداد الطفل العربي والمسلم لهذا المجتمع المعلوماتي والتكنولوجي.**

إن التقليل من أهمية وقيمة هذه المؤسسات والبرامج الثقافية والعلمية المعنية بالطفل العربي والمسلم ستكون نتيجته مزيداً من التخلف في كل المجالات والتفرق والوقوع فريسة غزو أجنبي في أشكال مختلفة.

## المراجع والمصادر


1 - مفتاح محمد دياب . «ثقافة الطفل العربي المسلم» الناشر العربي ع14، 1989مسيحي، ص79.

2 - مفتاح محمد دياب . «ثقافة الطفل العربي المسلم» الناشر العربي ع5، 1985 مسيحي، ص75.

3 - Journal. Vol. 41. No. 1, February 1984, pp 11-15
Fasick. " Moving into the Future" *Canadian Library*
Adele M.

4 - فاروق عبد الحميد اللقاني. تثقيف الطفل. الاسكندرية، منشأة المعارف، 1976مسيحي ص121.

5 - رشيد رشدي أحمد طعيمة. «في البيت يتكون الطفل القارئ العربي»، ع278، يناير 1982 مسيحي، ص122.

6 - مفتاح محمد دياب .المكتبة وثقافة الطفل في الجماهيرية الليبية. ورقة قدمت في الندوة الأولى حول تنمية المكتبات ومراكز البحوث والمعلومات في الجماهيرية ، طرابلس ، ليبيا 19 - 21 أكتوبر 1985 مسيحي، ص2.

7 - youth of today for the world of tomorrow"
need libraries: school and public libraries preparing
"Kids
*services in Libraries* Vol. 3 No.3,spring 1990, p.201
*,journal of Youth*

8 - *Encyclopedia of Library and Infromation*
Fasick, "Children's use of information technology",
Adele M.
and C. M. Hall, eds. Vol. 55, Supp. 18, 1995, p. 51
*Science*. A. Kent

9 - نفس المصدر، ص65.

10 - Adele M. Fasick. "Moving into the future", p.15

11 - مفتاح محمد دياب .. «ثقافة الطفل العربي»، ص80.

# المصلح الإسلامي الكبير في غرب إفريقيا

## الشيخ عثمان بن محمد فودي

# بين الذكرى الصحيحة والزائفة

د. محمد أول أبو بكر *



يهدف هذا المقال إلى التعريف بالشيخ عثمان بن فودي (1177 - 1233 هـ/ 1756 - 1817 مسيحي) عن طريق عرض ملامح من حياته الحافلة بالعمل والإصلاح، بمناسبة مرور مائتي عام على تدشينه لحركته الإصلاحية فيما يعرف اليوم بنيجيريا وأجزاء من النيجر والكامرون ، لنميز في آخر المطاف بين الذكرى الصحيحة لهذه الشخصية الفريدة، والذكرى الزائفة التي يهتبل المستغلون فرصتها تحقيقًا لأهدافهم الشخصية.

### الأسرة:

ولد عثمان في (مراة) في شهر الكانون (ديسمبر) سنة 1754 مسيحي، وقد هاجرت أسرته من فوتاتورو بالسنغال واستوطنت مدينة (كوني) التي كانت تحت سلطنة (غوبر) الهاوساوية، وفي السنة التي ولد فيها عثمان كانت الأسرة قد انتقلت إلى (مراة)، وأثناء طفولة عثمان انتقلت للمرة الثانية إلى (طغل).

### الشباب والتعليم:

ليس لدينا حقائق واضحة عن طفولة الشيخ عثمان ، إلا أن المعروف أنه سلك في شبابه الأول النهج الإسلامي المعروف في التعليم، فتلقى العلوم الدينية واللغوية. قرأ القرآن الكريم على والده محمد ودرس المواد العلمية الأخرى على علماء آخرين في عصره. وقد نشأ عثمان منذ هذا الوقت المبكر على أخلاق فاضلة ومواهب عقلية غير عادية، وكان منطيقًا.

### شيوخه ومعلموه:

أ - عمه عثمان المعروف بـ(بدوري)، وقد تلقى عنه الشيخ عثمان حسن السلوك والاستقامة، ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولازمه سنتين، ومما درس عليه (مختصر خليل) في الفقه المالكي.

ب - شيخه المبجل جبريل بن عمر الذي صحبه لمدة سنة فقط، إلا أن له على عثمان آثارًا بعيدة المدى،

* باحث وأستاذ جامعي / نيجيريا

فمنه أخذ فكرة الجهاد لاستئصال العادات الكثيرة التي لا تتماشى مع الإسلام في بلاد الهاوسا في عصره . وقد حاول الشيخ جبريل نفسه القيام بالحركة الإصلاحية في المنطقة، ولكن محاولاته لم تكلل بالنجاح. ولعل من أسباب فشله رأيه في أن مرتكب الكبيرة كافر في حين يصف الشيخ عثمان مرتكب الكبيرة بالعصيان فقط .

ج ـ الحاج محمد بن راجي، وقد درس عليه صحيح البخاري، وقد أخبر الشيخ عبد الله بن فودي أنه والشيخ عثمان درسا صحيح البخاري على هذا الشيخ، وكان ذلك سنة 1786مسيحي.

ولعل مما يصور أثر الشيخ جبريل بن عمر الروحي على الحركة التجديدية للشيخ عثمان ابن فودي قول الشيخ عبد الله ابن فودي في جيميته :

جبريل من جبر الإله به لنا
دينًا حنيفًا مستقيم المنهج
وافى وحزب ضلالة في تلعة
والدين في وهد كشيء بهرج
فأزاح عنه حنادس الأعلاج من
عاداتهم وكساه حلة زبرج
لم يخش في إظهار دين الله من
مستهزئ أو لائم متمجمج
وله شبول نائبون منابه
والشبل عند السبر مثل الخزرج

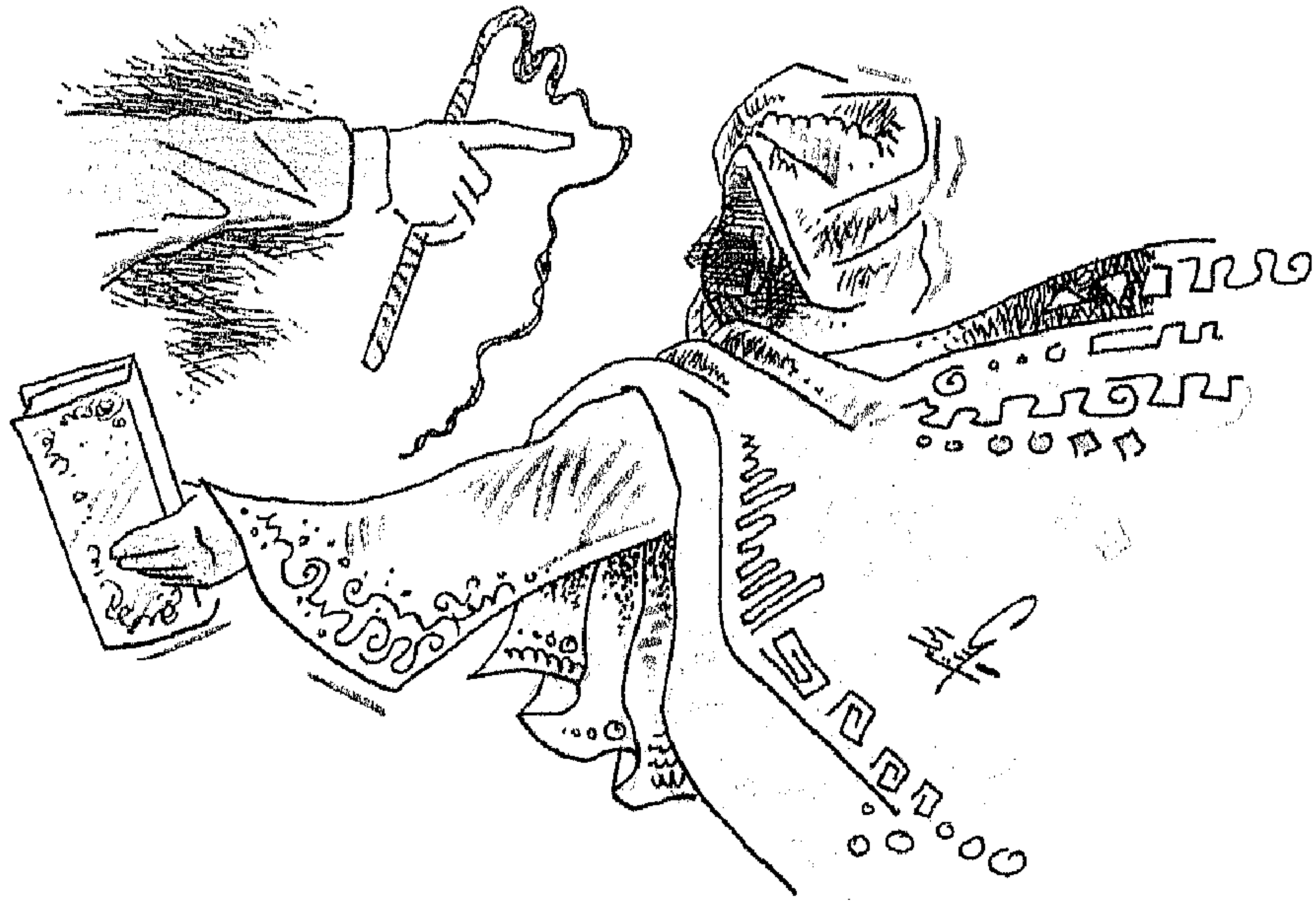
**الدعوة ( أو جهاد القول):**

في السن العشرين بدأ الشيخ عثمان بالعمل الدعوي في مدينة (طغل) ثم انتقل إلى الأماكن الأخرى، وكانت «كَبٌّ» أول مكان زاره خارج مدينته لهذا الغرض، وقد استطاع أن يكسب إلى جانبه عددًا من الناس. ثم بدأ الناس يأتون إليه في مدينة (طغل) وبالتدريج ازداد أتباعه، فيما واصل تنقلاته من أجل الدعوة بين مدن سلطنة «غوبر». وعلى الرغم من ابتعاده عن السلاطين في بادئ الأمر رأى بمرور الأيام ضرورة الاتصال بهم ليدعوهم إلى التمسك بالإسلام الصحيح ونبذ العادات الباطلة. وهكذا اتصل بسلطان غوبر (بَاوَ جَنْ غُورزُو) لهذا الغرض، وكان ذلك مما زاد من مكانة الشيخ عثمان في نظر الشعب، ثم رأى الشيخ عثمان ومعه أصحابه، ومنهم أخوه الشقيق الشيخ عبد الله بن فودي، أن يتجه إلى سلطنة «زَمْفَرَا» حيث قضوا فيها خمس سنوات يبثون الدعوة، وبما أن هذه السلطنة كانت تعج بمن يجهلون الإسلام فإنها صارت أرضًا خصبة لدعوته، حيث كان يحضر دروسه الرجال والنساء من غير اختلاط بينهم . واستمر الشيخ عثمان في رحلته الدعوية إلى عام 1792 ـ 1793 حين استقر به المقام في مدينة (طغل). وخلال هذه الفترة ألّف كتابه (إحياء السنة وإخماد البدعة) لتوعية الناس من جهة، ولسد حاجة مساعديه في العمل الدعوي من جهة أخرى.

**إن حركة الشيخ عثمان بن فودي التجديدية، وإن لم تكن الأولى في منطقة السودان الغربي، إلا أنها أثرت على حركات مماثلة جاءت بعدها في المنطقة.**

أما الموضوعات التي كان يتحدث عنها الشيخ عثمان في مجالسه فتتركز على أركان الإسلام الخمسة، ومنها إلى بيان أصول الدين وأدلة العقائد، ثم صفة الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج والنكاح والبيع، وحفظ الأعضاء الظاهرة من المعاصي، وكان يشرح لهم حقيقة التصوف، ويحدثهم عن الجنة والنار . وإلى ذلك كله كان يوضح لهم التقاليد والبدع التي تناقض روح الإسلام وكان يحذرهم من طائفة من العلماء الذين يفتون الناس بالشواذ والمراجيح.

وأما طريقته في إلقاء دروسه فهي أنه إذا انتهى



إلى الجالسين سلّم عليهم، ثم إذا جلس سلّم عليهم أيضًا ثلاث مرات، وهو منطلق الوجه، ثم حدثهم بصوت مرتفع، وإذا انتهى من درسه أجاب عن أسئلتهم، وكان يتحدث إلى مستمعيه بإحدى اللغتين الهوسا أو الفلانية، وقد يجمع بينهما في جلسة واحدة.

**الهجرة والجهاد**

نظرًا إلى ازدياد أتباع الشيخ عثمان بن فودي، وأنه حضَّ هؤلاء الأتباع على التسلح لأنه مأمور به في الشرع، أغضب ذلك سلطان غوبب (نافاتا)، وقد جاء إلى عرش الحكم بعد موت السلطان (يُنْفَا)، فأصدر عددًا من القرارات الإستفزازية كالآتي:

1 - لا يسمح لغير من نشأ في الإسلام أن يعتنقه.

2 - وكل من اعتنق الإسلام يجب أن يرتد عنه إلى دينه الأول .

3 - لا يسمح بلبس العمامة للرجال ولا يسمح للنساء بالحجاب.

4 - ولا يسح لأحد بالعمل الدعوي غير الشيخ عثمان نفسه.

هذه القرارات الاستفزازية اضطرت فوجًا من أتباع الشيخ عثمان أن يهاجروا من سلطنة (غوبر) إلى مدينة (غمتانا) في سلطنة (كبت) وكانوا تحت قيادة الشيخ عبد السلام، وفي الوقت نفسه حاول السلطان يُنْفَا الإعتداء على حياة الشيخ عثمان ولكنه فشل، وأخيرًا هاجر الشيخ عثمان وبعض أتباعه من طغل إلى مدينة «غدء» وكان ذلك في العاشر من ذي القعدة سنة 1218هـ الموافق 21 النوار (فبراير) سنة 1804 مسيحي. وكانت هذه الهجرة تدشينًا للجهاد بالسيف . على أن بعض أتباعه تخلفوا عن الهجرة خوفًا على ممتلكاتهم.

وبهذه الهجرة قرر الجماعة (أي أتباع الشيخ عثمان، كما كانوا يسمون) أن يقاوموا سلطان غوبر ومؤيديه، ومن ثم اختاروا الشيخ عثمان أميرًا للمؤمنين وبايعوه على السمع والطاعة في حدود الشرع . فأقاموا رباطاً حولهم وبدأوا بالغارات على المدن المجاورة. ثم حدثت موقعة هامة بين أتباع الشيخ عثمان وسلطان غوبر يُنْفَا حول حوض يسمى (كُت) في سنة 1213 هـ الموافق 1804 مسيحي وسميت الموقعة فيما بعد باسمه. وكان جيش سلطان غوبر يحتوي على مقاتلين من النوبة والطوارق والفلانيين، وكان جيش

الجماعة تحت قيادة الشيخ عبد الله بن فودي، وقد انتصرت الجماعة، في هذه الموقعة نصرًا مبينًا. ويصف الشيخ عبد الله هذا النصر في قصيدة له حيث يقول:

وكم ذي جلال صرعته أكُفُّنا
فجزت فئوس رأسه يتقطّعُ
وكم من كمي جدلته سهامُنا
وأسيافنا واراه طير وأضْبُعُ

إلى أن يقول:

فخلوا لنا أموالهم ونساءهم
على رغمهم والله يُعطي ويمنَع
ونحن على الإسلام جمعٌ تناصروا
ولسنا بشيء غيره نترفع

ومن الجدير بالذكر هنا أن جيشي الطرفين لم يكونا مكوّنين من عناصر قبلية أو أجناس معينة، فكما احتوى جيش غوبر على بعض المقاتلين الفلانيين احتوى جيش الجماعة على المحاربين من الهاوسا.

**الذكرى الصحيحة لهؤلاء الأعلام وحركتهم الإصلاحية تكمن في نشر الأعمال الكاملة لكل من هؤلاء الأعلام الثلاثة، نشرة أنيقة تتساوى مع ما لهم من مكانة.**

وقد شجع النصر الحاسم في حوض (كُتُّ) الشيخ عثمان وجماعته، وأغاظ سلاطين بلاد الهاوسا الذين انتقموا بالهجوم على أتباع الشيخ عثمان الذين يعيشون في سلطناتهم، ولكن صنيعهم هذا أكسب الشيخ عثمان مزيدًا من التأييد. وتحت هذه الظروف وزع الشيخ عثمان رايات بيضاً على أربعة عشر رجلاً من أصحابه، وبعث كلاً منهم إلى منطقة معينة للجهاد في سبيل الله . وهكذا صارت بلاد الهوسا كلها مسرحًا للجهاد بالسيف، ولم تنته سنة 1810 مسيحي حتى استطاع الشيخ عثمان وقواده السيطرة على جميع سلطنات بلاد الهاوسا. وفي هذا العام انتقل الشيخ عثمان إلى مدينة (سيفَاوَا) حيث قضى خمس سنوات يقود حياة علمية حافلة. وقد قسم دولته الجديدة هذه إلى قسمين، فأعطى الجزء الغربي منها لأخيه عبد الله والشرقي لابنه محمد بِلُّو، وترك لهما أمر إدارتهما، واكتفى هو بالزعامة الروحية.

وخلال عام 1814 ـ 1815 مسيحي انتقل الشيخ عثمان مرة أخرى من مدينة سيفاو إلى مدينة صَكُّتو التي أسست حديثًا، وفي العشرين من إبريل عام 1817 مسيحي توفي الشيخ عثمان بعد أن استبد به المرض لمدة عام. وقد خلفه ابنه محمد بِلُّو أميرًا للمؤمنين.

إن حركة الشيخ عثمان بن فودي التجديدية، وإن لم تكن الأولى في منطقة السودان الغربي، إلا أنها أثرت على حركات مماثلة جاءت بعدها في المنطقة، مما يدل بوضوح على أهميتها الكبرى، وأول من اقتفى أثر الشيخ عثمان في المنطقة هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعيد المشهور بالشيخ أحمد أو أحمد (لَبُّو) من منطقة مسينا، وقد بدأ نشاطه في بداية 1800 مسيحي، ويقال إنه درس على الشيخ عثمان. ويلي الشيخ أحمد في اقتفاء أثر الشيخ عثمان عالم من (دِيُولا) في منطقة الفولتا وهو الحاج محمود وبدأ نشاطه في 1880 مسيحي. ويرى بعض المؤرخين أن حركة الشيخ عثمان جاوزت منطقة السودان الغربي إلى السودان الشرقي، حيث ربطوا بينها وبين المهدية التي ادعاها محمد أحمد المهدي في جمهورية السودان الحديثة بين 1885 و1898 مسيحي .

## كتابات الشيخ عثمان

كان الشيخ كثير التأليف، ومعظم مؤلفاته ـ إن لم تكن كلها ـ معروفة لدى الباحثين، وتصل قائمة مؤلفاته إلى 115 (مائة وخمسة عشر كتابًا ورسالة) وموضوعات هذه المؤلفات تتعلق بالعلوم الإسلامية من وفقه وتصوف وسياسة شرعية الخ.

**الخاتمة :**

من خلال العرض السريع لحياة الشيخ عثمان بن فودي اتضح لنا مدى إسهامه في مجال الدعوة تعليمًا وتأليفًا، وفي تأسيس دولة إسلامية اكتفى بعد تأسيسها بالزعامة الروحية. ونرى أن الشيخ عثمان استطاع أن يحقق الكثير في هذه المجالات رغم قلة الموارد وندرة الوسائل . وقد عاشت الدولة التي أسسها قرنًا تقريبًا قبل أن ينقض عليها الإستعمار الإنجليزي البغيض سنة 1903 مسيحي، ويقوّض أركانها بوسائل مخططة خبيثة. على أن الشيخ خلف هو وثلّة من كبار مؤيديه ومن أتوا بعدهم تراثًا علميًا قيمًا، لا يدانيه كمًا وكيفًا ما وصل إلينا من التراث العلمي البرناوي، رغم ما للبرناويين من قدم راسخة في الإسلام، واتصالهم المبكر بمنابع الثقافة الإسلامية في الشرق الأوسط والمغرب العربي... ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إن هذا التراث العلمي الذي خلّفه (الفوديون) ما يزال في معظمه مخطوطًا أو غير منشور، ويذكر الباحثون في هذا الصدد أن المثلث الفودي وحده، ونعني به الشيخ عثمان نفسه وشقيقه عبد الله وابنه محمد بلّو، ألّفوا ما لا يقل عن أربعمائة كتاب ورسالة . الحق أن عددًا كبيرًا من مؤلفات هؤلاء الأعلام نال عناية الباحثين تحقيقًا ودراسة في جامعة عثمان بن فودي - صكتو، وجامعة بايرو - كانو، وجامعة أحمد بلّو - زاريا، ولكنها ظلت قابعة على رفوف المكتبات بعد أن نال محققوها ودارسوها إجازاتهم العلمية، ثم لا تمسها إلاّ أيدي الباحثين الذين يخلفون أولئك.. وهكذا دواليك. وهنا نجد بيت القصيد في هذا المقال، إذ نرى أن الذكرى الصحيحة لهؤلاء الأعلام وحركتهم الإصلاحية تكمن في نشر الأعمال الكاملة لكل من هؤلاء الأعلام الثلاثة، نشرة أنيقة تتساوى مع ما لهم من مكانة. ونعتقد أن الأموال الطائلة التي أنفقت في مهرجان مرور مائتي عام على إعلان الحركة الإصلاحية في شهر الصيف (يونيو) من العام الماضي، يكفي جزء منها للقيام بمثل هذا العمل . نعم أقيمت بهذه المناسبة ندوة دولية تناول فيها الباحثون الحركة بالدرس والبحث (ولربما سيتمخض عنها كتاب) إلاّ أن الحقيقة تظل في أن الذكرى الصحيحة للحركة تبدأ بالنشر العلمي لآثار أعلامها وتلامذتهم، للحفاظ عليها، وتمهيدًا للطريق للاستفادة بها في إصلاح بعض أوضاعنا المتفسخة . أما المهرجان الذي أقيم في مدينة صكتو خاصة فلا يعدو في تقديرنا أن يكون ذكرى زائفة.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [سورة الرعد، الآية: 17]

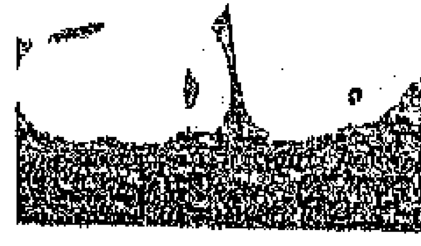
## بعض المصادر والمراجع عن حياة الشيخ عثمان بن فودي

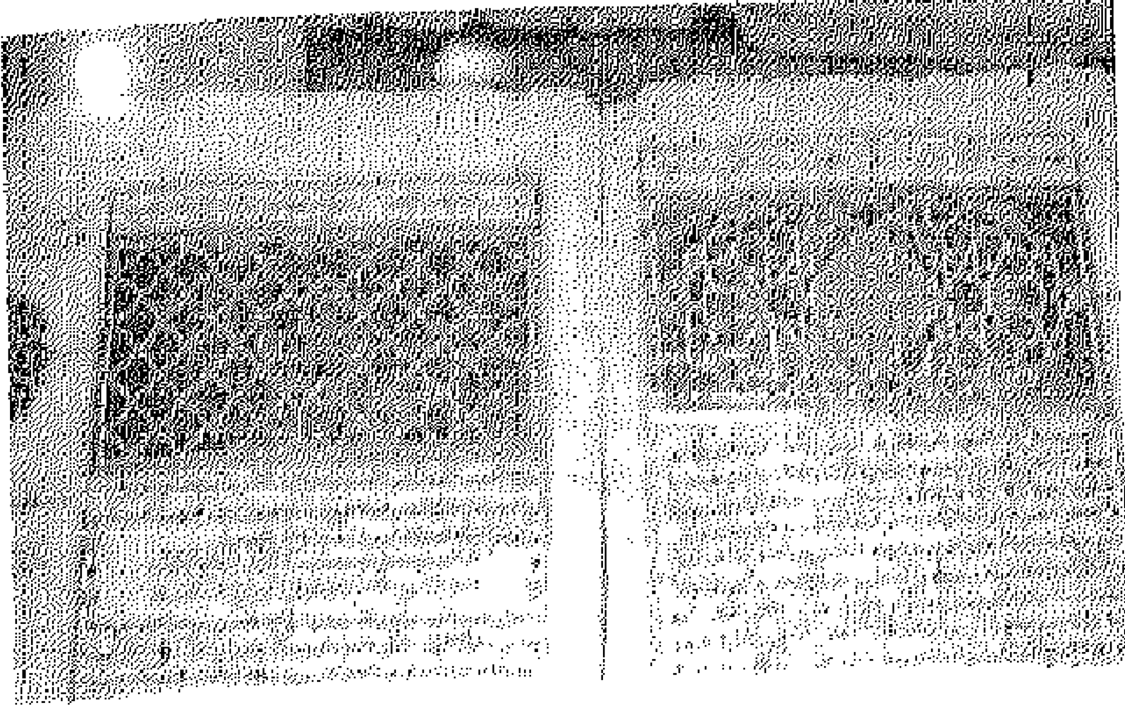

1 - محمد بلو بن عثمان (السلطان) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (القاهرة 1383 - 1964)؛ نشرة بهيجة الشاذلي. معهد الدراسات الإفريقية بالرباط 1996.

2 - عبد الله بن فودي : تزيين الورقات، طبعة المشهد الحسيني. القاهرة - د.ت؛ نشرة المستشرق هسكت مع الترجمة الإنجليزية . مطبعة جامعة إبادن - نيجيريا 1963.

3 - آدم عبد الله الإلوري (الشيخ): الإسلام في نيجيريا و(عثمان بن فودي) القاهرة 1956.

4 - علي الكماسي (الشيخ: مورد الظمآن) القاهرة 1384 - 1964.





# التراث العربي المخطوط

## ودوره في ترسيخ العلاقات بين شعوب جانبي الصحراء الكبرى

سامبي خليل ماغاسوبا ★

تعود علاقتي بالتراث العربي المخطوط إلى عام 1996 مسيحي حين قمت بجولة علميّة إلى مدينة تنبكت بغية وضع خطة بحث مبدئية حول الأدب العربي في هذه المدينة من خلال التراث المخطوط[1] وزاد تعلقي بالتراث أيّام تنقلي بين مكتبات المخطوطات العربية لجمع المادة العلمية في كل من موريتانيا والمغرب، وتونس وليبيا ومالي بلد الدراسة.

ويدور هذا البحث حول التراث العربي المخطوط في جمهورية مالي الحديثة التي استقلت عام 1960 مسيحي عن حكم فرنسا، والعبرة من ذلك أن هذه الدولة تتميز بموقعها الجغرافي الذي يمثل جزءًا مهمًا عن مواقع أبرز الإمبراطوريات الثلاث في السودان الغربي : غانة، مالي، سنغاي، وكانت شعوبها على تواصل مستمر مع إخوانهم في الطرف الشمالي للصحراء الكبرى عبر قرون مضت.

ويمكن تتبع تاريخ هذا التراث في مالي بدخول الإسلام في السودان الغربي، وانتشاره في ربوعه، ممّا أدى إلى ظهور نخبة من أبناء المنطقة أتقنوا العربية وفنونها، وأسهموا في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية بالتدريس والتأليف وشرح المؤلفات والتعليق عليها، كما استفادوا من علماء شمال إفريقيا والمشرق العربي، والمراكز العلمية المختلفة التي وفدوا إليها أثناء رحلاتهم العلمية أو أدائهم فريضة الحج في البقاع المقدسة.

ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور المكتبات وازدهار نسخ المخطوطات في مالي الازدهار العلمي الذي عرفته منطقة السودان الغربي خلال القرنين 9-10هـ/15-16مسيحي.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن للحكام دورا مهمًّا في تشجيع الحركة العلمية في هذا القطر، إذ ثبت أنهم أولوا التجار المسلمين اهتماماً بالغاً إذ

---

★ أستاذ جامعي / مالي.

1 - وقد انجز الباحث هذه الرسالة ونال بها درجة التخصص العالي (الماجستير) في الدراسات الأدبية بعنوان: الأدب العربي في تنبكت من خلال خزائنه النصية من أوليته حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري 19 مسيحي، بإشراف ا.د./ عبد الحميد عبد الله الهرامة يوم 2002/02/31 مسيحي - كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا.

اتخذوهم مترجمين، وكتّاباً في دواوينهم، كما بعث سلطان مالي (كنكن موسى) التلاميذ إلى الخارج، منهم على سبيل المثال لا الحصر القاضي كاتب موسى الذي تعلم بفاس - بالمغرب[2]، واقتنى هذا السلطان أثناء عودته من الحج عددا هائلاً من الكتب ليوفرها لأهل مملكته ويثري بها مكتباتها، واستقدم كذلك العلماء من أنحاء العالم الإسلامي لا سيما من مصر والمغرب، كما اعتنى أسكيا الحاج محمد بكلّ ما من شأنه دفع عجلة الحياة العلمية إلى الأمام من استقدام العلماء واقتناء الكتب وتنشيط حركة نسخ المخطوطات، وسبق أن أهدى المصحف الشريف لجامع جنغربير بتنبكت، وتبعه في ذلك أسكيا داوود الذي يعتبر أوّل من أنشأ المكتبات في عهده، فشهد لذلك مؤرخ تنبكت محمود كعتي الذي أشار إلى أن أسكيا داوود (هو أوّل من اتخذ خزائن الكتب، وله نسّاخ ينسخون له كتبا، ربّما يهادي بها العلماء...) [3].



ونتيجة لهذا الولع الشديد باقتناء الكتب والمخطوطات، من الحكام وأرباب النفوذ في مالي، أصبحت للورّاقين والنسّاخ مكانة مرموقة، وازدهرت تجارة الكتب ونسخها، وصارت خزائن الكتب تكتظ بهذا التراث.

وشهد الرحالة الحسن الوزان بأهمية المخطوطات في مالي، وبالخصوص في مدينة تنبكت، حين أشار إلى بيع المخطوطات الكثيرة التي تأتي غالباً من الشمال، وتدرّ أرباحًا تفوق أرباح سائر البضائع المتداولة[4].

وقد تحدّث الباحث جون هنريك عن فن الاستنساخ في مدينة تنبكت، معتمدًا في ذلك على ما سجله نسّاخ (كتاب المحكم) لابن سيده اللغوي الأندلسي، أن في تنبكت طريقة خاصة في نظام الاستنساخ، وهي تتضمن عقداً شرعياً بين صاحب الورق الذي يأمر بالاستنساخ وبين الناسخ الذي ينسخ الكتاب لصاحب الورق، مقابل أجر من الذهب متفق عليه يدفع له عند إكماله العمل[5].

لا غرو - والحالة هذه - أن تنتشر في ربوع مالي خزائن المخطوطات، حافلة بنفائس الكتب ونوادرها في شتى فنون العربية.

## 1 - رحلة العلماء وتنقلات الكتب بين شمال الصحراء الكبرى والسودان الغربي

يبدو من خلال الإشارات الواردة في الوثائق التاريخية المختلفة[6]، أن التجارة كانت مزدهرة بين الشعوب الساكنين على طرفي الصحراء الكبرى، منذ عهد موغل في عمق التاريخ، وأن الإسلام أذكى الصلات الناشئة عن هذا التواصل الاقتصادي، وبالخصوص حين كان التجار الدعاة يفدون إلى مناطق جنوب الصحراء لنشر الإسلام وترسيخ ثقافته المجيدة.

وثبت أن منطقة السودان الغربي كانت غنية

2 - راجع: تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، باريس. نشرة هوادس 1964 مسيحي، ص57.
3 - تاريخ الفتاس ( باريس: نشرة هوادس 1964 مسيحي) ص 94.
4 - راجع : وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت . دار الغرب الاسلامي. 1983مسيحي ، ص: .
5 - راجع: محاضرة حول فهرسة المخطوطات الاسلامية في غرب إفريقيا، التي نظمتها، مؤسسة الفرقان بلندن، القاهرة، ص:11، 12.
6 - على سبيل المثل لا الحصر، المسالك والممالك، لابي عبيد البكري، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب 1992 مسيحي.

بمواردها الطبيعية، وكان لتجارة الذهب سوق رائجة فيها، واشتهر حكامها بحسن الاستقبال وكرم الضيافة للتجار المسلمين الوافدين إليهم، وأورد ابن بطوطة شهادات حية على ذلك أثناء رحلته إلى مملكة مالي[7]، كما ورد أن كنكن موسى استقدم العلماء إلى مملكته، ووفر لهم كل ما في وسعه من وسائل الراحة والاستقرار، وتبعه في ذلك أسكيا محمد الذي اتخذ لنفسه مستشارين من العلماء المسلمين، فأدّت هذه العوامل وغيرها إلى ذيوع صيت المنطقة وتحولها إلى منطقة جذب لعلماء الشمال، الذين توافدوا إليها للارتزاق أو طلب الأمن والاستقرار.

ومن العلماء الذين يجدر ذكرهم في هذا الصدد، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[8]، ومخلوف ابن علي البلبالي، وأبو القاسم التواتي، وعبد الواسع المصراتي، وفياض الغدامسي، وسيدي يحيى التادلسي[9]، وابن امتيضا الغدامسي[10]، وإبراهيم الخضر الفاسي[11]. كما اشتهر في مالي مؤلفات علماء الشمال، وارتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً، واعتمدوها في مناهجهم التعليمية، وألفوا حولها تآليف شتى تمثلت في الشروح والحواشي والتعاليق وغيرها، ومن أمثال ذلك، شرح منظومة المغيلي في المنطق، وشرح مخمسات العشرينيات الفازازية للحاج أحمد بن أحمد والد أحمد بابا التنبكتي.

واعتمدوا كذلك في تآليفهم على رحلة ابن بطوطة، والعبر لابن خلدون، وشرح الإرشاد لأحمد الزروق، والمعيار للونشريسي، والشفا للقاضي عياض، وغير ذلك[12].

## 2 ـ مظاهر التواصل عبر مؤلفات علماء مالي:

إذا كان لعلماء الشمال فضل السّبق في ترسيخ مقومات التفاعل الثقافي بين الشمال والجنوب، فلم يتوان علماء مالي عن الدفع بعجلة هذه الصلات في شتى أبعادها، ويمكن تتبع مظاهر هذا الدور عبر بعض الوثائق والمؤلفات المهمّة التي تنتمي إلى الجنوب، وتنتشر في مكتبات العالم، حيث تعكس واقع العلاقات التي عرفتها شعوبنا خلال قرون مضت، ولعله يكفي إيراد نماذج من هذه المظاهر:

**أحمد بابا التنبكتي (936 هـ ـ 1556 مسيحي/ 1036هـ 1627 مسيحي) ومؤلفاته التالية:**

أ) جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة[13].

اعتمد فيه الكاتب على مؤلفات علماء الأندلس والمغرب خاصة، وشمال إفريقيا والمشرق العربي عامة، مما يعكس لنا مدى التواصل العلمي بين شعوب جنوب الصحراء الكبرى وشمالها، وسعة اطلاع المؤلف، حيث ألّف هذا الكتاب وهو في القطر الإسلامي تبنكت عام 997 هـ ـ 1588 مسيحي.

ب ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج[14]:

---

7 ـ راجع: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر 1964مسيحي ص: 3.

8 ـ دليل ذلك تلك المراسلة التي جرت بينه من توات وبين السلطان أسكيا الحاج محمد بالإضافة إلى اشتهار بعض مؤلفاته في مالي، مثل رجزه في المنطق، وشرح مختصر خليل وغيرهما، راجع: نيل الابتهاج بتطريزه الديباج، احمد بابا التبكتي، تحقيق د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية 1989 مسيحي ص: 576 وما بعدها.

9 ـ راجع: السعدي، المصدر السابق ص: 58، 39، 59، كعتي المصدر السابق ص: 104.

10 ـ راجع: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة (بيروت: أصالة للنشر والتوزيع 1999مسيحي) ص: 133.

11 ـ راجع: السعدي، المصدر السابق ص: 68.

12 ـ راجع. المصدر نفسه ص: 8، 37، 46.

13 ـ مخطوط بمركز أحمد بابا تنبكت تحت رقم 736.

14 ـ ألفه في مراكش عام 1005هـ ـ 1596مسيحي، وقد اعتنى به مرات عديدة لعلّ أهمها ما قام به طلبة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا، عام 1990 مسيحي بإشراف وتقديم د./ عبد الحميد عبد الله الهرامة.

ويعد هذا الكتاب معلمة بيبليوغرافية مهمّة لطبقات أعيان المذهب المالكي في طريق الصحراء الكبرى.

ج) معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود[15]:

رد فيه المؤلف على رسالة بعثت من توات إلى فقهاء السودان، بشأن العبيد المجلوبين من بلاد السودان الذي تقرّر إسلام أهله، وقد استنار التنبكتي بآراء بعض علماء المذهب المالكي في الشمال ليرجح بذلك موقفه من القضية.

أضف إلى ذلك إجازاته لبعض علماء المغرب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الخطيب أبي زيد بن الوقاد التلمساني الخطيب بجامع الكبير بتارودانت[16] وغيره.

**ب ـ عبدالرحمن السعدي (1569 مسيحي) ومن مؤلفاته:**

1. تاريخ السودان:

نلاحظ في هذا الكتاب إشارات دقيقة وواضحة، تدل على أن المؤلف يمثل عاملاً مهمًا من عوامل حركة التواصل بين شعوبنا، إذ أرّخ لهذا التواصل وحصر لنا معلومات عن حركة العلماء، وتنقلات الكتب، وقيّد في ذلك أسماء علماء وعناوين كتب، وغير ذلك من مظاهر التواصل بين المنطقتين[17].

أ ـ الرسالة الغلاّوية[18]:

يدور هذا الكتاب حول الخلاف الدائر بين قبيلة المؤلف (كونتا) وقبيلة (إدو الحاج) المقيمة في القطر الشنقيطي، وهي عبارة عن سجل لأهم مظاهر التواصل بين شعوب جنوب الصحراء الكبرى.

ب ـ الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد[19]:

جمع فيه المؤلف معلومات تاريخية قيمة، هي عبارة عن الأحداث الدائرة في منطقة أزواد ومنحنى نهر النيجر خلال القرنين 1918 مسيحي، فأرخ للعلاقات بين قبيلته كونتا، وبين الطوارق، والبرابيش، والرّماة والفلان، وحتى القبائل العربية في شمال الصحراء الكبرى.

**د ـ الشيخ أحمد البكاي الكنتي (1803 مسيحي) ومؤلفه .**

1. فتح القدوس في جواب أبي عبدالله أكنسوس[20].

موضوع هذا المؤلف هو الجدل الكتابي الذي ساد بين الكنتي أحد زعماء الطريقة القادرية في جنوب الصحراء الكبرى، ومحمد بن أحمد أكنسوس زعيم روحي للطريقة التيجانية في الشمال[21]، وهو عبارة عن التواصل العلمي بين علمين بارزين من أعلام الثقافة العربية الإسلامية في طريق الصحراء الكبرى خلال القرن 13هـ/91مسيحي.

نلمس من خلال هذه النماذج أن علماء مالي قد أسهموا في ترسيخ مقومات التواصل مع أقرانهم العلماء في القطب الشمالي للصحراء الكبرى، أولئك الذين

15 ـ ألفه في تنبكت عام 1024هـ ـ 1610 مسيحي ، مخطوط بمركز احمد بابا تنبكت تحت رقم 6409.

16 ـ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: 3693.

17 ـ راجع: تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق صفحات متفرقة.

18 ـ مخطوط في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 3273.

19 ـ مخطوط في مركز احمد بابا تنبكت تحت رقم 2182. وقد حقق عابدين بن باب احمد بن حمّ جزء هذا المخطوط في موريتانيا وطبع بعناية المعهد الموريتاني للبحث العلمي عام 1994 مسيحي.

20 ـ مخطوط في مركز أحمد بابا تنبكت تحت رقم 746.

21 ـ راجع: الأعلام، خير الدين الزركلي) بيروت: دار العلم الملايين 1984 مسيحي (ج :6، ص 16. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، د./ محمد الأخضر (الدار البيضاء ـ مطبع النجاح الجديدة 1997مسيحي) ص431.

كانت تربطهم بهم وشائج المحبة والتقدير والإجلال، وتحري الموضوعية العلميّة في تبادل الأفكار، والاستفسار حول المسائل المستجدة بين الطرفين.

وهذا سرد موجز من مظاهر التواصل عبر مؤلفات علماء مالي، إذ أن تعداد ذلك بالدّقة يستحق أكثر من بحث لكشف النقاب عن الجوانب الغامضة لهذا التواصل.

## 3 ـ الوضع الراهن للتراث العربي المخطوط في مالي:

لقد أشرت آنفاً أن البقعة الجغرافية التي تتكون منها دولة مالي الحديثة، كانت مهد حضارات قديمة، ومرتع أحداث أعظم مدن الإمبراطورية الثلاث التي عرفها السودان الغربي، ونتيجة الازدهار العلمي الذي حققه علماء مالي في تلك الحقب المتتالية من التاريخ، في ظروف تشجع الثقافة وأهمها في شتى أبعادها، فمن الطبيعي أن تنتشر خزائن المخطوطات في أرجاء المنطقة، وبالخصوص في الحواضر الثقافية العتيقة، ويتوارث سكانها هذا التراث كابرا عن كابر.

وقد أشاد الباحث جون هنويك بأهمية هذه المنطقة من حيث التراث العربي المخطوط، بأنها عرفت إسلاماً علمياً مزدهراً من خلال إمبراطوريات (مالي، سنغاي، ماسينا، توورودو الخ)، وحواضرها (جني، غاوو، حمد الله، انيورو (دي اساحل)، تنبكت، سيتو.. الخ، وأن مالي الحديثة تعتبر موطن الكثير من العلماء والقضاة المشهورين أمثال : أحمد بابا التنبكتي، القاضي محمود بن عمر التنبكتي، عبد الرحمن السعدي، محمود كعتي، من بين مئات المفكرين، وأن الأوصاف الخلاّبة التي أطلقت على المخطوطات الإسلامية في جمهورية مالي تكون في محلها حين نكشف التنوّع، وكثرة العدد، والأهمية البالغة التي تمثلها هذه المخطوطات لتاريخ جميع دول غرب إفريقيا، وعلاقات هذه الدول ببلاد المغرب[22].

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أنه يصعب على الباحث وضع خريطة دقيقة لمظان وجود خزائن المخطوطات على امتداد القطر المالي، إذ لا توجد هناك ـ على حد علمي ـ دراسة أو عناية بذلك، وإنما اقتصرت المحاولات السابقة على بعض مدن شمال مالي فحسب، على سبيل المثال لا الحصر، تنبكت وغاوو، وأروان.

وقد قادتني الملاحظات أثناء الجولات التنقيبية عن المخطوطات إلى أن هناك قدراً كبيراً من هذا التراث في المدن والقرى المختلفة في مالي، وبالخصوص لدى الأسر العلمية، في الصناديق والدواليب والزوايا والكتاتيب والمساجد، هامدة بين الغبار وقسوة الطبيعة، تترقب منقذا يكشف النقاب عنها، وبالخصوص في القرى والمدن التاريخية والدينية المشهورة والمنتشرة في إقليم مالي، أمثال: كاي، كوليكورو، سيكاسو، سيقو، مبتي، إلا أن أصحاب المخطوطات في هذه المناطق لم يعرفوا صفقة المخطوطات كما هي الحال في الشمال، إنما يرونها تراثاً إسلامياً أسرياً به يستنيرون ويفتخرون، ولا يتساهلون في شأنه إلاّ عن طريق الإعارة والإهداء والتبادل، لمن تربطهم بهم أواصر القرابة والألفة.

## 4 ـ مكتبات المخطوطات العامّة والخاصة:

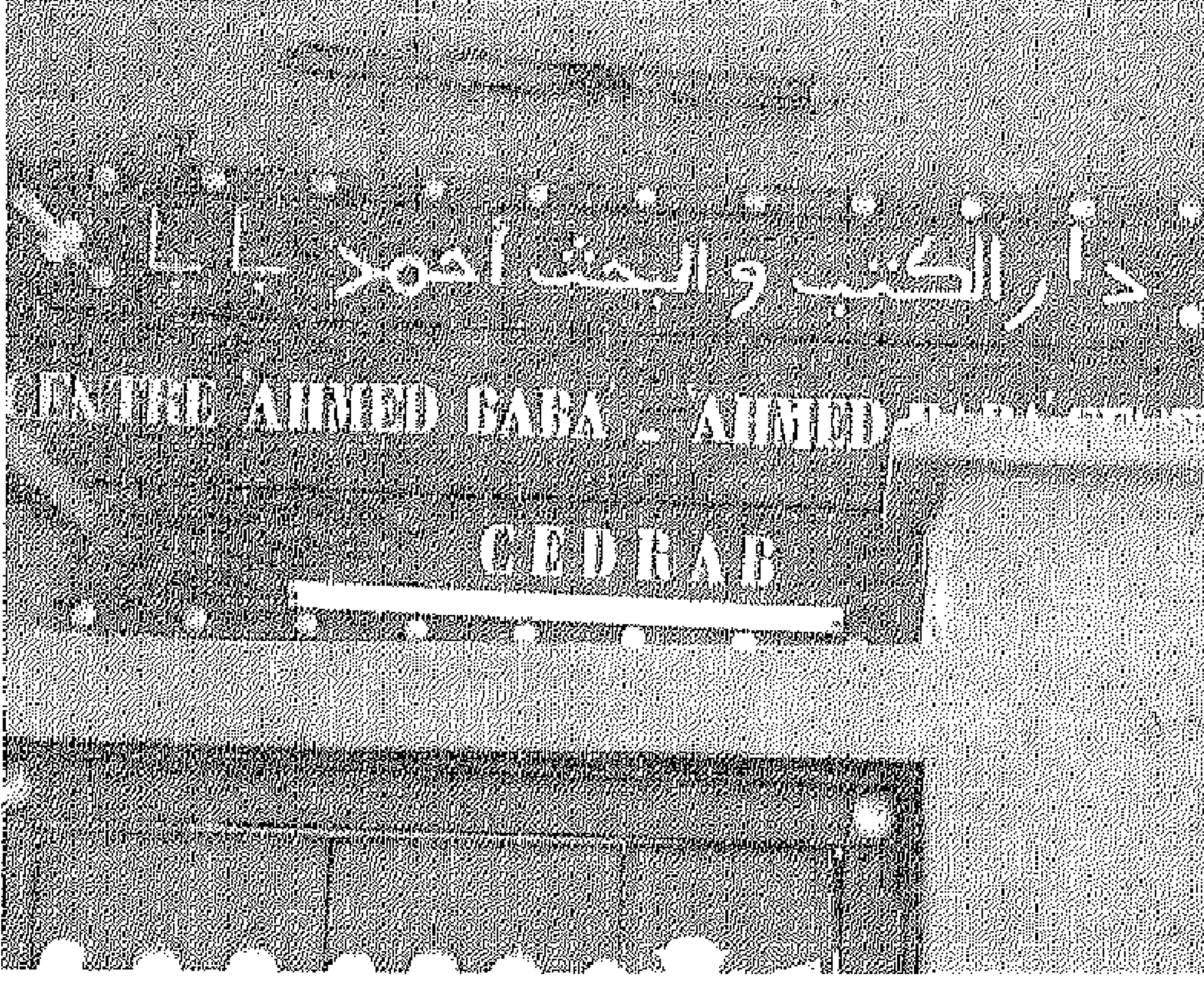
يقودني الحديث عن مكتبات المخطوطات في مالي إلى خزائن المخطوطات التي جمع أصحابها هذا

22. راجع:
R. Colloque "Bibliotheques Ntionales en Afrique Francophone", au 21ème Siècle - EBAD P.3

التراث، سواء بالوراثة أو بالتنقيب عنه للحفاظ عليه بترميمه وفهرسته، وهي مكتبات عامّة وخاصة، فمن المكتبات العامّة في هذا الصدد، مركز أحمد بابا التنبكتي الذي أسس عام 1970 مسيحي، بمبادرة من (اليونيسكو)، وشرع في العمل رسميًا عام 1977 مسيحي بدعم مالي من دولة الكويت، وقد تحول هذا المركز منذ يوليو عام 1999 مسيحي، إلى معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، فيحتوي اليوم على 18,000 مخطوط تقريبًا، ويعدّ أحد أغنى المراكز وأكبرها من حيث التوثيق في إفريقيا جنوب الصحراء، إذ يقوم بالتنقيب عن المخطوطات للحفاظ عليها بجمعها وترميمها وفهرستها[23].

أما المكتبات الخاصّة، فمن أهمّها مكتبة مما حيدرا في تنبكت التي تحتلّ الصدارة بين المكتبات الخاصة، من حيث المحتوى والتجهيز، وافتتحت رسميًا يوم 13 يناير 2000 مسيحي، وتحتوي اليوم على 5000 مخطوط[24].

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد مكتبة المرحوم الشيخ حماه الله ولد سيدنا عمر، التي استولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية على مقتنياتها أثناء الخلاف مع الشيخ، وقد ردّ هذا التراث بعد استقلال جمهورية مالي - إلى مكتبة أسرة المرحوم في انيورو - Du Shale Nioro العاصمة الروحية للدعوة الحموية، وتحتوي هذه




المكتبة على مئات المخطوطات التي نسخت واقتنيت خلال القرنين 19 - 20 مسيحي[25].

وهذا شأن مكتبة واحدة من مدن الإقليم الأوّل لمالي، فما بالك بعشرات المدن العريقة الأخرى، التي لا تقل أهمية عن هذه المدينة، مما يؤكد أن مالي كانت مهد تاريخ مجيد، غنية بتراثها على امتداد أراضيها[26].

### 5 - القيمة العلميّة لهذا التراث:

قد أشرت منذ قليل إلى إشادة الباحث جون هنويك بهذا التراث[27]، وتتضح القيمة من خلال موضوع هذا المخطوط الذي يمكن تصنيفه إلى فئتين رئيستين:

الأولى: مخطوطات ذات طابع ديني.

الثانية: مخطوطات ذات طابع وثائقي.

---

23 - راجع:

Timbuktu Libraries, journee du Livre consacree au Manuscrits de Tombouctou P.I.

24 - للمزيد من التوضيح حول هذه المكتبة، راجع: عبدالقادر مما حيدرا يحدثنا عن مكتبة المرحوم مما حيدرا للتوثيق والمخطوطات، جريدة التواصل ، باماكو مالي، العدد00، شهر يوليو 2004مسيحي ص6.

25 - وقد أشار الخليل النحوي إلى أن الشيخ أحمد حماه الله، من أوسع مشايخ مطلع القرن العشرين المسيحي، أثرا فى إفريقيا، وأصلبهم عوداً فى مواجهة الاستعمار الفرنسي، ولد لأب عربي وأم فلانية.

26 - راجع: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة ، (بيروت. دار الغرب الإسلامي 1993مسيحي) ص:42. وللمزيد من التوضيح حول الشيخ راجع: الدعوة الحموية في مرآة الطريقة الأحمدية التيجانية، الشيخ طاهر دكرى، (دكار: مطبعة الرأس الأخضر 1971 مسيحي).

27 - راجع

Cheikh Hama Houllah: Homme de foi, Alioun Traoure (Paris: Maison–Neuve 1983) Colloque: O.CIT.P3.

من هنا تبرز لنا هذه القيمة، إذ كان الدين هو المنطلق الأساس لأولئك العلماء في أي عمل إنساني، لذا اهتموا بالقضايا الدينية، بالتأريخ لها ونظم القصائد في صددها، كما وثقوا معاملاتهم من بيع وشراء، وبالخصوص خلال القرنين19 ـ 20 مسيحي.

وبعبارة أخرى فإن قيمة هذا التراث لدى شعب مالي أمر واقعي، إلى درجة أنه يتخيل لهم أن كل مكتوب بالحرف العربي شيء مقدّس. ويحضرني في هذا المضمار قول المفكر المالي أمادو همباتي باه، الذي أشار إلى أن (في إفريقيا كلما مات شيخ فكأن مكتبة احترقت) فالشيخ يحتل في هذا المجتمع الإفريقي مكانة لا تقل أهمية في حفظ الماضي عن المكتبة التي تحتوي على كتب سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة.

ويمكن تحديد هذه القيمة أيضاً بانتشار التراث المنتمي إلى مالي في مكتبات العالم، على سبيل المثال لا الحصر، مقتنيات مكتبة المرحوم الحاج عمر تال التي استولى عليها أرشينار عام 1980 مسيحي وهي محفوظة حالياً في المكتبة الوطنية بفرنسا[28]. ومخطوطات أخرى في خزائن شمال إفريقيا[29] ومصر غيرها.

وبالرجوح إلى هذا التراث، واستغلاله استغلالاً جيداً فإنه يمهّد لإحياء علاقات إنسانية قديمة جمعت شعوباً عبر التاريخ، حيث انطلقت مقومات التواصل بشتى أبعادها من كل قيد لتستقرّ في الجنوب، من خلال علماء وتجار وكتب، مثل إبراهيم الساحلي الذي أسهم في مجالي الأدب، والفن المعماري بمالي، واندمج في مجتمعه[30].

### 6 ـ الأخطار التي تهدد هذا التراث :

إن التراث العربي المخطوط في مالي معرض لأخطار كثيرة تختلف من بيئة إلى أخرى، لعل أبرز هذه الأخطار تتلخص في العوامل التالية:

1 ـ عوامل بيولوجية (الحشرات).

2 ـ عوامل كيماوية (الرطوبة والحموضة).

3 ـ عوامل بشرية (سوء الاستعمال، السرقة، الضياع بواسطة الإعارة).

وغير هذه من عوامل تختلف حسب اختلاف البيئات والظروف التي يحفظ فيها المخطوط.

### 7 ـ الجهود المتوقعة :

إن مسؤولية الحفاظ على هذا التراث، تقع بالدرجة الأولى على أصحاب المكتبات الخاصة، أما المكتبات العامة، فعلى الدولة العناية بها كما ينبغي، ولا أنسى في هذا الصدد التنويه بجهود بعض الجمعيات الثقافية المهتمة بهذا التراث، على سبيل المثال لا الحصر: جمعية مالي للبحث من أجل التنمية، التي أنجزت الكثير في هذا الميدان بمشاركة الباحثة ستيفاني جاكتي، وجمعية أصدقاء المخطوطات العربية في مالي، التي رسمت لنفسها برنامج عمل شامل في مجال المخطوط، من أبرزه الاهتمام بالتراث العربي المخطوط في مالي بصفة عامة. وفي المناطق التي لم تحظ بعناية الباحثين بصفة خاصة، للتنقيب عن هذا التراث بغية التعريف به؛ بجمعه ودراسته وتحقيقه، وقد قطعت في ذلك أشواطا

---

28 ـ راجع صفحة 7 من هذا البحث.

29 ـ راجع

Les archives en Afrique de l'Ouest: un patrimoine en mutation P.9

30 راجع: على سبيل المثال لا الحصر، مخطوطات احمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية، حسن الصادقي (الرباط: معهد الدراسات الإفريقية 1996 مسيحي).

مباركة[31]، وغير هذه من جمعيات ثقافية تعمل ليل نهار للنهوض بالمخطوط العربي في مالي.

## 8 - اقتراحات :

في نهاية هذا السرد الموجز أودّ أن أقترح بعض الملاحظات التي علها تسهم في هذا المضمار.

1 - رفع المنظمات الثقافية العربية والإسلامية نسبة دعمها لمراكز المخطوطات في مالي.

2 - تزويد مراكز المخطوطات بالمعلومات وآلات التقنية الحديثة في مجال العناية بالمخطوط.

3 - إعادة النظر في طبيعة التعاون بين المكتبات التي تحتوي على المخطوطات المنتمية إلى مالي ومراكز المخطوط في مالي.

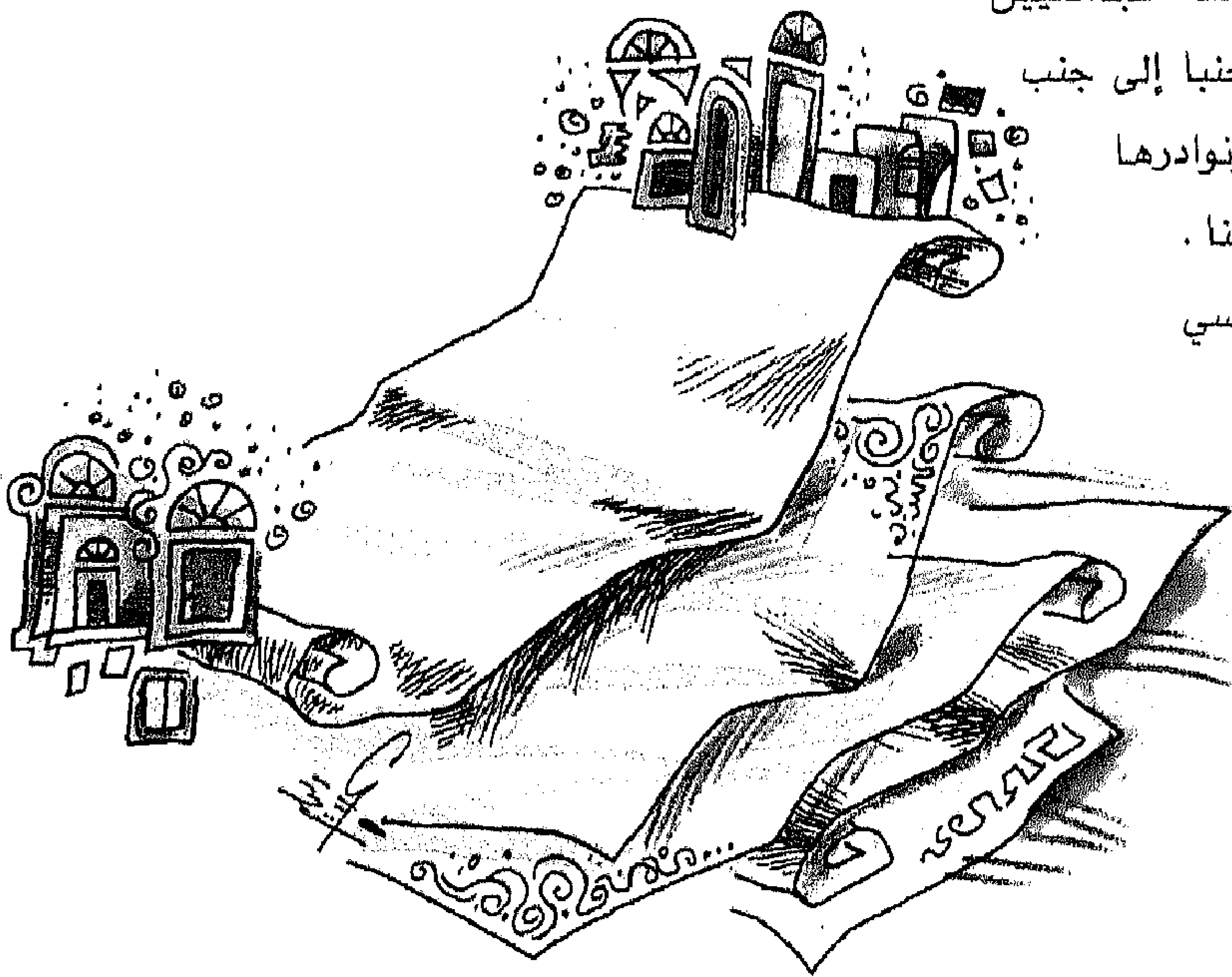
4 - تشكيل فرق الباحثين من الأساتذة الجامعيين والمهتمين بهذا التراث ليعملوا جنبا إلى جنب على ضوء نفائس المخطوطات ونوادرها في إحياء علاقات قديمة بين شعوبنا .

5 - إتاحة الفرصة لأبناء مالي (دارسي العربية) ليتخصصوا في خدمة هذا التراث.

6 - تنظيم لقاءات وندوات حول المخطوط العربي في دول إفريقيا عامة وفي مالي خاصة.

7 - إصدار مجلة متخصصة في أخبار المخطوطات العربية على طرفي الصحراء الكبرى.

وهذا غيض من فيض حول مظاهر التواصل من خلال التراث العربي المخطوط في مالي، ذلك التواصل الذي تحقق فعلاً بين أسلافنا عبر اللقاءات والمؤلفات والمراسلات، كما يقتضي تعداد هذه المظاهر بالتفصيل التوقف عند كل أسرة علمية على امتداد القطر المالي. وأخيرا أقرّ بأن الظروف الراهنة تلزمنا بكشف النقاب عن هذا التراث، دراسة وتحليلا، لاستجلاء حقائقه، حتى نستأنس بها في إحياء علاقات إنسانية مجيدة في مجالات الحياة كافة.



31 راجع : رسالتي بعنوان: الأدب العربي في تنبكت، المصدر السابق، صفحة 140، 238، 239، 240 ويشير لسان الدين الخطيب إلى زواجه في بلاد السودان ووفاته في تنبكت، راجع: الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق. محمد عبد الله عنان) القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر 1973مسيحي( ط: 2مج: 1، ص: 143. وللمزيد من التوضيح حول الساحلي، راجع: إبراهيم الساحلي ودوره الثقافي في مملكة مالي، الأستاذ د/ محمد بن شريفة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية عام 1999 مسيحي).

ومن تلك قيام احد افراده وهو الأستاذ: إبراهيم صديق كليلي بتحقيق مخطوط الاجوبة المهمة في المسائل الملمة للشيخ سيدي المختار الكبير ابن احمد بن ابي بكر الكنتي (1226هـ/1811 مسيحي) ونال بها درجة التخصص العالي (الماجستير) في شعبة الدعوة والحضارة بكلية الدعوة الإسلامية بطرابس ليبيا عام 2002 مسيحي ، بإشراف الأستاذ الدكتور. يوسف أحمد الثلب.

1 ـ جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة، أحمد بابا التنبكتي مخطوط بمركز أحمد بابا، تنبكت تحت رقم: 637.

2 ـ معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود، أحمد بابا التبكتي . مخطوط بمركز أحمد بابا . تنبكت، تحت رقم: 9046.

3 . إجازة أحمد بابا للخطيب أبي زيد بن الوقاد التلمساني، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 3963.

4 ـ الرسالة الغلاوية: الشيخ سيدي محمد الكنتي، مخطوط في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم: 3723.

5 ـ الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، الشيخ سيدي محمد الكنتي، مخطوط في مركز أحمد بابا . تنبكت، تحت رقم: 2812.

6 ـ فتح القدوس في جواب أبي عبد الله أكنسوس، الشيخ أحمد البكاي الكنتي، مخطوط في مركز أحمد بابا . تنبكت تحت رقم: 647.

المطبوعات :

7 ـ تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي )باريس : نشر هوداس 1964مسيحي).

8 ـ تاريخ الفتاش، محمود كعتي، )باريس: نشرة هوداس 1964 مسيحي).

9 ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي )بيروت: دار صادر للطباعة والنشر 1964مسيحي( .

10 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر 1973مسيحي ( ط2، مج 1.

11 ـ وصف إفريقيا الحسن الوزان ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت : دار الغرب الإسلامي 1983مسيحي ، ج:2.

12 ـ الأعلام خير الدين الزركلي، بيروت. دار العلم للملايين 1984 مسيحي الجزء 6.

13 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التبكتي، تحقيق د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية 1989 مسيحي.

14 ـ المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، تحقيق أدريان ليوفن وأندري فيري (تونس، الدار العربية للكتاب 1992مسيحي).

15 ـ الدعوة الحموية في مرآة الطريقة الأحمدية التجانية الشيخ: طاهر دكرى (دكار: مطبعة الرأس الأخضر 1971 مسيحي).

16 ـ إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة (الخليل النحوي)، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1993مسيحي).

17 ـ الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، د/ محمد الأخضر (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة المملكة المغربية 1997مسيحي).

18 ـ إبراهيم الساحلي، ودوره الثقافي في مملكة مالي الأستاذ الدكتور / محمد بن شريفة (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية 1992 مسيحي).

19 ـ مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية حسن الصادقي) الرباط: معهد الدراسات الإفريقية المملكة المغربية 1996 مسيحي).

20 ـ فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، د/ عبد الحميد عبد الله الهرامة( بيروت: أصالة للنشر والتوزيع 1999 مسيحي).

21 ـ محاضرة الباحث جون هنويك حول فهرسة المخطوطات الإسلامية في غرب إفريقيا التي نظمتها مؤسسة الفرقان بلندن. القاهرة: 1994/02/17مسيحي.

22 ـ جريد التواصل إخبارية شهرية شاملة تصدر باللغتين (العربية والفرنسية) باماكو ـ مالي العدد: 00، شهر يوليو 2004 مسيحي.

الرسائل العلمية :

23 ـ الأدب العربي في تنبكت من خلال خزائنه النصية من أوليته حتى أواخر القرن 13هـ/91مسيحي ، رسالة لنيل درجة التخصص العالي )الماجستير( في الدراسات الأدبية إعداد/ سامبى خليل ماغوسوبا، إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، عام 2002 مسيحي .

24 ـ كتاب الأجوبة المهمة في المسائل الملمة، للشيخ سيدي المختار الكنتي (1226 هـ ـ 1811 مسيحي) دراسة وتحقيق، رسالة لنيل درجة التخصص العالي (الماجستير) في الدعوة والحضارة . إعداد / إبراهيم صديق كوليبالي، إشراف / الأستاذ الدكتور يوسف أحمد الشلب، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية عام 2002 مسيحي.

المراجع الأجنبية :

.. Cheikh Hama Houllah : Homme de foi, Alioun Traoure (Paris: Maison-Neuve 1983).

- Colloque RBibliotheques Nationales en Afrique Francophone au 218me Siecle - EBAD,

.. Les archives en Afrique de l'Ouest: un patrimoine en mutation.

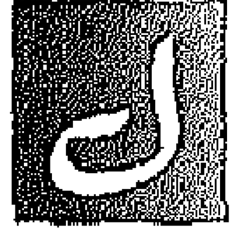
- Timbuktu Libraries, journee du Livre consacree au Manuscrits de Tombouctou



# الثّقافة العربيّة الإسلاميّة تجاه العولمة

علي جنك صمب *

### مفهوم الثقافة



لما كانت الثقافة ظاهرة إنسانية، فإني لم أجد اتفاقاً حول مدلول هذا المصطلح. أما المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو)، فقد اعتمدت التعريف التالي للثقافة في المؤتمر العالمي الخاص بالسياسات الثقافية بمكسيكو عام 1982: «الثقافة هي جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية، التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها. وهي تشمل الفنون، والآداب، وطرائق الحياة. كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والتقاليد، والمعتقدات».

أما الثقافة في برنامج «الخطة الشاملة للثقافة العربية» التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، فهي مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع، وما يتصل بهما من المهارات، أو يعين عليهما من الوسائل.

وهذا التعريف يتميز عن التعريف الأول بأخذه بالمعنى الفكري، والفني، والإبداعي، مع الاحتفاظ بالمعنى الاجتماعي والأنتروبولوجي للثقافة[1].

### خصائص العربية الإسلامية:

وإن كانت الثقافة العربية الإسلامية تشترك مع الثقافات الأخرى من حيث المدلول، فهي تختلف عنها من حيث الأساس، لأنها - أي الثقافة الإسلامية - ربّانية الأساس تستمد أسسها من القرآن والسُّنّة. فهي ليست كغيرها من الثقافات الأخرى الخاضعة إلى تفكير البشر وتصوراتهم، وتتسم بالانفتاح على الأفكار الصحيحة النافعة، بل اعتبرت أن الأخذ من الغير ضروري ونافع باعتبار أن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها، مما جعلها ثقافة إنسانية متميزة

* معهد العلاقات الدولية - تونس

(1) الجويلي، نصر «الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر» مجلة الهداية، مجلة ثقافية إسلامية تصدر كل شهرين عن المجلس الإسلامي الأعلى، العددان 1 - 2، سنة 2000، ص 78.

مؤثرة ومتأثرة، واستطاعت أن تكون ثقافة مبدعة ومضيفة ساهمت في بناء حضارة عالمية كان لها أثرها على عديد المستويات، والعيش في سلام دائم مع الثقافات الأخرى.

غير أن ما نشاهده اليوم في العالم من تغيرات مدهشة، وتحولات مذهلة شاملة كل القطاعات اقتصاديها واجتماعيها وثقافيها، يجرّنا إلى القول إن عالم اليوم لم يعد عالم الأمس، لأن الحواجز قد رفعت وأزيلت الحدود، فأصبح من السهل جداً التجوّل في فضاءات الدول بسهولة، والتعرّف إلى هويات أناسها وما لهم من مميزات اجتماعية وخصوصيات ثقافية بيسر، وذلك نتيجة تحكم الغرب بالاتصالات الدولية من طريق الأقمار الاصطناعية والاتصالات اللاسلكية، بما لها من مقدرة على كسر حواجز العزلة بين بلدان العالم، والوصول إلى المناطق النائية التي لم تكن تصلها وسائل الاتصال القديمة.

وإن الثقافة ليست منظومة جامدة لا تتغير. وبما أنه ليس من أمة أو شعب أو جماعة بشرية عاشت في عزلة تامة عن غيرها من الأمم والشعوب والجماعات، وأن كل شعب قد تأثر بثقافة شعب أو شعوب أخرى وأثّر وتأثّر، وأخذ وأعطى، هذا ما ندعوه المثاقفة التي هي عملية تفاعل وتبادل وتداخل بين الأنماط الثقافية في فترات زمنية متعاقبة من الزمن. ونشير هنا إلى أن ما فعله العرب عندما ترجموا في القرنين الثامن والتاسع للميلاد مؤلفات عديدة إلى لغتهم من اللغات الأخرى، ولا سيما الإغريقية والفارسية والهندية في الحكمة والعلوم المختلفة، كالطب، والرياضيات، والحساب، والفلك، والهندسة. وفي المقابل، كان للثقافة الإسلامية أثر كبير في إغناء التراث المعرفي للبشرية، وخير شاهد على ذلك ما قرر في مؤتمر علمي عقد عام 1953 في جامعة برنستون بواشنطن «إن كل الشواهد تؤكد على أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية ـ الإسلامية. وإن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، إنما استمده الغرب من المسلمين»[2].

**«إن كل الشواهد تؤكد على أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية ـ الإسلامية. وإن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، إنما استمده الغرب من المسلمين»**

ومثلما فعل العرب، فعل الأوروبيون عندما نقلوا نتاجات الفكر الإسلامي، وثمرات الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية وإلى اللغات الأخرى، كالفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والإنجليزية، والآثار التي تركها المسلمون في الأندلس خير دليل على ما نقوله.

هذه هي المثاقفة الساطعة النافعة. أما الغزو الثقافي، فهو عمل تعسفي يمارسه طرف قوي أو أطراف قوية على طرف ضعيف، بغية اختراق ثقافته أو إلغائها كلّياً أو جزئياً، أو على الأقل التشكيك في أهمية مقوماتها الرئيسية من قيم ومفاهيم وعادات وتقاليد ولغة وتراث، مع إنكار صلاحيتها للعصر الجديد، عصر الثورة العلمية والتقنية، ثورة المعلومات والمعلوماتية.

وهكذا يتضح أن المثاقفة أو التفاعل الثقافي عمل

(2) شحادة، خوري، أوراق ثقافية، دار الطباعة الجديدة، سوريا، ص 1، 2001، ص 99.

حضاري مشروع، وأن الغزو الثقافي أو الغزو الفكري - كما نشاهده اليوم - عمل عدواني وغير مشروع. إنه محاولة لاحتلال الذاكرة والعقل معاً. ولعلّ هذا ما جعل الثقافة العربية الإسلامية عرضة لاتهامات على مرّ الزمن من جانب أعداء الإسلام، اعتقاداً منهم بأن التغلب على الأمة المسلمة، لا يتم إلا بإضعاف ثقافتها وزعزعة ثقة أهلها بها(3).

وبما أن الثقافة العربية الإسلامية ثقافة تتميز بأن قيمها ثابتة غير قابلة للتغيير لأن رؤيتها للإنسان والكون والمجتمع تختلف عن الرؤية الغربية المادية البحتة التي ترى أن المصلحة هي التي تحدد القيمة، فإن كانت المصلحة في الحرب، فالحرب هي القيمة، وإن كانت المصلحة في السلم، فالسلم هو القيمة. وعلى العكس من ذلك، فإن القيم في الإسلام ثابتة لا تقبل التبرير، وهو أمر يكسب المسلمين أرجحية للتقدم إن هم أخذوا بأسباب العلم والتقنية. ومما يدل على ثبات القيم الإسلامية قوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾
[سورة المائدة: الآية 2]

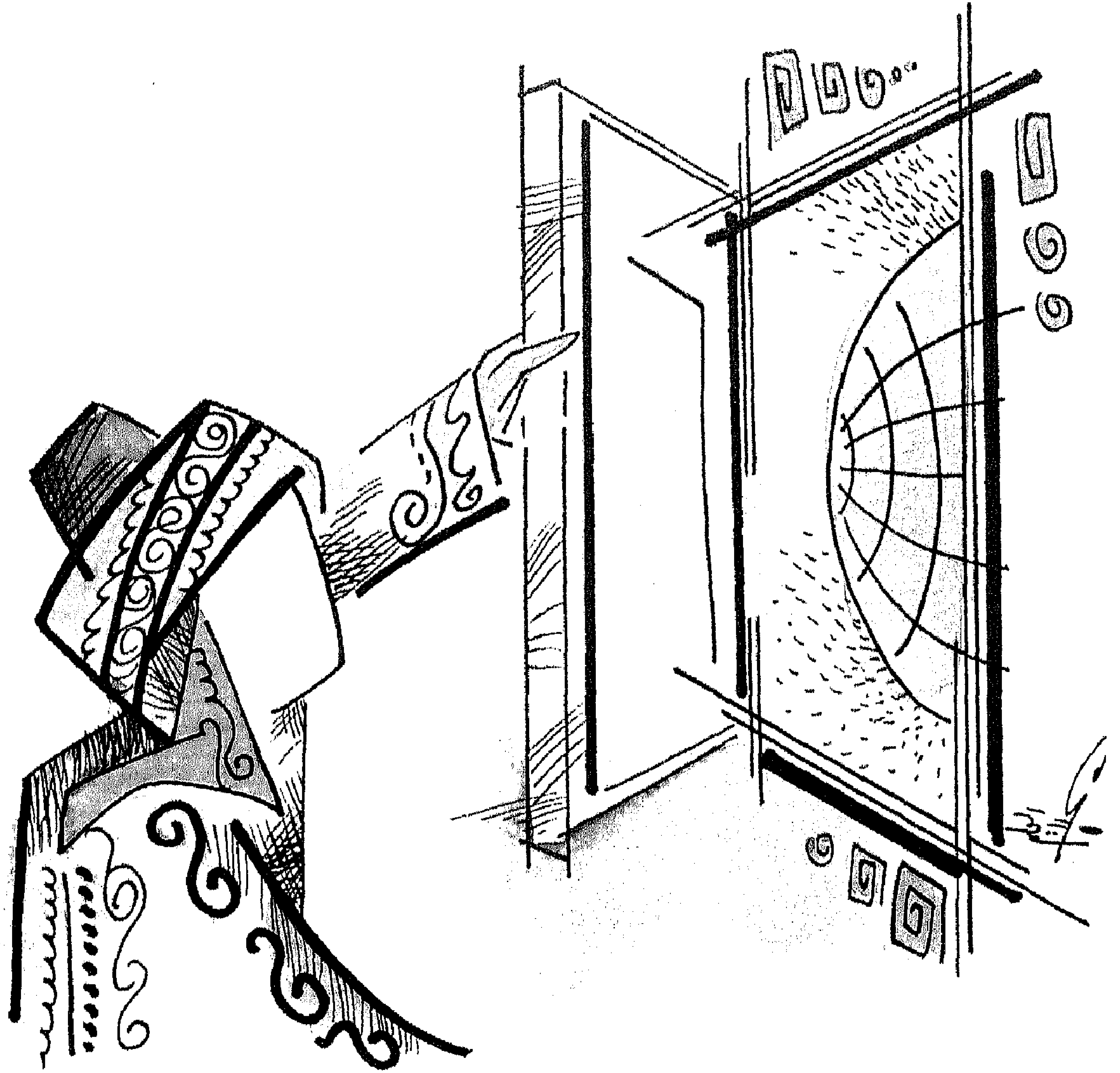
ومعنى ذلك، أن القيم الإسلامية ثابتة لا تغيرها المصالح، ولا تنقضها الأوضاع، ولا تقبل التبرير بأي حال من الأحوال، لانعدام قابلية تغير القيم في الإسلام. يجب المحافظة على هذه الثقافة والذود عنها ضدّ كل غزو خارجي. وللمحافظة على ثقافتنا إزاء هذه العولمة، لا بدّ من أن تظل هذه الثقافة منفتحة كما كانت في عصور ازدهار الحضارة العربية - الإسلامية. كما يجب أن تسهم في الثورة التقنية والعلمية باعتبارهما قاعدتين تستند إليهما كما تستند إلى الأدب والفن، وأن تستعمل الخطاب الديني الذي يؤدي دوراً حاسماً في إنماء الثقافة، وفي تغذيتها بالقيم، وتسديد مسيرتها، وهو سند للدين والدولة والمجتمع، ويعتبر أساساً ثقافياً متيناً يذكي الروح، ويثبت القيم، ويحض على العمل، ويدفع إلى الأمل. كما أن الثقافة جسر إلى المستقبل، لا بدّ أن يكون متين البناء حتى لا تجرفه تيارات العولمة.

**رؤية الثقافة العربية الإسلامية للإنسان والكون تختلف عن الرؤية المادية التي ترى أن المصلحة هي التي تحدد القيمة.**

والدين هو المكوّن الأساس من بين مكونات الثقافة، وخصوصاً بالنسبة إلينا نحن المسلمين، حيث لا يمكن أن تكون لنا ثقافة تعزل عن الدين. فالدين الإسلامي هو روح ثقافتنا، ولذلك فإننا حينما نتحدث مع الآخرين بلغة حوارية، نتمسك بالمقومات الدينية لثقافتنا، ونحترم المقومات الدينية لثقافتهم، ونبحث في هذا الحوار عن الجوامع المشتركة بيننا وبينهم من أجل أن نقيم حياة مشتركة، وتعايشاً مشتركاً، ورؤية مشتركة بالنسبة إلى القضايا التي نواجهها في العالم.

ولا شك في أن العولمة تفرض تحديات على المسلمين وعلى المسيحيين معاً، لأن العولمة قائمة في أساسها وفي جوهرها على فكر علماني، أي على فكر لا ديني، وبالتالي فهي رافضة للفكر الديني وللثقافة الدينية، وهذا يعني أنها رافضة من حيث المبدأ القيم

(3) شحادة م. س، ص 97.



الروحية التي يقول بها الإسلام، والتي تقول بها المسيحية أيضاً. من هنا نجد أن الإسلام والمسيحية في مواجهة أمام تحديات العولمة، الأمر الذي يستدعي إجراء حوار لمواجهة هذه العولمة، مع التركيز على عدم إلغاء الآخر وعدم تشويه صورة الآخر، وعدم سوء توظيف الآخر. ومما لا شك فيه أن المسلمين مدعوون لمواجهة جملة من التحديات خاصة، تفرضها تلك العولمة، وهذا يتمّ من خلال الحوار. والعولمة التي يسوقها الغرب هي فرض قيم الغرب على الآخر، وفرض مقاييسه المادية، بل وجعلها مقياساً للحضارة. كما أن العولمة ظاهرة للتوحد الثقافي والاقتصادي التي يشهدها عالم اليوم، مع ذكر بقية النواحي، من سياسية واجتماعية. ولكن التوحد الثقافي والاقتصادي يبقى هو الظاهر الأبرز، لأن الثورة التقنية المتمثلة في وسائل الاتصالات والمعلومات، جعلت من العولمة ظاهرة واضحة للعيان

أكثر من أي وقت مضى. ففي الماضي، كانت الأحداث الكبرى تأخذ وقتاً طويلاً قبل أن يتبيّن أثر هذه الأحداث على مختلف الأصعدة والمجالات كما لو كانت هذه الأحداث ذات أثر إقليمي أو وطني بحت. أما اليوم، فالأحداث والتحوّلات تتمّ بسرعة مذهلة ويتبين أثرها الكوكبي مباشرة تقريباً. فالأحداث والتغيرات والتحولات السريعة التي نشاهدها اليوم، سوف تؤدي إلى عولمة العالم، أي توحده في أكثر المجالات، وهذا يعني تغير المفاهيم، والأفكار، والقيم، والعقائد، والعادات والأعراف، والتراث، والأنظمة، والشرائع، واللغة، والتاريخ، والأدب، والأذواق، والأمزجة، والمشاعر، بسبب عجز السلطة السياسية عن التحكم في متغيرات الداخل، ومراقبة الحدود تجاه البريد المصور وشبكة المعلومات الدولية والأقمار الاصطناعية، وما قد تأتي به الأيام من تطورات أكبر.

ومن الناحية الثقافية، نلاحظ أن هناك ثقافة عالمية آخذة في تجاوز كل الحدود الثقافية سواء في العالم العربي الإسلامي أو الثقافات الأخرى. وهذه الثقافة العالمية بدأت تنتشر وتسود على حساب ثقافات محلية وقومية عديدة. وللحيلولة دون ذوبان ثقافتنا الإسلامية، علينا ألا نكتفي بالشجب أو الرفض، لأنهما غير قادرين على وقف زحفها، وألا نستسلم، الأمر الذي يؤدي بنا إلى التأثر دون التأثير. فعلينا أن نجابه هذه الثقافة العالمية بكل ما لدينا من بديل ثقافي قادر على المنافسة والمصارعة لأجل البقاء والتأثير. وثقافتنا الإسلامية تحدد شخصية أمتنا، وتبرر وجودها، وهي المسؤولة عن قوتها أو ضعفها وبقائها أو اندثارها. وإن من أوكد الواجبات لمجابهة التحولات التي يشهدها العالم اليوم، هي الإسراع في التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية، وأبرزها قطاعات التربية والتعليم والثقافة، ولدعم مناعة شعوبنا، وتحصين هويتنا الإسلامية، وتأمين تراثنا الديني والتاريخي والحضاري من كلّ المؤثرات السلبية التي تفرزها العولمة.

**التنمية البشرية والثقافية والاجتماعية تدعم مناعة الشعوب وتحصن الهوية وتؤمن التراث والتاريخ والحضارة.**

كما يجب على الأمة الإسلامية تأكيد حضورها على الساحة الدولية، والإسهام في إثراء القيم الإنسانية، تلك القيم التي تعطي الإنسان كرامته وسعادته، وتنقذه من قيود الطبقية والتمييز العنصري. وقد جاء هذا الإعلان في أبلغ صورة عرفها تاريخ الإنسان حيث قال جلّ وعلا في محكم تنزيله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: الآية13]

ولم تكتف الحضارة العربية الإسلامية بالنداءات والشعارات كما نرى ذلك عند المنظمات الدولية التي طالما نادت بحقوق الإنسان، بل نفذت هذه الحضارة شعاراتها وإعلاناتها، وحققت المساواة الإنسانية في أرفع صورها، وأعطت الإنسان حقوقه كاملة غير منقوصة.

وجدير بالملاحظة، أن القيم الكونية التي نادى بها الإسلام والتي يصعب حصرها والكلام عنها في هذه الصفحات القليلة، لم تكن نتاج التطور الفكري والسياسي والاجتماعي، ولا شهرة مطالبة الأرقاء

والعبيد بحقوقهم ـ كما حدث ذلك في أميركا مثلاً ـ ولا نتيجة ديموقراطية الحكم والإدارة ـ كما حدث في الثورة الفرنسية سنة 1789ـ بل جاءت هذه القيم دفعة واحدة من عند الله سبحانه وتعالى رحمة للبشرية جمعاء. لهذا كله، فالمسلمون مدعوون لحمل مسؤوليتهم العالمية الضخمة ليخلصوا الإنسانية من طغيان المادة، وسلطان الرأسمالية الجشعة، وظلمات الطبقات، واستعمار الشعوب. كما أن الأمة الإسلامية مدعوة إلى أن تمارس مسؤولياتها في مدّ جسور الحوار والتواصل مع غيرها من أجل إرساء تضامن فعّال وتعاون متكافئ مع جميع الشعوب لدعم السلام العالمي، وذلك باستعمال التقنيات الجديدة من أجل نشر الصورة الحقيقية للإسلام وإبراز أهميته كمصدر أساسي للحضارة الإنسانية في الوقت الذي تتوالى فيه الأحداث لتشويه هذه الصورة بأساليب شتى، وبخاصة بعد أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأميركية، تلك الأحداث التي وظّفتها بعض وسائل الاتصال للنيل من الثقافة العربية الإسلامية بصفة خاصة، وبالمسلمين على وجه العموم، والخلط بين الإرهاب والكفاح المشروع.

**المسلمون مدعوون لحمل مسؤوليتهم العالمية الضخمة ليخلصوا الإنسانية من طغيان المادة، وسلطان الرأسمالية الجشعة، وظلمات الطبقات، واستعمار الشعوب.**

فبعد هذه الأحداث المؤلمة، يتحتّم على الأمة الإسلامية تشجيع التفاعل مع الثقافات والحضارات الأخرى انطلاقاً من تعاليم ديننا الغرّاء التي تنبذ جميع أنواع الإرهاب وأشكال التخريب، كما تندد بالتفرقة والعنصرية وتدعو إلى التسامح والتعايش السلمي على أساس الاحترام المتبادل وعدم العزوف عن الثقافات الأخرى والانغلاق على الذات، لأننا نعيش اليوم في عالم تتسارع فيه الأحداث والتحوّلات، وهذا يفرض علينا مواصلة التفتح مع التمييز الجيد بين النافع والضارّ، وبين ما يلائم ثقافتنا الإسلامية وتوجّهاتنا الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، وبين ما هو غير ملائم لهذه المكوّنات. وقد أصبح الحوار مع الثقافات الأخرى شبه إلزامي، والتعاون معها ضرورياً باعتبار أن هذا الحوار من تقاليد ثقافتنا الإسلامية، وداخل في صميمها، حيث قال جلّ وعلا:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾
[سورة العنكبوت: الآية 46]

ومن منطلق هذه الآية الكريمة، نتوصل إلى معرفة أن الحوار أصبح من الضروريات وبخاصة في هذه الألفية الثالثة قصد التفاهم، لأن مشكلة التفاهم الإنساني هي مشكلة العلاقات بين الثقافات، وهو ما أقرته لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات التي اجتمعت في «اليونيسكو» في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1949، وتواصل السعي إلى دعم هذا الحوار من قبل منظمة اليونيسكو سنة 1977، وذلك بإعلان المبادئ الخاصة بالتعاون الدولي الثقافي، والذي جاء فيه:

1 ـ لكل ثقافة قيمها التي ينبغي احترامها والحفاظ عليها.

2 ـ لكل شعب الحق في أن ينمي ثقافته.

3 ـ كل الثقافات بالرغم من الاختلاف العميق بينها وتأثير كل منها على الأخرى، هي جزء من التراث المشترك للإنسانية.

غير أن التطور الإعلامي الغربي الرهيب سيؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى فرض ثقافة عالمية جديدة مغايرة تماماً لثقافتنا الإسلامية، ولثقافة الدول النامية، وبخاصة تلك التي لا تمتلك آليات للوقوف في وجه هذه الثقافة الغازية ذات التأثير الكبير والمباشر على الثقافات أياً كان نوعها، حيث تحاصر هذه الثقافة المهيمنة على وسائل الإعلام بالكلمة المسموعة والمقروءة، حتى إن الأوروبيين أنفسهم شعروا بهذا الخطر المحدق بثقافتهم، وهم الذين نبهوا إلى هذه الهيمنة الثقافية المتأتية من خلال البرامج السمعية المرئية الأميركية، وإلى الأخطار التي ترافق هذه الهيمنة التي تؤدي إلى طمس الهويات الثقافية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الاغتراب النفسي، والاستلاب الثقافي، وانسلاخ الفرد عن ثقافته وتبنّي ثقافة أخرى هو ما تسعى إليه الإمبريالية الثقافية في الغرب اليوم.

يقول روبرت بلم (Robert Blum) في كتابه: الشؤون الثقافية والعلاقات الخارجية: «إنه التزام منا أن نفعل ما في وسعنا لنمارس نفوذنا الثقافي - أي الأميركي - بطريقة تساعد الآخرين بحيث لا يكون حجم المساعدة يسمح للمبادئ الغربية أن تمد الآخر بشيء سوى التطلع إلى تغيير غير مسيطر عليه. هذه مهمة ثقافية أساسية تستلزم تطوراً واضحاً لقيمنا، والطريقة التي فيها نرغب من الآخرين أن يشاركونا بها هذه القيم».

وهذه المقولة، إن دلّت على شيء، فإنما تدل على نية الغرب المبيتة بهدف السيطرة ونشر القيم والمعايير الثقافية بحسب المفهوم الغربي الذي أصبح يمثّل خطراً كبيراً على الثقافات سواء الإسلامية منها وغير الإسلامية، بفضل ما يملك الغرب من قدرات على نقل الخبر من مختلف مناطق العالم. ويتمثل الخطر في أن ما تنقله هذه الوسائل الإعلامية الهائلة يتلوّن بمنظار ناقلها، وبمصالح البلد الذي يمثله، وانطلاقاً من مخططات مدروسة.

وربما كانت العولمة عملية لا مفرّ منها، ولا يمكن إلاّ التكيّف معها، ولأن العولمة ستنعكس آثارها على الثقافة والاجتماع والسياسة سلباً أو إيجاباً.

وهذه الحماية لا تكمن في العزلة والانغلاق، بل في مواكبة هذه التحوّلات، وهذه المواكبة تفرض على المثقفين الارتقاء بالإنتاج الثقافي الإسلامي الشامل والصالح لكل زمان ومكان إلى المستوى الذي يجعل هذه الثقافة قادرة على كسب رهانات العولمة والحضور الفاعل على الساحة الدولية، ولا يتمّ ذلك إلا بإبراز الوجه الحقيقي للإسلام الذي نادى إلى المعاملة بين الناس أفراداً وجماعات وحكومات وشعوباً، وبنتها على أساس التعامل النزيه المبني على العدل الذي يزن للجميع بميزان واحد دون تأثير للعوارض البشرية من نوازع الهوى. قال تعالى:

**شعر الأوروبيون بالخطر المحدق بثقافتهم ونبهوا إلى الهيمنة الثقافية والأخطار التي ترافقها والتي تؤدي إلى طمس الهويات الثقافية.**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية 58]

إن هذا المنهج في المعاملات هو المنهج القويم الذي تسعد به الإنسانية جمعاء، خلافاً لما هي عليه المجتمعات البشرية الأخرى التي تبني علاقاتها مع الغير على أساس المصالح والمذهبية والجنسية.

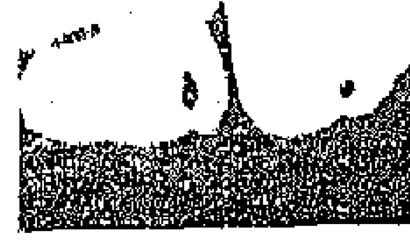
وإذا كانت الثقافة تنقسم إلى قسمين: مادي، ومعنوي، فإن الجانب المادي كالحرف والمكاسب والصناعات والوسائل المادية والإنتاجية والأساليب العلمية، فهذه الأشياء كلها ملك لجميع البشر، حتى المكتشفات أو المخترعات لا يستطيع المكتشف أو المخترع احتكار اختراعه أو اكتشافه، بل ينتقل هذا الاختراع إلى حيازة البشرية والانتفاع بها، لأنها لا تصلح لتمييز أمة عن أمة.

أما الجانب المعنوي كالعقائد، والقيم، والأفكار، والمفاهيم، والعادات، والأعراف، والتراث، والأنظمة، والشرائع، واللغة، والتاريخ، والأدب، والأذواق، والأمزجة، والمشاعر، فهي التي تختص بها أمة معينة دون سائر الأمم. وتمتاز الثقافة بخصوصية الناحية المعنوية من جهة، وباقتصارها على أمة معينة من جهة أخرى، وهذا الركن المهم يحدد شخصية أي أمة، ويبرز وجودها، وهو المسؤول عن قوتها أو ضعفها وبقائها أو اندثارها. وزيادة في التوضيح، تمثل للثقافة ببعديها المادي والمعنوي. فالناس على اختلاف ثقافتهم وحضارتهم يستخدمون الإسمنت والنحاس والبرونز والحديد والخشب وغير ذلك من الوسائل المعروفة، ولكن المهندس الذي يصمم البناء توجهه ثقافته بقيمها وأفكارها، فيوظف الوسائل لخدمة ثقافته. أما المهندس المسلم فيظهر القيم الإسلامية في البناء مع مراعاة الستر، فلا يكشفه للعيون، كما يتجنّب كشف العورات، ويراعي مكانة المرأة، فلا تخدش في كرامتها. وهذا الاتجاه يدل على أن الثقافة الإسلامية مجموعة قيم وأنماط حياة مستمدة من الإسلام وقيمه التي تحكم النشاط المعنوي والمادي في المجتمع الإسلامي.

إن الثقافة رؤية للإنسان والكون والمجتمع، وهي تكتسب من المعارف ومن الدين والعادات والتقاليد وأنماط السلوك. ومن شروط الثقافة أن تؤدي إلى التلاؤم بين الإنسان والطبيعة والمجتمع والقيم الخلقية والإنسانية. وبما أن الثقافة أقل قابلية للتغيير من غيرها، لأنها لا تتغير إلا تحت وقع الأحداث الكبرى والتحولات الحاسمة مثلما نراه الآن في الهيمنة الثقافية لقطب واحد، ولثقافة واحدة بقصد القضاء على الثقافات الأخرى، وعلى الخصوصيات الوطنية. وقد قال بعض المتفائلين إن هذه العولمة إنما تؤدي حتماً إلى حدة الإحساس بالتمايز الثقافي والحضاري والقومي، ومن ثمّ إلى التمسك بالهوية أكثر فأكثر. غير أني لا أرى نظراً للتقلبات السريعة التي نعيشها الآن، والنظام العالمي الجديد القائم على قطب واحد، والذي انتهز فرصة أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 ليظهر موقفه ضد الثقافة العربية الإسلامية. لهذا كله، أرى أن المنافسة دون الصراع أصبحت ضرورية لصد الغرب من الوصول إلى نهاية التاريخ التي تعني غلبة الثقافة والحضارة الغربية بصورة نهائية على بقية الثقافات:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾
[سورة البقرة: الآية 251 ]

**إن الثقافة رؤية للإنسان والكون والمجتمع، وهي تُكتسب من المعارف ومن الدين والعادات والتقاليد وأنماط السلوك. ومن شروط الثقافة أن تؤدي إلى التلاؤم بين الإنسان والطبيعة والمجتمع والقيم الخلقية والإنسانية.**



# ملامح تجربة الشريط الديني في السينما العربية

رمضان سليم *

(1)

لا شك في أن هناك فرقاً واضحاً بين الشريطين (الديني (و) التاريخي)، مثلما هناك تدخل بينهما، والفيصل في ذلك يعود - بالطبع - إلى تاريخ السينما العالمية، التي قدّمت عدداً من الأشكال والأنواع من الأشرطة جرى تصنيفها وترتيبها فيما يشبه نظرية الأنواع الأدبية، ولكن في حدود أقل دقة وأضعف إحكاماً وتنسيقاً وترابطاً.

منذ البدايات الأولى على الإنتاج السينمائي العالمي وجد الشريط الديني وتداخل مع الشريط التاريخي، وهذا ما ينطبق على أشرطة (كوفاديس) و(الوصايا العشرون) و(بن هور) مثلاً. لكن هذا التداخل لا ينطبق على الشريط التاريخي الواضح (نابليون) لمخرجه أبيل غانس، إنتاج 1927 مسيحي.

إذن رغم التداخل بين الشريطين الديني والتاريخي إلا أنهما ينفصلان أحياناً وبدرجات مختلفة، تسمح لكل نوع أن يقف لوحده، مستنداً على عدد من المعطيات والإشارات الشكلية والموضوعية.

وهكذا يمكن إعتبار الشريط التاريخي معبراً عن حادثة أو شخصية أو مرحلة تاريخية، من بعيد أو قريب، بينما تتخصص الأشرطة الدينية في الموضوعات التي لها صلة بالعقيدة والرسالة الدينية وعلاقة الناس بها.

(2)

لقد اهتمت السينما العربية منذ بدايتها بالشريط التاريخي وبالشريط الديني في حدود ضيقة، لا سيما أن هذين النوعين يشكلان عناصر جذب تجارية بالنسبة للجمهور، بسب الأجواء المختلفة - اختلاف الفضاء - بما فيها من ملابس وديكورات وأماكن تصوير، فضلاً عن حوادث العصر التي تجري فيه الأحداث غير المعاصرة، بالإضافة إلى - وهو الجانب المهم - مقاربة المسأله الدينية عاطفياً، وتصوير بعض الوقائع المختارة وتجسيدها على الشاشة. وقد شمل ذلك تقديم لمحة عن الحياة التاريخية الاجتماعية في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، بالنسبة للشريط الديني، وتتبع معاناة المسلمين في بدايات الرسالة، وعرض جانب من الهجرة إلى الحبشة، ثم هجرة الرسول محمدﷺ إلى المدينة، وفتح مكة المكرمة، وما صاحب ذلك من معارك وأحداث ربما تكون معروفة، لكن إبرازها بالصورة له الأثر الإيجابي في عملية التلقي البصري، إذا ارتبط كل ذلك بجودة التعبير وحسن

* كاتب ، ناقد سينمائي / ليبيا



التعامل مع أدوات ووسائل العرض والتصوير.

أما من ناحية الصناعة السينمائية فإن الأشرطة الدينية ـ بإطارها التاريخي تحديداً ـ تحرك مجالات الإنتاج نحو أنواع مختلفة من السينما، بعيدة عن الكوميديا والأشرطة الغنائية والميلودرامية، وتحقيق الربح التجاري الكفيل باستمرار عجلة الإنتاج السينمائي في دورانها.

لكن الشريط الديني ـ الذي يمكن حصره في تعريف محدد و ضيق ـ تأخر نسبيا لأسباب كثيرة لا علاقة لها بعدم توفر الميزانيات الكبيرة ، والاعتماد على القطاع الخاص المحدود الإمكانات، بالإضافة إلى افتقار السينما العربية إلى القدرات الفنية التي تمكنها من التعامل مع الشريط الديني بشكل جيد، مع مشكلات أخرى لا علاقة لها بالرقابة وطريقة اختيار ما يمكن أن تظهره الصورة وما لا يظهر على الشاشة، وبعض التفاصيل التي لا ارتباط لها بعلاقة الدين بالصورة، وكل ذلك جاء بنتيجة واحدة مؤداها تأخر ظهور الشريط الديني.

وقد تم حصر الأشرطة الدينية التي أنتجتها السينما العربية فكانت كالآتي :

(1) شريط (ظهور الإسلام) إنتاج سنة 1951 مسيحي/ إخراج إبراهيم عز الدين.

(2) شريط (إنتصار الإسلام) إنتاج 1953 مسيحي / إخراج أحمد الطوخي .

(3) شريط ( السيد البدوي) إنتاج 1953 مسيحي / إخراج بهاء الدين شرف .

(4) شريط (بلال مؤذن الرسول ﷺ) إنتاج 1953 مسيحي / إخراج أحمد الطوخي.

(5) شريط (بيت الله الحرام) إنتاج 1957 مسيحي / إخراج أحمد الطوخي.

(6) شريط (خالد بن الوليد) إنتاج 1958 مسيحي/ إخراج أحمد صدقي.

(7) شريط (الله أكبر) إنتاج 1959 مسيحي/ إخراج إبراهيم السيد.

(8) شريط (مولد الرسول ﷺ) (إنتاج 1960 مسيحي/ لبناني، إخراج أحمد الطوخي .

(9) شريط (شهيدة الحب الإلهي) إنتاج 1962 مسيحي / إخراج عباس كامل.

(10) شريط (رابعة العدوية)إنتاج 1963 مسيحي/ إخراج نيازي مصطفى .

(11) شريط (هجرة الرسول ﷺ) إنتاج 1964 مسيحي/ إخراج إبراهيم عمارة.

(12) شريط (فجر الإسلام) إنتاج 1971 مسيحي/ إخراج صلاح أبو سيف.



(13) شريط (الشيماء) إنتاج 1972 مسيحي / إخراج حسام الدين مصطفى.

(14) شريط (عظماء الإسلام) إنتاج 1972 مسيحي/ إخراج نيازي مصطفى، وهو شريط سينمائي تلفزي في أربع حلقات، وكل حلقة مخصصة لشخص معين.

(15) شريط (الرسالة) إنتاج عالمي 1976 مسيحي/ إخراج مصطفى العقاد.

هذه هي الأشرطة الدينية المعروفة التي أنتج معظمها في مصر، عدا شريط (الرسالة) وكذلك شريط (مولد الرسول ﷺ). ولم تعرف بلدان عربية أخرى ـ لها علاقة بالسينما ـ إنتاج أي شريط ديني، مثل : المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ سوريا.

من جانب آخر يضيف بعض النقاد شريط (القادسية) إنتاج العراق 1981 مسيحي، إخراج صلاح أبو سيف، إلى مجموعة الأشرطة الدينية، إلا أنه يصور (معركة القادسية) ويعتمد على إبراز شخصية رئيسية هي (سعد بن أبي وقاص) حتى إنه يمكن تسمية الشريط باسم الشخصية نفسها.

أما شريط (عظماء الإسلام) فقد خصصت حلقاته لشخصيات معروفة (الخلفاء الراشدون) الأربعة، مع العلم بأن صورهم لم تظهر على الشاشة، بعكس كل من خالد بن الوليد وسعد ابن أبي وقاص. والمسلسل الشريط ـ كما قلنا ـ قد استغل للعرض التلفزيوني السينمائي.

وفي اختيار لائحة أخرى لبعض النقاد تضاف أشرطة مثل شريط (صلاح الدين الأيوبي) إنتاج 1941 مسيحي، إخراج إبراهيم لاما، وكذلك شريط (واإسلاماه) إنتاج 1961 مسيحي، وإخراج آندرو مارتون، وشريط (الناصر صلاح الدين) إنتاج 1963 مسيحي، إخراج يوسف شاهين.

ولا شك في أن إضافة مثل تلك الأشرطة المذكورة ترجع الى المعنى الديني المتحقق في الأهداف والأغراض التي أنتجت من أجلها، وما تتوفر عليه من موضعات دينية تعلي من قيمة الجهاد، وتبرز المعاني الروحية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية.

ومن الأشرطة التي يذكرها النقاد شريط (سلامة) إنتاج 1945 مسيحي، وإخراج توجو مزراحي، وهو شريط تاريخي، لكنه قريب إلى المعنى الديني، لأنه يعتمد على شخصية الزاهد عبد الرحمن القس الذي أحب (الجارية سلامة) في صمت وعفاف، وحاول أن يشتريها ليعتقها ثم يتزوجها، ولكنه يموت دون أن يدرك ذلك. وقد حاول الشريط أن يخلق ترابطاً بين (الحب) بمعناه العاطفي، و(الحب) بمعناه الديني الصوفي،

ولكن التركيز على (سلامة) وأغانيها جعل الشريط أقرب إلى النوع الغنائي التاريخي.

أما شريط (فتح مصر) إنتاج 1948 مسيحي، إخراج فؤاد الجزايرلي، فهو تاريخي المحتوى، ولكن موضوعه ديني، وهو يصور احتضان السكان الفاتحين المسلمين وتعاونهم معهم لطرد الرومان، ولعل فقدان نسخة الشريط قد أسهم في استبعاده من قائمة الأشريط الدينية.

(3)

إذا عدنا إلى تواريخ إنتاج أشرطة القائمة الرئيسية للأشرطة الدينية؛ وجدنا أن أكثرها يعود إلى الخمسينيات، وهو العقد الذي كان فيه الإنتاج السينمائي وفيراً، من حيث الكم على الأقل، مقارنة بغيره من العقود.

ونحن نرى أن الدافع للدخول في مغامرة إنتاج الشريط الديني مهم بدرجة كبيرة، بحكم المشاعر الروحية النبيلة، أي أن تبعات مثل هذه المشروعات كبيرة ولا شك، فضلاً عن أن الإحساس بأن التجربة مربحة مالياً يعتبر من الدوافع المهمة أيضاً للإنتاج. وقد كان المخرج هو المنتج بالنسبة للشريط الديني الأول (ظهور الإسلام) بل إن المخرج قد أقدم على أول تجربة سينمائية له بعد دراسته الإخراج في أمريكا، وكلف إنتاجه سبعة آلاف جنيه مصري، وقد استقبل الشريط بشكل جيد، رغم كل مظاهر الضعف التي يحتوي عليها، فالمسالة أخلاقية ومعنوية، وقد عرض يوم 1951/4/9 مسيحي، وتم بيع الشريط في مناطق عربية وإسلامية مختلفة، بأسعار تضاهي مصاريف إنتاجه وتزيد.

والواقع أن مشروع الشريط الديني له مكاسب مادية تأتي مع الزمن، وليس شرطاً أن يحقق الأرباح الكبيرة من عروضه الأولى، ورغم ذلك فإن توفر الميزانية الكبيرة يبقى من أهم مشكلات إنتاج الشريط الديني.

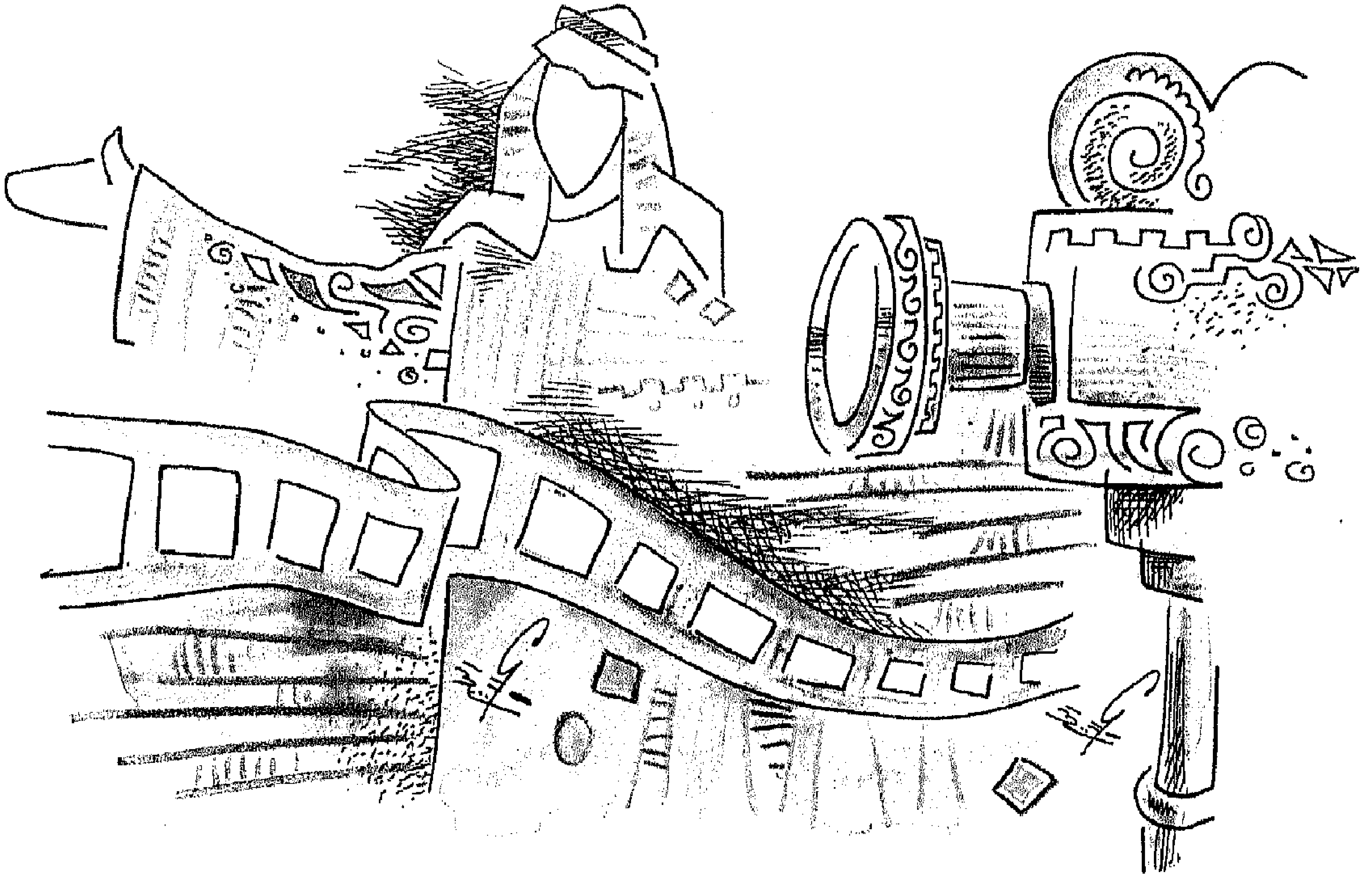
فلا يمكن أن تقارن بين ميزانية شريط (ظهور الإسلام) أو شريط (الشيماء) وهي أشرطة ساعدت الجهات العامة في إنتاجها؛ لا يمكن أن تقارن هذه الأشرطة بشريط عالمي مثل: سفينة نوح أو شريط (شمشون و دليله).

إن ذلك ما يبرر فعلياً تأخر الشريط الديني في السينما العربية، فمنذ سنة 1927 مسيحي، تاريخ إنتاج أول شريط روائي عربي، إلى سنة 1951 مسيحي تاريخ إنتاج شريط (ظهور الإسلام) مدة طويلة، لا تجد ما يبررها إلا في عدم قدرة المنتج الفرد على الدخول في مثل هذه المغامرة، وأيضاً عدم الرغبة أحياناً في المجازفة بموضوعات دينية قد تجد معارضة رقابية أحياناً، أو تترك وراءها بعض المشكلات المصاحبة.

**الأغراض السياسية المباشرة تزول، ويبقى الشريط محققاً أغراضه الثقافية بشروط معينة.**

لذلك كله نجد أن الدول تقف أحياناً وراء مشروعات إنتاج الأشرطة الدينية، ولكن يرى بعض النقاد أن ذلك قد يكون لأهداف سياسية، مباشرة أو غير مباشرة، تحققها هذه الدول. وبشكل عام يمكن اعتبار نجاح أي شريط خطوة نحو تجاوز الغرض السياسي، فالأهداف السياسية قد تكون مؤقتة ولها ظروف طارئة، بينما يستمر نجاح الشريط مع مرور الزمن، بشرط ألا يكون للغرض السياسي طبيعة مباشرة تؤثر على حسن استقبال الشريط. ومن الصعب تصور أن الأشرطة الدينية أو التاريخية الكبيرة في العالم خالية من المنظور السياسي غير المباشر، في حدود القيمة الفنية الممكنة.

إن مثل هذا القول ينطبق على شريط (الناصر صلاح الدين) الذي يمكن اعتباره شريط تاريخياً أولاً ودينياً ثانياً، وهو من إنتاج المنتجة آسيا في مصر 1963 مسيحي، وإخراج يوسف شاهين، فقد بدا الشريط ـ وحسب المعطيات السياسية ـ المعبر عن مفهوم سياسي



معاصر، يتمثل في أهمية الدعوة لتحقيق الوحدة العربية، ومحاولة تطبيق هذه الوحدة عمليا من خلال انتصارات صلاح الدين، وربط أجزاء بلاد الشام بمصر، وطرد الغزاة الصليبيين من فلسطين، وهو أمر ارتبط بأطروحات سياسية فردية، ودعوة سياسية لتحقيق الوحدة العربية. ولكن ـ وكما قلنا ـ فإن الهدف السياسي يتراجع بمرور الوقت إذا كانت المادة السينمائية قادرة على تجاوز المباشر، وهو أمر لم يتحقق في شريط آخر تاريخي ديني، هو شريط (القادسية) الذي انحصرت أهدافه في الغايات القريبة، ووجهة نظر ضيقة، ودعوة سياسية مباشرة.

من جانب آخر هناك تفاصيل داخل الأشرطة الدينية تقترب من فكرة الوحدة العربية، باعتبارها دعوة سياسية، كما في شريط (بيت الله الحرام) الذي أوضحت مقدمته أن هدم الكعبة كان القصد منه تحطيم المكان الذي يجمع العرب ويرمز لوحدتهم، وهو هدف نبيل أيضاً، فالفكرة ذاتها تتعلق بمدى القدرة على التعامل مع المبادئ وليس الأفراد.

وكما قلنا آنفاً، فإن الأغراض السياسية المباشرة تزول، ويبقى الشريط محققا لأغراضه الثقافية بشروط معينة، أساسها توفر المنظور الفني الجيد، وكذلك الابتعاد عن الأغراض الذاتية السطحية.

إن تلازم الدين مع السياسة مسألة تفرض نفسها، ولكن نجاح الشريط الحقيقي يكمن في إخلاصه للجانب الفني، وعرضه القضية السياسية باعتبارها ذات طابع إنساني وتجربة عامة، بعيداً عن الإعلامية المباشرة مهما كان نوعها.

(4)

يمكننا أن نحدد بعد هذه المقدمة بعض الملامح العامة لتجربة الشريط الديني في السينما العربية، وسوف نجدها تتضمن بعض الخصائص المشتركة التي تحققت في أكثر من شريط، من الناحية الفنية والموضوعية. وبشكل عام يمكن اعتبار الملمح الأساسي خاصاً بالشكل الرئيسي للشريط الديني الذي يمكن تقسيمه إلى قسمين : الأول.. تنتمي إليه أشرطة تصور شخصيات إسلامية، والقسم الثاني يشمل أشرطة تصور مراحل ظهور وانتشار الدعوة الاسلامية والأحداث التي صاحبت ذلك.

إن الشخصيات لها وضعيتها الخاصة، ليس من ناحية رقابية فقط ، ولكن من حيث التأكيد من الكثير من المعلومات المحيطة بالشخصية. أما تصوير المرحلة نفسها دون التركيز على شخصية بارزة ؛ فإن ذلك يسمح ببعض الإضافات، ولكن في حدود معينة. كما يمكن الدمج بين القسمين في الشريط الواحد، كما في شريط (الرسالة)، حيث النصف الأول من الشريط مخصص للصراع الدائر بين حمزة وأبي جهل، والنصف الثاني يشمل حوادث وتفاصيل متناثرة، يجمعها خيط استمرار النجاحات التي يحققها الدين الجديد. إن معظم الأشرطة تقوم على ذلك، إلا أن هناك أشرطة أخرى تتطرق للدين الإسلامي، ليس باعتباره تاريخيا، ولكنه عامل تقوم عليه طاقة الأفراد الروحية، بصرف النظر عن مكانهم أو الزمن الذي يعيشون فيه. وهذا يعني أن الشريط الديني يمكن أن يكون معاصرا، وليس شرطاً أن يكون له طابع تاريخي.

**الطريقة التقليدية النمطية في تقديم الشخصيات، وخصوصا الشريرة منها، لم تخدم الأشرطة الدينية، وكانت من أسباب هبوط قيمتها الفنية.**

على سبيل المثال يمكننا الإشارة إلى شريط (السيد البدوي) باعتباره شريطاً دينياً، رغم أن أحداثه ليس لها علاقة بتاريخ ظهور الإسلام. كما أن هناك أكثر من شريط يتوفر فيه البعد الديني بشكل لافت للنظر، مثال ذلك شريط (قنديل أم هاشم) 1968 مسيحي، وشريط (الطريق إلى الفردوس) 1956 مسيحي. ومع بعض الاختلاف نشير إلى أشرطة مثل: السقامات - أين تخبئون الشمس؟ - الرقص مع الشيطان. وكلها أشرطة لها بعد روحي واضح، يجعلها قريبة من الشريط الاجتماعي الديني.

هنا علينا أن نلحظ أن الشخصية هي المحور الرئيسي في معظم الأشرطة الدينية، وهي شخصيات حقيقية على الأغلب، مع بعض الإضافات المتخيلة. وأهم شريط اعتمد على شخصيات متخيلة هو (هجرة الرسول) الذي افترض كاتبه وجود شخص اسمه (فارس) وفتاة اسمها (حبيبة) قد اختيرا سوياً لكي يكونا من العبيد الضعفاء، وليشهدا المراحل الأولى للدعوة الإسلامية، والأحداث التي تلت بعد ذلك بالتدريج.

ولقد زادت نسبة المتخيل عند تصوير قصة الحب العاطفية التي تجمع بين (فارس) و(حبيبة) وهما من العبيد الضعفاء الذين دخلوا الإسلام، فأذاقهما السادة العذاب، ليذهب بصر حبيبة، ويتابع فارس باقي أحداث الدعوة، ويصبح أحد المشاركين في كل الوقائع التي يذكرنا بها الشريط . ويمكن اعتبار (قصة الحب) من الملامح الرئيسية للشريط الديني، وهي في الغالب قصة جانبية وهامشية، تساعد على جمع خيوط الشريط الدرامية، وليس لها علاقة بجوهر الشريط، كما هو الأمر في أشرطة مثل: (بيت الله الحرام) و(انتصار الإسلام) و(فجر الإسلام) و(هجرة الرسول) و(خالد بن الوليد). ونادرة جداً هي الأشرطة التي تخلو من قصة حب.

لقد ظهرت الكثير من الشخصيات الدينية المعروفة في السينما، سواء في قلب الأحداث أو على هامشها، وهي شخصيات ثانوية بالنسبة للموضوع الرئيس للشريط، لكن، وفي ظل حجب الشخصيات الرئيسية التاريخية؛ تبقى هذه الشخصيات هي الأساس الذي تقوم عليه الأحداث. ومن أكثر هذه الشخصيات ظهوراً (عمار بن ياسر) و(بلال بن رباح) و(عبد المطلب)، في مقابل ظهور شخصيات مناقضة لها مثل: (أبي جهل) و(أبي سفيان) قبل فتح مكة، وغيرها من الشخصيات التي تقف في الخانه السلبية (الشر والكفر) في مقابل (الإيمان والخير) . على أن يظهر ذلك بشكل واضح وبتناقض شديد .



إن فكرة تقديم الشخصية النمطية تبدو واضحة في هذه الأشرطة، وهي نمطية تبدو مقبولة، لكن التعبير عنها لم يكن كذلك، حيث اعتمد أكثر الممثلين على التعبير الخارجي المباشر الذي يجسد فكرة الشر بكل وضوح، بينما جاء التعبير عن الخير بطريقة أكثر قبولاً. ورغم أن مثل هذا الحديث يحتاج إلى توضيح أكثر؛ إلا أنه من المهم القول إن الطريقة التقليدية النمطية في تقديم الشخصيات، وخصوصا الشريرة منها، لم تخدم الأشرطة الدينية، وكانت من أسباب هبوط قيمتها الفنية.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن شريط (الرسالة) يشكل الاستثناء الرئيس في مجموعة الأشرطة الدينية، بما في ذلك جانب التمثيل، وفي حدود ضيقة أيضاً جاءت بعض الأشرطة مقبولة من حيث تقديم الشخصيات وعرضها، ومثال ذلك شريط (السيد البدوي) وكذلك الأشرطة المتأخر إنتاجها مثل (الشيماء) و (فجر الإسلام).

فضلاً عن استخدام التعابير المبالغ فيها؛ لم تمنح الشخصيات حقها من حيث المعالجة، وحتى أشرطة الشخصيات هي في الحقيقة أشرطة حدث كلي، تتحرك فيه الشخصيات ضمن التفاصيل الصغيرة، ومن الصعب اعتبار الإنتاج السينمائي نموذجياً في تقديمه الشخصيات الدينية والتاريخية، ويمكن استثناء شريط (الناصر صلاح الدين) من ذلك في حدود معينة، كما أن شريط (الرسالة) استطاع أن يخرج الشخصية من نمطيتها المعتادة.

(5)

يقودنا الملمح الأول الذي يتعلق بالتعامل مع الشخصيات وعلاقاتها، إلى ملمح آخر وهو ذلك المتمثل في ضعف مشاهد الصورة، والتهرب من استخدام الصورة، والاعتماد على النقل بالوصف الصوتي. والسبب يعود - كما قلنا - إلى ضعف الإمكانيات المادية، والصعوبات التقنية المرتبطة بذلك. ورغم الجهد المبذول في تصوير المشاهد الجماعية والمعارك؛ إلا أنها تبقى غير مؤثرة في الجمهور. فإذا تركنا شريط (الرسالة) جانباً فإن كل الأشرطة الأخرى قد جاءت مفتقرة إلى قاعدة نقل الواقع أو التعبير عنه بشكل واضح، هذه القاعدة مهمة بالنسبة للشريط الديني أكثر من غيره من الأنواع الأخرى.

وقد طال الضعف الفني التعامل مع الملابس والديكورات، والتخفيف من المشاهد العامة الكبيرة، والمعارك، بحيث ظهرت بعيدة عن الإقناع . وخير مثل

على ذلك شريط (خالد بن الوليد) حيث تسرد الشخصية الرئيسية المعارك التي خاضتها، وهو أمر ينطبق أيضاً على باقي الأشرطة، مثل (ظهور الإسلام) و(انتصار الإسلام) و(هجرة الرسولﷺ). وتبقى بعض الأشرطة أفضل حالاً من ناحية استخدام الحركة مثل (فجر الإسلام) و (الشيماء).

وفي بعض الأحيان يتم اللجوء إلى بعض المختصين لتصوير المشاهد الجماعية الكبيرة، وكذلك المعارك، بطريقة مدروسة. ويكفي أن شريطاً مثل (واإسلاماه) قد أخرجه مخرج المعارك الأمريكي (اندرو مارتين) الذي وإن نجح في مهمته هذه إلا أن إخراجه للشريط كاملا قد جاء سلبياً، بسبب الجمود والبرود والاستعراضية في المشاهد الحركية غير المترابطة.

والواقع أن بناء الديكورات، واستخدام أدوات الحرب المختلفة؛ تظل مهمة صعبة في ظل إنتاج محلي، مجالات توزيعه محدودة، ولا يدخل في منافسة مع الأشرطة العالمية.

كذلك تدل النتائج على أنه من الملامح العامة للسينما العربية ضعف الإمكانيات المادية والتقنية، فلا تتوفر الطاقات الفنية القادرة على التعامل مع السينما، وبالأخص في مجال تنفيذ المشاهد الصعبة، وهذا ما جعل السينما العربية تصنف على أنها فقيرة، رغم نجاحها أحياناً في الدخول إلى مجالات المنافسة الخارجية في الأشرطة الواقعية والاجتماعية.

وسوف نلاحظ أيضاً أن المخرجين الذين تصدوا لإخراج الأشرطة الدينية هم من الأسماء الجديدة في الغالب. كما حدث للمخرج إبراهيم عز الدين، والمخرج أحمد الطوخي، والمخرج بهاء الدين شرف. بينما كان وجود بعض المخرجين الآخرين بطريق الخطأ، مثلما نفذ مخرج الأشرطة الكوميدية عباس كامل شريط (شهيدة الحب الإلهي)، وإخراج الممثل أحمد صدقي شريط (خالد بن الوليد) وأنجز مخرج أشرطة الحركة التجارية حسام الدين مصطفى شريط (الشيماء). وينطبق هذا الأمر على نيازي مصطفى، وصلاح أبو سيف، لأن المخرج الجيد ينبغي أن تسيطر عليه نزعة إخراجية معينه، ويغلب عليه اتجاه ما، ولهذا السبب أخرج (سيسيل دي ميل) أشرطة تاريخية، ولم يقدم مخرج الواقعية (جون فورد) أي شريط تاريخي، وهذا مثل ينطبق على السينما العالمية بشكل عام.

(6)

ننتقل إلى ملمح آخر من ملامح الشريط الديني، وهو يعتمد على محاولة إبراز الجانب الإيجابي، بالتركيز على الجانب السلبي، أي تقديم الضد لإظهار محتوى البديل. لكننا نلحظ بشكل واضح الإفراط في استعراض هذا التصور، فالأشرطة الدينية لا تعتمد على فكرة التقوى والخشوع في بنيتها الشكلية، كما أن الجانب الإيجابي، وهو الإيمان، لا يقبل إلا باعتباره طرفاً في مواجهة الجانب السلبي ، وهو الكفر. وهذا يتطلب التركيز على المشاهد العاطفية والعربدة والرقص الجماعي، وذلك ما يتبناه صناع السينما لتغطية غرض آخر وهو الربح التجاري، بحثاً عن التسلية المفقودة أحيانا في الشريط الديني.

**اعتمدت الأشرطة الدينية على الحوارات المطولة، التي تاتي أهميتها من أجل تغطية الضعف في تنفيذ المشاهد المصورة،**

وقد يكون ذلك عادياً بالنسبة للسينما العربية، إلا أنه من المهم القول إن هذا النوع من السينما لا يحتمل المبالغة في إبراز هذه الجوانب السلبية، حيث إن الإطار العام للشريط له توجه ديني، وكل التفاصيل ينبغي أن تخدم هذا الاختيار وليس غيره. وإذا عدنا إلى أهم الأشرطة الدينية العربية وجدناها مليئه بمشاهد الرقص والعربدة الجماعة، كما في أشرطة (فجر الإسلام) و(بيت الله الحرام) و(وا إسلاماه) و (رابعة العدوية) و (خالد بن الوليد) والقادسية) وغير ذلك من الأشرطه.

وإذا كان وجود قصة حب عاطفية يعد من تكملة الدراما السينمائية؛ فإن مشاهد الرقص والخلاعة تعد دخيلة على الشريط الديني تحديداً، ولا مبرر لها. وتستخدم في الأشرطة الجيدة - ولا سيما العالمية منها - مشاهد تعبيرية راقصة، في شكل لوحات فنية، كما هو الحال في شريط (سالومي) مثلاً، أو شريط (الرسالة)، ولكننا نلاحظ في السينما العربية اللجوء إلى الرقص الشرقي المعاصر، الفردي والجماعي، ومن الأمثلة على ذلك شريط (رابعة العدوية). كما تتم الاستفادة من الفرق الاجنبية الزائرة لتصوير بعض المشاهد، كما في شريط (بيت الله الحرام) على سبيل المثال.

النموذج المثالي لفكرة تقديم الضد والتركيز عليه شريط (رابعة العدوية) الذي أخرجه نيازي مصطفى، صاحب التجربة الطويلة، ولكنها تجربة مفتوحة وضائعة، وليس لها قيمة كبيرة من الناحية الموضوعية.

في الشريط المذكور نجد إطالة للزمن الخاص بالمرحلة الأولى، لأنها مرحلة تسمح بتصوير مشاهد الرقص والغناء، والعلاقات العاطفية، في حياة رابعة العدوية، قبل المرحلة الثانية، وهي مرحلة الزهد والتصوف. وهذا الشكل الخارجي ينطبق على شريط (شهيدة الحب الإلهي) لمخرجه عباس كامل، وربما أيضاً على أشرطة أخرى مثل (فجر الإسلام)، أما شريط (السيد البدوي) فهو يعتمد على قصة أساسها محاولة الزاهد السيد البدوي هدايةَ راقصة هي (فاطمة بنت بري) ونجح في ذلك في نهاية الشريط فقط.

(7)

ملمح آخر واضح في الأشرطة الدينية التي أنتجتها السينما العربية، ويمثل في الغناء الذي يصاحب أغلب الأشرطة، ويمكن اعتباره مؤثراً موسيقياً من ناحية، وجزءاً من الحدث الدرامي في أكثر الأحوال. إننا - ولا شك - من الصعب أن نجد شريطاً دينياً عربياً ليس به غناء فردي أو جماعي، وقد يكون هذا الغناء جزءاً من قصة، كما في شريط (الشيماء)، وفي كثير من الأحيان تتم الاستعانة بمطربة لتقديم عدد من الأغنيات مثل المطربة سعاد محمد في شريط (الشيماء)، وأم كلثوم في شريط (رابعة العدوية).

في أشرطة أخرى نجد الغناء مصاحباً لمشاهد الرحيل والهجرة والتعذيب، أو مشاهد الرقص، وقد يكون من نسيج الأحداث كما في أغنية (طلع البدر علينا) التي قُدمت بتوزيع مختلف في أكثر من شريط، مثل (هجرة الرسولﷺ - بلال بن رباح - الرسالة)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن غناء الرقص يدخل في نسيج أحداث الأشرطة مهما كان نوعها، بقصد التأثير في الجمهور، وتكملة النقص الذي تشكو منه الدراما أحياناً.

(8)

الملمح الرئيسي الذي يمكن أن يلاحظه المتابع للأشرطة الدينية يكمن في لغة الحوار ونوعها، فقد اعتمدت أشرطة كثيرة على اللغة العربية الفصحى البسيطة، ومن ذلك شريط (ظهور الإسلام) وشريط (فجر الإسلام) وشريط (الشيماء) وشريط (بلال ابن رباح) وشريط (الرسالة) وشريط (الله أكبر). أما الأشرطة الأخرى فقد ظلت حبيسة العامية، ومن ذلك شريط (هجرة الرسول ﷺ) وشريط (بيت الله الحرام)، واعتمد شريط (رابعة العدوية) على البدوية العامية. ويمكن القول إن لغة الأشرطة الدينية من عوامل ضعفها، رغم أن هناك من شارك في صياغتها من الكتاب المعروفين، ومنهم الدكتور طه حسين، وعبد الحميد جوده السحار، ونجيب محفوظ، والدكتور أحمد الشرباصي.

لقد اعتمدت الأشرطة الدينية على الحوارات المطولة، التي تأتي أهميتها من أجل تغطية الضعف في تنفيذ المشاهد المصورة، ولغرض تكملة النقص في استعراض الأحداث، حيث المساحة الزمنية طويلة،

ومساحة الزمن السينمائي محدودة.

إننا نجد في أكثر الأشرطة ذلك الراوي الذي يتداخل ليسرد بعض التفاصيل، أو يطرح تمهيداً لبعض الوقائع، أو يلخص جملة مشاهد غير مصورة. ورغم أهمية الراوي وحسن تقديمه أحياناً في بعض الأشرطة؛ إلا أنه يبقى صوتاً قادماً من خارج الحدث نفسه، وهو لذلك يعد من الإشكاليات الفنية التي تستخدم بحذر شديد، فهو مؤثر صوتي أحياناً، وله أن يوجه مسارات الحدث بعدة طرق وأساليب. وفي جميع الأحوال فإن الأداء صار من العناصر المختفية في السينما الحديثة، ولكن الحوار ونوعية استخدام اللغة ومستوى اللغة نفسها؛ كل ذلك يبقى من الأسس المهمة التي يقوم عليها أي شريط ناجح، تاريخي أو غير تاريخي.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الحوار يتطلب اهتماماً خاصاً بالموسيقى، التي تكون أحياناً مصاحبة أو مفارقة له، حيث إن الموسيقى - وربما كل المؤثرات الموسيقية - تتصف بالضعف وسوء الاختيار، لأنها مجرد إضافة تكميلية، ولهذا لم تفرز الأشرطة الدينية موسيقاها التصويرية الواضحة والمؤثرة، حتى موسيقى شريط (الرسالة) المعدة خصيصاً للشريط؛ لم تكن في المستوى المطلوب، من حيث قدرتها على خلق الحالة العاطفية الوجدانية المرتبطة بالدين ومعانيه الروحية السامية.

(9)

ملمح آخر يمكن الإشارة إليه، ويتمثل في وجود مشاهد متكررة في معظم الأشرطة الدينية المرتبطة بظهور الرسالة الإسلامية، ذلك لأن الأحداث وحدها، وأماكن التصوير، يفترض أن تكون متشابهة، تشكل الصحراء أهم مواقعها، وهو ما يسمح بتكوين عدد كبير من المشاهد البصرية المتميزة، وهو أمر لم يحدث في الأشرطة الدينية.

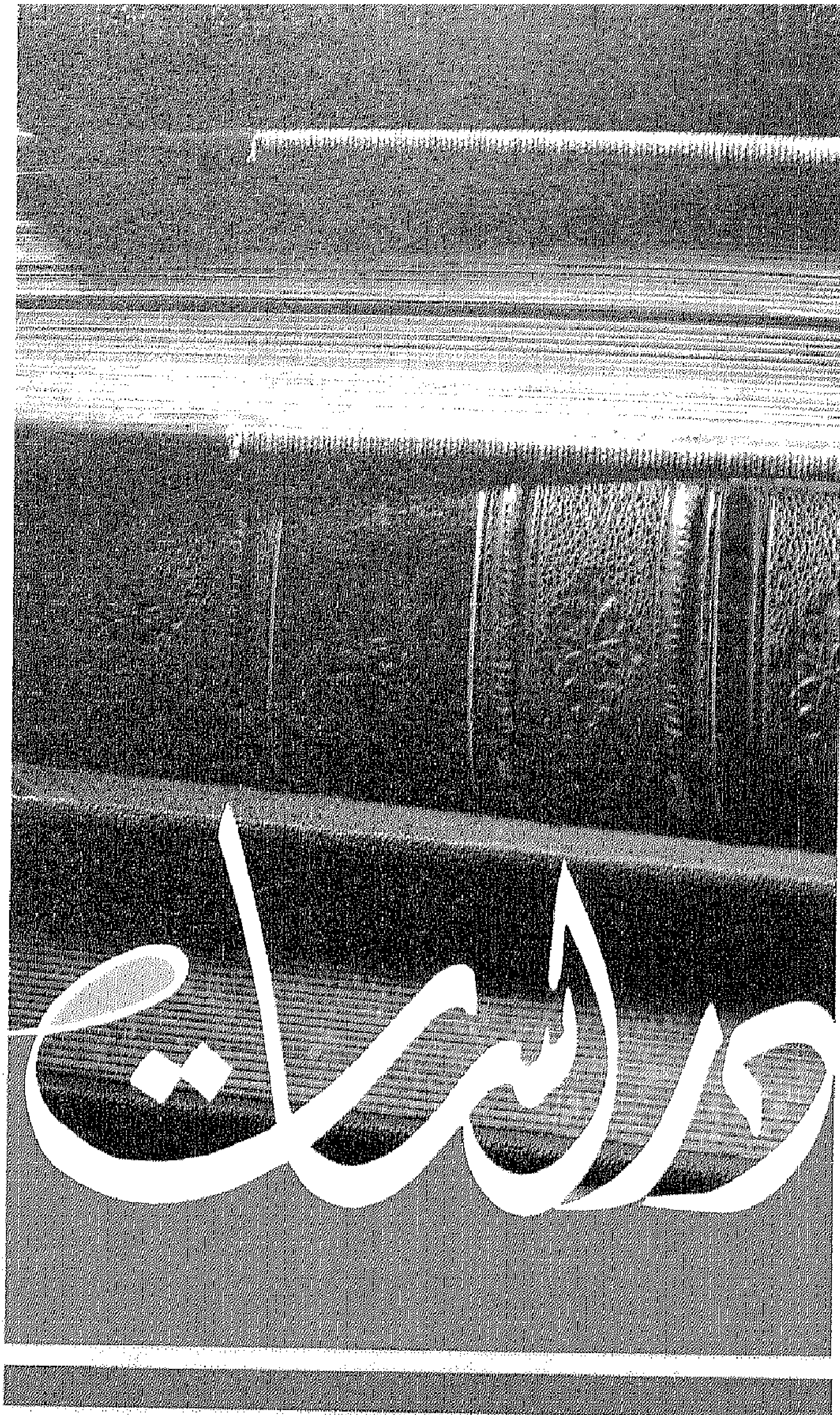
سوف نلحظ أن أكثر المشاهد تكراراً هي متابعة آلة التصوير لحالات التعذيب التي قام بها زعماء قريش من الرافضين للدين الإسلامي؛ ضد كل من دخل الإسلام، ولا سيما من الضعفاء والعبيد، كما في شريط (بلال بن رباح) وشريط (الله اكبر) و شريط (الرسالة). وقد شكلت هذه المشاهد - على الأغلب - عوامل ضعف فنية، لأنها مقتبسة من السينما العالمية، وبطريقة غير جيدة، ولهذا كانت أغلب تلك المشاهد غير مقنعة فنياً.

هناك مشاهد أخرى خاصة بالحروب والمعارك، والتي لم تستطع السينما العربية إلى الآن أن تقدمها بشكل جيد، وهذا الأمر له علاقة بالتطوير العام للفنون البصرية، ومرجعياتها الثقافية المستندة على دراسة التاريخ والتقنية والفنون والجماليات، وهو ما يقودنا إلى دراسات أخرى حول الأزياء وأنواع الأسلحة والأدوات المستخدمة خلال التاريخ الحضاري والثقافي في الإسلام .

(10)

إن الأشرطة الدينية المنتجة عربياً، عن طريق القطاع العام أو الخاص، لم تكن في المستوى المطلوب، لكنها ملأت فراغاً واضحاً، لا سيما قبل انتشار المسلسلات الدينية المرئية، وهي تعبر عن غايات نبيلة ومشاعر صادقة، رغم أن إنتاجها كان لأهداف أو لأغراض كثيرة ومتنوعة، لكن ما هو مهم هو تحقيق هذه الإنتجات بالإمكانيات المتاحة البسيطة.

لا شك في أن الشريط الديني يحتاج إلى تظافر الجهود الجماعية القائمة على تعاون أكثرمن جهة، لأن القضية عامة وأخلاقية، ولها مآثر عامة وليست خاصة، وإذا كان الجمهور العربي المحلي هو هدف تلك الأشرطة؛ فإن مخاطبة الجمهور العالمي تحتاج إلى ما هو أجود وأفضل، وهو أمر لن يتحقق إلا بتجاوز تلك السينما الفقيرة في الإمكانات المادية والتقنية، والدخول إلى مناطق تتشابه فيها الإنتاجات الفنية، لتطرح أفضل ما عندها، وتؤثر في أكبر عدد من المشاهدين، باستخدام أفضل التقنيات، والتعبير عن التجارب الدينية بأفضل حالات الحياد الفني والموضوعي.




❖ أوروبا والإسلام

تلميع الهلال وصدام الثقافات

❖ الإسلام والتعددية الفكرية

مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار



## أوروبا والإسلام

# تلميع الهلال وصدام الثقافات

تيموثي م. سافيج *
ترجمة: أحمد محمد عثمان

من منظور تاريخي قد يكون للإسلام الكثير من التأثير في إعادة تشكيل أوروبا خلال القرن الحادي والعشرين، أكثر مما هو الحال مع الولايات المتحدة الأمريكية (أنظر مقالة تيموثي غارتن آش «ثمن البقدونس» المنشورة بصحيفة الغارديان البريطانية بتاريخ 25 يوليو 2002، وكتاب نورمان ديفيس: تاريخ أوروبا، المنشور بواسطة مطبعة جامعة أكسفورد عام 1996 الصفحات 7 ـ 16 والصفحات 251 ـ 258). وينقسم التحدي الإسلامي الذي تواجهه أوروبا اليوم إلى شقين، أولهما : داخلي، يتمثل في ضرورة قيام أوروبا بدمج أقلية مسلمة تعيش في أحياء خاصة بها، لكن أعدادها في تزايد مستمر، وهو أمر تنظر إليه الشعوب الأوروبية على أنه يتعدى على الهوية الجماعية والقيم العامة للمجتمعات الأوروبية. والثاني: خارجي، يتمثل في حاجة أوروبا إلى ابتكار أسلوب قابل للتطبيق على الأرض، في تعاملها مع المناطق المتفجرة ذات الأغلبية المسلمة، والتي تمتد من الدار البيضاء حتى جبال القوقاز، والتي أصبحت اليوم تمثل مركز اهتمام الإستراتيجية الأمنية للإتحاد الأوروبي، التي تم تبنيها مؤخراً تحت مسمى (أوروبا آمنة في عالم أفضل) وكذلك المبادرة الوليدة تحت مسمى (أوروبا الواسعة وجوار جديد).

وتعترف المبادرة بأن قدرة الإتحاد على توفير الأمن والاستقرار والتنمية المستدامة لمواطنيه ؛ لم يعد ممكنا بمعزل عن مصالحه في تحقيق تعاون وثيق مع جيرانه. وتسعى المبادرة المشار إليها إلى تحديد إطار جديد للعلاقات مع 14 دولة أو كيان تضم كلاً من : الجزائر ـ مصر ـ إسرائيل ـ الأردن ـ لبنان ـ ليبيا ـ

* الكاتب: تيموثي م. سافيج موظف بوزارة الخارجية الأمريكية، يعمل كرئيس قسم بمكتب التحليل الأوروبي بالوزارة بواشنطن مقاطعة كولومبيا. خدم حديثاً كقنصل عام للولايات المتحدة الأمريكية بمدينة لايبزغ بألمانيا، وتعبر الآراء ووجهات النظر التي يطرحها في المقال عن رأيه الشخصي ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر الوزارة ــ مجلة (واشنطن كوارترلي) ربع السنوية، صيف 2004 مسيحي.

المغرب ـــ السلطة الفلسطينية ـــ سوريا ـــ تونس ـ أوكرانيا ـ مولدوفا ـ روسيا البيضاء ـ وروسيا. وسكان هذه الدول البالغ عددهم 385 مليون نسمة، والذين يجاورون الإتحاد الأوروبي من الشرق والجنوب بعد توسيعه بموجب اتفاقية 1 مايو.

ويضيف العنصر الإسلامي أبعاداً جديدة للسياسة الداخلية والخارجية للإتحاد الأوروبي من منظور أبعد من المصطلحات الديموغرافية (السكانية) والجغرافية، فالرابطة الأوروبية ـ الإسلامية بدأت بإفراز عديد من الظواهر الجديدة مثل الإرهاب، وبروز موجة جديدة من معاداة السامية، والتحول الذي حدث لدى الأحزاب السياسية الأوروبية القائمة نحو اليمين، وإعادة معايرة الحسابات السياسية الوطنية الأوروبية، والتعقيدات الإضافية المتعلقة بالوصول بالعلاقات بين أعضاء الإتحاد الأوروبي إلى درجة أوثق، وأخيراً إعادة تركيز، إن لم يكن إعادة صياغة، السياسة الخارجية الأوروبية.

إن التقاء أوروبا من جديد مع الإسلام على البعدين المحلي والخارجي، على الرغم من كونه غير مألوف وفعال، إلا أنه يطرح عدداً من الفرص لإحداث تغيير إيجابي في العالم. غير أن سجل أوروبا في تعاملها مع الإسلام خلال الـ 1350 عاماً الماضية غير مشجع، فعلى الرغم من أن الأوروبيين يجرون دراسة لمبادرات جديدة، إلا أنهم اليوم يبدون أكثر ميلاً نحو اتباع سياسة إبقاء الأمور على ما هي عليه، سواء في الداخل أو الخارج، مفضلين الحذر، والمواقف الممكن التنبؤ بعواقبها، والضبط، وكذا الهياكل القائمة على الجرأة والتكيف والتواصل، وإعادة تحديد العلاقات، وهي أمور تتطلبها المرحلة الجديدة. كما أنه يبدو جلياً أن عقلية مشابهة لذلك قد بدأت في الظهور لدى سكان أوروبا من المسلمين.

وإذا لم يتم التوصل إلى توافق فإن الحركية الحالية من المرجح أن ينتج عنها ليس صداماً اجتماعياً فقط، بل وبشكل متزايد ظاهرة التخندق الوطني، وربما حرب أهلية داخلية في أوروبا، وقد تستسلم القارة لخيار (أوروبا القلعة) وبالتالي الانكماش على المستوى الدولي. إن الأمور لم تتدهور إلى هذا الحد، لكن نقطة الميلان قد تبدو أقرب مما يدركه الكثيرون.

**الحركية السكانية :**

قليل فقط من الدول الأوروبية قام بجمع بيانات حول عدد وطبيعة الوجود الإسلامي ضمن حدودها الوطنية، فالعديد من الدول في الواقع تمنع طرح أسئلة عن الديانة في استبيانات تعداد السكان وغيرها من الاستبيانات الرسمية، على العكس من الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ضمن هذه الدول : بلجيكا والدانمرك وفرنسا واليونان والمجر وإيطاليا ولكسمبورغ وإسبانيا. وما تزال ثلاث عشرة دولة أوروبية لا تعترف بالإسلام كديانة، على الرغم من كونه الديانة الثانية على أقل تقدير في 16 من أصل 37 دولة أوروبية (بما في ذلك دول بحر البلطيق، لكن ذلك لا يشمل جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة أو تركيا).

وفي العديد من الدول يعتبر المسلمون أقلية غير معترف بها، مستثنون من معظم الحقوق التي تتمتع بها الأقليات والحماية ضد التمييز، نظراً لكون التعريفات الوطنية للأقلية ـ التي تستند أساساً على معايير عرقية وعنصرية ـ لا تنطبق عليهم.

يعيش في أوروبا اليوم أكثر من 23 مليون مسلم، يشكلون ما يقرب من 5 بالمائة من عدد سكان القارة، وفقاً للبيانات التي احتواها التقرير السنوي عن

الحريات الدينية الدولية للعام 2003 مسيحي، الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية (انظر الجدول رقم 1). وهذا الرقم أكبر بكثير من التقديرات التي تضع عددهم بين 13 ـ 18 مليون نسمة، والتي غالباً ما توردها أجهزة الإعلام أو الدراسات الأكاديمية، وهي مبنية على معلومات قديمة وغير مكتملة في أغلب الأحيان».

وعند احتساب تركيا فإن الأرقام ستتضاعف إلى 90 مليونا ونسبة 15٪ على التوالي. إلا أن ما هو أهم من الأرقام الحالية هو الاتجاه الذي بدأ في الظهور، والمتمثل في أن عدد المسلمين قد تجاوز الضعف خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وأن معدل الزيادة في تسارع.

واتخذت العديد من الدول الأوروبية إجراءات بقفل أبوابها أمام هجرة العمالة الأجنبية خلال عقد السبعينيات من القرن الماضي، عقب حظر النفط العربي وما أعقبه من انكماش اقتصادي. غير أن ما يقرب من 500,000 مهاجر هم أساساً أقارب لمقيمين، بالإضافة إلى 400,000 لاجئ يصلون إلى أوروبا الغربية سنوياً، ووفقاً للمنظمة العالمية للهجرة فإن المسلمين يشكلون نسبة كبيرة ومتزايدة من هؤلاء، ويأتي معظم هؤلاء بصورة أساسية من كل من الجزائر والمغرب وتركيا ويوغسلافيا السابقة (المنظمة العالمية للهجرة ـ جنيف تقرير عام 2000 صفحة 195)، كما أن المسلمين ربما يشكلون نسبة كبيرة من المهاجرين غير الشرعيين إلى أوروبا الغربية (ما بين 120,000 ــ 500,000 يصلون إلى دول الاتحاد الأوروبي سنوياً، وفقاً لمجلة قضايا سياسة، الهجرة، العدد 2 لسنة 2003 مسيحي، مقال بعنوان «حقائق وأرقام عن الهجرة الدولية»). وبالفعل ففي العديد من الدول الأوروبية يعتبر المصطلحان (مسلم) و(مهاجر) عملياً مرادفان لبعضهما.

وتنبع الموجات الحالية للمهاجرين والباحثين عن اللجوء السياسي من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وهي مناطق معروفة بارتفاع معدل الخصوبة بها، حيث تصل إلى المرتبة الثانية عالمياً، باتجاه أوروبا وهي منطقة معروفة بأقل معدل للخصوبة في

**جدول رقم 1: المسلمون في أوروبا**

| مجموعة الدول | عدد المسلمين | | النسبة المئوية إلى عدد السكان «1» | |
|---|---|---|---|---|
| | 1982 | 2003 | 1982 | 2003 |
| الاتحاد الاوروبي ـ 15 | 6،8 مليون | 15،2 مليون | 1،9 | 4،0 |
| الأعضاء الجدد في الاتحاد | 208،000 | 290،000 | 0،4 | 0،4 |
| الاتحادالأوروبي ـ 15 + الأعضاء الجدد | 7،0 مليون | 15،5 مليون | 1،6 | 3،4 |
| الدول الأوروبية الأخرى (بما في ذلك تركيا) | 56،0 مليون | 74،8 مليون | 50،0 | 56،0 |
| الدول الأوروبية الأخرى (بدون تركيا) | 8،8 مليون | 7،7 مليون | 14،0 | 10،0 |
| جميع الدول الأوروبية (بما في ذلك تركيا) | 62،9 مليون | 90،3 مليون | 11،6 | 15،0 |
| جميع الدول الأوروبية (بدون تركيا) | 15،6 مليون | 23،2 مليون | 3،2 | 4،5 |

**ملاحظة: الأرقام الحالية تم الحصول عليها من التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم لسنة 2003 مسيحي عن وزارة الخارجية الأمريكية أما أرقام العام 1982 مسيحي فمن كتاب السيد م. علي الكتاني: الأقليات المسلمة في العالم اليوم (لندن. دار نشر مانسل المحدودة، 1986).**

العـالم، ويـرجـع السـبب وراء ذلك إلى الـوضـع الاقتصـادي المتدهـور في تلك الدول، وليس لنقص العمالة في أوروبا. وفي الوقت الذي يتوقع أن يتضاعف فيه عدد السكان في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال العقود الثلاثة القادمة وتنكمش تلك الأعداد في أوروبا؛ فإن ازدياد تدفق اللاجئين من الجنوب إلى الشمال يبدو أمراً محتوما، ويزيد من حدة هذا التوجه زيادة نسبة كبار السن بين سكان أوروبا، على العكس من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التي تزيد نسبة صغار السن فيها عن الكبار.

في العام 2000 مسيحي تنبأت الأمم المتحدة بأنه كي تتمكن أوروبا من معادلة الزيادة الكبيرة في عدد كبار السن من سكانها فإنها تحتاج إلى 949,000 مهاجر للمحافظة على مستوى عدد سكانها في العام 1995 مسيحي، وتحتاج إلى 1,588,000 مهاجر للحفاظ على عدد سكان عام 1995 مسيحي، ممن هم في سن العمل، أو 13,480,000 مهاجر للحفاظ على معدلات الدعم السكاني (أي معدل السكان من الأعمار التي تتراوح بين 15 ــ 46 سنة وأكبر).

**يضيف العنصر الإسلامي أبعاداً جديدة للسياسة الداخلية والخارجية للإتحاد الأوروبي من منظور أبعد من المصطلحات الديموغرافية (السكانية) والجغرافية.**

يضاف إلى ما سلف، فإن المعادلة السكانية للأعضاء العشرة الجدد في الإتحاد الأوروبي بدلا من مساهمتها في التخفيف من حدة المشكلة فإنها تزيد من تفاقم الفجوة، فمهما يكن الهدف الذي تسعى إليه فإن معظم هؤلاء الأفراد سيكونون من المسلمين. واليوم تبلغ نسبة المسلمين الذين يعيشون في أوروبا الغربية وولدوا هناك ما يقرب من 50 بالمائة (مصطفى مالك «الإسلام في أوروبا، البحث عن نموذج» ـ قضايا سياسة الهجرة العدد 2 مارس2003). والأهم من كل ذلك هو أن معدلات المواليد عند المسلمين في أوروبا تبلغ ثلاثة أضعاف مثيلاتها لدى غير المسلمين، مما يساهم في تضخيم أعدادهم.

وكنتيجة لذلك فإن الجاليات المسلمة في أوروبا أصغر سناً من السكان غير المسلمين، وكذلك فإن الأجيال الشابة في أوروبا أو ما يطلق عليه (جيل الألفية) يضم عدداً من المسلمين أكبر بكثير من بقية السكان (أنظر بيتر ماندافيل «الشباب المسلم في أوروبا» في كتابه «الإسلام، الديانة الثانية في أوروبا» الصفحات 219/230)، وعلى سبيل المثال فإن ثلث مسلمي فرنسا البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة تحت سن العشرين، مقارنة بنسبة 21٪ لبقية السكان ككل. كما أن ثلث مسلمي ألمانيا البالغ عددهم أربعة ملايين تحت سن الثامنة عشرة، مقارنة بنسبة 18٪ لبقية السكان ككل، وثلث مسلمي المملكة المتحدة البالغ عددهم 1,6 مليون تحت سن الخامسة عشرة، مقارنة بنسبة 20٪ لبقية السكان ككل، وثلث سكان بلجيكا البالغ عددهم 364,000 تحت سن الخامسة عشرة، مقارنة بنسبة 18٪ لبقية السكان ككل.

وحتى الآن فإن التحول إلى الديانة الإسلامية (اعتناق الإسلام) ما يزال يشكل عاملاً ثانوياً في زيادة الوجود الإسلامي في أوروبا، ممثلاً نسبة 1 بالمائة فقط من عدد المسلمين في أوروبا ككل، إلا أنه وانطلاقاً من هذه القاعدة فإن الأمور قد تتطور مع ظهور مصدر مهم وجديد في المعادلة لنمو عدد المسلمين في أوروبا، وإسماع صوتهم، وظهورهم في الحياة العامة خصوصاً إذا ما تم الاعتراف الرسمي بالإسلام، وأصبحت لديه مؤسسات تمكنه من الدخول في مرحلة التبشير. ومن المتوقع أن يتضاعف عدد المسلمين في أوروبا بحلول العام 2015 مسيحي، بينما يتوقع انخفاض عدد غير

المسلمين بما لا يقل عن 3,5 (عمر تاسبينات «الشارع الأوروبي المسلم» ـ مجلة السياسة الخارجية، عدد مارس ـ أبريل 2003 مسيحي، الصفحة 77).

وبالنظر إلى أبعد من ذلك فإن التنبؤات المتحفظة تتوقع أن يشكل المسلمون نسبة 20 بالمائة من سكان أوروبا بحلول العام 2050 مسيحي، مقارنة بنسبة 5٪ حالياً، والبعض يتنبأ بأن ربع عدد سكان فرنسا سيكون من المسلمين بحلول العام 2025 مسيحي. وإذا ما استمرت هذه التوجهات فإن عدد المسلمين سيتجاوز غير المسلمين في فرنسا، وربما في أوروبا ككل، بحلول منتصف القرن الحالي. وعلى الرغم من أن هذه التنبؤات تبدو للوهلة الأولى مهولة ولا يمكن تصديقها؛ فإنها قد لا تكون بعيدة عن الواقع، ففي الوقت الراهن يشكل المسلمون نسبة 15 بالمائة من الفئة العمرية 16 ـ 25٪ بفرنسا، وفي بروكسل يشكل المسلمون نسبة 25 بالمائة من السكان تحت سن 25 عاماً. غير أن العامل الذي لا يقل أهمية عن الزيادة المثيرة لعدد المسلمين في هذه المعادلة هو الانكماش المثير في عدد سكان أوروبا بصورة عامة، والذي من المتوقع أن يهبط بأكثر من 100 مليون نسمة، من 728 مليون في العام 2000 مسيحي إلى 600 مليون وربما إلى 565 مليون بحلول العام 2050 مسيحي، وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة.

**بدأ السياسيون الأوروبيون وبصورة روتينية في حساب (العامل الإسلامي) أي أثر العدد المتنامي للسكان المسلمين على صناديق الاقتراع وعلى الشارع الإسلامي في عمليات اتخاذ القرار، وربما تكون هذه الاعتبارات قد لعبت دوراً مهماً في موقف الرئيس جاك شيراك ضد الحرب على العراق، وقد تكون أيضاً أثرت على حسابات المستشار الألماني غيرهارد شرودر.**

## التجمع في أحياء الأقليات:

يميل المسلمون في أوروبا إلى التكتل جغرافياً، خصوصاً في المناطق الصناعية والحضرية، ضمن الدول التي يقيمون بها، وغالباً ما يكون هذا الوجود ضمن أحياء فقيرة ومحددة المعالم، إن لم تكن منغلقة على نفسها، كما هو الحال في حي كروزبرغ ببرلين، وحي تاور هامليت بلندن وضواحي المدن الفرنسية الكبيرة، وهو ما يزيد من وضوحها وتأثيرها، ولكن في الوقت ذاته تتحاشى تلك التكتلات الاحتكاك اليومي بعامة السكان. وعلى سبيل المثال يعيش خمسا $\frac{2}{5}$ مسلمي بريطانيا في مدينة لندن الكبرى، ويعيش ثلث مسلمي فرنسا إما داخل أو في ضواحي باريس، ويتركز ثلث مسلمي ألمانيا في منطقة الرور الصناعية. ويشكل المسلمون حالياً 25 بالمائة من سكان مدينة مارسيليا الفرنسية، و20 بالمائة من سكان مدينة مالمو السويدية، و15 بالمائة من سكان بروكسيل وبرمنجهام وباريس، و10 بالمائة من سكان لندن وأمستردام وروتردام ولاهاي وأوسلو وكوبنهاجن.

وقد طرأت الزيادة على عدد السكان المسلمين بصفة أساسية في دول أوروبا الغربية، فخلال العقد الذي أعقب سقوط جدار برلين نما الوجود الإسلامي بوتيرة بلغت ستة أضعاف أسرع مما عليه الحال في أمريكا الشمالية. وكانت كل من النمسا والدانمرك وهولندا والنرويج والسويد بدرجة أساسية قد شهدت نمواً كبيراً في عدد المهاجرين والباحثين عن اللجوء السياسي من المسلمين خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي. وخلال ما تبقى من العقد الحالي فإن اسبانيا وإيطاليا وربما اليونان ـ وهي دول تقع في غرب أوروبا، وتمتاز بانخفاض معدلات الخصوبة، وسكان من فئة كبار السن، وحدود أكثر نفاذية، وهي الأكثر قرباً من الدول المصدرة للمهاجرين، وبها أكبر نسبة من المهاجرين غير

الشرعيين - تبدو مرشحة لزيادة ملحوظة في عدد سكانها من المسلمين مقارنة بما هو عليه الحال في الوقت الحاضر.

لكن المفارقة هي أن عدد السكان المسلمين الأصليين في مناطق جنوب شرق أوروبا قد انخفض بما يقرب من 15 بالمائة خلال العشرين سنة الأخيرة، كنتيجة لهجرة الأتراك من بلغاريا وهجرة الألبان إلى إيطاليا واليونان، والهجرة والموت اللذين نتجا عن حروب البلقان، من بين أسباب أخرى، وفي وسط وشرق أوروبا ما زال المسلمون عملياً غير موجودين.

**الهوية :**

كما أن طبيعة الوجود الإسلامي في أوروبا هي الأخرى تشهد تغيراً واضحاً، فالمسلمون لم يعودوا عمالة مؤقتة، بل أصبحوا جزءاً دائماً من الخريطة السكانية لأوروبا الغربية، مثلما هو حالهم وعلى مدى قرون في مناطق جنوب شرق أوروبا. ولقد بدأت عملية بناء المؤسسات الإسلامية وإعادة أسلمة المسلمين في أوروبا، غير أن الحديث عن جالية إسلامية واحدة في أوروبا مضلل ومناف للصواب، حتى ضمن حدود الدولة الواحدة، فالتنوع العرقي والخلافات الطائفية والانشقاقات داخل المجموعة الواحدة النابعة من انشقاقات اجتماعية وسياسية، والفوارق بين الأجيال المختلفة، وطبيعة الديانة الإسلامية نفسها من حيث كونها غير طبقية ؛ كل ذلك يعني أن المسلمين في أوروبا سيظلون منقسمين لعقود قادمة.

وكما هو الحال مع المسيحيين واليهود في أوروبا فإن المسلمين الأوروبيين مجموعة غير متكاتفة أو غير متراصة، ومع ذلك فالمسلمون يعرفون أنفسهم- وبصورة متزايدة - على أنهم مسلمون أولا، بدلاً من انتمائهم للبلد الأصلي الذي قدمت منه عائلاتهم، أو موطن إقامتهم في البلدان الأوروبية التي يعيشون فيها. يضاف إلى ما سلف فإن هذه الظاهرة قد أصبحت أكثر وضوحاً لدى المسلمين من جيل الشباب.

ولقد بدأت بعض الحواجز العرقية في فقدان أهميتها بين المسلمين، ومرة أخرى لدى الشباب، وهذا راجع بصورة جزئية إلى ظهور عصبة من الزعماء الدينيين غير الممولين من دول إسلامية بعينها، والذين يتحدثون لغة البلد، ويتناولون هموم الشباب المسلم. كما أن الجيل الحالي يتكيف مع المتطلبات العصرية والثقافية للمجتمعات الأوروبية، بوتيرة أسرع من آبائهم وأجدادهم من المهاجرين. ويتأقلم الشباب المسلم مع رموز المجتمعات الأوروبية التي ولدوا وترعرعوا فيها، مثل اللغة وإقامة العلاقات الاجتماعية في المدارس، وفي العديد من الحالات تبني بعض المظاهر العلمانية لتلك المجتمعات، ومع ذلك فهم لا يشعرون بأنهم جزء من المجتمع، أو أن لهم مصلحة فيه، وفي المقابل، وعلى الرغم من كونهم مواطنين يمثلون الجيل الثالث ؛ فإن عامة الشعوب الأوروبية لا تنظر إليهم على أنهم رفاق في المواطنة، بل ما زالت تعتبرهم أجانب ومهاجرين.

ومع كل هذا فإن نسبة المسلمين الذين يحملون الجنسيات الأوروبية في تزايد، فمع زيادة عدد المواليد بين المسلمين في غرب أوربا، والتخفيف من إجراءات منح الجنسية في العديد من الدول الأوروبية خصوصاً ألمانيا ؛ فإن هذا الاتجاه سوف يستمر. وحالياً يحمل أكثر من ثلاثة أخماس المسلمين في فرنسا والمملكة المتحدة الجنسية، وفي ألمانيا تتراوح النسبة بين 15 ـ 20 بالمائة،

ومن بين البقية تقدم 11 بالمائة بطلبات للحصول على الجنسية ، ويخطط 48 بالمائة الآخرون لفعل ذلك، وفقا لمسح قامت به مؤسسة كونراد أديناور في العام 2001 مسيحي .

وتشير هذه الأرقام إلى أن ألمانيا سيكون لديها قريباً ما يصل إلى 4,2 مليون مواطن جديد ، وبالتالي ناخبين محتملين . كما يتوقع حدوث موجة مشابهة عند مرحلة ما في المستقبل بين ما يقرب من مليون مسلم يعيشون حالياً في إيطاليا، وتبلغ نسبة الحاصلين منهم على الجنسية في الوقت الراهن أقل من 10 بالمائة، والأمر كذلك بالنسبة لما يقرب من مليون مسلم يعيشون في أسبانيا، وفي الدول الاسكندنافية ـ حيث يمكن الحصول على الجنسية بعد الإقامة مدة خمس سنوات ـ فإنه من المتوقع ارتفاع نسبة المسلمين الذين سيصبحون مواطنين في المستقبل القريب عن النسبة الحالية التي تتراوح بين 15 ـ 30 بالمائة (أنظر الجدول رقم 2).

وعلى الرغم من هذه التوجهات نحو الحصول على الجنسية فإن الشباب المسلم يقاوم الذوبان في المجتمعات الأوروبية العلمانية بصورة أكثر صموداً من جيل الكبار، ويرغب المسلمون في أوروبا بمن فيهم الشباب في الاندماج في مجتمعاتهم واحترام القواعد والمعايير السلوكية وكذا المؤسسات الوطنية بقدر ما يستطيعون، لكنهم في الوقت ذاته يحافظون على الهوية الإسلامية وعلى ممارستهم المتميزة، فهم يتخوفون من أن الذوبان في المجتمع الأوروبي سيفقدهم هذه الهوية، ومع هذا فذلك هو الثمن الذي أصبح المسلمون في أوروبا ينظرون إليه ـ وبصورة متزايدة ـ كمطلب للحكومات الأوروبية منهم، أي أن تصبح أوروبا البوتقة التي تذوب فيها جميع الأعراق دونما توافق مع أو تحوير للثقافات السائدة، فقد أظهرت الدراسات التي أجريت بكل من فرنسا وألمانيا أن الجيل الثاني وعلى الأخص الجيل الثالث من المسلمين أقل اندماجاً في المجتمعات الأوروبية من آبائهم وأجدادهم، ولقد أكدت مسألة الحجاب في كلا البلدين وساهمت في تفاقم هذا الصدام.

ويدفع التمييز الذي يدركه العديد من أبناء الجيلين الثاني والثالث لدى المجتمعات الأوروبية فيما يتعلق بمسائل التوظيف والتعليم والممارسات الدينية إلى احتضان الإسلام كسمة من سمات هويتهم. وبالفعل فإن نسبة البطالة بين المسلمين وبصفة عامة تبلغ ضعف ما هو عليه الحال بالنسبة للمهاجرين من غير المسلمين، كما أن التحصيل العلمي ومستوى المهارات لدى المسلمين ضعيف نسبياً، ومشاركة المرأة المسلمة في القوى العاملة هي في حدها الأدنى، وكذلك فرص التطوير محدودة والتحامل على المسلمين قوي جداً. وتساهم تلك العوامل في عزلة وانغلاق الجاليات المسلمة في أوروبا على نفسها وبالتالي فإنه من غير المستغرب أن تظهر الدراسة التي أجريت في فرنسا على سبيل المثال أن تحديد هوية المسلمين لأنفسهم بالإسلام كان أقوى عام 2001 مما هو عليه عام 1994م أو حتى عام 1989م مع زيادة عدد الذين يصرحون بأنهم يمارسون شعائرهم الدينية بنسبة 25 بالمائة بين الأعوام 1994 و2001م.

**أعاد الوجود الإسلامي المتنامي في أوروبا فتح الجدل حول عدة مسائل من بينها دور الدين في الحياة العامة والتسامح في المجتمعات الأوروبية والعلمانية كطريق وحيد نحو الحداثة وهوية أوروبا ذاتها.**

## المضامين الاستراتيجية :

إن إعادة التقاء أوروبا مع الإسلام قد أفرز العديد من التطورات ذات المضامين البعيدة.

## حاضنة لتجنيد الإرهابيين؟ :

يقدر مسئولو مكافحة الإرهاب في أوروبا أن ما يتراوح بين 1 ـ 2 بالمائة من المسلمين في القارة، أي بين 250,000 ـ 500,000 فرد متورطون في شكل ما من أشكال التطرف، لكن من غير الواضح كم من هؤلاء المسلمين سيشجع فعلاً الإرهاب أو يقوم بأعمال

## جدول رقم 2: المسلمون في أوروبا

| الدين الإسلامي: معترف به | المرتبة | عدد المسلمين الإجمالي (تقديرات 1982) | ٪ من السكان (تقديرات 1982) | مواطنين: ٪ | مواطنين: عدد | البلد الأصلي (٪من المسلمين) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| النمسا (نعم - 1979) | الثالثة | 338،988<br>(80،000) | 4،2<br>(1،1) | 28 | 96،052 | تركيا (50)<br>البوسنة (25)<br>كوسوفو (10) |
| بلجيكا (نعم - 1974) | الثانية | 364،000<br>(350،000) | 3،5<br>(3،6) | غ.م | غ.م | المغرب (55)<br>تركيا (33) |
| الدانمارك (لا) | الثانية | 162،000<br>(35،000) | 3،0<br>(0،7) | 11 | 18،000 | تركيا (27)<br>يوغسلافيا (22)<br>لبنان (11)<br>باكستان (10) |
| فنلندا (نعم - الثمانينات) | الرابعة | 20،000 | 0،4 | غ.م | غ.م | الصومال (23)<br>يوغسلافيا (20)<br>العراق (17)<br>إيران(11) |
| فرنسا (نعم - 2000) | الثانية | 5 مليون<br>(2،5) مليون | 8،3<br>(4،6) | 60 | 3 مليون | الجزائر (30)<br>المغرب (20)<br>تركيا (10) |
| ألمانيا(لا) | الثانية | 4 مليون<br>(1،8) مليون | 4،9<br>(2،9) | 15 | 500،000 | تركيا (68)<br>يوغسلافيا |
| اليونان (نعم - 1923) | الثانية | 450،000<br>(160،000) | 4،1<br>(1،6) | 22 | 100،000 | أتراك (50)<br>بوماك (25)<br>رومان (15) |
| ايرلندا(لا) | الثالثة | 19،147 | 0،5 | غ.م | غ.م | |
| ايطاليا(لا) | | 1 مليون<br>(120،000) | 1،8<br>(0،2) | 7 | 70،000 | المغرب (34)<br>ألبانيا (27)<br>تونس (10) |
| لكسمبورغ(لا) | الثالثة | 6،000 | 1،4 | غ.م | غ.م | مونتينغرو (25) |
| هولندا (نعم - 1988) | الثالثة | 886،000<br>(400،000) | 5،5<br>(2،8) | 50 | 450،000 | تركيا (40)<br>المغرب (34) |
| البرتغال (نعم - 1976) | الثانية | 35،000 | 4 | غ.م | غ.م | موزمبيق<br>غينيا |
| اسبانيا (نعم - 1992) | الثانية | 1 مليون<br>(12،000) | 2،4<br>(0،3) | غ.م | غ.م | المغرب |
| السويد (نعم - 1979) | الثانية | 350،000<br>(30،000) | 3،9<br>(0،3) | 30 ـ 50 | 50 ـ 100 ألف | يوغوسلافيا (25)<br>إيران (14)<br>العراق (14)<br>تركيا (13) |
| المملكة المتحدة (لا) | الثالثة | 1،6 مليون<br>(1،25) مليون | 2،7<br>(2،2) | 60 | 1 مليون | البوسنة (13)<br>باكستان (45)<br>الهند (19)<br>بنغلاديش (13-16) |
| **الإجمالي** | | 15،2 مليون<br>(6،2) مليون | 4،0<br>(1،9) | | | |

ملاحظات:

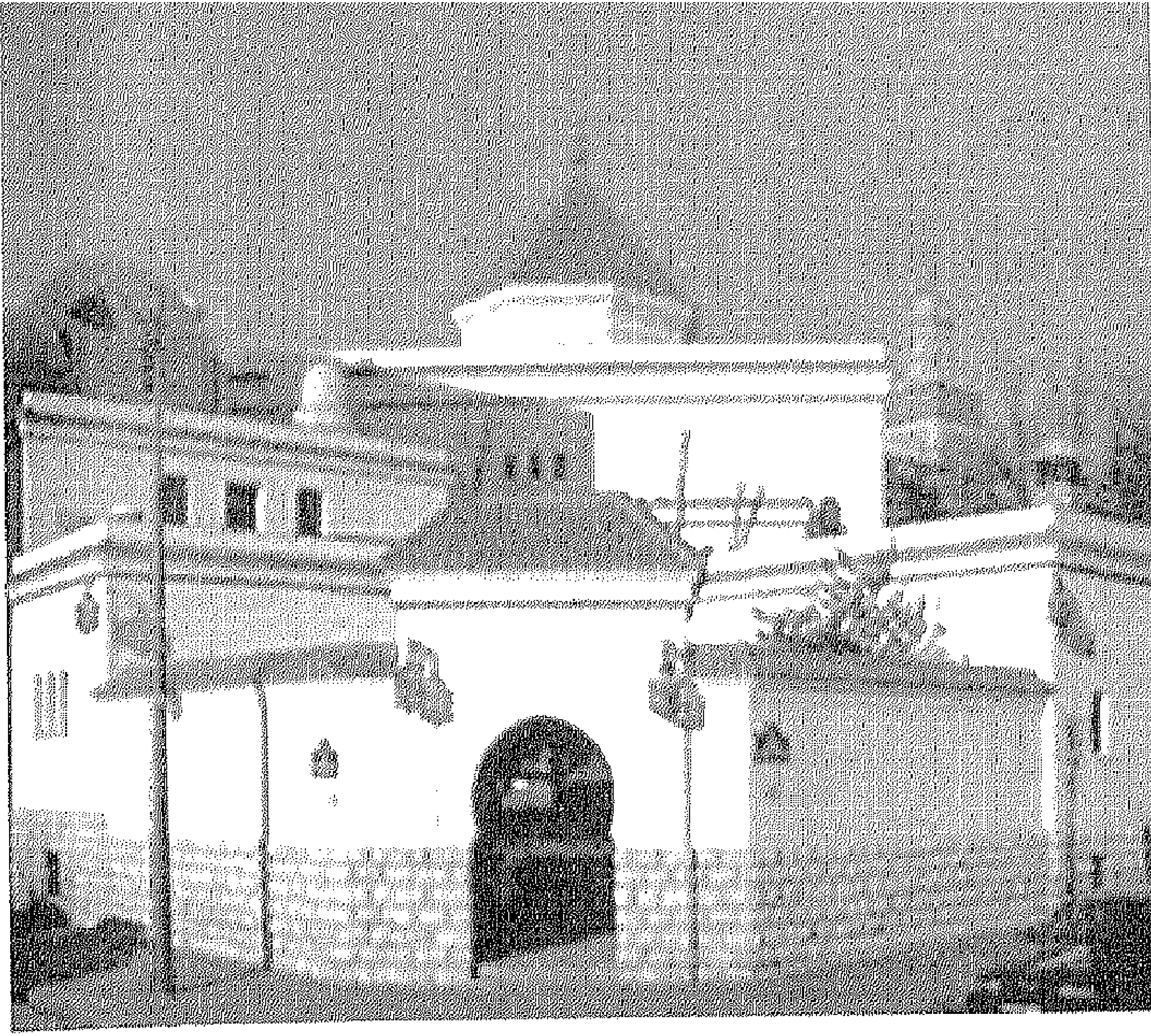
1 ـ المرتبة يقصد بها ترتيب الديانة بين الديانات الرئيسية: الكاثوليكية والإسلام واليهودية والأرثوذوكس والبروتستانت.

2 ـ الأرقام الحالية مصدرها وزارة الخارجية الأمريكية: التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم 2003، أما تقديرات العام 1982م وهي مذكورة للمقارنة فمصدرها كتاب السيد علي الكتاني «الأقليات المسلمة في العالم» دار نشر مانسل المحدودة ـ لندن 1986م.

3 ـ البيانات تشمل المجموعات التي تزيد نسبتها عن 10 بالمائة فقط.

4 ـ غ.م = غير معروف.

إرهابية. إن النقطة الجوهرية لا تكمن في كون أن البيئة القانونية في أوروبا أو موقعها الجغرافي يشكلان منصة ملائمة ينطلق منها الإرهابيون، وإنما أن الكيمياء الناتجة عن احتكاك المسلمين بأوروبا تجعل من بعض الأفراد مهيئين للتجنيد في الشبكات الإرهابية، فمختطفو الطائرات التي نفذت تفجيرات 11 سبتمبر لم يكونوا ببساطة مقيمين في أوروبا، بل كانوا عرباً تغيرت نظرتهم ومفاهيمهم بصورة جذرية من خلال تجاربهم بأوروبا[1].



مسجد في فرنسا

ومن بين ما يقرب من 660 معتقل أصليين من 42 دولة تحتجزهم الولايات المتحدة بقاعدة خليج غوانتانامو، بلغ عدد المعتقلين الذين يحملون جنسيات ستة بلدان في أوروبا الغربية 20 معتقلاً، وربما نفس العدد ممن يقيمون هناك إقامة دائمة (بالمقارنة بلغ عدد المحتجزين ممن يحملون الجنسية الأمريكية اثنان فقط). والرقم الإجمالي للمحتجزين من أوروبا أكبر بكثير من ناحية إحصائية مما نتوقعه، مما يشير إلى أنه ربما هناك شيء ما عن البيئة الأوروبية يساهم في جعل المسلمين يتبنون الإرهاب.

وفي هذا الخصوص لاحظ مايكل رادو من معهد السياسة الخارجية أنه منذ 11 سبتمبر 2001م قامت السلطات الأوروبية بالقبض على عدد من المشتبه بقيامهم بأعمال إرهابية يفوق بعشرين ضعفاً العدد الذي ألقي القبض عليه بالولايات المتحدة لنفس السبب. ووفقاً لخبراء فرنسيين وألمان فإن القليل فقط من الإسلاميين الأوروبيين المتهمين بأعمال إرهابية كانوا متطرفين في بلدانهم الأصلية، وعلى العكس من ذلك فقد تم تجنيد عدد أكبر بكثير من الشباب، معظمهم من الطبقة الوسطى، والذين تعرضوا لصدمة ثقافية في أوروبا، وأصبحوا راديكاليين إسلاميين متطرفين. فهؤلاء لم يتم قبولهم كجزء متمم لنسيج المجتمعات الأوروبية، وفي نفس الوقت تولد لديهم نفور من علمانية ومادية تلك المجتمعات، وبالتالي فإن قليلا من الأفراد ممن لديهم خلفية إسلامية، وخصوصاً أولئك الذين يتعرضون لأزمة شخصية، يبدو أنهم يجدون تضامناً ومعنى وتوجهاً عند الجماعات الإسلامية المتطرفة التي تبحث وبصورة نشطة عن مجندين.

ولا يعود إلا القليل من المسلمين المتطرفين إلى بلدانهم الأصلية للمحاربة من أجل ما يؤمنون به، وبدلاً عن ذلك فإن هؤلاء الشبان يباشرون الجهاد في مناطق مثل أفغانستان والبوسنه والشيشان، والبعض منهم يفعل ذلك في دول غربية. وكما لاحظ الخبير الفرنسي أوليفييه روي فإن الخلفية الاجتماعية للمتشددين الإسلاميين الذين يمارسون العنف تنطبق تماماً على النمط الذي نشأ عليه المتطرفون اليساريون في أوروبا الغربية خلال عقدي السبعينيات والثمانينات (على سبيل المثال الجيش الأحمر في ألمانيا والألوية الحمراء

(1) طبقاً للتحليلات ووجهات النظر السائدة.

في إيطاليا والعمل المباشر في فرنسا) فخلايا تلك الجماعات الإسلامية تميل إلى تشكيلة تضم خليطا من الشباب الذكور الساخطين غير المتزوجين ممن تلقوا تعليمهم بأوروبا (غالباً من مستويات جامعية فنية أو علمية) وكذلك من الطبقة العاملة ممن تركوا الدراسة (بما في ذلك أولئك الذين اعتنقوا الإسلام في السجون) والذين يتقاسمون ثقافة هامشية. والخلفيات التي تخص هؤلاء لا علاقة لها بالكفاح ضد حكومات شرق أوسطية بعينها، أو تلقي تعليم ديني تقليدي (فيما عدا السعوديين واليمنيين) كما أن هؤلاء المتشددين لا علاقة لهم بأي من أجهزة الاستخبارات في دول الشرق الأوسط، بل على العكس يبدو أنهم عبارة عن مجندين بسطاء يتم إدارتهم والتحكم بهم وتوجيههم من قبل مجموعات إسلامية، لها أجندتها العالمية الخاصة بها (برنامج عملها الخاص بها).

**نمط جديد من معاداة السامية:**

هناك قلق في فرنسا، التي توجد بها أكبر جاليتين مسلمة ويهودية، من تنامي أحداث العنف ضد الأفراد والممتلكات اليهودية، والتي تضاعفت ست مرات في العام 2002م عما كانت عليه في العام 2001م، فوفقاً لتصريح صدر مؤخراً عن الوزير الإسرائيلي ناتان شارانسكي فقد ارتفعت حوادث معاداة السامية بفرنسا من 77 حادثاً في عام 2002م إلى 141 حادثاً في

**جدول رقم 3: المسلمون في تركيبة سكان الأعضاء الجدد في الاتحاد الأوروبي**

| الديانة الإسلامية | | عدد المسلمين الإجمالي | ٪ من السكان | الحاصلين على الجنسية | | أصول المسلمين |
|---|---|---|---|---|---|---|
| معترف بها؟ | المرتبة | (تقديرات 1982) | (تقديرات 1982) | ٪ | عدد | |
| قبرص (لا) | الثانية | 200،000 (155،000) | 26،0 (24،4) | 100 | 200،000 | قبارصة أتراك |
| التشيك (لا) | الرابعة | 20،000– 30،000 | 0،2– 0،3 | غ.م | غ.م | |
| استونيا (نعم) | الخامسة | 6،000> | 0،4 | غ.م | غ.م | تتار |
| المجر (لا) | الخامسة | غ.م | 0،1> | غ.م | غ.م | |
| لاتفيا (نعم) | الخامسة | 300 | 0،1> | غ.م | غ.م | تتار |
| ليتوانيا (نعم) | الخامسة | 2،700 | 0،1 | غ.م | غ.م | تتار |
| مالطا (لا) | الثالثة | 3،000 | 0،8 | 25 | 750 | |
| بولندا (لا) | الرابعة | 5،123 (22،000) | 0،1> (0،1>) | غ.م | غ.م | تتار |
| سلوفاكيا (لا) | الخامسة | 5000> | 0،1> | غ.م | غ.م | |
| سلوفينيا (نعم) | الرابعة | 47،000 (20،000) | 2،4 (1،1) | غ.م | غ.م | البوسنه |
| المجموع | | **290،000 (208،000)** | **0،4 (0،4)** | | | |

ملاحظات:

1- المرتبة يقصد بها ترتيب الديانة بين الديانات الرئيسية : الكاثوليكية والإسلام واليهودية والأرثوذوكس والبروتستانت.

2- الأرقام الحالية مصدرها وزارة الخارجية الأمريكية: التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم 2003، أما تقديرات العام 1982م وهي مذكورة للمقارنة فمصدرها كتاب السيد علي الكتاني «الأقليات المسلمة في العالم»، دار نشر مانسل المحدودة ـ لندن 1986م.

3- البيانات تشمل المجموعات التي تزيد نسبتها عن 10 بالمائة فقط.

4- غ.م = غير معروف.

العام 2003م، مما يعني أنها شكلت 47 بالمائة من جميع الهجمات المعادية للسامية في دول أوروبا الغربية. وقد صاحب هذا العنف تضاعف هجرة اليهود الفرنسيين إلى إسرائيل بين عامي 2001 و 2002م لتصل إلى أكبر عدد لها منذ العام 1972م.

ووفقاً للأرقام الصادرة عن الحكومة الإسرائيلية في نهاية شهر يناير من العام 2004م فقد هاجر 2380 يهودي فرنسي إلى إسرائيل في العام 2003م، وهاجر 2556 في العام 2002م، مقارنة مع عقد التسعينيات الذي بلغت فيه الهجرة معدل 800 مهاجر سنوياً تقريباً. كما أن الأهم هو أن غالبية المهاجرين تتراوح أعمارهم بين 16 ـ 52 عاماً .

وهناك رابط بين حوادث معاداة السامية المتكررة في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية، وبين مسلمين عرب، والذين بدأوا بتوجيه إحباطهم ونقمتهم المتزايدة من غياب حقوقهم الدستورية والاقتصادية والاجتماعية، نحو تعامل إسرائيل مع الانتفاضة الفلسطينية . كما أن اللوم في تلك الأحداث يقع على الشباب المسلم الذين يحولون هذا الغضب نحو أقلية مهاجرة أخرى يعتبر موقعها في المجتمعات الأوروبية محل نقاش. وهذا تطور وصفه وزير التعليم الفرنسي بأنه «خطر حقيقي كبير لكونه نوعاً جديداً من معاداة السامية، يأتي من أجزاء من المجتمع أكثر قبولاً من اليمين المتطرف، أي العرب والمسلمين».

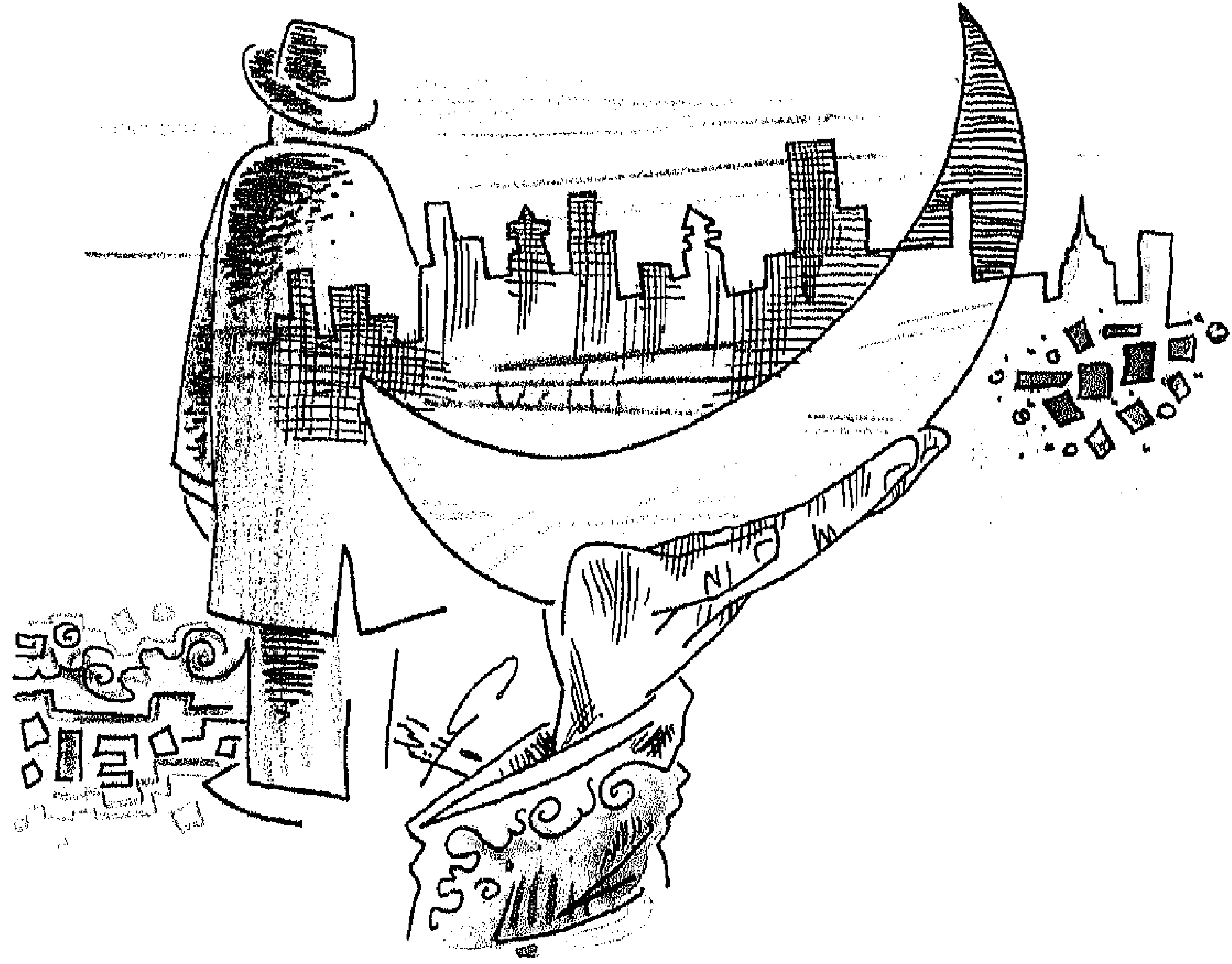
وفي يناير 2003م قامت الحكومة الألمانية بحظر منظمة (حزب التحرير الإسلامي) المتطرفة بسبب نشرها معاداة السامية، وحثها على العنف ضد اليهود الألمان . ويحتفظ حزب التحرير ببعض الروابط مع الحزب الوطني النازي الجديد في ألمانيا الذي شارك في مظاهرة معادية للولايات المتحدة وإسرائيل نظمها حزب التحرير ببرلين في شهر التمور (أكتوبر) 2002م. وقد جعلت التطورات الأخيرة في كل من بلجيكا والدانمرك وإيطاليا والمملكة المتحدة من الحكومات الأوروبية أكثر حساسية لهذا المصدر الجديد من معاداة السامية، بما في ذلك احتمال استغلالها من طرف المنظمات المتطرفة سواء اليسارية أو اليمينية.

**التحول السياسي نحو اليمين:**

خلال العقد الأخير، أعطى تنامي أعداد الجالية المسلمة في أوروبا وبروزها الحياة للأحزاب اليمنية المتطرفة، التي لعبت على وتر الزينوفوبيا (رهاب الأجانب) والعنصرية والخوف المتولد لدى العامة من الإسلام. أما الشيء الآخر الذي لا يقل أهمية فهو أن المكاسب التي حققتها أحزاب أقصى اليمين (على سبيل المثال الكتلة الفليمنكية «كتلة شعب الفلاندر» في بلجيكا والحزب الوطني في بريطانيا وحزب الشعب في الدانمرك والحزب الوطني الفرنسي بزعامة جون ماري لوبان وحزب رابطة الشمال الإيطالي وحزب الشعب السويسري) قد أدت إلى تحول نحو اليمين في الأولويات السياسية من طرف الأحزاب الرئيسية السائدة. ففي العديد من الحالات (النمسا ـ الدانمرك ـ إيطاليا ـ النرويج ـ سويسرا ـ والحكومة السابقة في هولندا) اعتمدت حكومات الائتلاف أو الأقلية الأوروبية على دعم أحزاب اليمين التي تنادي علنا بأفكار مضادة للإسلام للبقاء في السلطة.

**حقيقة ميل الحكومات والشعوب الأوروبية نحو اعتبار المسلمين كتلة واحدة غير مميزة تقوي من النزعة السائدة عند الأوربيين في النظر إلى الوجود الإسلامي، ليس كهبة أو نعمة، بل كتهديد حقيقي، وهو أمر يتحول في بعض الأحيان إلى نبوءة تحقق نفسها بنفسها .**

وقد ظهر التحول نحو اليمين جلياً في إجراءات الحكومات نحو الحد من الهجرة وزيادة التأكيد على المصالح الوطنية الضيقة في المناقشات السياسية للاتحاد الأوروبي، لكنه انعكس أيضاً في الإجراءات



التي اتخذت مؤخراً بكل من فرنسا وألمانيا نحو منع ارتداء غطاء الرأس في المدارس الحكومية، وبطرد هولندا لعدد 000, 26 لاجئ.

أما الأثر الذي سيتركه تسارع نمو عدد المواطنين من المسلمين على السياسات الوطنية في الدول الأوروبية فلا يزال غير واضح، وحتى هذا التاريخ لم ينخرط مسلمو أوروبا بصورة كبيرة في الأحزاب السياسية الأوروبية، على الرغم من اتخاذ بعض الخطوات السياسية، مثل التعبئة التي قام بها المسلمون لهزيمة أعضاء البرلمان من حزب العمال البريطاني الذين ساندوا الحرب على العراق خلال الانتخابات الفرعية في سبتمبر 2003 م.

غير أنه وبصفة عامة فإن النشاط السياسي للمسلمين حتى تاريخه محدود جداً، ففي فرنسا حيث يبلغ عدد المسجلين للانتخاب من المواطنين البالغين 92 بالمائة، فإن العدد المماثل من المسلمين هو 37 بالمائة فقط، وفي استفتاء أجري في مارس 2004 م ادعى ما يقرب من نصف عدد المسلمين الذي شملهم الاستفتاء بأنهم لن يصوتوا في الانتخابات العامة القادمة. وعلى الرغم من أن المسلمين في المملكة المتحدة وغيرها من دول أوروبا يعبّرون عن درجة أساسية من الثقة في المؤسسات الوطنية (على سبيل المثال القضاء والمؤسسات التشريعية والأحزاب السياسية والقوات المسلحة) فإنهم يميلون نحو الانعزال السياسي، مركزين في إعطاء أولوية نحو هموم غير سياسية (مثل العائلة والديانة والشرف) بدلاً من الانخراط في هياكل تنظيمية أوسع من ذلك. وفيما عدا بلجيكا وهولندا فإن المسلمين غير ممثلين تمثيلاً حقيقيا، وفي بعض الحالات غير ممثلين على الإطلاق في المجالس النيابية والحكومات الأوربية مثلما هو الحال في الولايات المتحدة.

وبما أن معظم المسلمين مهاجرون من الجيل الأول والثاني؛ فإنهم يميلون وبصورة قوية نحو برامج الرعاية الاجتماعية التي تطرحها أحزاب وسط اليسار، فعلى سبيل المثال فإن 85 بالمائة من أصوات المسلمين في المملكة المتحدة عام 1997م ذهبت إلى

## جدول رقم 4: المسلمون في تركيب سكان الدول الأوروبية الأخرى (غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي)

| الديانة الإسلامية | | عدد المسلمين الإجمالي (تقديرات 1982) | % من السكان (تقديرات 1982) | الحاصلين على الجنسية | | أصول المسلمين |
|---|---|---|---|---|---|---|
| معترف بها؟ | المرتبة | | | % | عدد | |
| ألبانيا (نعم) | الأولى | 2،15 (2،11 مليون) | 70،7 (75،0) | 100 | 2،15 مليون | ألبان |
| البوسنه (لا) | الأولى | 1،052 مليون (2،13 مليون) | 40،0 (51،6) | 100 | 1،52 مليون | بوسنيين |
| بلغاريا (نعم) | الثانية | 963،800 (1،7 مليون) | 12،2 (19،3) | 100 | 963،800 | أتراك (75) بوماك (20) تتار |
| كرواتيا (نعم) | الثالثة | 44،370 (150،000) | 1،0 (3،3) | 100 | 44،370 | البوسنه |
| ايسلندا (نعم) | الثالثة | 229 | 0،1> | غ.م | غ.م | |
| ليشنشتاين (نعم) | الثالثة | 1347 | 4،0 | غ.م | غ.م | |
| مقدونيا (نعم) | الثانية | 600،000 (600،000) | 30،0 (31،4) | 100 | 600،000 | ألبان |
| النرويج (لا) | الثانية | 68،899 (12،000) | 15– 30،0 | 100 | 10،000– 20،000 | باكستان (31) البوسنه (17) تركيا (13) العراق (11) إيران (11) الصومال (11) |
| رومانيا (نعم) | الرابعة | 67،257 (65،000) | 0،3 (0،3) | 100 | 67،257 | أتراك تتار |
| صربيا ـ الجبل الأسود (نعم) | الثانية | 2،02 مليون (1،93 مليون) | 19،0 (19،7) | 100 | 2،02 مليون | ألبانيا البوسنه |
| سويسرا (لا) | الثالثة | 310،807 (70،000) | 4،3 (1،1) | 10 | 36،481 | أتراك (43) يوغسلاف (36) |
| تركيا (نعم) | الأولى | 67،1 مليون (46،9 مليون) | 99،0 (99،0) | 100 | 67،1 مليون | أتراك أكراد |
| **المجموع** | | **74،8 مليون (56،0 مليون)** | **56،0 (50،0)** | | | |
| **المجموع بدون تركيا** | | **7،7 مليون (8،8 مليون)** | **10،0 (14،0)** | | | |

**ملاحظات:**

1 ـ المرتبة يقصد بها ترتيب الديانة بين الديانات الرئيسية : الكاثوليكية والإسلام واليهودية والأرثودوكس والبروتستانت.

2 ـ الأرقام الحالية مصدرها وزارة الخارجية الأمريكية: التقرير السنوي للحريات الدينية في العالم 2003، أما تقديرات العام 1982م وهي مذكورة للمقارنة فمصدرها كتاب السيد علي الكتاني «الأقليات المسلمة في العالم» دار نشر مانسل المحدودة ـ لندن 1986م.

3 ـ البيانات تشمل المجموعات التي تزيد نسبتها عن 10 بالمائة فقط.

4 ـ إجمالي الصرب والجبل الأسود يشمل كوسوفو.

5 ـ غ.م = غير معروف.

حزب العمال، إلا أن بعض المحللين الأوروبيين قد لمسوا مؤخرا تحولاً محتملاً في بعض الأوساط المسلمة نحو أحزاب يمين الوسط، مع ظهور بعض المسلمين الذين يؤيدون القيم المحافظة فيما يتعلق بالعائلة والمسائل الاجتماعية والأخلاقية، إضافة إلى روح المبادرة الفردية الرأسمالية.

وخلال المستقبل القريب فإن من المحتمل أن يكون هناك ميلٌ من طرف أحزاب يمين الوسط لأن تلعب الورقة الإسلامية في مسائل معينة، خصوصاً أن سكان أوروبا . الذين يتقدمون في السن وينقص عددهم كل سنة . قلقون من زيادة تدفق المهاجرين ونظام الرعاية الاجتماعية المكلف والتذكير المستمر بالتهديدات الإرهابية.

وقد اقترح بعض المراقبين أن اليمين في أوروبا يجب أن يسعى بفعالية نحو الحصول على أصوات المسلمين، مثلما يحاول الحزب الجمهوري الآن أن يكسب أصوات الهسبان (المهاجرين من أصل مكسيكي ومن متحدثي الأسبانية) في الولايات المتحدة، غير أن وجود أحزاب أقصى اليمين في أوروبا قد يستثني هذه الإستراتيجية، لأن تلك الأحزاب تشكل البديل لجزء من مؤيدي أحزاب وسط اليمين الذين يعارضون ضم المسلمين إلى صفوفهم.

**يعيش في أوروبا اليوم أكثر من 23 مليون مسلم، يشكلون ما يقرب من 5 بالمائة من عدد سكان القارة، وفقاً للبيانات التي احتواها التقرير السنوي عن الحريات الدينية الدولية للعام 2003 مسيحي، الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية .**

ومن جهتهم فإن الناخبين المسلمين ربما سيلعبون دوراً سياسياً أكبر في المستقبل، حتى وإن كان ذلك على المستوى المحلي، على الرغم من فشل محاولاتهم السابقة نحو تشكيل أحزاب إسلامية في أوروبا. وعلى المدى البعيد فإن من المحتمل أن يختار الناخب المسلم . مثلماً هو الحال اليوم مع الناخبين من المسيحيين واليهود في أوروبا وعلى نحو فردي. توجهاته الحزبية على أساس المصلحة الشخصية والحالة الاجتماعية وليس على أساس ديني،ومع ذلك فإنه عندما تلمس مسائل سياسية معينة العقائدَ الدينية فإن المواطن المسلم . مثلماً هو الحال مع نظيره المسيحي أو اليهودي . قد يصبح ناخباً متأرجحا، وسيفسح الانخراط في العملية السياسية المجال أمام المسلمين نحو الوصول إلى هدفهم في الاندماج في المجتمعات الأوروبية، مع الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية المميزة في الوقت ذاته.

## الحسابات السياسية الوطنية :

لقد بدأ السياسيون الأوروبيون وبصورة روتينية في حساب (العامل الإسلامي) أي أثر العدد المتنامي للسكان المسلمين على صناديق الاقتراع وعلى الشارع الإسلامي في عمليات اتخاذ القرار، وربما تكون هذه الاعتبارات قد لعبت دوراً مهماً في موقف الرئيس جاك شيراك ضد الحرب على العراق، وقد تكون أيضاً أثرت على حسابات المستشار الألماني غيرهارد شرودر. وعلى الرغم من أن الاحتجاجات السلمية بالإضافة إلى العنف (بما في ذلك الإرهاب) هي الهموم الحالية للسياسيين الأوروبيين؛ إلا أنهم حساسون للتكتل الجغرافي للناخبين المسلمين الفعليين أو المحتملين ، خصوصاً تواجدهم ضمن مقاطعات تميل تقليدياً نحو يسار الوسط.

كما أن على السياسيين أن يكونوا واعين للتأثيرات بعيدة المدى إذا ما بدأ المسلمون في التصويت بأعداد كبيرة، وتحولوا نحو التصويت لأحزاب الوسط ويمين الوسط، وهو أمر لا ينطبق على فرنسا وألمانيا فحسب. وعلى سبيل المثال فإن هامش النجاح الذي حققه حزب العمال البريطاني في سبع دوائر انتخابية في انتخابات عام 2002 م كان أقل من عدد المسلمين في تلك المقاطعات، وقد يكون ذلك لعب دوراً في دعم بريطانيا

لمشروع القرار الذي قدمته باكستان لمجلس الأمن الدولي حول حماية الآثار الثقافية خلال حرب 2003 على العراق، خصوصاً بالنظر إلى الدائرة الانتخابية في بلاكبيرن التي يمثلها وزير الخارجية جاك سترو والتي تقطنها ثالث أكبر نسبة من المسلمين في المملكة المتحدة (أي ما يقرب من 20 بالمائة).

**تعقيدات محاولات تشكيل أوروبا أكثر ترابطاً:**

في الوقت الذي تحاول فيه أوروبا السعي نحو التقدم في برنامجها نحو توسيع الاتحاد فإن الإسلام يطرح تعقيدات على عدة محاور. فالجدل القائم حول الإشارة إلى المسيحية في مشروع دستور الاتحاد الأوروبي هو أحد هذه الأمثلة، وكذا المسألة المزمنة المتعلقة بانضمام تركيا للاتحاد. وقد أعاد الوجود الإسلامي المتنامي في أوروبا فتح الجدل حول عدة مسائل من بينها دور الدين في الحياة العامة والتسامح في المجتمعات الأوروبية والعلمانية كطريق وحيد نحو الحداثة وهوية أوروبا ذاتها.

كما أن العامل الإسلامي قد أبرز تناقضاً محتملاً في طبيعة الاتحاد ذاته ، بمعنى أن الاتحاد الأوروبي مازال بصفة أساسية سوقاً مشتركة مع وجود عجز في برامجه الاجتماعية، وكذا فيما يتعلق بالديمقراطية. وأخيراً فقد لاحظ فريزر كاميرون أحد مسئولي الاتحاد الأوروبي السابقين بأنه حتى هذا التاريخ لم يحاول المسلمون في أوروبا التأثير على السياسة الخارجية للاتحاد، لكن ذلك «قد يتغير في المستقبل».

وتولِّد الحركية الناشئة عن عمليات التكامل الأوروبي مع اقترانها بقوى العولمة والانحسار السكاني في أوروبا توترات ذات علاقة بالهوية لدى العديد من الأوروبيين، كما أن أثر الوجود الإسلامي المتزايد على المجتمعات الأوروبية كلا على حدة يزيد من تفاقم القلق الأوروبي من خلال إضافة نغمة قومية (على الرغم من كونها غير ظاهرة أو مطموسة حالياً) وكذلك الخوف من الأجانب على السياسات الأوروبية. وقد عزا (أو نسب) البعض من المحللين في الدول الاسكندنافية التصويت السلبي للناخبين في الدانمرك خلال عامي 1992 م و2000 م والتصويت شبه السلبي عام 1993م في الاستفتاء حول اتفاقية ماسترخت والاتحاد النقدي الأوروبي، وبصورة جزئية ؛ إلى هذا المناخ السائد في المجتمعات الأوروبية، الذي شجع على ظهور درجة ما من إعادة الشعور القومي إلى السياسات الأوروبية، فالاندماج الأوروبي والاندماج الإسلامي على الرغم من كونهما مسألتين متفاوتتين بصورة واسعة (على الأقل ظاهرياً) إلا أنهما يبدوان شبيهين في أنهما يثيران حساسية مشتركة لدى العديد من الأوروبيين ، تعكس قلقاً متزايداً حيال مسائل جوهرية مثل السيطرة والهوية.

**طرأت الزيادة على عدد السكان المسلمين بصفة أساسية في دول أوروبا الغربية، خلال العقد الذي أعقب سقوط جدار برلين، حيث نما الوجود الإسلامي بوتيرة بلغت ستة أضعاف أسرع مما عليه في أمريكا الشمالية.**

**إعادة تركيز السياسة الخارجية:**

مع مرور الزمن فإن البروز السياسي للعامل الإسلامي في أوروبا سيكون الأكثر حضوراً في الواقع المحلي ، فتأثير المسلمين على المجتمعات الأوروبية سيكون مرتبطاً بعدة عوامل ، منها ما إذا كانوا سينخرطون في العملية الانتخابية ، وبأعداد كبيرة، وتوقيت ذلك الانخراط ، وكيفية قيام الأحزاب السياسية بإشراك المسلمين في أعمال السياسة اليومية ، وماهية الدور الاقتصادي الذي سيلعبونه، ومستوى الحركية الاجتماعية الذي سيصلون إليه. إلا أنه وعلى المدى القريب، فإن تأثير العامل الإسلامي

يبدو ظاهراً في السياسة الخارجية لثلاثة أسباب على الأقل:

**أولها:** أن المسلمين كجماعة يتحفزون ويتأثرون وبسرعة وقوة أكبر بالتطورات على الساحة الدولية، خصوصاً تلك التي ينظر إليها على أنها تشكل خطراً على الأمة، وتكون ديار الإسلام مسرحاً لها أو طرفاً فيها، مثل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، والأزمات بكل من العراق والبوسنة، أكثر من تأثرهم بالمسائل المحلية مثل التوظيف والتعليم. وعلى سبيل المثال قامت (الجمعية الإسلامية في بريطانيا)، و (ائتلاف أوقفوا الحرب) بصفة مشتركة، برعاية المظاهرة التي نظمت في منتصف فبراير 2003م بلندن، والتي ضمت ما يقرب من مليون شخص (أكبر مظاهرة في تاريخ بريطانيا) تحت شعارين مترادفين هما (لا تهاجموا العراق) و (الحرية لفلسطين).

**والثاني:** بالنسبة للحكومة والسياسيين على حد سواء، ومن منظور الربح والخسارة، فإنه من السهل الاستجابة لهموم المسلمين حول السياسة الخارجية، بدلاً من اهتمامهم بالمسائل المحلية، بالنظر إلى محدودية الموارد السياسية والمالية المطلوبة لتلك الاستجابة، وكذلك آراء الناخبين من غير المسلمين الذين قد يتجاهلون أو حتى يتعاطفون مع القضايا الدولية، لكنهم في الوقت نفسه ينظرون إلى المزايا المحلية التي قد تمنح للمسلمين على أنها تتم على حسابهم.

**أما السبب الثالث:** فهو أن لدى أوروبا العديد من الجيران المسلمين، وبالتالي، وبالضرورة؛ فإن سياساتها الأمنية في الداخل والخارج محددة وبدرجة كبيرة بمحيطها الإسلامي القريب، وهو أمر تعترف به مبادرة الجوار الجديدة وبصورة علنية. فزيادة القلاقل في العالم الإسلامي المجاور لأوروبا، والتي تجد صدى لها لدى الأقليات المسلمة في أوروبا، إضافة إلى هموم القارة بشأن المهاجرين غير المرغوب فيهم، والإرهاب النابع من الأصولية الإسلامية، وأسلحة الدمار الشامل في المنطقة، إضافة إلى اعتماد أوروبا على الطاقة؛ كلها عوامل تجعل من الاستقرار في (هلال الأزمات) أولوية لدى الأوروبيين.

## استراتيجية أوروبا المحفوفة بالمخاطر نحو الاستقرار:

لدى الدول الأوروبية نفوذ واسع من تشجيع التغيير الذي سيترتب عليه نتائج غير معروفة، وربما مزعزعة للاستقرار في الجوار الأوروبي المباشر، أي شمال إفريقيا والشرق الأوسط والقوقاز، حتى عندما يشمل ذلك الحكومات التي يعترف الجميع بكونها فاسدة وقمعية، وكجزء من استراتيجيتها للتعامل مع الموقف فقد سعت الحكومات الأوروبية إلى تشجيع إقامة روابط مع الأنظمة القائمة، وفي أحيان معينة دعمها وبكلفة عالية، في محاولة للسعي نحو الحصول على مساعدة تلك الدول في وقف التدفق غير المنظم للمهاجرين إلى أوروبا، ولتحصين نفسها ضد عدوى الأصولية الإسلامية.

ويفضل الاتحاد الأوروبي - إضافة إلى دول أوروبا غير الأعضاء في الاتحاد - رؤية اقتصاديات قوية تمتاز بالشفافية وفي ظل حكومات أفضل في محيط القارة، ومع ذلك، وفي تناقض واضح مع استعدادها لاستعمال ورقة العضوية في الاتحاد الأوروبي، في تشجيع إجراء إصلاحات اقتصادية وداخلية، وفي مجال حقوق الإنسان في شرق ووسط أوروبا؛ فإن بروكسيل (مقر الاتحاد الأوروبي) تبدو غير راغبة حتى تاريخه في استعمال الضغوط التي توفرها الشراكة الأورو متوسطية لتشجيع إجراء إصلاحات في محيطها الإسلامي، فالشراكة أداة قوية محتملة، فلها ميزانية سنوية منذ ولادتها في عام 1995 وحتى عام 2006 تقترب من بليون يورو، إضافة إلى ثلاثة أضعاف ذلك المبلغ على هيئة قروض من مصرف الاستثمار الأوروبي.

وهذه المبالغ تعادل أكثر من نصف المبلغ المخصص لانضمام الأعضاء العشر الجدد من دول وسط وشرق أوروبا إلى الاتحاد، وخلال نفس الفترة. فبرنامج الشراكة الأورومتوسطية لا يتطلب الالتزام بمتطلبات سياسية أو في مجال حقوق الإنسان من شركائه المتوسطيين، مثل تلك التي تشترطها معايير كوبنهاجن للأعضاء الجدد في الاتحاد الأوروبي مقابل الحصول على المساعدات المالية والتجارية والتنموية.

وفي مايو 2003م اعترف وزير الخارجية البريطاني جاك سترو بهذا القصور، مصرحاً بأن «هناك حاجة ملحة لتطوير علاقة قوية مع العالم الإسلامي، وآمل أن تعيد أوروبا تركيز برامجها بما في ذلك اليوروميد (الشراكة الأوروبية المتوسطية) لإنشاء شراكة مع شمال إفريقيا حول المسائل ذات الأهمية، مثل أنظمة حكم أفضل، وسيادة القانون، ونقل الخبرات». غير أنه من غير الواضح ما إذا كانت مبادرة الجوار التي طرحها الاتحاد الأوروبي سوف تتجه وبصورة قاطعة في ذلك الاتجاه، وأن تصبح مبدأ لتوجه عام وشامل مع الولايات المتحدة نحو (الشرق الأوسط الكبير).

**في مجال السياسة الداخلية يبدو سعي أوروبا نحو الاستقرار جلياً في محاولات الحكومات الأوروبية خلال العقد الأخير، باتجاه إدارة جالياتها المسلمة، من خلال تأميم إن لم نقل علمنة الإسلام.**

وفي مجال السياسة الداخلية يبدو سعي أوروبا نحو الاستقرار جلياً في محاولات الحكومات الأوروبية خلال العقد الأخير، باتجاه إدارة جالياتها المسلمة، من خلال تأميم إن لم نقل علمنة الإسلام. وتحاول هذه الحكومات تشجيع قيام إسلام ذي توجه قومي محلي، واقع تحت سيطرة الدولة والأعراف الأوروبية السائدة، التي تعود إلى معاهدة وستفاليا وعصر التنوير وحكم نابليون، والتي تم تطويرها في أوقات مختلفة ولديانات مختلفة وفي بيئات مختلفة جدا. ومن خلال تأميم الإسلام ووضعه ضمن الهياكل القائمة، مثلما هو الحال مع كنائس الدولة، فإن الحكومات تسعى إلى احتواء مسألة حساسة على أرض مألوفة لها، من خلال الاحتفاظ بالنفوذ الذي تمثله تلك الهياكل.

وتفاضل تلك المحاولات بين مجموعات إسلامية وأخرى، وتسعى إلى تعليم الأئمة محليا، وتطلب منهم أن يتحدثوا اللغة وأن يتفهموا الثقافة المحلية، كما أنها تسعى إلى تسهيل بناء المساجد والتعليم الديني، على أمل أن تقلص التمويل والتأثير الذي تمارسه الدول العربية. وهي تسعى كذلك إلى منع ارتداء الحجاب، وفي النهاية احتواء المنظمات الإسلامية ضمن هياكل تتوافق مع المعايير والأهداف الوطنية، مثل الهيئة المركزية للدين الإسلامي في بلجيكا، والمجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، ومجلس الدين الإسلامي في فرنسا.

وفي العديد من الحالات، إن لم نقل كلها؛ فإن مجالس المسلمين التي أسستها الحكومات قد فشلت في الاختبار، من حيث التعامل معها على مبدأ الإنصاف والمساواة، ومن حيث كونها غير ممثلة فعلياً للجاليات المسلمة. فالدول الأوروبية استثنت مجموعات إسلامية معينة، وحددت بصورة مسبقة أو اختارت الأفراد الذي سيمثلون هذه المجالس، وتبنت أسلوباً يستند على النمط الواحد، وهو أسلوب لا يأخذ في الحسبان التعددية والاختلافات التي تمتاز بها الجاليات المسلمة في معظم تلك الدول، بما في ذلك الاختلافات الطائفية والطبيعة اللاطبقية للإسلام، وغيرها من الاختلافات الهيكلية والوظيفية عن العقائد المسيحية.

وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب يضع الإسلام ظاهرياً على نفس مستوى العقائد الأوروبية التقليدية، إلا أن المشكلة تكمن في أنه يفشل في دمج المسلمين في المجتمعات الأوروبية. وهذه النتيجة ليست مستغربة على الإطلاق بالنظر إلى إن أهداف الحكومات هي

السيطرة والتنظيم وليس مد اليد والتكيف مع مواطنيها المسلمين. وحتى هذا التاريخ لا يوجد أي مجلس إسلامي تم إنشاؤه من قبل حكومة أوروبية تمكن من أن يصبح محاوراً فعالاً مع تلك الحكومة، يمكنه من إجراء حوار مثمر بين الجانبين، ومعظم تلك المجالس لم تعمر طويلا، لذلك فإن محاولة تشجيع قيام إسلام ذي توجه وطني وبصورة مصطنعة قد يعزز من حدة الشعور بالغربة والعزلة لدى المسلمين، ويدفعهم نحو الطائفية وإقامة كيانات مستقلة.

ومن خلال تشجيعها لإقامة مدارس إسلامية خاصة، أو فشلها في تبني الهياكل التي تسمح لطيف واسع من الجماعات الإسلامية بإسماع صوتها عبر الحوار، ومن خلال حثها على البحث عن قنوات وجمعيات خارج سيطرة الدولة وتوجهها، ومفتقرة إلى الارتباط بأوروبا ؛ فإن الحكومات الأوروبية تساهم في عزل الجاليات المسلمة، وتحد من إمكانيات انخراطها في المجتمعات الأوروبية.

ومن جهتهم فإن مسلمي أوروبا لديهم الميل نحو التحرك باتجاه مماثل، ويتعزز هذا لديهم من خلال الأسلوب الذي تتبعه الدول الأوروبية في محاولة تأميم الإسلام. وقد وصف (روي) هذا الدرب بأنه «إعادة بناء الطائفية وفقاً لخطوط تتخطى الحدود القومية يتم تحديد معالمها جوهرياً من قبل مسلمي أوروبا، والتعريف بانتمائهم للأمة الإسلامية، وإنه من خلال تلك الظاهرة يصبح التطرف والعنف من المسائل الجدية».

يضاف إلى ما سلف فإن محاولات تأميم وعلمنة الإسلام تعيق تطوير هوية إسلامية أوروبية حديثة تمزج بين الثقافتين الغربية والإسلامية، بالتوازي مع الثقافة الإسلامية العربية وثقافة جنوب شرق آسيا الإسلامية وثقافة شرق آسيا الإسلامية، وهوياتها الخاصة بها، والتي ظهرت في مناطق أخرى من العالم.

لقد حددت الثقافة العربية الإسلامية وبصورة عميقة ممارسات المسلمين في أوروبا، لكن هذا التأثير يتمثل في التقاليد والعادات العربية وليس الثقافة الدينية. وعلى الرغم من أن ذلك ليس مستغرباً بالنظر إلى الأصول العربية لمعظم المسلمين في أوروبا ؛ فإن هذا التطور يمثل شكلاً من أشكال الاستعمار العربي المعكوس لأوروبا. إن تطوير نموذج إسلامي أوروبي موازٍ للنماذج السابقة قد يوفر إطاراً للمسلمين يمكنهم من القيام بالتعديلات الضرورية للاندماج في المجتمعات الأوروبية، وفي نفس الوقت الحفاظ على هويتهم الإسلامية، كما أنه يمكن المجتمعات الأوروبية من إجراء التكيفات والتعديلات الضرورية لاحتواء شريحة متنامية من مواطنيها.

**الشباب المسلم يقاوم الذوبان في المجتمعات الأوروبية العلمانية بصورة أكثر صموداً من جيل الكبار، ويرغب المسلمون في أوروبا بمن فيهم الشباب في الاندماج في مجتمعاتهم واحترام القواعد والمعايير السلوكية وكذا المؤسسات الوطنية بقدر ما يستطيعون، لكنهم في الوقت ذاته يحافظون على الهوية الإسلامية وعلى ممارستهم المتميزة.**

### إرهاب الإسلام وإرهاب أوروبا :

شهد العام 1989م تسارع اندماج أوروبا مع انهيار جدار برلين وزيادة التوتر مع العالم الإسلامي حول مسألة سلمان رشدي في المملكة المتحدة والجدل حول موضوع الحجاب في فرنسا. ومنذ ذلك الوقت استقطبت سلسلة من الأحداث المواقف الشعبية من الجاليات الإسلامية في أوروبا، وحركت الشعور بالهوية الإسلامية داخل تلك الجاليات. فالجاليات الإسلامية لم تعد مسألة تتعلق بالهجرة فقط، لكنها وبصورة متزايدة أصبحت تحدياً للوحدة الاجتماعية الداخلية، ولقد حذرت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية في

عددها الصادر يوم 8 مايو 2003م من أن ذلك «قد يشكل خطراً لأوروبا على المدى البعيد».

وعلى الرغم من أن العديد من الأوروبيين، والمسلمين في أوروبا على حد سواء، يؤيدون علناً الاندماج؛ فإنهم ما يزالون مقتنعين بأن القيم الخاصة بكل منهم ليست فقط غير متناغمة أو منسجمة مع بعضها البعض، بل إن قيم الآخر تتحدى وبصورة مباشرة هوية كل منهما، وترسخ هذه المفاهيم الوجود المنعزل لكل مجموعة عن الأخرى ضمن المجتمعات الواحدة. وعلى الرغم من أن العديد من مسلمي أوروبا يقبلون بشكل معتدل من الاندماج؛ فإن الأغلبية الساحقة من المسلمين بكل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا يقاومون الذوبان، مفضلين أن يكونوا جزءاً من أوروبا، مع الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية.

ويبدو أن التوجه نحو الاختلاف والعزلة يتزايد بقوة لدى المسلمين، وأن الجيل الشاب في طليعة هذا التوجه، ففي استطلاع للرأي أجري عام 2003 م على سبيل المثال من قبل مؤسسة «ايبسوس» ظهر أن ثلاثة أرباع المسلمين في فرنسا ممن شملهم الاستطلاع يعتبرون أن قيم الإسلام منسجمة مع قيم الجمهورية الفرنسية، لكن ربع المشاركين في الاستطلاع ممن هم دون سن 25 فقط يقاسمونهم ذلك الشعور. وعلى العكس من ذلك فقد أظهر استطلاع أجرته «ايبسوس» في نفس التوقيت أن 62 بالمائة من عامة الشعب الفرنسي يعتقدون بأن قيم الإسلام غير منسجمة مع قيم الجمهورية الفرنسية.

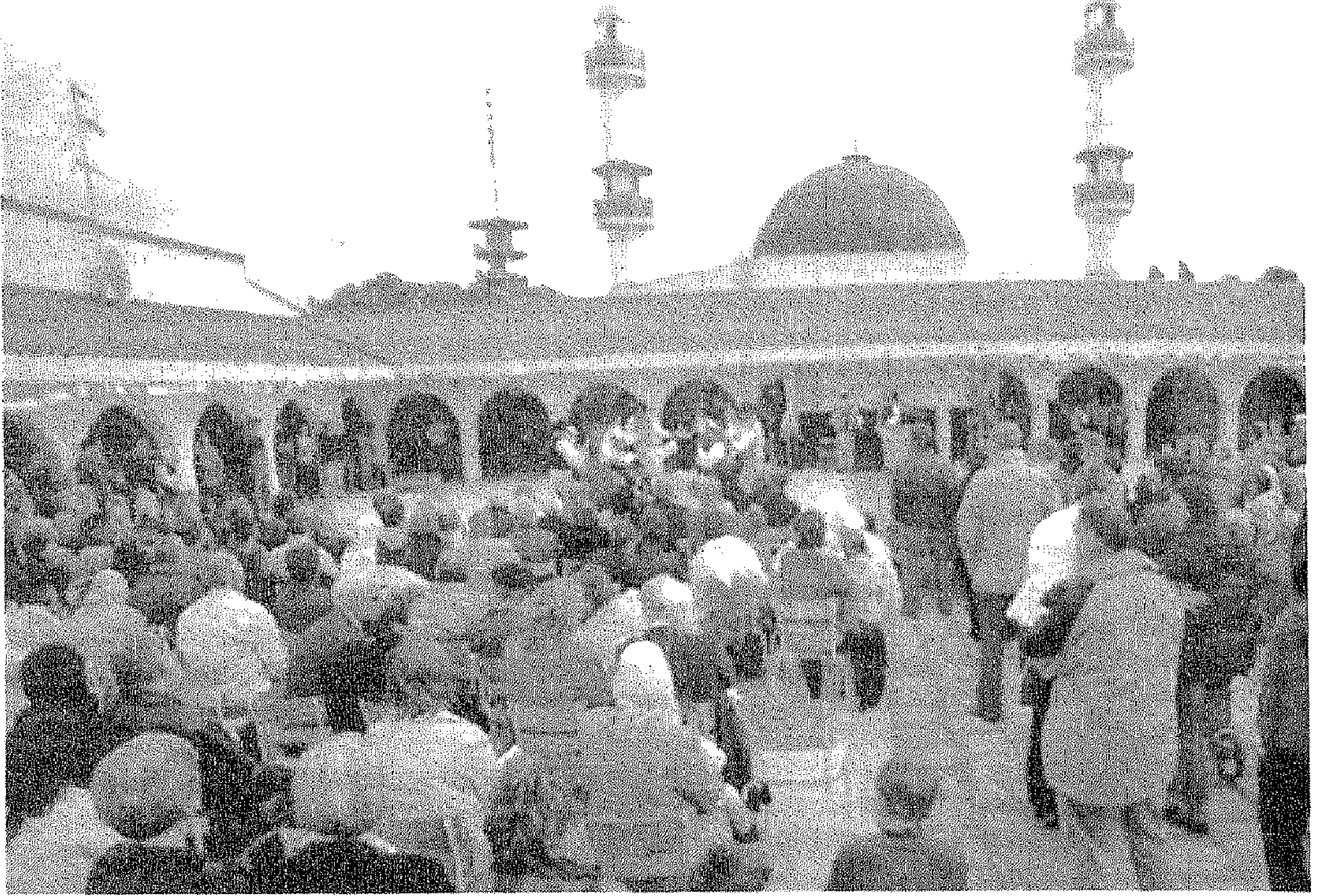
وفي استطلاع أجري بألمانيا عام 2002 م أجاب 19 بالمائة بأنه يتوجب عدم السماح للمسلمين بممارسة شعائر دينهم في ألمانيا، وعبّر 43 بالمائة عن شكوكهم في قدرة الإسلام على التسامح، وذكر67 بالمائة أنه يتوجب على المسلمين عند أدائهم شعائر دينهم أن يحترموا آراء الشعب الألماني. ووفقاً لاستطلاع أجري عام 2000 م حول القيم الأوروبية، ومقارنة مع شعوب من أجناس أخرى، ومع المهاجرين واليهود ؛ فقد ظهر أن المسلمين هم المجموعة التي لا يرغب الأوروبيون في اتخاذهم جيراناً، وفي بعض الحالات بمعدلات كبيرة.

ويبدو أن النمو المتسارع لعدد المسلمين يربك قدرات الحكومات الأوروبية على رسم خطوط للتسامح على نحو منطقي وعقلاني ومقنع. وينظر الأوروبيون إلى المسلمين على أنهم تحدٍ مباشر لهويتهم الجماعية، وقيمهم وتقاليدهم، وللسياسات العامة لمجتمعاتهم، وهو ما ظهر في الجدل الحاد حول الحجاب والطعام الحلال وبناء المساجد وتدريس الإسلام في المدارس وطقوس الدفن لدى المسلمين. كما أن هذا الشعور ينعكس على المناقشات الحادة حول حقوق المرأة، والعلاقة بين الكنيسة والدولة، وانسجام الإسلام مع الديمقراطية، ويسيطر (التحدي الإسلامي) على آراء وأفكار السياسيين والنقاد وعامة الشعب على حد سواء.

إن حقيقة ميل الحكومات والشعوب الأوروبية نحو اعتبار المسلمين كتلة واحدة غير مميزة تقوي من النزعة السائدة عند الأوربيين في النظر إلى الوجود الإسلامي، ليس كهبة أو نعمة، بل كتهديد حقيقي، وهو أمر يتحول في بعض الأحيان إلى نبوءة تحقق نفسها بنفسها. ويطرح التهديد على أنه يتمثل أمنياً في (الإرهاب) واقتصاديا في (الوظائف). لكن المسألة الجوهرية هي الهوية والتهديد الثقافي الذي يرى الأوربيون أن الإسلام يشكله ضد طريقة حياتهم، ولقد ابتدع الأوروبيون مصطلحاً لذلك وهو الإسلاموفوبيا، أي (إرهاب الإسلام) أو مرض الخوف من الإسلام[2].

وفي الاتجاه المعاكس فإن هذه النزعة نحو رؤية المسلمين على صورة متراصة واحدة، تتولد عنها صورة معاكسة تتمثل في ولاء المسلمين للأمة الإسلامية،

(2) لمزيد من المعلومات حول الإسلاموفوبيا يمكن الرجوع إلى العدد الرابع من مجلة (التواصل).



المسجد الجديد في السويد

والذي يتخطى جميع الولاءات الأخرى، ويميل نحو تدعيم منظور ( نحن و هم) وهو أحد أسباب مقاومة المسلمين للذوبان في المجتمعات الأوروبية، الذي سيفقدهم كل ما يتعلق بهويتهم، ويجعلهم يصرون على الاندماج الذي يؤكد على الاحتفاظ ببعض الاختلافات، أي أنه يعني وجوداً جسدياً في أوروبا، ولكن مع غياب التأقلم والتكيف مع المجتمع.

وعلى الرغم من أن الأوروبيين، سواء كانوا مسلمين أم غيرهم، منقسمون حول كيفية التعامل مع هذا التحدي الإسلامي الجديد؛ فإن حركية الموقف تقتضي أن يتخذ الأوروبيون ـ مسلمين وغير مسلمين ـ على نحو فردي وجماعي، سلسلة من التكيفات ذات الأثر البعيد، وربما على مدى طويل، لتغيير العقلية الراسخة لديهم، بهدف تفادي الصدامات المستقبلية. والسؤال الذي لا يجد له إجابة هو : هل ستحاول أوروبا إجراء الإصلاحات اللازمة بالخصوص وبالتالي تصبح قوية أم أنها سوف تتمزق؟ وتشبه عملية الاندماج داخل أوروبا ـ في العديد من جوانبها ـ ما حدث لجيل من الأمريكيين من بيض وسود، الذين عاصروا حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة منذ 50 عاماً مضت، والتي أعقبت قرار المحكمة العليا في قضية (براون ضد مجلس التعليم). ومع ذلك، ومن ناحية أخرى، فإن التحدي لأوروبا يبدو مثبطاً للآمال، لأنه لا يشمل الاندماج والتسامح فحسب، بل إعادة تحديد هوية الطرفين، وعلى كل جانب أن يتغير ويقترب من الآخر . فيتوجب على مسلمي أوروبا قبول الأعراف والتقاليد والثقافات السائدة في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن يرفضوا محاولات إنشاء مجتمع مواز، بينما يتحتم على عامة الشعوب الأوروبية توسيع أفقها لاحتضان والتكيف مع التنوع الثقافي، بمعنى قبول الاندماج بدلاً من الذوبان الكامل كعلاقة صحيحة وفعالة في المجتمع.

ويتوجب على الجميع مواجهة السؤال المطروح ولعدة قرون وهو : هل بإمكان أوروبا والإسلام التعايش

معاً ؟ وفي تقديرات البعض فإن أوروبا داخلة في حقبة من الانحسار السكاني والاقتصادي والنفسي والسياسي، وهو ما يجعل الأمور أكثر صعوبة في محاولة إيجاد حلول للتحديات الإضافية المتمثلة في الاندماج والتسامح والهوية التي يطرحها الوجود الإسلامي في أوروبا.

ومن جهتهم فإن مسلمي أوروبا الذين يتوجب عليهم مجابهة الفقر والتعصب الأعمى والتفرقة العنصرية على أرض الواقع، وعدم إمكانية تحسين أوضاعهم الاجتماعية ؛ سيجدون من الصعب عليهم احتضان القيم الأوروبية المتحررة، المتمثلة في المساواة بين الجنسين والحرية الجنسية ومبادئ الحلول الوسطية والمساواة والولاء للدولة، وهي مسائل تتحدى ليس آراء المسلمين فحسب بل الأفراد ذوي الأصول العربية والتركية والآسيوية، فتلك الثقافات لا تحتضن مبدأ التنوير كركيزة أساسية لها، كما أن فكرة المجتمع العلماني غريبة عليها. يضاف إلى ما سلف، وكما يشير مصطفى مالك، فإن «مقاومة السلوك المتحرر قد زادت من جراء كراهية المجتمعات المسلمة للمستعمرين الأوربيين الذي جسدوا تلك القيم المتحررة». كما أن غياب التنظيم والمكانة السياسية، وكذا غياب تنوع الآراء والمصالح والضعف الاقتصادي وعدم ظهور قيادة واضحة؛ كل تلك الأمور تطرح عقبات معقدة يحتاج مسلمو أوروبا إلى مجابهتها إذا ما أرادوا المساهمة في تحول أوروبا.

**الاقتراب من نقطة الميلان :**

إن تغيير العقلية خصوصاً فيما يتعلق بمسألة الهوية ليس بالأمر الهين، إلا أن البديل وهو التخندق والتمسك بأفكار متضادة يقودان جلياً نحو الصراع.

وإذا لم يتوصل الطرفان إلى تأقلم مع بعضهما البعض فإن من المحتمل زيادة الصراع الاجتماعي والتخندق القومي، وربما حتى الحرب الأهلية وتغلبها على الرؤية المبتغاة في الوصول إلى قارة حرة وموحدة.

وعلى الرغم من أن الموقف في أوروبا لم يصل إلى هذا الحد، فإن نقطة الميلان تبدو قريبة بدرجة أكثر مما يتصوره الكثيرون، ففي الوقت الذي تزداد فيه وتيرة عدم التسامح مع المسلمين في أوروبا يزداد المسلمون في أوروبا ثقة بأنفسهم، ولكنهم في الوقت ذاته غير راضين، خصوصاً في الوقت الذي تمر فيه اقتصاديات أوروبا بحالة من الهيجان.

وتقترب نسبة المسلمين في فرنسا وبسرعة من نفس نسبة الأمريكيين السود عام 1950 (10 بالمائة) كما أن نسبة المسلمين في أوروبا ككل سوف تتخطى ذلك الحاجز خلال العقد القادم، ويتعرض المعتدلون من المسلمين وغير المسلمين المشاركين في الحوار الأوروبي الإسلامي إلى الضغط والتهميش، مع تشويه المسائل والقضايا الجوهرية، ودق نواقيس الخطر في العديد من الأحياء، مبرزة وداعمة للتطرف لدى كلا الطرفين.

**أعطى تنامي أعداد الجالية المسلمة في أوروبا وبروزها الحياة للأحزاب اليمينية المتطرفة، التي لعبت على وتر الزينوفوبيا (إرهاب الأجانب) والعنصرية والخوف المتولد لدى العامة من الإسلام.**

ويزداد تركيز العامة وبصورة كبيرة على تصريحات تستقطب التطرف، مثل نتائج اللجنة الفرنسية، التي أوصت بمنع ارتداء غطاء الرأس في المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية، وأعلنت أن الدولة العلمانية تتعرض لـ (هجوم فدائي) من طرف المسلمين.

وقد حذر رئيس اللجنة برنارد ستازي من أن « هناك (قوى) في فرنسا تحاول زعزعة استقرار الجمهورية، وأنه قد حان الوقت للجمهورية لاتخاذ رد فعل حازم حيالها». وفي نفس الوقت صور محرر شؤون الشرق الأوسط في صحيفة (فرانكفورتر الغيماين

تسايتونغ) اليومية ذات النفوذ؛ الموقف على أنه «مرعب» وشكك في إمكانية إدماج الجالية المسلمة في المجتمع الألماني، مدعياً أن ما لا يقل عن 10 بالمائة من مسلمي ألمانيا (400 ألف شخص) هم أتباع أو مؤيدون للإسلام المتطرف وهدفهم خلق جمهورية إسلامية.

وتلك الآراء ليست معزولة، فهي تعكس الخوف الضمني السائد لدى الأوروبيين من حتمية الصراع الاجتماعي الناتج عن تنامي أعداد المسلمين، ومطالبهم في الحصول على مزيد من السيطرة، والحصول على مكاسب اجتماعية، والمحافظة على هويتهم الإسلامية، إضافة إلى صراع أوروبا مع هوية متعددة الثقافات يمتعض ويستاء منها معظم الأوروبيين من الطبقتين الوسطى والأرستقراطية. وهذه المخاوف ليست جديدة بل هي راسخة وفي تزايد.

وعقب انهيار جدار برلين، يبدو أن النسخة القديمة المستحدثة من التهديد الإسلامي قد حلت محل التهديد الشيوعي في أوروبا، وبالفعل فخلال مدة شغله لمنصب الأمين العام لحلف الأطلسي خلال منتصف التسعينات، ادعى البلجيكي (ويلي كلاس) أن التهديد الجديد للحلف هو الإسلام، وبالتالي فليس مستغرباً أن يكون لكتاب صامويل هنتنغتون (صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي) صدى أكبر في أوروبا منه في الولايات المتحدة.

وسواء أكان السبب نبوءة تحقق نفسها من حيث تفوق الحركية المعاصرة على الفطنة والموارد السياسية أم الفوارق العسيرة بين أوروبا والإسلام؛ فإن كثيرين داخل أوروبا وخارجها سوف يعتبرون الفشل في مجابهة وتفادي حدوث الأزمة التي تلوح في الأفق، والناتجة عن صدام الثقافات ضمن حدود القارة، على أنه تأكيد على أطروحات هنتنغتون، وسينظر المراقبون إلى هذه الحصيلة على أنها تمهد الطريق نحو صدام الحضارات الذي تم التنبؤ بحدوثه خلال القرن الواحد والعشرين، على الحدود التي يلتقي فيها الغرب بالإسلام.

وعلى العكس من ذلك، فإن النجاح في التعامل مع الصدام المتنامي بين الثقافات والهويات، والذي سينتج عنه تحول في العقليتين المسلمة وغير المسلمة بأوروبا، وابتداع إطارٍ اجتماعي يشجع على الاندماج ويحترم الهويات الفردية وكذا القومية ؛ سوف يساهم في إبطال أطروحات هنتنغتون بحتمية عدم انسجام الإسلام والغرب، وهذا يتطلب تغيراً في المجتمع الأوروبي لا محالة.

**لدى أوروبا العديد من الجيران المسلمين، وبالتالي، وبالضرورة؛ فإن سياساتها الأمنية في الداخل والخارج محددة وبدرجة كبيرة بمحيطها الإسلامي القريب، وهو أمر تعترف به مبادرة الجوار الجديدة وبصورة علنية .**

وكما هو الحال مع كل أنواع التغيير، سيكون هناك منتصرون ومغلوبون، لكن النجاح كفيل بإحياء الآمال نحو تقوية وإعادة تحديد هوية أوروبا، مقدماً تصحيحاً ممكناً لانحسار القارة السياسي والاقتصادي والديموغرافي، إضافة إلى الدفع بالاندماج الأوروبي نحو مستوى جديد وإعطائه معنىً جديداً.

وكما علق مارك توين «التاريخ لا يعيد نفسه لكنه أحياناً يتطابق»، فسيكون من سخريات القدر بالفعل أن الإسلام قد أعطى الدافع نحو إعادة تحديد هوية أوروبا، كما فعل منذ أكثر من ألفية مضت، وأن يشكل قاعدة لنهضة أوروبية ثانية وجديدة، كما فعل في المرة السابقة. وعلى الرغم من أنه يبدو أن ذلك أكثر من المتوقع، فإن النجاح في مواجهة والتعامل مع صدام الثقافات هذا كحد أدنى سوف يفتح الأبواب أمام الكثير من الفرص لتحول إيجابي في أوروبا، وربما أبعد من ذلك.

# الإسلام والتعددية الفكرية
# مقاربة في شرعية الاختلاف وثقافة الحوار

د. عبد الحكيم الكعبي*

إن الفكر الإنساني في جوهره وحقيقته حركة لاكتشاف المجهول انطلاقاً من آفاق المعلوم، وتأسيساً على هذا الفهم يمكننا أن نميز ثلاثة أنماط لهذا الفكر، أولها : الفكر الإيجابي الذي يتصدى لحقائق العصر الذي ينتمي إليه بالتحليل والتفسير والتقويم، ويسعى إلى الكشف عن عناصر التقدم ومساندتها، وعزل عناصر التخلف ومحاربتها. والثاني: الفكر التبريري الذي يكتفي بتبرير الواقع والدفاع عنه، وهذا النمط إنما ينتمي إلى مجال الفكر على سبيل المجاز لا الحقيقة. أما النمط الثالث، وهو الفكر الذي يسعى إلى الارتداد بالواقع الاجتماعي والتاريخي إلى عصور سابقة ؛ فليس ذلك فكرا على الإطلاق.

والتعددية الفكرية التي نبحث في مدايات شرعيتها في المنظور الإسلامي، تأتي في إطار وحدة الدين. ولا بد من التمييز والفصل بين الدين والفكر الديني، فالدين هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخيا، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها. ومن الطبيعي أن تختلف الاجتهادات من عصر إلى عصر، بل من الطبيعي أيضاً أن تختلف من بيئة إلى أخرى في إطار بعينه، ومن واقع اجتماعي تاريخي جغرافي عرقي محدد إلى آخر مختلف، وأن تتعدد الاجتهادات بالقدر نفسه من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعينة.

## الفكر العربي، من الجاهلية إلى الوسطية الحضارية

الوحدانية فكرة أزلية الوجود في النفس الإنسانية، والعقيدة الإسلامية لا تعد نفسها جديدة ولكنها عريقة الجذور في التاريخ، إنها

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ...﴾ [سورة الحج، الآية:78]

وما الحنيفية واليهودية والمسيحية والإسلام سوى دين واحد متصل الحلقات أبدا، غير أن ظهور الإسلام في الحجاز (مطلع القرن السابع لميلاد المسيح عليه السلام)، كان في الواقع ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، أو بتعبير أدق انتقالاً حاسماً في

* باحث وأستاذ جامعي عراقي / ليبيا

تاريخ العرب، إذ جعل لهم ديناً واحدا، وحقق لهم وحدتهم السياسية، ودعاهم إلى نبذ الكثير من عاداتهم وممارساتهم الاجتماعية والخلقية، فصاروا بفضله أمة موحدة قوية، قدمت للإنسانية مستوى راقيا من الإبداع الحضاري على مختلف الصُعد والمجالات.

إن الواقع العربي الذي ظهر فيه الإسلام وزلزل أركانه وقيمه وكل ما كان مألوفاً فيه؛ واقع وصفه القرآن الكريم بـ (الجاهلية) وقد ورد هذا الوصف في أربع آيات من سور متفرقة منه[1]، كما نجد المصطلح ذاته (الجاهلية) في كتب السيرة، ففي مكة، في أيام الإسلام الأولى أطلق أوائل الصحابة - رضوان الله عليهم - لفظ (أبي جهل) على أبي الحكم عمرو بن هشام[2]، ثم نلتقي بالكلمة عينها في يثرب بُعيد الهجرة حين قال رسول الله ﷺ (لأبي ذر حين عيّر بلالاً بسواد أمه) (إنك امرؤ فيك جاهلية)[3].

وقبل أن نتبين معنى هذا المصطلح في الآيات الكريمة، وكذلك معناه في المواضع التي وردت في كتب السيرة، نبحث على عجل عن مدلوله في المعاجم اللغوية، فيقول ابن منظور في لسان العرب :

(إنها الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه وتعالى ورسله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر وغير ذلك)[4] وواضح أن هذا التفسير يمزج بين اشتقاقين: اشتقاق من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، واشتقاق من الجهل الذي هو بمعنى النزق والتعصب والتطرف. لأن الجهل بالله ورسله لا يحتمل سوى الاشتقاق الأول، أما المفاخرة بالأنساب والتعصب والكبر والتجبر فإنها تدخل في حيز الاشتقاق الثاني[5].

**لا بد من التمييز والفصل بين الدين والفكر الديني، فالدين هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخيا، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها.**

ومن خلال فهمنا لتلك الآيات الكريمة، والمواقف التي نزلت فيها ؛ نتبين أنها لا تتصل بالجهل الذي هو ضد العلم، بقدر ما تدل على أمور هي أقرب إلى الجهل المشتق من السفه والنزق والتعصب والتسلط. من جانب آخر فإن مدلول لفظ (أبي جهل) الذي أشرنا إليه، لا يعني أكثر من الكبر والتجبر والتسلط والاستجابة السريعة للغضب والتعصب، وهي الصفات التي كان أبو الحكم يتصف بها في حياته، وكانت واضحة فيه، لذا خُص بها دون غيره. كما أن قول الرسول ﷺ لأبي ذر كان مرده إلى موقف أبي ذر من بلال، وهو موقف يدل على غفلة عما جاء به الإسلام من مساواة بين الناس جميعاً، وعلى تأثر بما كان عليه سلوك الناس وقيمهم قبل الإسلام. وبناء على ذلك فإن جزءاً من

---

(1) قال تعالى شأنه - ﴿... ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ..﴾ آل عمران : 154.

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ المائدة 50 .

﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب : 33 .

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحقّ بها وأهلها ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ الفتح : 26.

(2) الحلبي الشافعي ، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، دار التراث العربي، بيروت ، د.ت ، ج2 ، ص 33 .

(3) الزبيدي، أبو الفيض مرتضى بن محمد ، تاج العروس ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، د.ت ، مادة (جهل).

(4) لسان العرب، مادة (جهل).

(5) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام ، ط 4 ، مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس ، 1994 ، ص 11 .

المفهوم الذي حدده ابن منظور لكلمة (جاهلية) غير صحيح، وهو الجزء الذي يشير إلى أنها تعني الجهل بالله ورسله وشرائع الدين، إذ نقيض الجهل بذلك العلم به، وهو بعيد عما تدل عليه الكلمة في سائر التعبيرات التي ذكرناها[6]. ولا يجب الخلط في هذا المجال، بين الجهل - بمعنى انعدام العلم أو المعرفة في لغتنا المعاصرة - وبين الجهل المناقض للحِلْم في اللغة العربية قبل الإسلام.

الجهل في لغة ما قبل الإسلام يعني الخضوع لسطوة الانفعال، والاستسلام لقوة العاطفة، دون الاحتكام إلى رزانة العقل وقوة المنطق، وهكذا نفهم افتخار بعض شعراء ذلك العصر بالقدرة على مقابلة الجهل بهذا المعنى بمثله، وذلك كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا [7]

كما أن بعض أهل الإسلام كان يفتخر بالأصل الذي اشتق منه هذا المصطلح، وذلك في مثل قول الفرزدق في نقيضته المشهورة:

أحلامنا تزن الجبال رزانة

وتخالنا جناً إذا ما نجهل

فالجهل هنا ينصب على السلوك المنافي للعقل والمنطق، وهو - كما يفهم من سياق الاستخدام في شعر ما قبل الإسلام - العدوان الذي لا سبب له ولا مبرر من جهة العقل والمنطق، إنه التأويل الاجتماعي للغة الاستناد إلى مبدأ القوة والقهر في العلاقات بين القبائل من جهة، وبين الأفراد والجماعات (بطون القبيلة) داخل القبيلة من جهة أخرى، إنه المبدأ الذي صاغه زهير بن أبي سلمى الشاعر في قوله:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم[8]

ولا شك في أن العلاقات الاجتماعية القائمة على الظلم / الجهل كانت من أهم أسباب التخلف العام في ذلك الواقع، هكذا نجد بين المعنى التاريخي لمصطلح الجاهلية وبين معنى الجهل في استخدامنا المعاصر علاقة ووشائج، فعدم العلم وانتفاء المعرفة ركيزة أساسية للخضوع لسطوة الانفعال والاستسلام لقوة العاطفة أو لنقل التعصب والتطرف.

**العلاقات الاجتماعية القائمة على الظلم / الجهل كانت من أهم أسباب التخلف العام في ذلك الواقع، هكذا نجد بين المعنى التاريخي لمصطلح الجاهلية وبين معنى الجهل في استخدامنا المعاصر علاقة ووشائج، فعدم العلم وانتفاء المعرفة ركيزة أساسية للخضوع لسطوة الانفعال والاستسلام لقوة العاطفة أو لنقل التعصب والتطرف.**

إن كلمة جاهلية - بمعناها التاريخي الذي ذكرناه - تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل، وما يطوى فيها من سلوك متوازن، محكوم بمكارم الأخلاق من تواضع وتسامح ولين في الجانب، بعيدا عن التطرف والتعصب، وما يعنيه ذلك من تحقيق لمعنى الوسطية والشهادة على الناس، تلك السمة الرئيسة التي ميزت الفكر والحضارة العربية الإسلامية، عن غيرها من ثقافات وحضارات الأمم الأخرى.

إن الوسطية - في المنظور القرآني - هي صفة رئيسة وجامعة للأمة الإسلامية، بل هي إرادة الله لهذه الأمة:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ [سورة البقرة، الآية: 143]

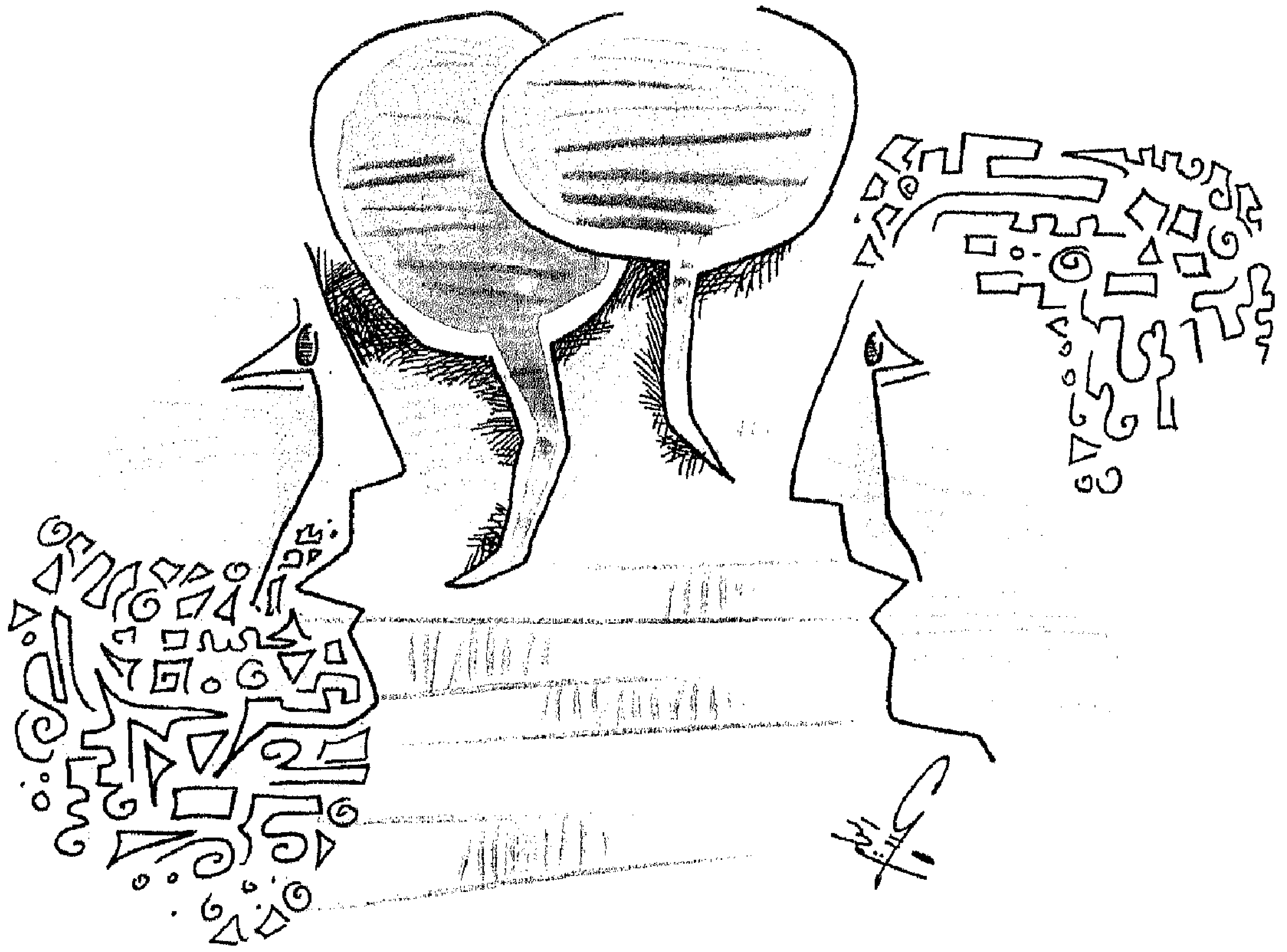
وإن هذه الوسطية - في المفهوم الإسلامي - هي

---

(6) المرجع نفسه، ص 12.

(7) المعلقات السبع شرح الزوزني، دار الجيل، بيروت، د.ت، 178.

(8) المصدر نفسه، ص 78.



وسطية حضارية إيجابية فاعلة وليست سلبية منكفئة، فهي لا تعني الانحياز إلى طرف ضد طرف آخر، أو إلى قطب من أقطاب الظاهرة دون القطب الآخر، كما أنها لا تعني التوسط المعزول عن الطرفين والقطبين والمغايرة لهما تمام المغايرة، إنها موقف جديد، وثالث، لكنه لا يغاير قطبي الظاهرة المدروسة، وإنما يجمع - بنظرة شمولية - كل ما يمكن جمعه، ويؤلف كل ما يمكن تأليفه من قطبي تلك الظاهرة، إنها موقف جديد يعبر عن خيار العدل والحق[9]، والتوازن بين تطرفين وغلُوَّيْن[10].

لقد حدَّد الحديث النبوي الشريف بوضوح معنى هذه الوسطية الإسلامية، قال: ﴿الوسط، العدل، جعلناكم أمة وسطاً﴾، وتأسيساً على هذا المعنى تكون الشجاعة - على سبيل المثال - : توازنا وعدلا بين الجُبن وبين التهور، والكرم: عدلاً ووسطاً بين الشح وبين التبذير والإسراف، وإن كلاً من الحالتين (الشجاعة والكرم) يمثل موقفاً جديداً، وثالثاً، بين موقفين متطرفين وفي الوقت نفسه، نجد في الشجاعة - من تأني الجبان وحساباته ومن إقدام المتهور - القدر الذي يمكن جمعه وتأليفه، كما نجد في الكرم - من تدبير الشحيح ومن عطاء المسرف - القدر الذي يمكن جمعه وتأليفه.

ولقد عبَّرت الوسطية الإسلامية عن نفسها في صور ودلالات كثيرة تميزت بها حضارتنا العربية الإسلامية، وكانت من أبرز خصائصها، كما كانت في الوقت نفسه من أهم عوامل ازدهار تلك الحضارة

(9) محمد سليمان الأشقر، زبدة التفسير، ط 5، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، 1994، ص 27.

(10) محمد عمارة: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، د.ت، 30.

وتقدمها، ومن الأمثلة على ذلك :

❖ موازنة حضارتنا بين مصدري المعرفة: الوحي وعلومه الشرعية، والوجود وعلومه الطبيعية. فلا تعتمد الوحي وحده دون الوجود، ولا تصنع العكس، وكذلك لا تقف بينهما وبمعزل عنهما، وإنما ترجع إلى كتاب الوحي المقروء (القرآن الكريم) وكتاب الكون المنظور (الطبيعة). وكثيراً ما استخدمت علوم الطبيعة لإثبات وجود الله وقدرته، واستخدمت آيات الله وسننه لفهم الطبيعة وتصور ما وراء الطبيعة.

❖ من جانب آخر، وازنت تلك الوسطية الإسلامية في تصور مكانة الإنسان في هذا الوجود، ومدايات حريته الإنسانية، فالإنسان في نظرها ليس المجبر الذي لا حول له، وليس الحر دون قيود أو حدود، هو حر في إطار قدراته وإمكاناته وفيما هو مقدور له، وبإزاء الخيارات التي ليست من صنعه، هو حر في شوراه الفردية والاجتماعية ـ في الأسرة والدولة ـ ولكن هذه الحرية محكومة بضوابط الحلال والحرام الدينية[11].

❖ وهي ذات نظرة متوازنة للإنسان والحياة، أي الموازنة بين المادية والروحية الإنسانية، فقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان من مادة وروح، وأمده بكل أسباب الحياة في جانبيها المادي والروحي، فهيأ للجسم البيئة الصالحة التي يعيش فيها على وجه الأرض، وهيأ للجانب الروحي غذاءه من وحي السماء، فالإنسان في مفهوم الحضارة الإسلامية هو ذلك الكائن المادي والروحي، وإن حياته الصالحة المستقيمة هي التي يراعى فيها هذا الجانب وذاك، وقد تمثل الجمع الرائع بين المادية المقتصدة والروحية المعتدلة، دون تطرف لواحدة على حساب الأخرى في الآية الكريمة :

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ...﴾

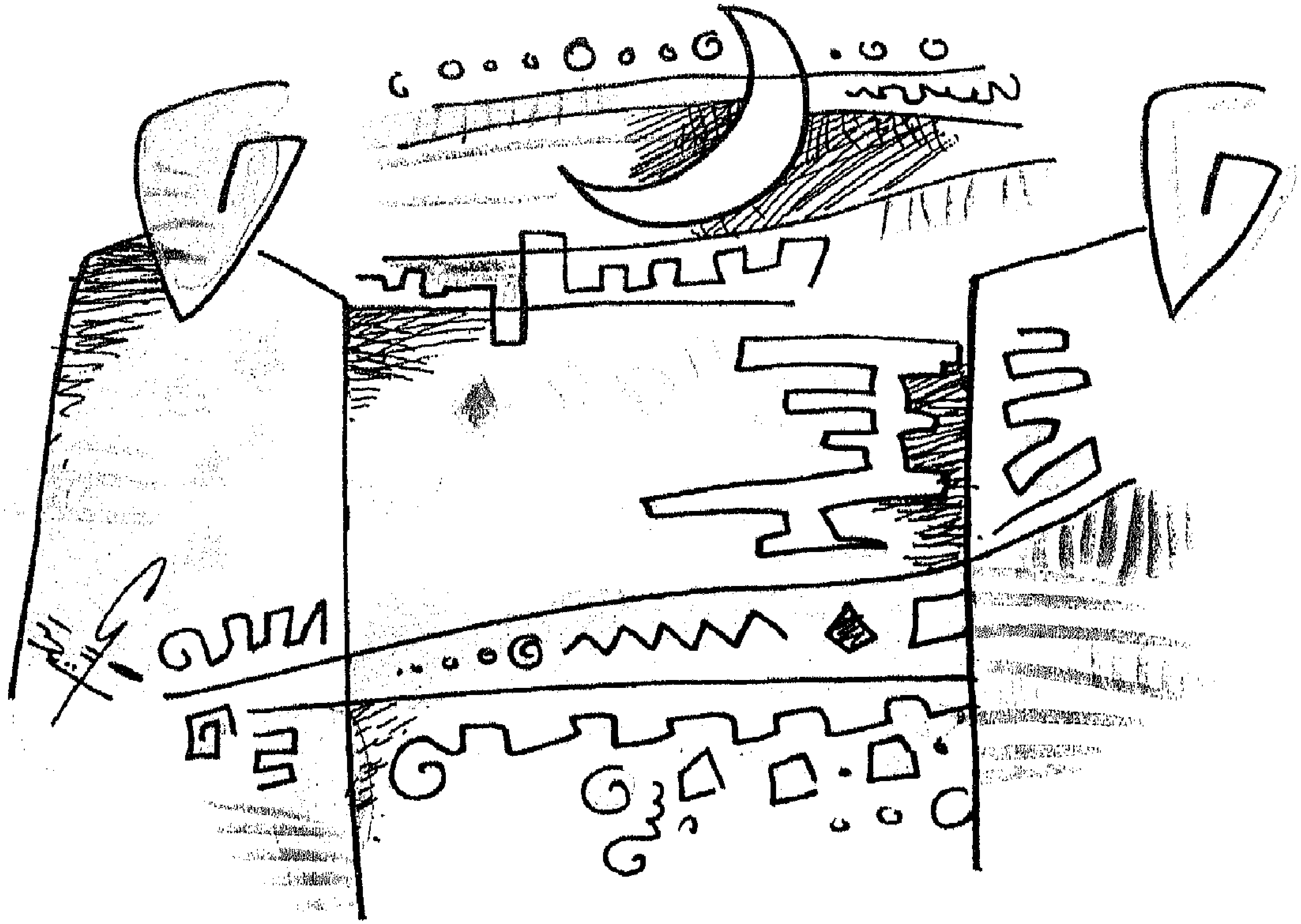
[سورة القصص، الآية:77]

وقد تبين من تاريخ هذه الحضارة أن كلا من الروحية البحتة أو المادية البحتة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلاً لسعادة الإنسان، فليس في مسلك الروحية البحت سوى التخلف وتعطيل الإرادة والتفكير وطاقات العمل، وقتل آدمية الإنسان وخسارة منافع الكون، وتضييع لحكمة الخالق في خلق العالم، وكذلك ليس في مسلك المادية البحت سوى الطغيان والظلم والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض.

**الجهل في لغة ما قبل الإسلام يعني الخضوع لسطوة الانفعال، والاستسلام لقوة العاطفة، دون الاحتكام إلى رزانة العقل وقوة المنطق، وهكذا نفهم افتخار بعض شعراء ذلك العصر بالقدرة على مقابلة الجهل بهذا المعنى بمثله.**

❖واستكمالاً لنظرتها المتوازنة حول مكانة الإنسان في هذا الوجود، حددت الوسطية الإسلامية الجامعة رؤيتها المستقلة إزاء تلك المكانة : فهي لم تؤله الإنسان وتعده سيد هذا الوجود، كما أنها لم تهمش دوره، أو تمسخ مكانته، ولم تقف أيضاً بين هذين الموقفين، وإنما جمعت بالوسطية ما يمكن جمعه وتأليفه منهما، فرأت الإنسان سيداً في الكون. . وليس سيد الكون، لأنه «خليفة» عن سيد الكون[12] في الأرض، وأن دولته، ليست الدولة الدينية التي تنفي كون الأمة مصدر السلطات، وليست الدولة الدنيوية، التي تبيح لسلطات الأمة إباحة الحرام وتحريم الحلال. فالإسلام دين الجماعة.. والمسؤولية فيه فردية في فروض العين، واجتماعية في فروض الكفاية، والتمايز الفئوي أو الطبقي في

(11) رواه الإمام أحمد بن حنبل في (المسند).
(12) محمد عمارة : المرجع السابق ، ص 33 .



مجتمعه حقيقة تمثل الفطرة الإنسانية في تفاوت القدرات والملكات والاحتياجات، والتي تؤدي بالنتيجة إلى تعدد الأفكار والرؤى والتوجهات في التعامل مع الواقع ومعالجة مستجداته. لذا فإن هذه العلاقة بين هذه الفئات والطبقات لابد وأن يحكمها: التوازن أي العدل، ذلك أن كل فئة أو طبقة تعتمد على الأخرى، فهي علاقة الارتفاق والتسخير الشامل لكل ظواهر الطبيعة وقواها، وليس علاقة السخرة أو الظلم والاستغلال، وإذا اختل ميزان العدل بين الفئات أو الطبقات، فإن الوسطية الإسلامية ترفض الاستسلام لهذا الظلم، كما ترفض الصراع الذي يطمح به طرف لنفي الطرف الآخر، والانفراد بالسلطات والثمرات، وتقدم البديل وهو (التدافع الاجتماعي) الذي هو حراك اجتماعي يسعى إلى تصحيح العلاقة الاجتماعية بين فرقاء متعددين، وإعادة هذه العلاقة إلى لحظة العدل ـ التوازن، وهدف الدفع تغيير المواقع وتفاعل الأفكار والممارسات، وليس نفي الآخر الاجتماعي أو إقصاءه وتهميشه، فالسكون وهيمنة الفكرة الواحدة والرتابة تفضي دائما إلى الضمور والتخلف والفساد.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 251]

**❖ التعددية وشرعية الاختلاف:**

التعدد والتنوع هما الفلسفة التي يؤكدها الإسلام في كل أنواع الوجود، والعالم في الرؤية الإسلامية هو منتدى حضارات تتعارف وتتفاعل من موقع التمايز الذي يحفظ لكل حضارة ما يميزها عن غيرها من الحضارات، فكانت التعددية في إطار الوحدة هي المذهب الذي ذهبته الوسطية الإسلامية حيال نظرتها إلى الإنسانية وفي رؤيتها للآخرين، فدين الله واحد

أزلاً وأبدا، وشرائعه متعددة:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ [سورة المائدة، الآية: 48]

فالتعدد والتنوع هنا في الشرائع في إطار وحدة الدين، والإنسانية واحدة، واختلافها وتمايزها إلى أمم وشعوب وحضارات سنة من سنن خالقها، وآية من آياته، وقانون من قوانين الوجود، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود، الآية: 118]

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ [سورة الحجرات، الآية: 13].

وقال وقوله الحق:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾

[سورة الروم، الآية: 22]

ونتيجة لتفاوت القدرات والاحتياجات الإنسانية، كان التفاوت في الأرزاق ومن ثم في التراتب الاجتماعي، قال تعالى شأنه:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾ [سورة الزخرف، الآية: 32]

إن تعدد العقائد والألسن والألوان، وتعدد المصالح والمواقع الاجتماعية، فضلا عن تعدد الأمم والشعوب؛ يؤدي بطبيعة الحال إلى التعددية الفكرية وإلى الاختلاف، وهناك كيفيات ومستويات متعددة للاختلاف، إلا أنه في المجتمعات الإسلامية التقليدية هناك نوعان من الاختلاف: اختلاف داخل المعتقد الواحد، إلا أن الأطراف المختلفة تسلم مع ذلك بمجموعة من الثوابت العقائدية المشتركة، ويكون الاختلاف في مستوى التأويل، فهناك نصوص واحدة، إلا أنها تؤدي إلى تعدد المعنى، تؤول تأويلات مختلفة، تقام عليها أنساق من المدارس (المذاهب)، وهكذا تكونت مذاهب الفقهاء وفرق المتكلمين، وهذا النوع من الاختلاف هو ما نود الوقوف عنده، لأن الخروج عن إطاره هو الذي أدى ويؤدي إلى مزالق التطرف والانحراف.

أما النوع الآخر من الاختلاف فهو اختلاف بين مفكري الإسلام مع الأطراف المناقضة لهم، أي اختلاف بينهم وبين الذين هم خارج دائرة المعتقد المشترك، وهو اختلاف طبيعي ومشروع يندرج في إطار سنن الكون وقوانين الوجود.

**وازنت حضارتنا بين مصدري المعرفة: الوحي وعلومه الشرعية، والوجود وعلومه الطبيعية. فلا تعتمد الوحي وحده دون الوجود، ولا تصنع العكس، وكذلك لا تقف بينهما وبمعزل عنهما، وإنما ترجع إلى كتاب الوحي المقروء (القرآن الكريم) وكتاب الكون المنظور (الطبيعة).**

إن الاختلاف الأول - وهو موضوع بحثنا - أمر محتمل الوقوع حيثما وجد التعامل مع نص وخبر مقدسين، كلاهما يُحمل ويُتناقل بلغة تتخذ سمة الإجمال والإشارة والرمز، فتتعدد التأويلات، ثم هناك قياس الوقائع المتجددة على النص الثابت المجمل العام، وكل هذا يؤدي إلى اختلاف في القراءة فينتصب على رأس كل قراءة إمام يتحلق حوله أتباع، وهكذا تنشأ المدارس الفقهية (المذاهب) وتتعدد وتختلف [13].

وحين يتحدث الفقهاء عن اختلاف السلف الأول، فكأنهم يتحدثون عن أمر عادي قد وقع بينهم، أو أنه كان طبيعياً أن يقع، وأنه كان من حقهم أن يختلفوا،

---

(13) علي أومليل، في شرعية الاختلاف، الرباط، 1991، ص 55.

فيقول الماوردي «القرن الخامس الهجري»: (كلام كل كتاب وأخبار كل نبي لا يخلو من احتمال وتأويلات مختلفة، لأن ذلك موجود في الكلام بنفس طباعه، ولا كلام أولى بهذه الصفات من كلام الله جل ذكره، إذ كان أفصح الكلام وأوجزه، وأكثره رموزاً وأجمعه للمعاني الكثيرة... ولا بد في الدين من وقوع الحوادث (الأحداث الطارئة) التي يحتاج إلى النظر فيها، والنوازل التي لا يستغني العلماء عن استخراجها، ولذلك صار لكل رأي تبعٌ ومشرعون وأئمة ومؤتمون)[14] ونقرأ هذه العبارة للإمام الغزالي «القرن الخامس الهجري»: (وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه «أي القرآن» بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن)[15] والنتيجة المترتبة على هذا القول أن الاختلاف أمر متوقع ومشروع.

وإذا اعتمدنا الخلاصة الذي يقدمها ابن خلدون (القرن الثامن الهجري) حول مسألة الاختلاف هذه؛ فإننا نجد أن مبرر ظهوره شيئان: كون النصوص المقدسة تحملها لغة، وهذا في حد ذاته سبب، لاختلاف التلقي والتأويل، وكون النصوص المقدسة التي هي ثابتة لا تتغير تحاول أن تحكم واقعاً متغيرا. يقول ابن خلدون:

(وكان السلف يستخرجونها «أي الأحكام الشرعية» من الأدلة «ويتعلق الأمر في هذه المرحلة بالدليلين الأساسيين القرآن والسنة» على اختلاف بينهم، ولابد من وقوعه «أي الاختلاف» ضرورة، لأن الأدلة غالبها من النصوص، وهي بلغة العرب، وفي اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف. وأيضاً فالسُنّة مختلفة الطرق في الثبوت، وتتعارض في الأكثر أحكامها، فيحتاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً)[16] ويضيف ابن خلدون مسألة أخرى غاية في الأهمية لتبرير وقوع الاختلاف وتفسير شرعيته، وبأن وقوعه يعد أمراً طبيعياً وهي: أن النص لا يشمل الواقع في تعدده وتجدده، وهي سُنّة الكون، فالنص هو بطبيعته ثابت، موحِّد، ومختزل، في حين أن الواقع كثير، متعدد ومتجدد، فيقول: (فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص)[17].

إن الاختلاف وفق هذا المنظور الذي أشرنا إليه، أمر متوقع ومشروع، وهو اختلاف حول النص، وليس خلافاً مع النص، ولكن موقف بعضهم لم يكن يساير هذا الاستنتاج، إذ العادة أن يعد كل طرف أن اختلاف الأطراف الأخرى ليس اختلافا معه حول تأويل النص بل يعدها مختلفة مع النص المقدس، وأن رأيه بالذات وحده المطابق للنص. وهكذا يحرّم حق الاختلاف على الآخرين، لأنه لا يعتبرهم أطرافاً قد اختلفت معه حول قراءة النص وتأويله، بل يعدها قد اختلفت مع النص نفسه، وما أكثر ما نجد الأطراف المتخاصمة كل واحد منهم يدعي أنه الناطق المعتمد الرسمي باسم النص المقدس، وأنه وحده العليم بكنهه، وكل ما في الأمر أنه يتقمص سلطة النص المقدس لتمرير سلطته هو، يفرض فرضاً أن قوله هو المطابق تمام المطابقة للنص، وأن خصومه ليسوا مجرد أناس قد اختلفوا معه كما اختلف هو بدوره

**نزوع الإسلام نحو إشاعة مشروعه الحضاري على الصعيد العالمي ارتبط دائماً بمبدأ الحوار الذي تظل في إطاره اختيارات الآخرين منوطة بحريتهم أياً كانت طبيعة تلك الاختيارات.**

(14) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد البصري، نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد، 1986، ص 111.

(15) أومليل، مرجع سابق، ص 50.

(16) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص 798

(17) المصدر نفسه والصفحة.

معهم، بل هم المخالفون للنص. فلا حوار إذن لأن الحوار يفترض مبدئياً تكافؤ الأطراف المتحاورة، أما حين يتعالى طرف على خصومه مدعياً أنه وحده صاحب الحق المطلق، فإنه ينفي من الأساس كل إمكانية لقيام الحوار. يقول الإمام محمد عبده:

**(يقولون: إن لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو للمفتي أو شيخ الإسلام؟ وأقول: إن الإسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الإسلامي، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه، أو ينازعه في طريق نظره.)**[18].

وحين يقول الفقهاء إن الاختلاف أمر طبيعي، بطبيعة الكلام المرجعي المقدس وما يؤدي إليه من تأويل متعدد، وقراءات مختلفة؛ فإن هذا الموقف لم تستخلص منه كل النتائج المتوقعة، وإلا لترسخت ذهنية عامة تسلم بواقع الاختلاف بل بضرورته، ولقبلت الأطراف المتنازعة أن تنظر إلى خلافاتها نظرة واقعية، وبأنه خلاف بشري، تولده الاتجاهات المتباينة والمصالح المتضاربة، أي كل ما هو من خصائص الطبيعة البشرية، بدل الركون إلى عادة التعالي، تعالي كل خصم على خصمه، وبادعاء كل طرف احتكار العلم وحق التأويل والتفسير، واستعمال سلطة النص المقدس لفرض سلطته هو على الآخرين، الأمر الذي أوجد دائماً تطرفاً باسم الدين، يصادر الحقيقة ويشرّع للاستبداد، وهو يفرض الرأي الأوحد والسلطان الذي لا شريك له، ويحرّم المشاركة سواء في العلم أو في السلطة، هو تطرف محتكر للمعرفة، يدعي أنه الناطق الأوحد باسم الدين. لقد وجد هذا التطرف سابقاً، ولكنه لم ينقرض، فما زال يظهر بين الحين والآخر، وقد عاد الآن ليحتل مساحة هامة مع كثير من الصخب، ويحاول من جديد مصادرة الحقيقة بالعنف، ورد السياسة إلى الاستبداد.

**ثقافة الحوار والمشاركة:**

ليس ثمة شك في أن الإسلام - وهو يقر ابتداء بشرعية الاختلاف وحقيقته بين الناس والمعتقدات يؤكد قيمة الشراكة وأهمية التعايش - عَدّ التعارف والتعاون غاية وهدفاً إنسانياً نبيلاً

**تعدد العقائد والألسن والألوان وتنوعها، وتعدد المصالح والمواقع الاجتماعية، فضلا عن تعدد الأمم والشعوب يؤدي بطبيعة الحال إلى التعددية الفكرية وإلى الاختلاف، وهناك كيفيات ومستويات متعددة ومتنوعة للاختلاف.**

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ...﴾
[سورة الحجرات، الآية: 13]

والجميع أخوة في الإنسانية أحبوا أم كرهوا، لهذا ظل العدوان في شريعته محرماً:

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾
[سورة البقرة، الآية: 190]

كما جعل السلم في منهاجه أصلاً من أصول العلاقات بين الناس:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا..﴾ [سورة الأنفال، الآية: 61]

إن نزوع الإسلام نحو إشاعة مشروعه الحضاري على الصعيد العالمي ارتبط دائماً بمبدأ الحوار، الحوار الذي تظل في إطاره اختيارات الآخرين منوطة بحريتهم أيا كانت طبيعة تلك الاختيارات إذ

(18) محمد عبدة، الإسلام والنصرانية، ط 3، القاهرة 1922 ص 59.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ...﴾ [سورة البقرة، الآية: 256]

كما يظل الحاكم في جدل العلاقات ـ أيا كان مآل الجدل ـ قوله تعالى:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 84]

والحوار في منظوره الإسلامي لا يقتصر على ناحية دون أخرى، بل يمتد إلى مختلف النواحي الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، وجميع قضايا العصر ومشكلاته، بغية الوصول إلى صيغ أو حلول عادلة أو مقبولة، ولعل في هذا المنحى تحقيقا لمعنى الوسطية الحضارية والشهادة على الناس، ودعما لمبدأ الإنقاذ الإنساني[19].

ولا بد من القول والاعتراف بأن هناك جملة من الرؤى الضيقة التي ما برحت تعشش في عقول بعض الجماعات التي تحمل اسم الإسلام وتفرز بعض الحماقات المتطرفة، والتي تشكل تشويهاً ذاتيا للإسلام، وتعكس صورة قاتمة عن المسلمين ونمط تفكيرهم، وعلى نحو من شأنه أن يدفع الآخر إلى مزيد من التطرف والتخطيط المضاد، إن ذلك يفرض على الجميع مسؤولية الشروع بالمراجعة التي لا بد أن تمتد إلى الكثير من مفاهيمنا وخطاباتنا السياسية والثقافية، بل الفقهية أحياناً، فالدعوة إلى الوسطية ومراعاة الواقع، وقبول الآخر، وتقديم خيارات الاعتدال والتسامح؛ إنما تشكل مطالب ضرورية لا بد من اعتمادها في تعامل بعضنا مع بعض، وفي علاقتنا بالآخر.

**❖ التعدد والتنوع هما الفلسفة التي يؤكدها الإسلام في كل أنواع الوجود، والعالم في الرؤية الإسلامية هو منتدى حضارات تتعارف وتتفاعل من موقع التمايز الذي يحفظ لكل حضارة ما يميزها عن غيرها من الحضارات، فكانت التعددية في إطار الوحدة هي المذهب الذي ذهبته الوسطية الإسلامية حيال نظرتها إلى الإنسانية وفي رؤيتها للآخرين.**

**❖ الاختلاف أمر متوقع ومشروع، وهو اختلاف حول النص، لكن البعض يرى أن اختلاف الأطراف الأخرى ليس اختلافا معه حول تأويل النص بل يعدها مختلفة مع النص المقدس، وأن رأيه بالذات وحده المطابق للنص. وهكذا يحرّم حق الاختلاف على الآخرين، لأنه لا يعتبرهم أطرافاً قد اختلفت معه حول قراءة النص وتأويله، بل يعدها قد اختلفت مع النص نفسه.**

**شواهد تاريخية:**

وفي تراثنا العربي الإسلامي مواقف حضارية رائعة، وصفحات ناصعة البياض تكشف عن مستوى رفيع من التفكير واستيعاب للعقيدة والشرع، لا تشوبه عقد ولا حساسيات تضع مصلحة المجتمع في المقام الأول، بكل ما يترتب على إرساء هذه القيمة من رسوخ للعدل وسمو للفكر، مما لا نجد له مثيلاً في الأمم الأخرى آنذاك.

لقد كانت مناصب الدولة تعطى للمستحق الكفء دون اعتبار لعقيدته أو مذهبه، وبرؤية مخلصة صافية لمقتضيات المصلحة الاجتماعية التي تأتي أولاً. وكانت الحلقات العلمية في بغداد، برعاية الخلفاء، فرصة طيبة للجمع بين مختلف المفكرين والعلماء على تباين مللهم ونحلهم، فكان المأمون يناشد أصحاب الديانات والمذاهب في قصره أن يبحثوا ما يشاءون دون أن يستدل أي واحد منهم بكتابه الديني كيلا تثور الفتنة بينهم، فالبحث والنقاش الهادئان يقربان من الحقيقة بقدر ما يبعدان التشاحن والحزازات والنعرات.

ولم تقتصر هذه الحلقات العلمية (التعددية) على المجالس الخاصة وقصور الخلفاء،

(19) علي القريشي، حوار الحضارات والحاجة إلى كبح جماح الهويات المتغطرسة، مجلة العربي، العدد 525، أغسطس 2002، الكويت، ص 167.



بل كانت تعقد على المستوى الشعبي أيضاً. فيروى أنه كان في البصرة، التي تميزت بنشاطها الفكري الواسع والمتعدد آنذاك، مجلس يعقد بانتظام يضم عشرة من أشهر المفكرين والأدباء (لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة) وهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب النحو، (مسلم سني)، والحميري الشاعر، (مسلم شيعي)، وابن نظير المتكلم، (نصراني)، وابن راس الجالوت (يهودي)، وابن سنان الحراني (صابئي)، وعمر بن المؤيد (مجوسي)، وحماد عجرد، (شعوبي) وبشار بن برد الشاعر (شعوبي خليع ماجن)، وسفيان بن مجاشع (خارجي صفري)، وصالح عبد القدوس (ثنوي)، فكانوا يجتمعون فيتناشدون الأشعار ويتبادلون الأفكار والأخبار، ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم كل هذه الفروق الدينية والمذهبية، فلقد ذهب هذا المجتمع العجيب المدهش ـ وفي صميم القرون الوسطى ـ مذهباً بعيداً في احترام كرامة الإنسان وتعميق الأخوة الإنسانية، دونما نظر إلى دين أو طائفة أو اختلاف في الرأي[20].

(20) محمد عبد الرحمن مرحبا ، أصالة الفكر العربي ، منشورات عويدات بيروت ، باريس 1982 ، ص9 .




❖ الحوار الإسلامي المسيحي... إلى أين؟

# الحوار الإسلامي ـ المسيحي.. إلى أين؟*



الأستاذ فوزي فاضل الزفزاف **

بسم الله الرحمن الرحيم ..
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

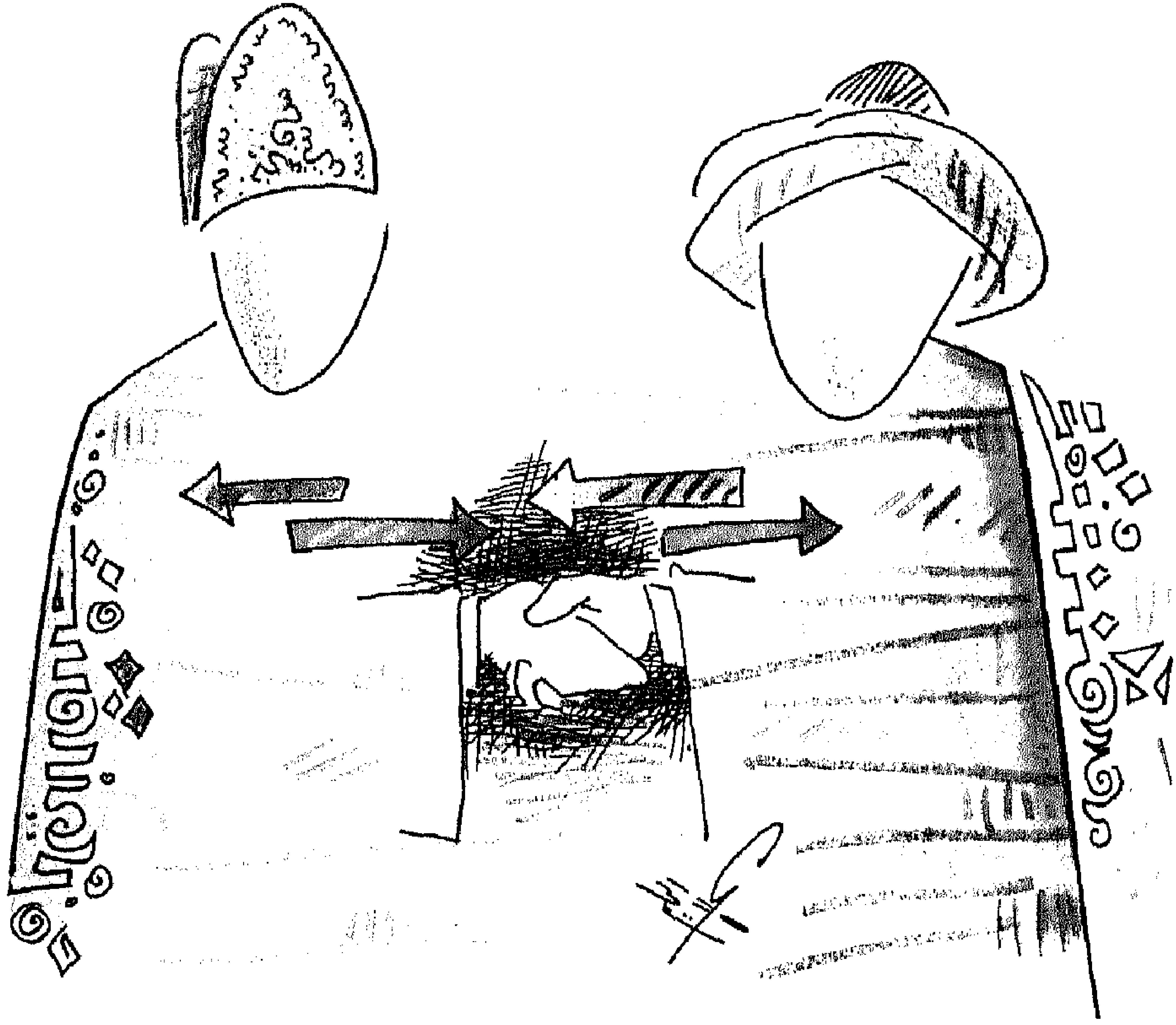
أقدم خالص الشكر والتقدير إلى الأخوة المسؤولين عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لإتاحة هذه الفرصة لي لألتقي بكم وأتحدث معكم عن موضوع يعتبر ـ كما يقولون ـ موضوع الساعة، وهو الحوار الإسلامي المسيحي.

أولاً: ما معنى الحوار؟ الحوار معناه: المناقشة بين طرفين للوصول إلى الحقيقة، ببساطة وإيجاز: حوار حر. هذان الطرفان إما أن يكونا فرديْن أو مجموعة. فالحوار معناه المناقشة بين طرفين للوصول إلى الحقيقة.

ومما يلاحظ أن الحوار الإسلامي المسيحي الذي أخذ مظاهر متعددة وأشكالاً متنوعة خلال العقد الأخير من القرن الماضي، وفي مطلع الألفية الثالثة، هو ـ في الحقيقة ـ ليس جديداً بين الإسلام والمسيحية، فالحوار الإسلامي المسيحي بدأ منذ عهد رسول الله ﷺ ويخطئ من يظن أن الحوار الإسلامي المسيحي حديث، وأنه بدأ في القرن الماضي أو قبل الماضي أو القرن الذي قبله، أبداً.. إن الحوار الإسلامي المسيحي بدأ منذ عهد رسول الله ﷺ، والدليل على ذلك كتب التاريخ وكتب السيرة، اقرؤوا سيرة ابن هشام وغيرها من السير، سوف نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام استقبل وفد نصارى نجران في المسجد النبوي في المدينة المنورة، وجلس معهم، وكانوا في استضافته لمدة ثلاثة أيام في المسجد النبوي في المدينة، وتمّ في تلك الفترة ـ ثلاثة ايام ـ حوار ومناقشة بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين وفد نصارى نجران، تناول كيفية التعامل بين المسلمين والنصارى في ذلك الوقت. فالحوار قديم منذ عهد رسول الله ﷺ، ومن ينكر ذلك ويقول إن الحوار ليس من الإسلام نقول له: إقرأ سيرة رسول الله ﷺ، وإذا لم يقتنع نقول له: إقرأ القرآن الكريم.

---

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ : 28 الحرث 1372 من وفاة الرسول ﷺ ( نوفمبر 2004 مسيحي)
** رئيس لجنة الأزهر للحوار بين الأديان / مصر



## الحوار.. لغة القرآن الكريم

إن القرآن الكريم - ونحن جميعاً نقرأه كل يوم - كلّه حوار، حيث نجد أن ﴿قل، قال، يقول، قلن، يقولون...﴾ إلخ، وردت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ولا يخفى أن مادة (قال، قل، يقول، يقولون...) هي مادة الحوار، فنجد في القرآن الكريم: الحوار بين الله وملائكته، الحوار بين الملائكة والرسل، وهناك حوار بين الرسل بعضهم مع بعض، الحوار بين الرسل وأقوامهم، الحوار بين الأخيار والأشرار، الحوار بين الأخيار والأخيار، الحوار بين الأشرار والأشرار...إلخ؛ كل ذلك تقرؤونه في القرآن الكريم، القصص تقرؤونها في القرآن الكريم وكلها حوار، كما أن في القرآن الكريم حواراً بين الله وإبليس، وعندما نجد هذا في القرآن الكريم؛ فمعناه أن الله سبحانه وتعالى يعلمنا كيف يكون أسلوبنا عندما نختلف، ليس أن نتصارع ونتقاتل مع الآخر، بل أن نتحاور..

إن الله سبحانه وتعالى يعلّمنا الحوار لكي يكون هذا أسلوبنا عندما نختلف، فالحوار هو لغة الإسلام، فمن ينكر الحوار؟ سوى بعض المتشددين أو المتعصبين، يرفض الحوار ويقول: ما لنا والحوار مع هؤلاء المخالفين لديننا؟ فنقول له: الدليل على أن الحوار موجود، وأن الحوار هو لغة الإسلام؛ ما فعله رسول الله ﷺ، وما ورد في القرآن الكريم. فالحوار هو لغة الإسلام، أول شيء نسلم به هو أن الحوار هو لغة الإسلام. وإذا كان الحوار هو لغة الإسلام، وإذا كان الحوار هو منهج رسول الله ﷺ؛ إذن يجب علينا أن نستخدم هذا الأسلوب مع بعضنا، ومع مخالفينا، أن نستخدمه مع بعضنا كمسلمين، ومع مخالفينا حتى في العقيدة.

ولكن هنا يبرز سؤال مهم كنتُ طرحته أنا شخصياً مع المجلس البابوي للحوار بالفاتيكان، وذلك عندما طلب إقامة جسور للحوار بين الأزهر والفاتيكان، وكان في ذلك الوقت الكاردينال أرينزي هو رئيس المجلس البابوي للحوار، وقلت له: أنت تريد

الحوار مع الأزهر ـ وكنت في ذلك الوقت وكيلاً للأزهر ورئيس لجنة الحوار ـ فقلت له يجب أن نحدد أولاً ما هو موضوع الحوار؟ لأننا عندما نحدد موضوع الحوار ونتفق عليه فإننا نعمل على أرضية واضحة، وفي النور.

## لا حوار في العقيدة

وإذا كنا سنبدأ في موضوع فيه جهالة وفيه جهل أو تجهيل إذن سنزداد اختلافاً. وقلت له إذا كنا سنتحاور في العقيدة فالأفضل لنا ولكم أن نغلق هذا الموضوع ولا نتكلم فيه، لأننا سنزداد اختلافاً، لماذا؟ لأنني عندما أتحاور في العقيدة فإنني سأقول وأصر وأوضح وأبين ان عقيدتي هي العقيدة السليمة، وفي الوقت نفسه أنت ستقول وتصر وتوضح وتبين ان عقيدتك هي السليمة، ولذلك فسنختلف، وسنزداد اختلافاً، وبناءً على هذا فإننا اتفقنا أنه لا حوار في العقيدة، كل يعبد الله على حسب ما يراه وعلى حسب عقيدته، وهذا يتفق مع المبدأ الإسلامي:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
[سورة البقرة، الآية: 256]

ويتفق مع قول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [سورة الكافرون، الآيات: 1ـ3]

أي أنه يتفق مع المنهج القرآني، فاتفقنا أنه لا حوار في العقيدة.

إذن إذا كان لا حوار في العقيدة ففي أي شيء سنتحاور؟ اتفقنا على أننا في الدين الإسلامي نحن كمسلمين نقول في الفضائل التي في الدين الإسلامي، بمعنى أن الدين الإسلامي يدعو إلى العدل ويرفض الظلم، يدعو إلى التعاون والمحبة وتقديم المساعدة، يدعو إلى الخُلُق الطيب، وحسن المعاملة... إلى آخر هذه المنظومة من الفضائل والقيم. وهم أيضاً يقولون إن المسيحية تدعو هي أيضاً إلى الفضائل وإلى العدل وترفض الظلم، وتدعو إلى حسن الخلق وإلى المحبة، كما أنها تدعو إلى تقديم المساعدة لمن يحتاجها... إلى آخر ذلك. وبناءً على هذا فإننا اتفقنا على أن يكون موضوع الحوار هو هذه الفضائل المشتركة، التي أقول هي في الإسلام وهم يقولون هي في المسيحية، فتكون هذه الفضائل والقيم هي موضوع الحوار بيننا، بمعنى أننا نتفق على موضوع معين، وكل طرف من الطرفين يقدم بحثاً فيه ويبيّن وجهة نظر (دينه أو عقيدته)، ثم نقدم الورقتين ونناقشهما، واتفقنا على ذلك.

**أنتم تعرفون أن العالم الآن وصل إلى مرحلة سئم فيها الحروب، وأيقن ان الحروب لن تحل المشاكل ولن تنهي الصراعات، العالم اقتنع بهذا، ووجد أنه لا سبيل لحل الخلافات والصراعات إلا عن طريق الحوار.**

والعجيب جداً والملفت للنظر أننا عندما اتفقنا على ذلك وقعنا اتفاقية على هذا الموضوع بالفاتيكان في 28 من شهر الماء (مايو) 1998 مسيحي، واتفقنا في بنود هذه الاتفاقية ـ كما قلت ـ على أنه لا حوار في العقيدة، كما اتفقنا على أنه يجب علينا أن نجتمع دورياً، ويكون هذا الاجتماع حتمياً مرة كل عام، نجتمع في عاصمة إحدى الدولتين، مرة في القاهرة في الأزهر ومرة عندهم بالفاتيكان، وهذا لا يمنع من عقد اجتماع استثنائي مرة أو أكثر إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وسأقول لكم كيف حدث هذا وأبيّنه لكم.

وبالإضافة إلى ذلك، ولأن الصورة عن الإسلام بالنسبة للمسيحيين صورة مشوهة، وصورة غير حقيقية، وأيضاً عند بعض المسلمين فالصورة عن المسيحية أيضا مشوّهة وغير حقيقية؛ فقد كان من ضمن ما اتفقنا عليه أن كل طرف يوضح الصورة

الحقيقية عن الدين للطرف الآخر، ونحن كمسلمين نعتبر ذلك انتصاراً لنا، ونعتبر ذلك في صفنا، لماذا؟ لأننا أصلاً كمسلمين نؤمن بالمسيحية، ونؤمن بنبي الله عيسى عليه السلام، ومن لم يؤمن بعيسى فليس مسلماً، فهذه تحصيل حاصل بالنسبة لنا، والقرآن الكريم عندما نقرأه ـ وهو يتحدث عن السيدة مريم أو يتحدث عن السيد المسيح ـ نجد أنه يعطيهما حقهما بكل احترام وتقدير.

فإذن عندما أقول: كل طرف يوضح الصورة الحقيقية للطرف الآخر؛ فهذا بالنسبة لي تحصيل حاصل، لأنني أصلاً مؤمن بالمسيحية ومؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، وأقدر وأجلّ ـ كمسلم ـ السيدة مريم، إنما هو الذي لا يعترف بي، والصورة التي لديه صورة مشوّهة.

وإذن.. فعندما نتفق على أن كل طرف يوضح الصورة الحقيقية عنه للطرف الآخر؛ ففي هذه الحالة سنكون الفائزين في هذا، وأيضاً عندما أقول الفائزين فهذا يعني أن هناك فوزاً وخسارة، بمعنى أنني وصلت إلى حقيقة، وهو باتفاقه وتوقيعه معي اعترف بي كمسلم، وليس معنى ذلك أنني في حاجة إلى اعترافه، إنما بمجرد توقيعه اعترف بي كدين. المهم أننا وقّعنا على الاتفاقية وبالتالي بدأنا نجتمع كل عام منذ عام 1998 مسيحي، واتفقنا على ان 24 النوار (فبراير) من كل عام هو موعد الاجتماع الدوري السنوي بين لجنة الحوار في الأزهر وبين الفاتيكان.

وقد يبرز سؤال هنا: لماذا اخترنا يوم 24 من شهر النوار (فبراير)؟ السبب بإيجاز أن هذا اليوم هو اليوم الذي زار فيه (البابا يوحنا بولس الثاني) الأزهرَ الشريف، ولأول مرة في التاريخ يقوم بابا الفاتيكان بزيارة مصر، ويزور الأزهر الشريف. وهذا كان حدثاً تاريخياً، فاتفقنا على أن يكون هذا اليوم موعداً لاجتماع اللجنتين كل عام.

في هذه الفترة نحن اخترنا عدة موضوعات تحدثنا فيها، والعجيب في الأمر أنني عندما أقدم ورقة في أحد المواضيع التي يتم اختيارها، وأبحث وأبيّن رأي الدين الإسلامي، وهم يقدمون ورقة يبينون فيها رأي الدين المسيحي؛ العجيب أنه يوجد اختلاف بسيط، ونجد أن التطابق كبير جداً في وجهات النظر، وفي هذا الموضوع أو ذاك بين الإسلام كدين وبين المسيحية كدين. وأنا قلت وأؤكد لكم أن هذا بعيدٌ عن العقيدة، وكما قلت لكم فإن الإتفاقية تنص على عقد اجتماع دوري سنوي، ويجوز عقد اجتماع في أثناء العام إذا دعت الضرورة لذلك، وقد حدث هذا، وهذا مكسب وثمرة من مكاسب وثمرات الحوار، فعندما كانت الحرب في البلقان ـ في كوسوفو خاصة ـ ونحن نعلم ما حدث فيها من إبادة وقتل وتشريد إلى آخره؛ خاطبنا الفاتيكان، وقلنا لهم نحن اتفقنا على أن نقيم العدل ونرفض الظلم!! إذن ما هذا الذي يحدث من الصرب وهم مسيحيون ضد المسلمين في كوسوفو؟ تعالوا نجلس مع بعض لكي ندرس ونبحث في هذا الموضوع، وفعلاً جاء وفد من الفاتيكان برئاسة الكاردينال أرينزي، وكان رئيس المجلس البابوي للحوار في ذلك الوقت، وجلسنا وتباحثنا في الموضوع، ثم أصدرنا بياناً باسم الأزهر وباسم المجلس البابوي للحوار (باسم الإسلام والمسيحية) أدنا فيه تلك الأعمال التي تُقترف من قِبَل الصرب ضد المسلمين. وأن يصدر بيان باسم الإسلام والمسيحية، كان له رد فعل عالمي كبير جداً. وقد يكون هذا من ضمن الأسباب التي جعلت العالم

**إذا كان الحوار هو لغة الإسلام، وإذا كان الحوار هو منهج رسول الله ﷺ إذن يجب علينا أن نستخدم هذا الأسلوب مع بعضنا، ومع مخالفينا. أن نستخدمه مع بعضنا كمسلمين، ومع مخالفينا حتى في العقيدة.**

كله يتحرك ضد الصرب بالنسبة لما يفعلونه مع المسلمين.

فالحوار له ثمرات كثيرة ويكفي أن الحوار يذيب الجليد الذي بين الطرفين.

وأريد أن أقول لكم: إذا كان هناك من يعترض على الحوار، وإذا لم يكن هناك حوار، فما هو البديل؟؟ البديل هو التباعد والقطيعة، لا يوجد حوار، إذن معنى ذلك أننا لا نتقابل، ولن نجلس مع بعض، وستكون هناك قطيعة، وسيكون هناك عدم تلاقي بيننا، والسؤال بالتالي: ماذا يترتب على ذلك؟ سيترتب على ذلك جفاء وعداوة وبغض وكراهية، وأنتم تعرفون أن العالم الآن وصل إلى مرحلة سئم فيها الحروب، وأيقن أن الحروب لن تحل المشاكل ولن تنهي الصراعات، العالم اقتنع بهذا، ووجد أنه لا سبيل لحل الخلافات والصراعات الا عن طريق الحوار، وهذا هو ما فعلته أوروبا، وأنتم جميعاً شاهدتم ذلك.

### حوار في كل مجالات الحياة

والحوار ليس مقصوداً به الحوار الديني فقط، وإنما الحوار السياسي والحوار الاقتصادي... إلى آخره، حوار في كل مجالات الحياة، وهذا ما فعلته أوروبا في العصر الحديث، والذي انتهى بالوحدة الأوروبية، رغم ما بين هذه الدول من عداوات وحروب سابقة. وأقول لكم: لكي تعرفوا الحروب ومآسيها إقرأوا التاريخ.

ووصل الأمر بأوروبا الآن إلى توحيد العملة، وأصبح اليورو (€) هو العملة الواحدة، وحل محل الفرنك والليرة والمارك... إلخ.

إذن موضوع الحوار اقتنع به الناس جميعاً، ونحن يجب أن نشجعه وأن نعمل على تحقيقه. ومن مجالات الحوار (الحوار الديني) فإذاً عندما نتحاور دينياً فنحن نتحاور لكي نزيل الجليد بين أتباع الديانتين، وربما يكون في هذا تصحيحاً للمفاهيم التي قد تكون مغلوطة بين أتباع الديانتين، ونعيش في وئام وفي سلام، وكل يعبد الله على حسب عقيدته، وعلى حسب ما يراه بالنسبة لانتمائه العقائدي. لا نتكلم عن العقيدة، إنما نحن نتكلم في أسلوب المناقشة وأسلوب المعيشة بيننا وبين بعضنا. إذن فالحوار هو لغة العصر التي يجب أن نتمسك بها، وأن نعمل على نشرها، لنتجنب الصراع، ونتجنب القتال، ونتجنب المواجهة.

**لا حوار في العقيدة، كل يعبد الله على حسب ما يراه وعلى حسب عقيدته، وهذا يتفق مع المبدأ الاسلامي ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ويتفق مع قول الله سبحانه وتعالى ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي أنه يتفق مع المنهج القرآني.**

هذا بالنسبة للحوار الديني، وهذا هو الذي ندعو إليه، وعندما فعلنا ذلك مع الفاتيكان، ووقعنا اتفاقية معه - كما قلت لكم - فعلنا ذلك أيضاً مع الكنيسة الإنجليكانية في بريطانيا، لأنكم كما تعلمون أو إذا كنتم لا تعلمون المفروض أن تعلموا أن المسيحية ليست مذهباً واحداً، بل إن المسيحية هي مذاهب متعددة، وإذا كان هناك بعض الاختلاف - الذي نسميه التنوع - بين المسلمين في المذاهب الفقهية، فإن هناك خلافاً أكبر وأكبر بين أتباع المسيحية، الفاتيكان (كاثوليك) الكنيسة الإنجليكانية أو كنيسة كانتربري في بريطانيا هذه كنيسة أسقفية تختلف تماماً عن الفاتيكان، وهناك البروتستانت والأرثوذكس... إلخ.

وفي زمن مضى كان رجل الدين الإسلامي ورجل الدين المسيحي عندما يتقابلان يعرض كل واحد منهم بوجهه عن الآخر، أما الآن - ومن خلال الحوار - فقد بدأنا نتناقش ونتكلم مع بعض ونتحاور، وشاعت روح من المودة والتعاطف بيننا وبين بعضنا، وهذه هي ثمرة

من ثمار الحوار، وهي ثمرة مهمة جداً يجب أن نحرص على تنميتها، وأن نحرص على زيادتها، حتى نعيش في وئام وسلام، لأنه لا فائدة من الصراع، ولا فائدة من القتال، ولا فائدة من التخاصم مطلقاً، لأن كل هذه الوسائل لن نجني منها إلا الشر، أما العقائد فاتركوها لله، كل واحد يعبد الله وفق عقيدته ووفق ما يراه، ما دام لا يتعرّض لي بسوء.

**شروط الحوار ومناهجه**

السؤال المهم جداً الذي يجب أن تعلموا إجابته، وأنا حريص أن أوضح ذلك لكم: هل للحوار شروط؟ وهل للحوار منهج محدد يجب أن نتبعه؟

بالتأكيد الحوار له شروط وله منهج يجب أن نحرص عليه ونتبعه، لكي نحقق الغاية من الحوار، وأول شرط من شروط الحوار هو أن تكون لدى الطرفين النية الخالصة للوصول إلى الحقيقة، لأنني إذا كنت متمسكاً برأيي، ومتمسكاً بوجهة نظري، وأريد من الطرف الآخر أن يأخذ بوجهة نظري، وأنا أظل على قناعة بكل ما أقول؛ فلا فائدة من الحوار مطلقاً، وإنما ينبغي أن يكون لدى كل طرف الحقيقة التالية التي قررها فقهاء المسلمين، وهي: (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب). فما دمنا نسير على هذه القاعدة فسنصل الى حوار حقيقي، لأني ما دمت لست متمسكاً برأيي ولا أفرضه على غيري ويحتمل أنني على خطأ، والطرف الثاني يقر مثلي ويعترف بأن رأيه يُحتمل أن يكون خطأ، ويريد أن يصل إلى الحقيقة؛ إذاً سنصل فعلاً الى الحقيقة، وعلى ذلك فأول شرط من شروط الحوار هو أن تكون عند كل طرف الرغبة في الوصول الى الحقيقة، وأن لا يتمسك برأيه، وأن لا يحاول فرض ذلك الرأي على غيره، هذا أول شرط، وإذا فقد هذا الشرط فلا فائدة من الحوار.

أما الشرط الثاني من شروط نجاح الحوار فهو أن يكون المتحاوران على مستوى واحد من العلم والمعرفة، بمعنى أن لا يأتي طرف من الطرفين لكي يتحاور في موضوع معين، فيأتي هو بالمتخصصين والعلماء الذين يعرفون الرأي ويعرفون الأدلة عليه، ثم يطلب أن يتحاور مع طرف آخر غير مستعد لذلك، فهنا لا يمكن إظهار الحقيقة، وبالتالي لا يمكن أن نقول إن هذا حوار، هذا ليس حواراً، لأن الحوار - في أي موضوع وفي أي أمر - وفق هذا السياق لا يعتبر منطقياً، لأن منطلقه سوء النية، ولأن الطرف الآخر ليس في المستوى، وهذا يحدث كثيراً في هذا الوقت، ونجده عند بعض الناس الذي يحرص على أن يظهر بمظهر القوي المتمكن من الموضوع، ويحرص على أن يفرض رأيه، لأنه جاء بمستوى عالٍ من المعرفة والثقافة، وعنده أدلة، وجاء بطرف آخر ضعيف ليس عنده الأدلة، وليست لديه القدرة على إظهار الحقيقة، فمعنى ذلك أنه يفرض رأيه بطريقة خلافية، أو بأسلوب فيه التواء والتفاف. وإذن فالشرط الثاني من شروط الحوار أن يكون المتحاوران على مستوى واحد من الأدلة والقوة والثقافة... إلخ.

**إذا كان هناك من يعترض على الحوار، وإذا لم يكن هناك حوار، فما هو البديل؟؟ البديل هو التباعد والقطيعة، لا يوجد حوار، إذن معنى ذلك أننا لن نتقابل، ولن نجلس مع بعض، وستكون هناك قطيعة، وسيكون هناك عدم تلاقي بيننا، والسؤال بالتالي: ماذا يترتب على ذلك؟**

أيضاً من شروط نجاح الحوار أن تتوفر لدى كل طرف المعلومات الصحيحة بالنسبة للقضية المطروحة للحوار، بمعنى: مثلاً سنتناقش في موضوع، هذا الموضوع يحتاج الى معلومات لكي تساعد على معرفة الحقيقة، هنا لا بد وأن تتوفر لدى كل طرف المعلومات الصحيحة عن هذا الموضوع، أما إذا حجبت

هذه المعلومات عن طرف، والطرف الآخر أخذ هذه المعلومات واستأثر بها لنفسه فهذا لا يسمى حواراً، لأنك حجبت عني المعلومات التي يمكن أن أستفيد منها في مناقشتي معك.

كما أنه في الحوار يجب أن تكون المعلومات صحيحة ومتوفرة لدى كل طرف، على مستوى واحد.

وكما أشرت فإن شروط الحوار كثيرة ومتعددة، وإنما أردت أن أبرز لكم أهمها، حيث إنه لا بد أن تتوفر هذه الشروط لكي ينجح الحوار، أما إذا فقدت هذه الشروط فلا حوار، ولا يمكن أن ينجح الحوار، ولا يعدو كونه محاولة من طرف قوي لفرض رأيه على طرف ضعيف، وهذا مرفوض.

الحوار وحده لا يكفي، وإنما يجب أن تكون هناك وسائل أخرى تساعد على ذلك، أو ما يمكن أن نسميها العوامل المؤثرة في المجتمع، وهي كثيرة ومتعددة. ولعل أول عامل هو الأسرة، التي يجب ان تتضافر وتتعاون مع المسئولين عن الحوار، لتطبيق الحوار عملياً، لنخرج النشأ الجديد الذي يقبل الحوار، ويقبل الطرف الآخر، بمعنى: أنا كرجل مهتم بمسألة الحوار، سأتكلم معكم في الحوار، ثم يذهب كل واحد إلى أسرته، وإلى أهله، فيجد الأب يرفض الحوار، والأم ترفض الحوار، والقائمين على شؤون الأسرة يرفضون الحوار، ويقولون هؤلاء أناس كفرة، ولا تأكل معهم ولا تعش معهم، ولا تتعاون ولا تتعامل معهم... إلخ.

ولا شك في أن هذا ينعكس سلباً،

## الحوار وحده لا يكفي

إذا كان هذا هو منهج الحوار وأسلوبه فإننا في حاجة الى اتباع أسلوب ومنهج الحوار لكي يسود الوئام وتسود المحبة والتعارف بين بني البشر، وهذا هو القصد والهدف، وقد قلت - في أول الحديث - إن الحوار هو الأسلوب الذي يجب أن يُتّبَعَ لكي نقضي على المشاكل التي تعانيها البشرية، لأن الحروب لا تحل المشاكل، ولن تنهي الصراعات. والسؤال هنا: هل اتباع أسلوب الحوار هو الذي سيساعد على تجاوز هذه المشاكل وإنهاء الصراعات؟ أو أنه الحل الوحيد والطريق الأمثل لحل هذه الصراعات، ولنشر السلام والوئام بين البشرية؟ أقول لكم: لن يحل الحوار وحده هذه المسائل، ولن ينهي المشاكل بين البشرية إلا إذا أضيفت عوامل مساعدة، تساعد الحوار على تحقيق هذه الغاية.

**الحوار وحده لا يكفي، وإنما يجب أن تكون هناك وسائل أخرى تساعد على ذلك، أو ما يمكن أن نسميها العوامل المؤثرة في المجتمع، وهي كثيرة ومتعددة. ولعل أول عامل هو الأسرة، التي يجب أن تتضافر وتتعاون مع المسؤولين عن الحوار، لتطبيق الحوار عملياً، لنخرج النشأ الجديد الذي يقبل الحوار، ويقبل الطرف الآخر.**

أو تكون نتائجه سلبية، فما فعلته أنا - كرجل مهتم بالحوار، وأطلب الحوار - قد تفسده الأسرة، أو بعض أفرادها، وهذا لعلمكم يحدث في كثير من الأسر، وخاصة مع الأطفال الصغار. أنتم - مثلاً - بدأتم تدركون وتعرفون الكثير من الحقيقة، والكثير من الأفكار، إنما المشكلة مع الأطفال الصغار، وقد سُئلتُ هذا السؤال في زيارة لي للمكسيك منذ سنتين تقريباً، من طلبة الجامعة، وملخص الإجابة يقول: إننا نجد أن الأب والأم - في الأسرة المسلمة والأسرة المسيحية - يوجهان الطفل الصغير ويحذرانه بعبارات من مثل: خذ بالك لا تلعب مع هذا الشخص، هذا مسيحي، هذا وحش لا تجلس معه، هذا كافر... الخ، وأيضاً من الجانب الآخر يقولون عن أولاد المسلمين ذلك، خذ بالك، لا تجلس مع هذا المسلم، هذا كافر، هذا سيئ، وبالتالي ونتيجة لذلك فإن الطفل أو

الصبي يصبح لديه نفور من الطرف الآخر. فكيف يحقق الحوار هدفه؟ لا يمكن أن يتم ذلك.

وإذن، فلكي ينجح الحوار لا بد أن تتعاون الأسرة في تنشئة الأطفال والجيل القادم على مبدأ قبول الطرف الآخر، وعلى حب الطرف الآخر وقبوله، لكي يكون هناك حب وتعاون وتآلف بين الإثنين.

أيضاً من ضمن العوامل المؤثرة، كل أستاذ وكل مدرس له أسلوب ومنهج معيّن في التدريس، البعض تألفه وتحبه، والبعض الآخر قد لا تجد عندك قبولاً له، وهكذا الأمر بالنسبة للآخر، فأنت تتأثر بالأستاذ أو الدكتور - عضو هيئة التدريس - الذي يدرس لك، تتأثر به وتسلك منهجه وطريقته. وإن كنتم الآن كباراً إلا أنكم تتذكرون - وكلنا نتذكر - كيف نتأثر بمدرس معين ولا نتأثر بمدرس آخر. ومن هنا يجب علينا - في المدرسة أيضاً - أن نربي هذا الجيل على قبول الطرف الآخر، وإنما قيمة الحوار قد تفقد الكثير من معانيها ومدلولاتها، خذ مثلاً عندما أتكلم أنا في الحوار وأطلب الحوار... إلخ، ثم نجد المدرسة والمنهج الدراسي فيه بعض الأباطيل والأكاذيب عن الطرف الآخر، أو لنقل عدم الفهم، فحينها يخرج الطفل من المدرسة وعنده كره ناتج عن معلومات خاطئة ومغلوطة عن الطرف الآخر، أجد أيضاً عضو هيئة التدريس المدرس عندما يذكر الطرف الآخر يبث الكره والعداوة والبغضاء... إلخ. وهنا نسأل: ما قيمة الحوار؟ أنا أتكلم في الحوار، وهذا أو ذاك يفسد الأمر.

**الحوار له شروط وله منهج يجب أن نحرص عليه ونتبعه، لكي نحقق الغاية من الحوار، وأول شرط من شروط الحوار هو أن تكون لدى الطرفين النية الخالصة للوصول الى الحقيقة.**

وفضلاً عن الأسرة والمدرسة، هناك مؤثر خطير جداً وهو الإعلام بجميع صوره المرئية والمسموعة والمقروءة، وهذا جهاز خطير جداً، ما قيمة أن نتكلم في الحوار وندعو الناس إلى الحوار ثم نجد الإعلام يفسد كل ذلك بمسرحية أو تقرير أو حديث... إلخ، أو إذاعة موجهة ضد الطرف الثاني؟ ما قيمة هذا ونحن نرى الآن ونسمع أن هناك إذاعات - مرئية ومسموعة - موجهة ضد الإسلام والمسلمين، الآن يتكلمون كلاماً لا يمكن أن يقبل مطلقاً، لا سيما عندما يتحدثون عن الرسول عليه الصلاة والسلام ويتهمونه بأشياء نسمعها ونقرأها. فإذا، وحتى نشيع قيمة الحوار ويحقق نتائجه فلا بد - أيضاً - أن تتعاون أجهزة الإعلام مع المؤثرات الأخرى لكي يؤتي الحوار ثمرته.

## الحوار هو لغة العصر

عندما أقول إن الحوار هو لغة العصر فإننا جميعاً يجب أن ننشر الحوار، ونقول في الوقت نفسه إن الحوار إذا ترك بمفرده لن يحقق الغاية المرجوة منه، ولكن يجب أن تتعاون المؤثرات الأخرى مع الحوار لكي يؤتي ثمرته، وإذا لم تتعاون هذه الأجهزة مع الحوار فلن يؤتي الحوار ثمرته مطلقاً.

هذا هو الذي أردت أن أنقله لكم في موضوع الحوار، وأؤكد لكم - كما بدأت حديثي - أن الحوار يجب أن ينتقل من القمة إلى القاعدة، لأن الحوار ما زال حتى الآن على مستوى القمة، بمعنى أنني كرجل دين إسلامي لي موقعي ومركزي ووضعي الإسلامي، والذي أجلس معه، وأتحاور معه، والذي أتناقش معه، هو رجل دين مسيحي أيضاً على مستوى القمة وعلى مستوى القيادة، وإذا نقلنا هذا الحوار من القمة إلى القاعدة، وأصبح الحوار على مستوى القاعدة وعلى مستوى الجماهير سنحقق الغاية المرجوة من الحوار، وهذا هو المطلب، والذي يجب أن نعلمه ويجب أن نحققه، كما يجب أن نتمسك به.

أرجو أن أكون قد أوضحت ما معنى الحوار؟ وأوضحت ما هو الحوار، وإلى أين يتجه الحوار؟

ولعل السؤال الذي يبرز هنا هو:

إذا كان الهدف من الحوار هو الوصول الى الحقيقة، فما معنى أنه لا حوار في العقيدة؟

وفي ظني أن هذا السؤال وجيه جداً ويحتاج إلى إجابة واضحة عنه.

العقيدة شيء لا يتغير عند الإنسان، ونحن نعلم جميعاً ما يعرف بالتعصب العقائدي، فأنا لو فتحت باب الحوار في العقيدة - والتعصب العقائدي موجود - إذاً سنزداد اختلافاً كما قلت ونبث العداوة والبغضاء، إنما عندما نتسامح ونقول: أنت تعبد الله كما تريد وكما تعتقد في ديانتك، وأنا أعبد الله كما أريد وأعتقد في ديانتي؛ فالآن أذبت الجليد الذي بيني وبينك، لأنك لن تُكْرِهَني على دين لا أعتقده، إنما أنت بعد ذلك بقراءتك واطلاعك واستعمال عقلك الذي خلقه الله لك؛ وصلت الى الحقيقة في الديانة فقبلتها باختيارك. فهناك فرق بين أن أجبرك على عقيدة أخرى، وبين أن تقبل هذه العقيدة باختيارك وبعد فكر وبعد روية وتأمل. فلذلك عندما قلنا لا حوار في العقيدة فذلك لكي نفتح باب التقارب، لأنني عندما أقول لا حوار في العقيدة تلقائياً أنت تقبل أن تتناقش معي، إنما عندما أقول أتحاور معك في العقيدة فتجد أن ردّ الفعل عندك عنيف وغير مقبول. ونحن عندما قلنا للفاتيكان ولكنيسة كانتربري لا حوار في العقيدة، قلنا لهم لكي تعلموا نحن على استعداد ان نتحاور في العقيدة، إنما ليس هذا في صالحكم، لأن عندنا من الأدلة، ولدينا من حجج الإقناع والبراهين ما يثبت ويوضح حقيقة ديننا، إنما أنتم في مركز ضعيف.

وعندما نسير وفق هذا السياق (لا حوار في العقيدة) عندها سنتقارب من بعضنا أكثر، وسيبقى كل طرف على استعداد أن يسمع الطرف الآخر، خاصة عندما نصت الاتفاقية الموقعة بيننا على أن كل طرف يصحح المفاهيم عن الطرف الآخر، وقلت لكم هذا في بداية الحديث إنه لا مشكلة عندنا نحن المسلمين بالنسبة للديانة المسيحية مطلقاً، لأننا نعترف بالسيد المسيح، وأنا مؤمن بنبي الله عيسى وأحترم السيدة مريم، وأنها من بيت طاهر كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة مريم وفي سورة آل عمران... الخ.

**الحوار هو الأسلوب الذي يجب أن يُتَّبَعَ لكي نقضي على المشاكل التي تعانيها البشرية، لأن الحروب لا تحل المشاكل، ولن تنهي الصراعات. والسؤال هنا: هل اتباع أسلوب الحوار هو الذي سيساعد على تجاوز هذه المشاكل وإنهاء الصراعات؟ أو أنه الحل الوحيد والطريق الأمثل لحل هذه الصراعات، ولنشر السلام والوئام بين البشرية؟**

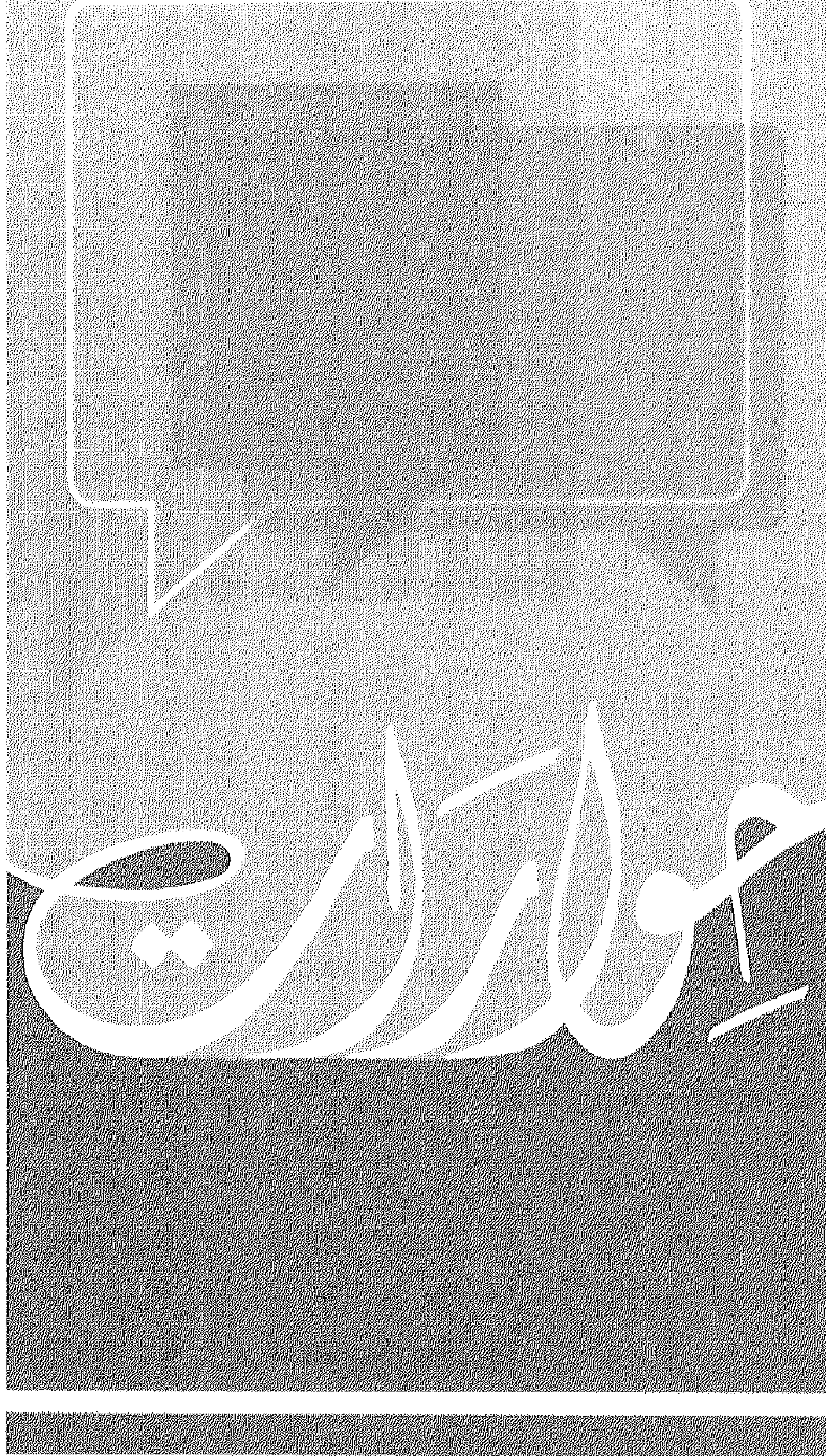
ولسائل أن يسأل: إذا كان الحوار ليس في العقيدة ففي أي شيء حاور رسول الله ﷺ نصارى نجران؟؟

عندما نرجع إلى كتب السيرة نجد أن رسول الله ﷺ تحاور مع نصارى نجران في مسألة كيف يعيش نصارى نجران مع المسلمين في تعاون مع بقاء كل طرف على دينه؟ هل الكتب تقول إن نصارى نجران أسلموا؟ أبداً. فكيف وفي ماذا كان التحاور؟

كان التحاور: يا محمد كيف نتعاون مع بعض في أن نعيش على ديننا وأنتم على دينكم ونتعاون مع بعضنا في الحياة المعيشية دون ان نصطدم مع بعض. فلم يجبر الرسول نصارى نجران على أن يدخلوا الإسلام.

وفي الختام أشير إلى نقطة مهمة وهي أن الحوار الإسلامي المسيحي حوار مفتوح ومعلن، وتنقله وتنشره وسائل الإعلام، ولا نتحاور في غرف مغلقة.

والسلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته.




البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

## الإسلام ليس جغرافيا واحدة، وكذلك الغرب

البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي للتواصل:

# العالم الإسلامي لم يحسن الإستفادة من ثرواته

حاوره :د. عبدالعاطي محمد عبد الجليل*

يشدك إلى الحوار معه حرصه الشديد على النطق بلغة الضاد دون لكنة غالبا ما تشوب ألسنة الناطقين بها من غير العرب.

يتميز طرحه لقضايا المسلمين المعاصرة والمتفجرة بالروية والرجوع بالظاهرة إلى بداياتها، دون التسليم بما يعتبره الآخر أحكاما ونهايات قاطعة وإن كان - مع ذلك - يقر بعجز المسئولين في العالم الإسلامي(ومنهم رجال الفكر والدعوة) في توصيل صورة حقيقية عن الإسلام وسماحته حيث تقف جماهير المسلمين اليوم وهي غير قادرة على استعادة الشعور بالعزة ونبل الانتماء لدينهم وحضارتهم ورفع التهم التي يحاول البعض إلصاقها بهم.

إنه البروفسور «أكمل الدين إحسان أوغلي» الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي ينفتح بموقفه على الآخر.. في لقاء اجري معه على عجل دون ترتيبات تأخذ في التقدير المساحة الزمنية الكافية، وهو أمر كان مستحيلا في ظروف وارتباطات متعددة.

## الامتزاج والإسهام في الحياة الأدبية بالقاهرة

* المثقف والباحث الأستاذ أكمل الدين إحسان أوغلي .. بعض الذين لايعرفونك شخصياً يلاحظون أنك تجيد اللغة العربية أفضل مما يتحدث بها الكثيرون واللافت أن نطقك وأداءك بهذه اللغة لا تشوبه أية لهجة بإيقاعها وجرسها.

أكمل الدين: في الواقع إنني اعشق اللغة العربية، و الأدب العربي، والثقافة العربية بصفة عامة.

إن حبي لهذه الثقافة يرجع لأهم عنصر فيها وهو اللغة العربية ـ وكان حبا قديماً ومتجدداً. ومنذ شبابي الباكر وأنا أعمل في المجال الثقافي، وقراءاتي للأدب واتصالي بالأدباء ومحاولاتي الأدبية كانت كلها تصب، أو تنبع من هذا الحب.

* قرأت بعض مقالاتك وإنتاجك العلمي، وخاصة عندما كانت مجلة «مركز البحوث والدراسات» تصدر بانتظام. ومنذ ذلك الوقت وأنا أعرف أنك على اطلاع حقيقي على الأدب العربي، وهذا ليس غريبا عنك، ولكن يبدو لي أن هناك

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا

**خصوصية معينة تميزك، فهل عشت في المنطقة العربية ؟**

أكمل الدين: نعم عشت فترة من حياتي في مصر، وهناك امتزجت مع جيل من الأدباء والشعراء، الذي يعرف بجيل الستينيات من القرن الماضي وساهمت حينذاك في الحياة الأدبية هناك على قدر الاستطاعة وصدر لي كتابان في ذلك الوقت.

## السهل الممتنع

**❖ بدأنا بالخاص، ولعل هذا أحد أفضل المداخل الحقيقية التي يمكن أن يقودنا إلى التحدث عن الشأن العام.**

**أستاذ أكمل الدين، الآن.. نرى المسلمين في العالم الإسلامي في حاجة إلى أن يفهموا بعض النقاط التي تحتاج إلى إيضاح.. ونحن نرى أنه منذ الثمانينيات أو منذ أواخر الثمانينيات بدأت بعض الأفهام أو الفهوم غير الصحيحة عن الإسلام والمسلمين تنتشر كالنار في الهشيم، وأصبح هناك خلط بين الإسلام والمسلمين.**

**والسؤال هو - ومن خلال ثقافتكم - والتي هي على صلة متميزة باللغة العربية: كيف ترون هذا التغير في النفسية والعقلية؟.**

أكمل الدين: سؤالك هذا من السهل الممتنع... السهل في طرحه، والممتنع صعب في الإجابة عليه.

العالم الإسلامي بطبيعة الحال يمر منذ مدة طويلة بفترة محاولات أقلمة وهو يجد نفسه مع التغيرات الكبيرة التي يعيشها العالم منذ الثورة الصناعية..

هذه الثورة التي حدثت في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مسيحي وكلها قامت في العقود الأولى من القرن التاسع عشر عندما



**الإسلام المجرد شيء صعب لأنه أمر أكاديمي ومبادئ ومثل تدرس على المستوى الجامعي**

قويت الأساطيل الأوروبية وازدهرت الاقتصاديات الغربية، ودخلت الميكنة في وسائل الاتصال.

ومن هنا رجحت كفة الغرب في الحروب التي شنها على العالم الإسلامي، والذي كان مازال يعمل في نطاق الطاقة الكلاسيكية التي تولد عن طريق الجهد الإنساني أو الفحم.

وهذا جعل أوروبا تتقدم علينا وبدأت تغزو بلادنا لأننا أصبحنا بلادا سهلة المنال، وبذلك دخلت فرنسا الجزائر.. بعد ذلك تونس.. الهند تحت الاحتلال الانجليزي.... ثم ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي..

في الحرب العالمية الأولى والمنطقة كلها قد تمت السيطرة عليها، وعاش العالم العربي إلى الحرب العالمية الثانية تحت الاحتلال.. بعد الحرب العالمية الثانية وتغير ميزان القوى اضطرت القوى الكولنيالية الصغيرة إلى أن تنسحب بعدما صغر حجمها..

وبدأت الحرب الباردة واستقطب العالم تحت قطبين كبيرين، وترتبت أوضاعه من جديد تحت هذا الواقع، ولم نكن نحن في ذلك الوقت قد تجاوزنا الفجوة بيننا وبين العالم المتقدم...

والآن ومع انتهاء الحرب الباردة تغيرت كل هذه الأمور، وما زلنا نعيش الفجوة بيننا وبين الغرب

المتقدم، ولن يصلح حالنا إلا إذا كسرنا هذه الفجوة، أو تجاوزنا هذه الفروق، وأصبح الإنسان المسلم على قدم المساواة مع الآخر المتقدم في النواحي الصناعية والإنتاجية والعلمية، ولذلك نحن نعيش إشكالية كبيرة يجب أن نتجاوز ظواهرها السطحية إلى بواطنها حتى نستطيع أن نتخلص منها.

### الإشكالية المركبة

**❖ من خلال حديثكم نرى أن هناك إشارة إلى العامل السياسي والعامل الثقافي... نتفق على أن الاستعمار كان حركة سياسية أولا ثم أصبحت حركة ثقافية فيما بعد... الشارع والشعب العربي في المنطقة العربية والشعوب الإسلامية عموما انصبغت إلى حد كبير بالثقافات أو السياسات الوافدة.. وهذا الواقع ولد نوعاً من عدم التواؤم بين الثقافي الموروث والثقافي الأصيل المستند إلى الثقافة الإسلامية، والثقافي الذي ورد مع حركة الاستعمار، ألا يشكل هذا، إلى حد كبير، الوضع السياسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي اليوم؟... أليس هناك نوع من الإشكالية بين خيارات العالم الإسلامي حالياً بين ما هو ثقافي إسلامي وبين الذي يوصف بأنه غير قادر على استيعاب الحاضر ثم بناء المستقبل؟.. كيف ترون هذه الإشكالية المركبة؟**

أكمل الدين: أنا أرجع إلى بداية سؤالكم من أن الغرب استطاع أن يسيطر سياسياً.. ونقف عند هذه الجملة لأنها تمثل بداية



❖ الإسلام ليس جغرافيا واحدة والغرب كذلك.

❖ نحن نعيش إشكالية كبيرة يجب أن نتجاوز ظهورها السطحية إلى بواطنها حتى نستطيع أن نتخلص منها.

السؤال والإشكالية المركبة... كيف استطاع الغرب أن يسيطر ؟

استطاع الغرب أن يسيطر لأنه كما هو معروف أن نابليون حاول السيطرة على مصر وفشل حيث استطاعت الدولة العثمانية أن تطرده من مصر بجيشها من ناحية وبالموازنة السياسية في الداخل وإلى آخره... ولكن الدولة العثمانية لم تستطع أن تطرد فرنسا من الجزائر، ولم تستطع أن تطردها من تونس، ولم تستطع أن تطرد الإنجليز عندما دخلوا مصر سنة 1882 مسيحي.. الإيطاليون دخلوا ليبيا وأريقت دماء الشهداء من الشعب الليبي والشعب التركي، ولكن لم تنجح.. لماذا ؟لأن الفجوة الصناعية والعلمية والتقنية التي أشرنا إليها كانت قائمة بين الاستعمار الغربي والعالم الإسلامي الذي كانت تمثله الدولة العثمانية... إذا كلما تأخر الإنسان كلما أصبح لقمة سائغة للآخرين...

إذاً الفرق الزمني بين احتلال نابليون لمصر واحتلال فرنسا للجزائر كان حوالي 30 سنة وكانت فترة مع تطور الثورة الصناعية حيث أصبحت فرنسا غير فرنسا التقليدية.. وكذلك انجلترا وايطاليا.

## و.. إشكالية معاصرة

*** هذا يقودنا إلى إشكالية معاصرة إذا تحدثنا عن التخلف والفقر... الخ**

**دائما صورة العالم الإسلامي موجودة.. إذا تحدثنا عن الغنى وتحدثنا عن أن هذه المنطقة مؤهلة لكي تساهم بشكل كبير في تقدم العالم لأن العالم الإسلامي موجود بثرواته... فكيف نواجه هذه الإشكالية المعاصرة؟ الغنى في العالم الإسلامي والفقر أيضاً؟**

أكمل الدين: هذا يدل على عدم وجود فكر علمي منهجي تنموي يجعل الأهداف تسير في الطريق السليم... الثروات الكبيرة التي هبطت من السماء أو تفجرت من الأرض هذه لم يحسن العالم الإسلامي استخدامها حتى الآن، صحيح ليس في كل الأحوال.. نسبيا هناك بلدان استطاعت أن تستفيد من هذه الثروات ولكن هذا نادر...حيث تكون هذه الثروات ليست دائما نعمة على أصحابها.

**«الإسلام والغرب» هل هو وضع الإسلام في مواجهة الغرب الجغرافي.. أم في مواجهة الغرب الثقافي؟!**

## الإسلام والغرب

*** فيما يتعلق بمرحلة الاستعمار ظهر منذ فترة مصطلح الإسلام والغرب... الحقيقة هناك إشكالية في فهم هذا المصطلح.. الإسلام عقيدة والغرب قد يكون جغرافيا.. وقد يكون ثقافة.. فيكف يمكن أن نضع هذا المصطلح إما في مواجهة الجغرافيا التي تعني الغرب بالنسبة للشرق أو في مواجهة الثقافة إن كان الغرب يعني ثقافة؟ علما أن الثقافة الغربية هي عامل أساسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي، والإسلام الآن أصبح أيضاً عاملا أساسياً في المجتمعات الغربية إن صح التعبير؟.**

أكمل الدين: أنا اعتقد أنه عندما نقول الإسلام والغرب لا نقصد الدين، بل نقصد الحضارات.. الإسلام أيضا ليس جغرافيا واحدة.. والغرب ليس جغرافيا واحدة..

الآن الغرب لم يعُد هو أوروبا فقط.. وإنما هو

أوروبا.. وأمريكا الشمالية.. وأيضا ممكن أن تدخل تحت هذا التصنيف أمريكا اللاتينية.. وممكن أن تدخل اليابان وهي الدولة الآسيوية...

**القيم الفعلية ليست في الشعارات**

إذا هي مصطلحات واسعة وتعريفها وتحديدها فيه إشكالية «ابستمولوجية» ولكن أيضاً هناك واقع، وهناك تميز بين العالم الإسلامي وتوجهاته في بعض المسائل وبين الغرب، إلا أننا يجب أن نقول أن الحضارة الغربية الآن أصبحت في وضع متقدم عما نحن عليه، قد يكون فيها من القيم الإنسانية ما هو ليس غريبا علينا وبالعكس هناك بعض القيم كان الإسلام هو أول من دعا إليها... فكما قلت في كلمتي الافتتاحية بالدورة الرابعة عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك* يجب أن لا نعتبر وجود هذه القيم التي هي قيم إنسانية وكانت موجودة في تراثنا القيمي غريباً علينا، ولكن في نفس الوقت لا يكفي أن نقول أن الإسلام هو أول من دعا إلى كذا وكذا، ولكن يجب أن نطبق هذه القيم... فالقيم الفعلية ليست في الشعارات ولكن في تطبيق حرية الإنسان.. وحرية التعبير.. وحرية الحركة.. وحرية التملك.. وحرية النشاط الاجتماعي والثقافي.. هذه إذا لم تكن مكفولة ومضمونة للإنسان في العالم الإسلامي، مهما قلت أن الإسلام هو أول من دعا إلى كذا... هذا ليس له قيمة... يبقى هذا كلام نظري لا يعيره أحدٌ اهتماما، المهم هو أن ننجح في تطبيق هذه القيم.

**❖ مصطلح الإسلام والغرب يقودنا بالضرورة إلى ما يمكن تسميته بين قوسين إن صح التعبير بتعبير غربي «إسلامو فوبيا».**

**لأنه يلخص كثيراً من القيم باعتباره مصطلحاً غربيا لظاهرة غربية.**

**هل ترى من خلال علاقاتكم واطلاعكم سواء على الثقافة العربية الإسلامية أو متابعة الثقافة الغربية وأنتم - بحكم موطنكم - على صلة بثقافتين..**

**هل الإسلامو فوبيا نابع من الخوف من الدين؟.. من عدم فهم هذا الدين؟ وعدم القدرة على التآلف معه؟**

**القيم الفعلية ليست في الشعارات ولكن في تطبيق حرية الإنسان وحرية التعبير وحرية الحركة.**

أكمل الدين: أنا اعتقد أنه مزيج من هذه العوامل بدرجات مختلفة.. وبنسب متفاوتة في أكثر من مكان.. طبعا هناك الخوف من الدين بما له من جذور تاريخية.. أيضا الأمر لا يتعلق فقط بوضع علاقة المسلمين بالغرب. وبأوروبا.. وداخل المجتمعات الأوروبية.. مثلاً المهاجرون من شمال أفريقيا.. المهاجرون من جنوب آسيا.. المهاجرون من تركيا.. ومن بقية أنحاء العالم الإسلامي.. نجد وضعهم ومشاكلهم في داخل المجتمعات الأوروبية ليست مستقرة، هناك جذور لهذا الخوف منذ القرون الوسطى، والغريب أننا إذا نظرنا إلى مقابل هذا نجد أن العالم الإسلامي.. والغرب.. وأوروبا.. واجهت الحروب والكر والفر، ومنها الحروب الصليبية.. والفتوحات الإسلامية من قبل ذلك في الأندلس.. والفتوحات الإسلامية العثمانية في البلقان.. وجنوب وشرق أوروبا.. وهكذا كان هناك سجال تاريخي بين عالمنا الإسلامي وبين

---

* عقدت في مقر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس / ليبيا - في الفترة من 4 إلى 6 من شهر الصيف 1373 من وفاة الرسول ﷺ الموافق يونيو 2005 مسيحي.

أوروبا، ولذلك فإن فكرة أوروبا عن الإسلام مختزنة في الذاكرة الجماعية الأوروبية بصورة قوية لا يمكن أن تجد لها مقابلا عندنا في العالم الإسلامي من واقع الحروب الصليبية، أو الاستعمار الأوروبي الذي قتل آلاف البشر سواء في الجزائر.. في ليبيا.. في مصر.. في بلاد الشام.. في فلسطين وما ولده الاستعمار البريطاني على ترابها.. وخلق المشاكل بعد الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا..

كل ذلك نجد أنه لا يحقق معادلا للرأي الثابت الأوروبي تجاه الإسلام والمسلمين.

**من المسئول؟**

**❖ من المسؤول عن إيجاد هذا المعادل؟ مثقفون؟ سياسيون؟ إعلاميون؟ أم هم هؤلاء جميعاً ؟**

أكمل الدين: هذا السؤال يحتاج إلى جلسة طويلة للإجابة عليه.

**❖ المتغيرات العقائدية الآن في العالم... من يعيش في أوروبا فترة معينة يكتشف أن هناك بحثاً عن الإسلام.. بحثاً عن هذا الدين.. محاولة فهم مبادئ الإسلام.. الإسلام في أوروبا الآن واضح الملامح إلى حد ما.. واضح التأثير.. وبدأت تترسخ أقدام المسلمين في تلك القارة وفي غيرها من القارات، وفي أوروبا بشكل خاص، هذا المتغير العقائدي هل يمكن أن يقدم المسلمون من خلاله في تلك المناطق الصورة المثلى لكي يتم اعتناق الدين الحق؟ أم أن هناك إسلاماً مصبوغاً بعادات وتقاليد شرقية.. وآخر يتمثل بعادات وتقاليد آسيوية.. ثقافة إسلامية مجردة للإسلام المجرد... كيف يُقدم مثل هذا الطرح ؟**

أكمل الدين: الإسلام المجرد شيء صعب لأنه إما

**جوانب من سيرته الذاتية**



**❖ البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي، تركي ولد في مصر سنة 1943 مسيحي تخرج من كلية العلوم وعين معيدا بجامعة الأزهر أكمل تعليمه العالي في لندن ثم عاد إلى موطنه تركيا..**

**والده الشيخ إحسان أوغلي من علماء الأتراك الذين نزلوا مصر، كان رئيس قسم الفهارس الشرقية بدار الكتب المصرية إلى أوائل الستينيات من القرن الماضي..**

**❖ مدير مركز منظمة المؤتمر الإسلامي للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية «إرسيكا» اسطنبول منذ سنة 1980 مسيحي.**

**❖ أمين لجنة الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، اسطنبول تركيا سنة 1983 - 2000 مسيحي.**

**❖ إضافة إلى لغته التركية يجيد العربية والانجليزية وله إلمام عملي بالفرنسية والفارسية.**

أن يكون شيئاً أكاديمياً ومبادئ ومثلاً تدرس الإسلام على المستوى الجامعي من قرآن كريم.. وتفسير.. وأحاديث.. وأصول.. إلى آخره أو من خلال عمل الدعاة.

ولكن عادة يكون التأثير الاجتماعي أكبر من خلال المسلمين والجاليات في أوروبا.. وقد كانت الجاليات الأولى من المسلمين في أوروبا من الطبقات الفقيرة التي نزحت إليها إما بناء على طلب من أوروبا كما هو الحال في ألمانيا عندما طلبت القوى العاملة التركية لتساعدها في بناء الاقتصاد الألماني بعد الحرب التي دمرت مرافقها الاقتصادية.. أو عن طريق النزوح من شمال إفريقيا إلى فرنسا، وما إلى ذلك... على أية حالة وفي كثير من الأحوال فإن المستوى الثقافي لهؤلاء النازحين لم يكن بالشكل المتقدم ونقلوا معهم عادات وتقاليد بيئتهم الريفية أو المدن الصغيرة والقرى التي هاجروا منها، وعندما تقارن هذا الواقع بقيم المجتمعات الصناعية المتقدمة يظهر التفاوت بين الثقافتين.

**❖ تحدثتم عن الشعوب التي حملت ثقافاتها إلى أوروبا والتي قدمت الإسلام بشكل غير مجرد.. فكيف ترى هذه الإشكالية... كيف يمكن تقويمها ؟**

أكمل الدين: هناك بالطبع أجيال جديدة في أوروبا: الجيل الثاني.. والجيل الثالث.. ومن بين هؤلاء تخرج مجموعات تتلقى التعليم الغربي وهناك أجيال بدأت تقبل على الإسلام على حقيقته ومن مصادره.. فأنا اعتقد أن هناك الآن. اجتهادات جديدة.

**❖ ولأسباب خارجة عن إرادتي وإرادة محدثنا انتهى هذا الحوار.**

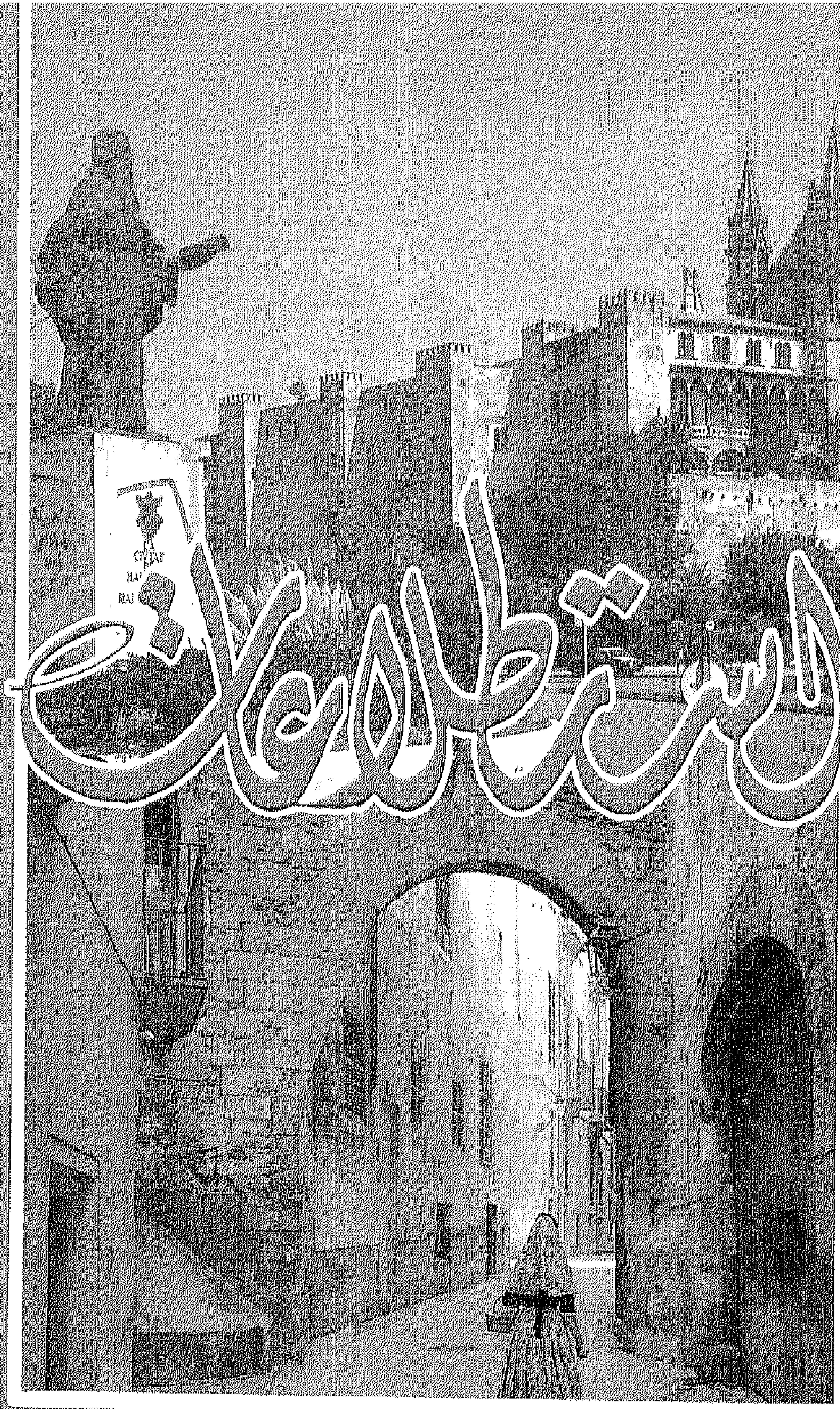
ولعلني ألتقيه لأكمل الحوار من حيث انتهينا... لعل ذلك يحدث...

**العضوية والنشاطات ومن بينها :**

- ❖ عضو المجلس الاستشاري لجامعة «تفتس» مركز فارس للدراسات الشرقية والمتوسطية، الولايات المتحدة.
- ❖ عضو اللجنة العلمية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، موسوعة العلماء المسلمين والعرب المرموقين.
- ❖ عضو اللجنة الاستشارية، مركز الدراسات الإسلامية، مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، جامعة لندن..انجلترا 1998 مسيحي.
- ❖ مدير مشروع ومدير أعمال اليونسكو بشأن مختلف جوانب الثقافة الإسلامية 1988 ـ 2003 مسيحي.
- ❖ مجلة الدراسات القرآنية للدراسات الشرقية والإفريقية، لندن، المملكة المتحدة.
- ❖ مجلة تاريخ العلوم الطبيعية والمعرفة الصرفة في الحضارة الإسلامية برشلونة، أسبانيا.
- ❖ عضو المجلس الاستشاري لدراسات تاريخ الطب والعلوم، جامعة حامدراد، الهند.

**الإصدارات :**

صدرت له العديد من الكتب والمقالات والأبحاث في مجالات مختلفة حول العلوم وتاريخ العلوم والثقافة الإسلامية، والثقافة التركية، والعلاقات بين العالم الإسلامي، والعالم الغربي والعلاقات التركية العربية، وقد كتب أو شارك في كتابة وإعداد إصدارات في «سلسلة تاريخ الأدبيات العلمية العثمانية» بعنوان تاريخ الأدبيات الفلكية العثمانية وتاريخ الأدبيات الرياضية العثمانية، وتاريخ الأدبيات الجغرافية العثمانية وتاريخ الأدبيات الموسيقية العثمانية وتاريخ الدولة والحضارة العثمانية، «مجلدان» ((التركية.. الانجليزية.. والعربية))، وله إصدارات عديدة بالتركية، والانجليزية، والعربية، ترجم بعضها إلى الفرنسية، واليابانية، والملاوية، والبوسنية.




❖ ميورقة.. الجزيرة ذات الألف وجه

# ميورقة

## الجزيرة ذات الألف وجه

بلد أعارته الحمامة طوقها
وكساه حلة ريشه الطاووس
فكأنما الأنهار فيه مدامة
وكأن ساحات الديار كؤوس

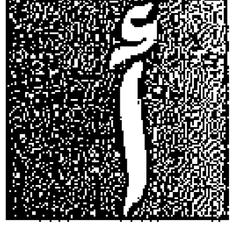
الشاعر: ابن اللبانة

إعداد: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل
كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا

«... وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء، وأكثرها زرعاً ورزقاً وماشية، وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها، يصل فاضل خيرها إلى غيرها، إذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها، وفيها من الفوائد ما فيها، ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء...».

أبو الوليد الشقندي

بالمادي ميورقة كما تبدو من قصر بيفر



أن تزور جزر البليار وخاصة ميورقة صيفاً فأنت غني بما فيه الكفاية، ومهما حاولت أن تنفي أمراً كهذا فإن تصوراً ما حول ثروتك سينطبع في ذاكرة من تراهم ويرونك في أزقة وشوارع أو في سهول وشواطئ ميورقة، ومهما كانت المبررات التي ستسوقها حول سبب وجودك في إحدى جزر البليار ـ وخاصة ميورقة ـ فإن الرأي العام لا يقبل بغير أن تكون ممن هرب من مسئولياته الخاصة والعامة، وهي بلا ريب مسئوليات لا يمكن التخلص من قيودها وثقلها إلا في جزر البليار، وخاصة ميورقة...

أما أن تزور هذه الجزر شتاء فأنت ترتب للحصول على عمل في فصل الصيف القادم، نادل في مطعم، في مقهى، سائق سيارة خاصة، حارس محطة سيارات، عامل نظافة في فندق.. وهناك احتمالات أخرى... أن تزور هذه الجزر ـ وخاصة ميورقة ـ شتاء لتغتسل رغماً عنك بمياه الأمطار المنهمرة ورذاذ البحر إن اقتربت قليلاً من الشاطئ فأنت ممن يتقنون صنعة ما تتعلق بالبحر: ربما تكون عاملاً في مركب سياحي، مساعداً بحرياً، لك خبرة ما تمكنك من إصلاح بعض أعطال المراكب الشراعية، تفهم قليلاً في الخدمات المتعلقة باليخوت التي ستجدها متراصة في كل موانئ هذه الجزيرة...

لكن أن تجد نفسك ويجدك الآخرون في هذه الجزيرة شتاء دون أن تكون واحداً ممن أشرت إليهم فأنت مثلي تماماً لا تستطيع إقناع أحد بأنك قدمت إلى ميورقة لترى عن كثب بعضاً من ملامحها التاريخية دون أن تضطر إلى دفع مبالغ لا تملكها، لن تقنع أحداً بدءاً من موظفي أية وكالة سياحية التي سيصاب موظفوها بالإرهاق وهم يحاولون توفير غرفة لك في فندق أو نزل لا تزيد نجيماته عن الاثنتين ، وإن وفقوا في ذلك فما عليك

القصر العربي
وبعض زواره

المساحة: 3640 كيلومترا مربعا.

السكان: 600 ألف تقريبا.

سكان العاصمة بالما دي ميورقة: 250 ألفا تقريبا.

النشاط الاقتصادي: السياحة، زراعة الحبوب والبقوليات والخضر والفواكه، إضافة إلى الصوف وبعض الصناعات مثل النسيج والأحذية والخزف.

أعلى قممها: جبل بويج مايور 1445 مترا فوق مستوى سطح البحر.

اللغة: الإسبانية والميورقية.

إلا أن تستعد لمواجهة البرد الذي يسكن تلك الغرفة، إنه ينبعث من أرضيتها غير المفروشة، ويتسلل دون استئذان من نافذتها...

على أية حال لست هنا مرشداً سياحياً يحاول أن يروج بضاعة هي ليست في حاجة إلى من يروجها، لكنني أحاول جهدي لأجد مدخلاً للحديث عن ميورقة التي لم يدخلها أحد منذ آلاف السنين بيسر وسهولة...

## بعض من وجوه ميورقة

حسن، الحديث عن ميورقة ذات الألف وجه - كما يصفها أهلها - يجعلك في حيرة من أمرك وأنت تحاول الولوج إليها...

موانئ وخلجان، عيون وأنهار ووديان، سهول وسفوح وجبال، مدن وقرى وأرياف، قصور وفنادق وبيوت عتيقة، إنسان ما قبل التاريخ وخليط من الأجناس: رومان ووندال وبيزنطيون وقوط وعرب وأندلسيون وبيزيون (نسبة إلى بيزا) وإيطاليون وفرنسيون... كل منهم أهدى ميورقة وجهاً مختلفاً...

الزيتون والنخيل والصبار، ورود من كل صنف ولون... كلها تقدم وجهاً مختلفاً لهذه الجزيرة...

طرق حديثة مرصوفة، وأخرى ترابية، وغيرها مرصوفة بمئات الآلاف من الأحجار، بعضها مستوٍ، وبعضها ملتوٍ، بعضها يحملك إلى أعلى التلال، وبعضها يمر بك من تحت صخرة وكأنها سقف معلق... وكل مظهر من تلك المظاهر يبرز وجهاً مختلفاً...

لم يبالغ أهل ميورقة عندما وصفوا جزيرتهم بأنها ذات الألف وجه...

عبد الله بن موسى بن نصير، مجاهد العامري، بنو غانية، ملوك قطالونية، جمهوريو بيزا وجنوا، الفاتيكان، خيمي الأول... كل منهم قاتل من أجل أن يجعل لميورقة وجهاً مختلفاً...



زقاق وجدران عتيقة في ميورقة

أبو عمرو الداني إمام القرّاء، ابن اللبانة أشهر شعراء الأندلس، ابن حزم، ابن عطية، روبين داريو، الموسيقار العالمي شوبان، جورج ساند، أغاثا كريستي، وغيرهم كثير جمعتهم ميورقة في أزمنة مختلفة، واستطاعت أن تكتسب من كل واحد منهم وجهاً من وجوهها الألف...

ألبيرت هيرانت لم يكن مخطئاً حين وصف وصنف هذه الجزيرة متسائلاً: كم لغة يا ترى تعرف

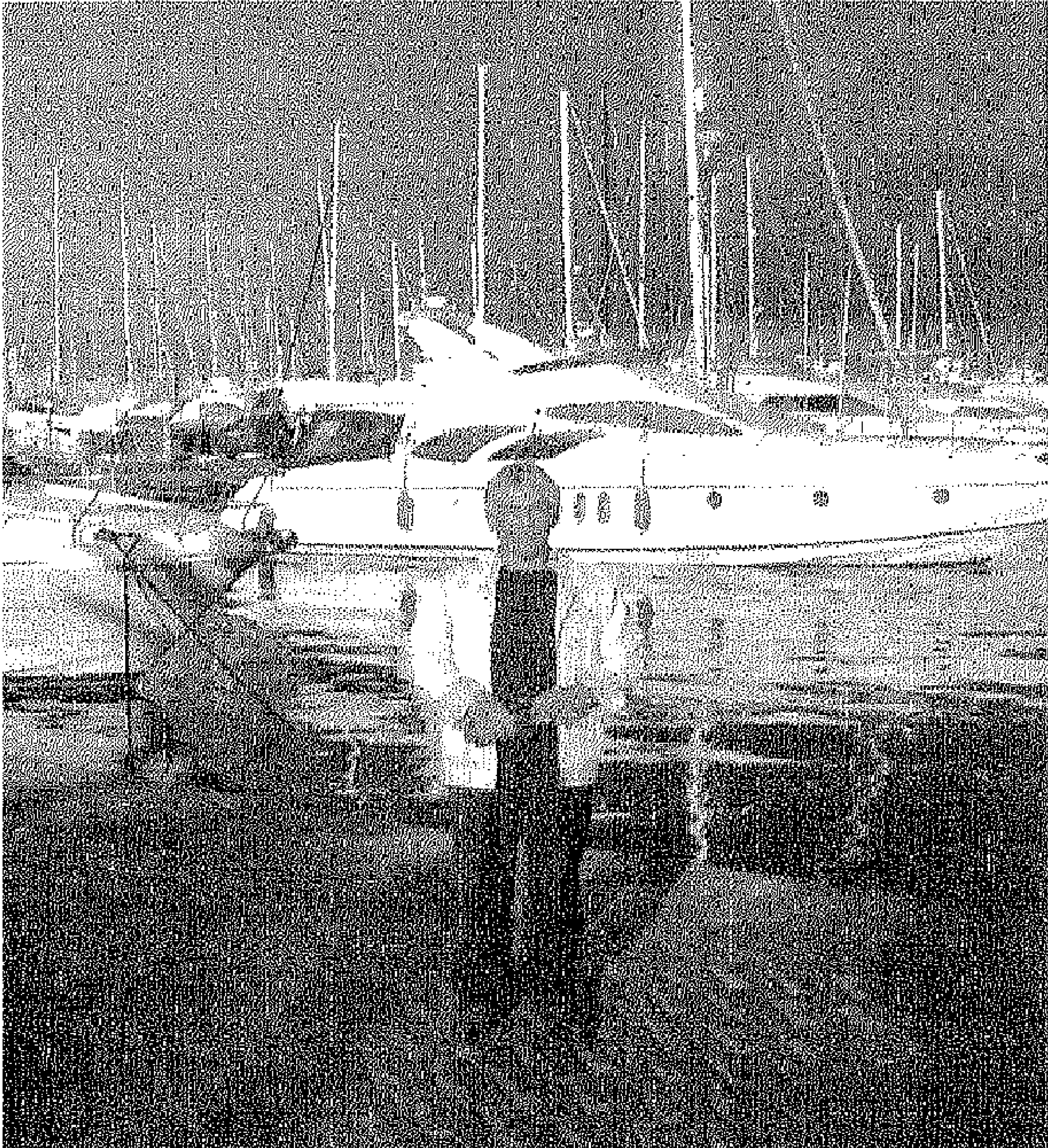


أحد أزقة الحي القديم، هل مرّ من هنا أبو عمرو الداني؟

ميورقة ؟ وكم لغة تركت بصماتها وأحلام ناطقيها على رمال شواطئها العديدة؟ مواطنوها يكتنزون تاريخاً مليئاً بالذكريات العربية - الحديث لا يزال للسيد ألبيرت - وتكاد ترى بصمات كبار الرحالة الذين مروا بها، وهي أمور - يؤكد ألبيرت - تحيي شعوراً بالغيرة عند غير الميورقيين... إنها فسيفساء لونية لا حدود لها، يحتضنها البحر المتوسط، وتتردد في جنباتها أصداء أزمنة من الخوف وقعقعة السيوف، علماء عديدون حاولوا توحيد الثقافات التي تركت بصماتها على زرقة مياه البحر الأبيض المتوسط...

## قليل من التاريخ وكثير من الأمطار

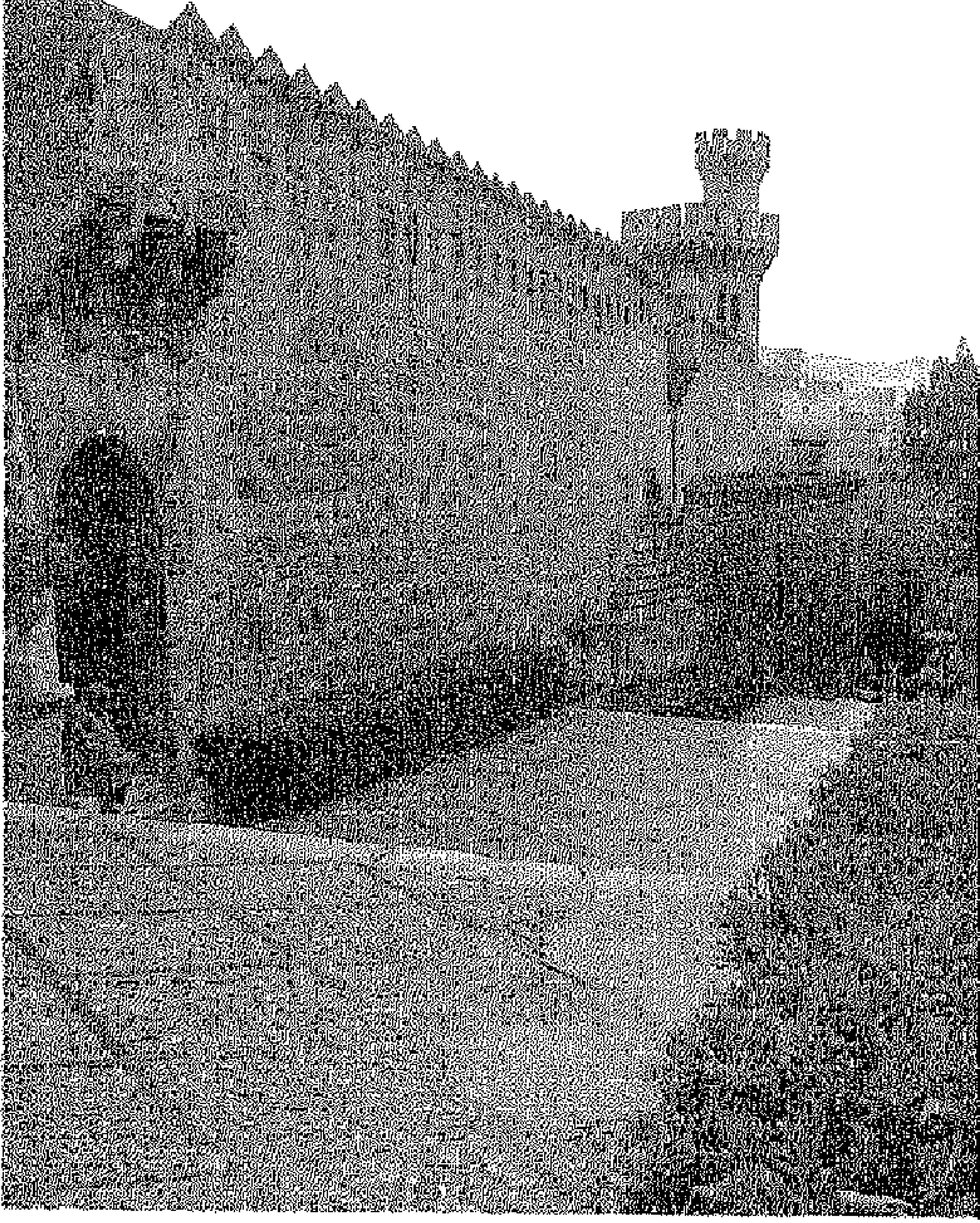
يقول المؤرخون أن الجزيرة احتضنت بين جنباتها من قام بإعمارها منذ 2000 سنة قبل ميلاد عيسى عليه السلام، ثم جاءها الرومان سنة 123 قبل الميلاد، تبعهم الوندال والبيزنطيون ثم العرب بدءاً من سنة



معدّ الاستطلاع في ميورقة

903 مسيحي، ويتفق المؤرخون ـ وفي مقدمتهم الإسبان ـ على علو المكانة التي تبوأتها جزر البليار، ومن بينها ميورقة إبَّان العهد الأندلسي الذي جعل منها واحدة من أهم وأقوى وأغنى البلدان، حتى أنها غدت القوة المسيطرة على نصف البحر المتوسط...





جانب من أسوار القصر العربي

ساعة وعشر دقائق وحطت بنا الطائرة في مطار ميورقة الكبير، الكبير جداً، لم يكن عدد القادمين إليها من مدريد كبيراً، وجدت نفسي أنتظر بعض الوقت لألتقي صديقاً قدم من منورقة الجزيرة الأصغر والأقرب، نصف الساعة والتقينا، تحدثنا عن كل شيء تقريباً، إلا عن الطقس الذي تغير فجأة، كنت قد فكرت في الأمر قبل مغادرتي مدريد فاستعرت مظلة من صديقنا خليل صدقة، أما ما كان من أمر صديقي الإسباني فلا طائل من ذكره، الشيء الوحيد الذي ظل يردده باستمرار: ما الذي يدفع بالمرء إلى القدوم إلى



ميناء البحارة، وفي عمق الصورة مستودعات القوارب تحت البيوت

هذه الجزيرة في مثل هذا الوقت؟ وحين فاجأته بالسؤال ذاته لم يكن أمامه من بد إلا القول بأنه فكر كثيراً لكنه قرر القدوم ليمضي عطلة نهاية الأسبوع وليرافقني في هذه الرحلة التي وصفها بالمغامرة الغريبة، والحقيقة أنه لم يقصر عن مرافقتي حين زرت منذ سنوات بعض مناطق الشمال الإسباني، كما أنه أمضى معي يوماً في جزيرة منورقة محل إقامته، وكنت قد استفدت من معلوماته كثيراً، لكنه لا زال يلومني لأنني لم أنشر بعد وقائع تلك الرحلة، خاصة ما صادفته في قرية بني بكر...

سألنا سائق الحافلة رقم1 عن الفندق ذي النجيمتين الذي سبق وأن وفقت في الحصول على غرفة به، فقال: هو قريب من ميناء بورتو بي... كنت أخشى أن لا يوفق صديقي في الحصول على غرفة، لكن الأمر كان أسهل بكثير مما كنت أتوقع، اختر ما شئت من الغرف، ولكن ليس من باب البحث عن الأفضل، فليس في مثل هذه الفنادق شيء اسمه: الأفضل، غادرنا الحافلة في إحدى المحطات القريبة من ميناء بورتو بي الذي تذكرت اسمه، لا لأنني زرته قبلاً، ولكن لأني قرأت أن القوات البحرية بقيادة خيمي الأول كانت قد احتلت هذا الميناء ليخرج من المدينة كل الأندلسيين الذين لم يعودوا إليها على الإطلاق... ويا له من خطأ فادح ارتكبناه، توقعنا أن فندقنا قريب من هذا المكان، ومع صعود استمر 30 دقيقة تحت سيل منهمر من الأمطار، ولم تفدنا المظلة التي سبق وأن عولت عليها، وأذكر أنني تحادثت هاتفياً مع صديقنا علي الويفاتي في طرابلس لأناقش معه بعض الأمور المتعلقة بالعمل وسألني حينها عن الطقس فقلت دون تفكيرٍ أو تروٍ: إن كنا نصف شدة سقوط الأمطار في بلدنا وبلهجتنا بأنها (خيط من السماء) في إشارة إلى غزارتها فإن ما أراه هنا (حبال من السماء)، استقبل الأمر بابتسامته المعهودة، لكنه لم يدرك حجم ما كنت أكابده...

وصلنا فندقنا، ولم نتمكن من مغادرته، خاصة وأن



بوابة أندلسية في مدخل الكدية..

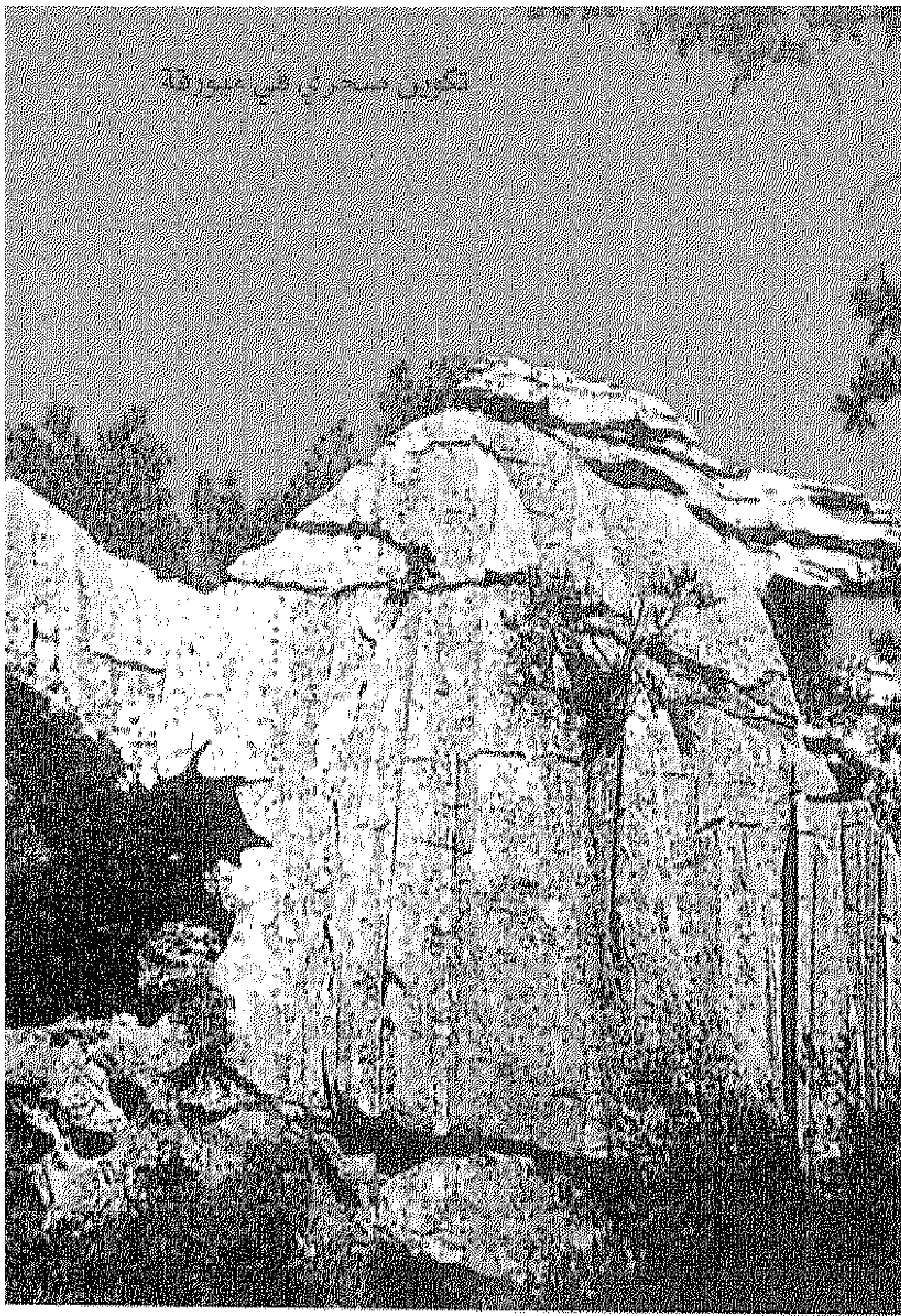
ساعة واحدة كانت تفصلنا عن مغيب الشمس... وبعد إتمام إجراءات الحجز التي أضاع صديقي نصف الساعة منها في البحث عن غرفة أخرى تكون أفضل، لكنه عاد ليقول لي: حسناً فعلت إذ لم تضيع وقتك في البحث عن الأفضل... التقينا في ركن من الصالة الصغيرة المطلة على الميناء، واكتشفنا أن هذه الإطلالة ميزة لا بأس بها...

أبحرنا عبر التاريخ، من خلال كتاب كنت قد اقتنيته، ومن خلال معلومات كنت اطلعت عليها قبلاً، كان صديقي كعادته، ينصت باهتمام، ذات مرة كنت أحدثه عن تاريخ إسبانيا من خلال ما كتبته الدوقة السيدة إيزابيل آلبريث دي توليدوا فقال: إن كان ما تقوله هذه السيدة صحيح ولو نسبيًا فإن ما نعرفه عن تاريخنا لا يساوي شيئاً، ولهذا كان دائم الاهتمام بالحديث عن التاريخ...

## الجزيرة الإمبراطورية

منذ وصول العرب إلى المنطقة شكّلت ميورقة مع منورقة ويابسة شبه كتلة سياسية واحدة مع اختلافات ليس هنا محل ذكرها، كانت نقلة استراتيجية مهمة في السيطرة على البحر المتوسط، وازدادت أهميتها حين اتخذها ملوك الطوائف في مدينة دانية على الشاطئ الشرقي من الأرض الأندلسية ليجعلوا منها قاعدة عسكرية بحرية، حيث سير منها مجاهد العامري وإقبال الدولة بعده عدة حملات عسكرية بحرية إلى سردينيا وصقلية وشواطئ إيطاليا الغربية والجنوبية والشواطئ الجنوبية الفرنسية وشواطئ قطالونية...

وفي عهد بني غانية الذين استقلوا بالجزر الثلاث نمت قوتها البحرية، وأضحت أساطيل ميورقة قوة يحسب لها ألف حساب ربما في البحر المتوسط كله، حتى أن بني غانية لم يتوانوا عن غزو جنوب فرنسا



تكوين صخري في ميورقة

وسواحل قطالونية وجيرونة مما دفع بهذه الممالك وجمهوريات بيزا وجنوا والبندقية إلى عقد اتفاقيات صلح وصداقة وعدم اعتداء مع بني غانية سادة الجزر الشرقية وقاعدتها ميورقة، هذه المعاهدات دفعت بني غانية ـ وفي ظل خلاف سياسي مع الموحدين ـ إلى إرسال أسطول بحري ضخم قوامه اثنتان وثلاثون سفينة على متنها أربعة آلاف مقاتل ومائتا فارس بكل عدتهم وعتادهم ومؤنهم فاحتلوا بجاية وتلمسان والجزائر وقلعة بني حماد وقسنطينة، وفي وقت لاحق استولوا على قابس وتوزر وقفصة، أما يحيى بن إسحاق بن غانية فقد جعل من ميورقة شبه امبراطورية بحرية امتد سلطانها ليشمل ـ إضافة إلى ما ذكر ـ طرابلس وصفاقس والمهدية والقيروان وسائر بلاد الجريد...

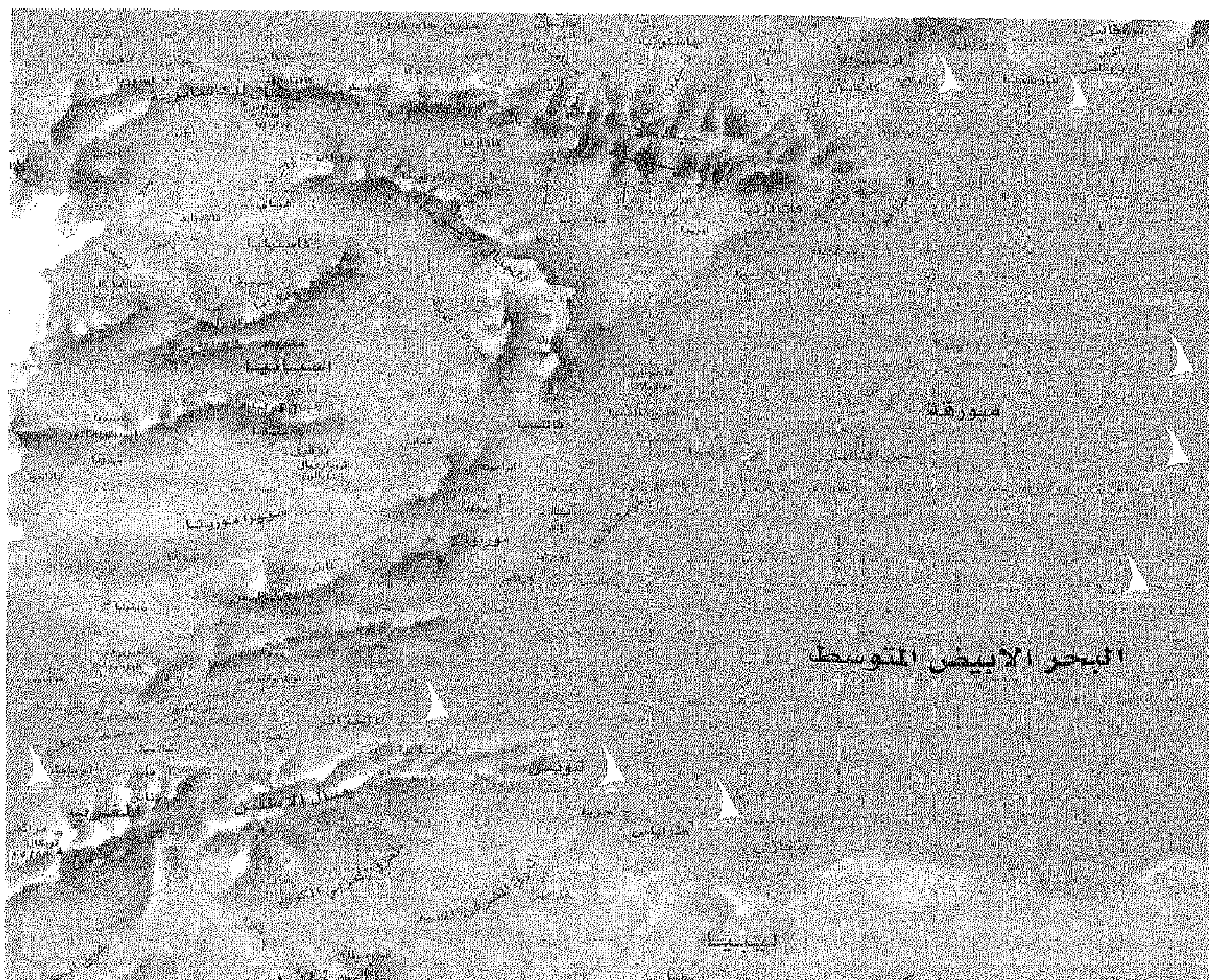
سألني صديقي: أيمكنك أن توضح لي هذا الأمر لأدرك حجم هذا التوسع؟ بعد محاولة رسم صورة لما كان من أمر ميورقة في البحر ... ودون أي تعليق منه، قلت: وللتدليل على أهمية المكانة البحرية التي وصلت إليها ميورقة لا بأس من ذكر محاولة الموحدين السيطرة عليها، حيث تطلب هذا الأمر سنة 1203 مسيحي توجيه قوة بحرية تكونت من ثلاثمائة مركب مختلفة الأحجام والأغراض، حملت ما يقرب من عشرين ألف مقاتل بكل أسلحتهم وذخائرهم ومؤنهم، هذا عدا البحارة العاملين في تلك المراكب...

كانت الممالك والجمهوريات الأوروبية ترى في قوة ميورقة آنذاك حاجزاً يحول دون صدام بينها وبين الموحدين، ولذا سعت ممالك وجمهوريات قطالونيا وأراغون وجنوا وبيزا وبلاد الغال وسردينيا إلى عقد اتفاقيات الصلح وعدم الاعتداء أو تجديد المنازعات...

## بدايات النهايات

ولكن، وكما قال أبو البقاء الرندي: «لكل شيء إذا ما تم نقصان»، بدأ فصل جديد من حياة ميورقة...

إن التوسع الكبير والملحوظ لميورقة، وعوامل الانحلال التي بدأت تدب في أوصال الأندلس ـ وميورقة من أهمها ـ إضافة إلى نمو القوة البحرية للممالك والجمهوريات الأوروبية القريبة، والتي اكتوت كثيراً بنيران قوات هذه الجزيرة، والانتصارات التي بدأت تحققها ممالك قشتالة وأراغون وليون في الأراضي الأندلسية دفعت بالجميع إلى التفكير الجدي في احتلال ميورقة، ولم لا ؟ والعوامل كلها

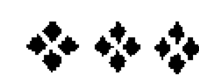



غزوات قوات ميورقة البحرية

تشير إلى إمكانية تحقيق هذا الحلم الذي راود الجميع حيناً من الدهر؟؟

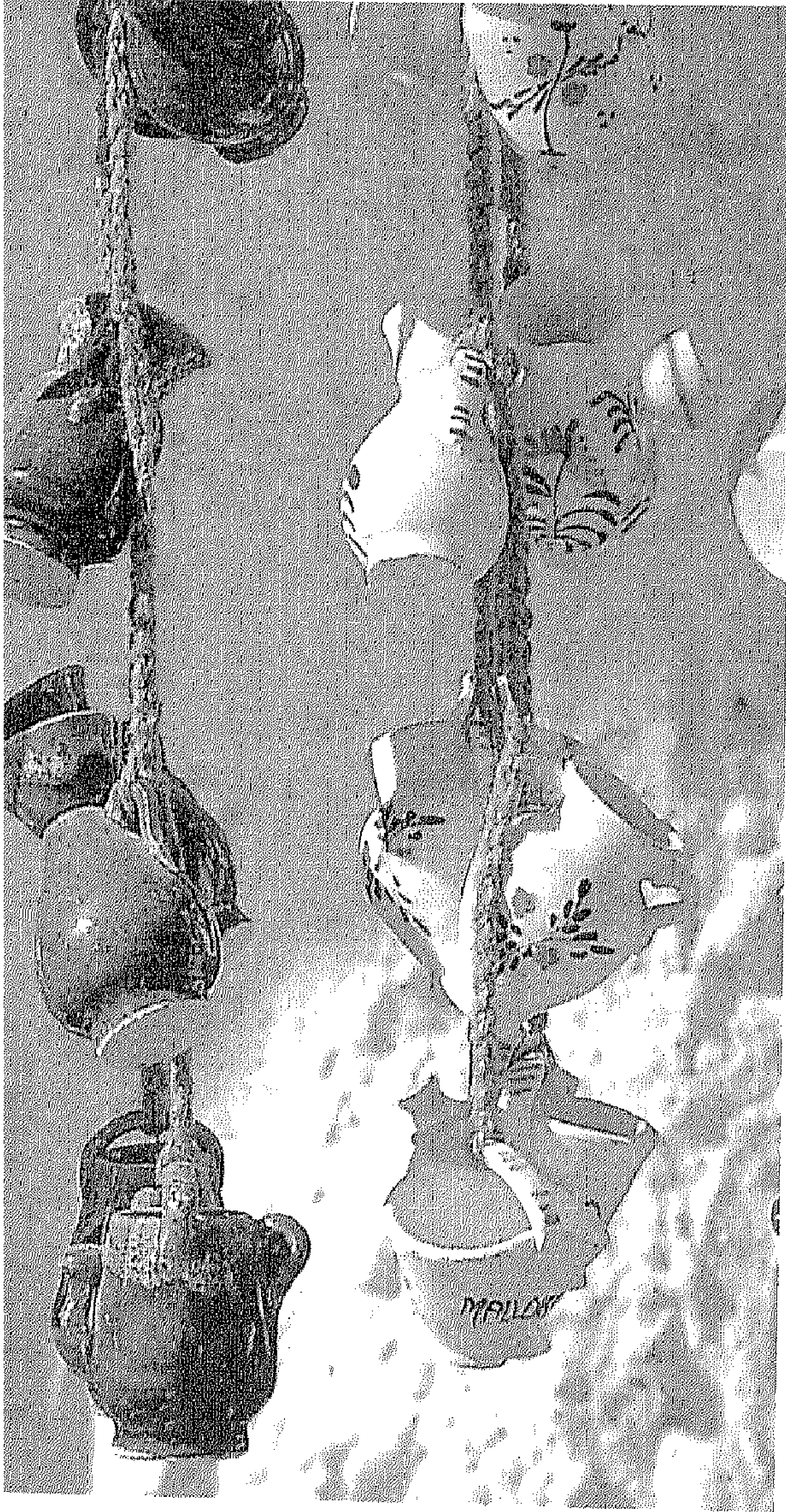
حظي مشروع انتزاع ميورقة وشقيقتيها: منورقة ويابسة من أيدي أهلها الأندلسيين باهتمام كبير من القوى الأوروبية النامية والتي بدأت تسعى إلى توسيع نفوذها من خلال بسط سيطرتها على النصف الغربي من البحر المتوسط، والأندلس بكامله تقريباً، مشروع كهذا جعل من الضروري تحقيق اتحاد قطالونية وأراغون وجمهوريتي بيزا وجنوا وتم الحصول على مباركة بابا الفاتيكان، وظل هذا المشروع متداولاً من سنة 1146 حتى سنة 1229 مسيحي، ثم انتقل إلى مرحلة التنفيذ..

أهمية الاستيلاء على ميورقة لا تتضح فقط في تلك السنوات الطويلة التي استغرقها الاستعداد للاستيلاء عليها فحسب، ولا في قوة التحالف فقط، بل وإضافة إلى ذلك حجم القوة التي تم إعدادها، تقول كتب التاريخ العديدة، العربية منها والإسبانية، أن خيمي الأول ـ وهو أحد أعضاء الحلف الساعي إلى تحطيم الجزيرة ـ خرج يوم 14 من شهر شوال سنة 626 هـ سبتمبر 1229 مسيحي من مينائي طركونة وكامبرياس في قوة بحرية مكونة من مائة وخمس وخمسين سفينة تحمل خمسة عشر ألف مقاتل من المشاة وألفاً وخمسمائة من الفرسان، وأعداداً هائلة من متطوعي جنوا وبروفانس، يبدو أن الغنيمة كانت تستحق كل ذلك، ولضمان استمرار التحالف ضد ميورقة والذي شارك فيه ـ بشكل أساسي ـ كبار الرهبان والإقطاعيين تعهد خيمي الأول بتقسيم الأراضي والغنائم التي سيتم الاستيلاء عليها بين المساهمين في هذه الحملة وفقاً لما قدموه من نفقات، على أن يحتفظ لنفسه بالقصور والسيادة العليا على الحصون والقلاع...

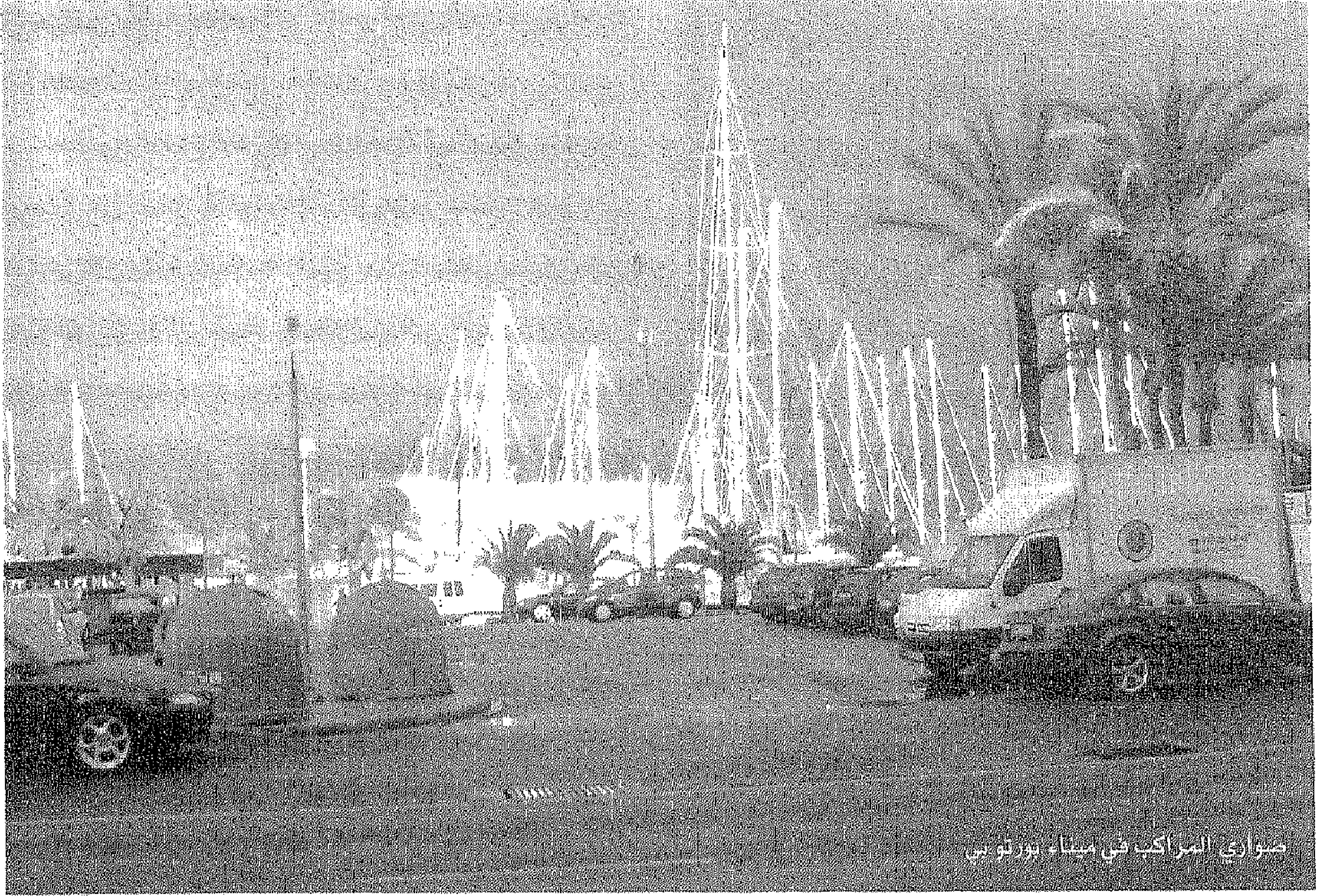


«قام العرب الأندلسيون بتوسعة مدينة ميورقة واهتموا بها حتى أصبحت وكأنها حديقة غناء، مما أغرى خيمي الأول بغزوها، وحين رآها أعلن أنها أجمل مدينة وقع عليها بصره»

الكاتب الأسباني: البيرت ايرانث




مصنوعات خزفية ذات طابع أندلسي


صواري المراكب في ميناء بورتو بي

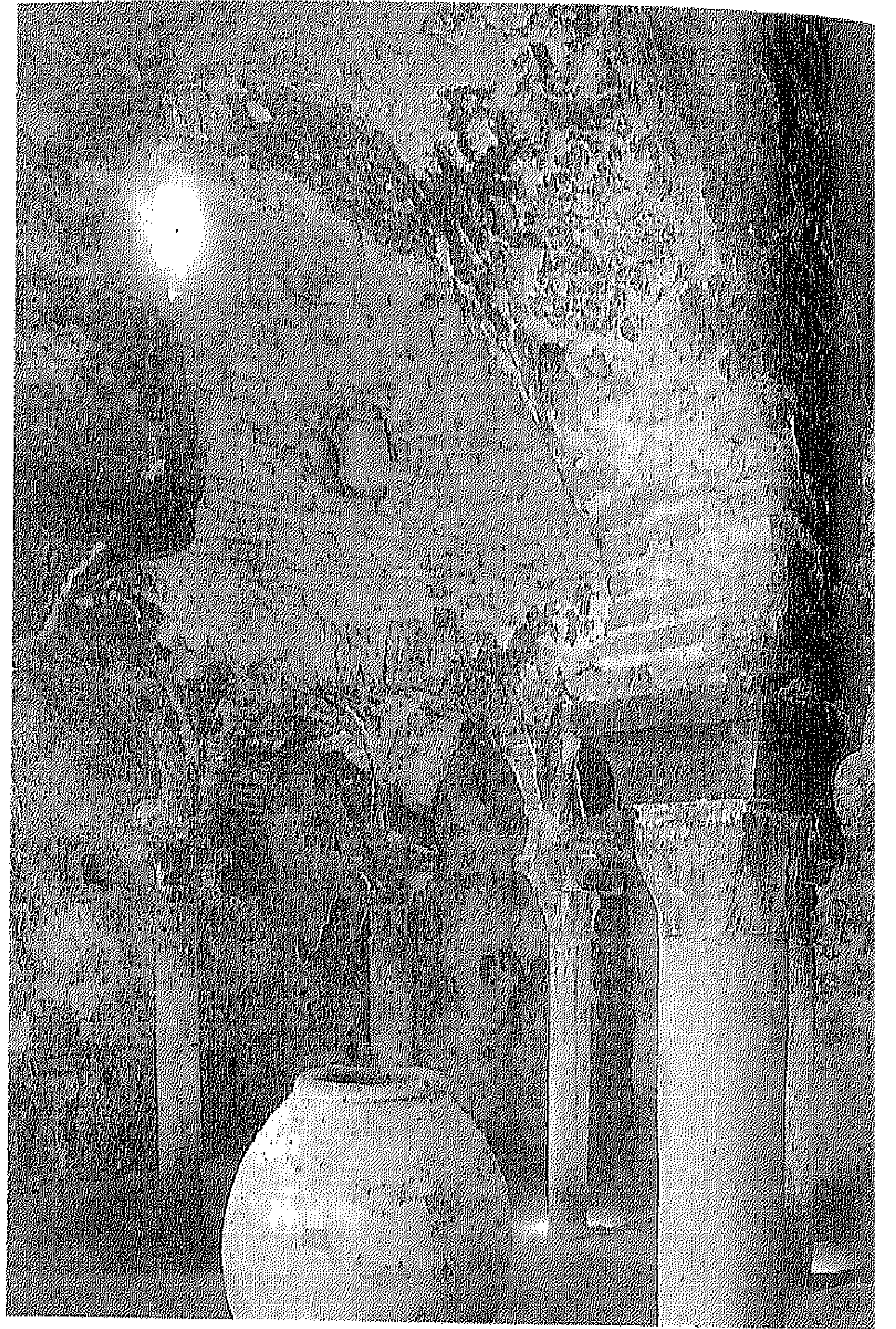
تذكرت هذه الصورة وأنا أرى عبر النافذة الزجاجية الكبيرة في الصالة الصغيرة لفندقنا المتواضع مئات البواخر واليخوت والمراكب في ميناء بورتو بي الذي هو بمثابة المدخل للسيطرة على ميورقة، كانت الغيوم الداكنة تغطي السماء أو تحجبها وأشعة شمس تحبو إلى الغروب تنعكس على الصواري البيضاء التي بدت وكأنها خيوط لامعة تتدلى من سقف رمادي داكن...

بدأت أضواء المدينة تعلن عن نفسها، تتسلل بهدوء وتتمدد على صفحة مياه الميناء لترينا وجهاً آخر من وجوه ميورقة... المنظر مغر لالتقاط صورة، فتحت باباً زجاجياً يؤدي إلى ساحة مستطيلة تستعمل كمقهى صيفي تمكن الجالس في أي مكان منها من رؤية المدينة بشكل أفضل وأشمل.. لم أشعر إلا وصديقي يقذف لي بالمظلة، كان المطر حبالاً من السماء، لكن التقاط صورة على الأقل كان مغرياً بلا ريب، أدرك صديقي خليل صدقة في مدريد مصير المظلة حين عدت إليه بواحدة غيرها..

إثر تناول وجبة عشاء بسيطة عدنا إلى المكان ذاته، وضعت على الطاولة خارطة للجزيرة وبدأت أرسم إشارات على بعض الأماكن، أدرك صديقي ما أنويه، سألني: أتريد زيارة كل هذه الأماكن في ست وثلاثين ساعة ؟! قلت دون تردد أو تفكير: بعد زيارة الحي القديم في مدينة ميورقة... لم أكن أدري وقع هذه الجملة عليه، لكنه كعادته لا يقف كثيراً عند الجمل التي لا يستطيع تغييرها..

### بين القصر والحمامات العربية

أفضل الأماكن التي يمكنك من خلالها زيارة الحي القديم هي الجهة المقابلة للميناء، تجتاز أولاً السور الذي بقي يحرس رمزياً مدينة ميورقة، ولن تكون مضطراً لسؤال أحد عن ثلاثة أشياء: القصر العربي،



ما بقي من الحمامات العربية...

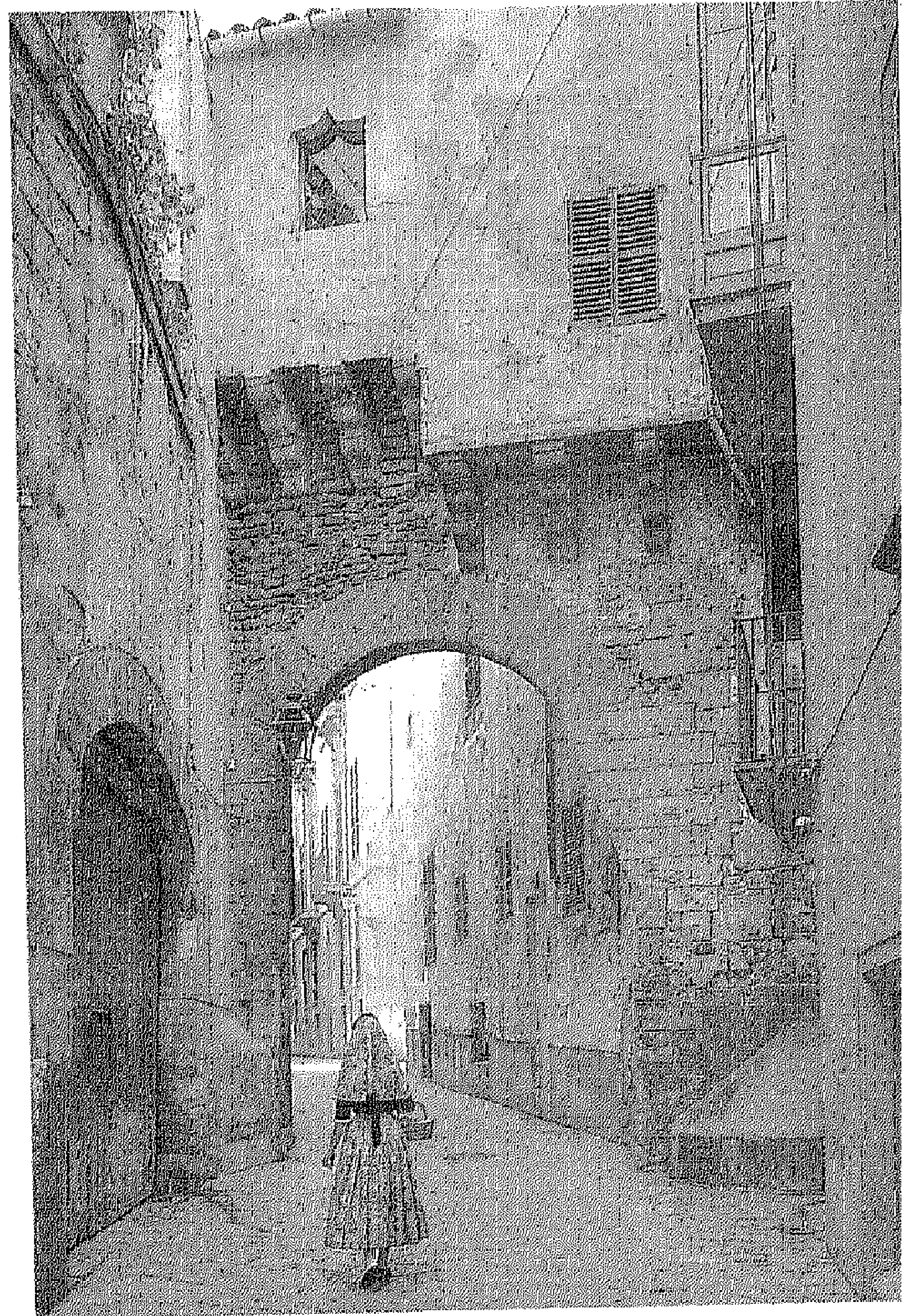


داخل فناء الحمامات العربية

الكاتدرائية (كانت مسجداً بلا ريب)، والحمامات العربية، القصر.. الكنيسة / المسجد بادية للعيان من كل جهة، أما الحمامات العربية فثمة إشارات تدلك عليها، مررت أولاً بالقصر، الذي أصبح شبه ثكنة عسكرية، به متحف شبه حربي، أما الكنيسة / المسجد فلا شيء يشدك إليها سوى ارتفاع سقفها الهائل، وقدراً لا بأس به من الظلمة!! إلا أن البهو المفتوح الملحق بها يعطيك انطباعاً بأنك في بيت دمشقي أو طرابلسي قديم، بئر تتوسط البهو، وجملة من الآلات الخشبية العتيقة التي كانت تستعمل عندنا في أرياف ليبيا لاستخراج المياه من الآبار، وثمة مفتاح خشبي كبير عتيق علق على أحد الجدران...

هيا بنا إلى الحمامات العربية، قلت بشيء من الشوق لرؤية ما خيل لي أنه سيرينا وجهاً آخر من وجوه ميورقة، في الطريق إليها تذكرت بعض الحمامات العربية في حي البيازين في غرناطة، وحمامات الخلفاء التي اكتشفت مؤخراً في قرطبة، ومنيت النفس برؤية شيء ما له بعض الملامح التي تدل على أصوله الأندلسية، فثمة العديد من الإشارات في الأزقة تقودك إلى الحمامات العربية، لن أكون مضطراً للتذكير بالماء المنهمر من السماء، الأمر الذي لم أتمكن معه من التقاط بعض الصور لتلك الأزقة الضيقة، ما إن تصل إلى الحمامات العربية حتى تضطر لدفع مبلغ مالي، ولم لا ؟ ألست داخلاً حمامات

عامة؟ تصعد قليلا تحوطك النباتات التي كانت ترتوي بما تجود به السماء من ماء، ونخلة تتوسط حديقة لا ينقصها شيء، ورود من كل صنف ونوع ولون، نباتات خضراء، وعلى يسارك ستجد غرفة دائرية هي الحمامات العربية، تتوسط سقفها فتحات للإنارة، جدران وأعمدة بها آثار حريق يبدو أنه أتى على كل شيء، لا نقوش، لا زخارف، أعمدة رقيقة أنهكتها تصاريف الزمان وأيدي العابثين، علقت عليها لوحة ورقية تحذرك من الاتكاء عليها، وكأنها تقول لك: كفاها ما بها من نحول وهرم، ولوحة أخرى تحاول أن تقدم لك صورة قريبة لما كانت عليه تلك الحمامات...



فتاة ميورقية ترتدي زياً تقليدياً في زقاق ميورقي تقليدي

في طرق وأزقة الحي القديم يرافقك التاريخ، تشعر بعبقه، الجدران، النوافذ، أبواب المنازل، الأقواس التي تزين الأزقة والشوارع تنقلك عبر أحياء قرطبة وغرناطة، وغيرها من مدن الأندلس، ولو نطقت الحجارة التي رصفت بها تلك الأزقة والشوارع لأخبرتنا بما لم تجد به علينا كتب التاريخ...

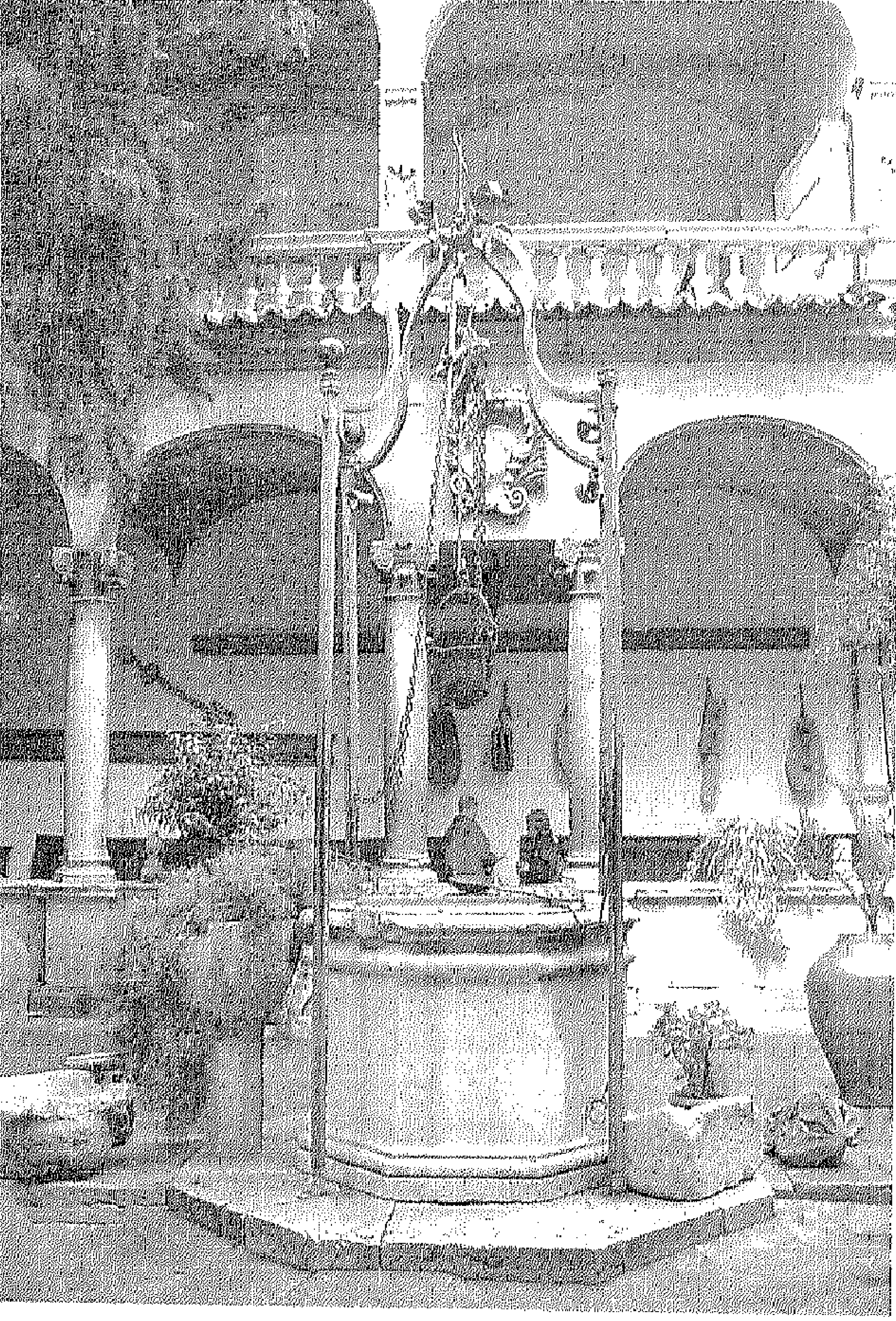
تلك الأزقة والشوارع أتراها تحتفظ سراً بين جنباتها بما كان يدور بين الشعراء والعلماء والفلاسفة والفقهاء الأندلسيين؟ أتراها تحن إليهم وإلى قصائدهم ومناظراتهم ودعاباتهم وخلافاتهم ؟

ميورقة بمساحتها القليلة ـ إذا ما قورنت بمساحة الأندلس ـ اتسعت كثيراً ولم تضق ذرعاً ولا مساحة بمن ضاقت بهم أرض الأندلس، اتسعت كثيراً وضمت في أزقة وشوارع هذا الحي والأحياء الأخرى من مدنها وقراها عدداً كبيراً من العلماء والشعراء والفقهاء والمتصوفة والفلاسفة والمحبين الذين رغم تنوع آرائهم، وتصادمها أحياناً، شدوا الرحال إليها بحثاً عن أمن وأمان وهدوء وحرية فقدتها مدن الأندلس الكبيرة...

## ربحت ميورقة وخسر ابن حزم !!

جلست برهة تحت قنطرة قديمة، لن أغامر وأقول إنها أندلسية التصميم والبناء، أجلت النظر هنا وهناك، أزقة غسلتها المياه فأعلنت عن نفسها، وسمحت لحجارتها بأن تقدم نفسها بوضوح نادر، تساءلت: هل مرَّ من هنا ابن حزم ؟ هل التقى بأبي الوليد الباجي في هذا الزقاق أو في ذاك ؟ ولابن حزم وأبي الوليد الباجي قصة تروى، جرت أحداثها هنا في هذا الحي من ميورقة، لكن لم يعد من السهل معرفة أين التقيا، أين جرت بينهما تلك المناظرات الشهيرة، قدم ابن حزم إلى ميورقة، وكان كعادته مناظراً قوي


هل التقى ابن حزم بأبي الوليد الباجي في هذا الزقاق؟


بئر في بهو الكنيسة التي ربما كانت مسجداً

الحجة، أثرت آراؤه في أهل ميورقة حتى اتبعوه، لكن أبا الوليد الباجي الفقيه المالكي وثلة من الفقهاء المتعاطفين معه جعلوا حياة ابن حزم في ميورقة أمراً مستحيلاً، كسبت ميورقة شهرة كبيرة جراء تلك المناظرات، وفقد ابن حزم مكانته لا في ميورقة وحسب، ولكن في كل الأندلس تقريباً..

**علماء، فقهاء، شعراء... مرّوا من هنا**

كنت وأنا أتجول في أزقة وشوارع الحي القديم أبحث عن أي شيء يشير أو يرمز إلى النعمان المعافري الميورقي الذي اشتهر بتصوفه وتقواه وورعه، وكان يشار إليه بأنه مجاب الدعوة، لكن لا شيء، لا أحد بإمكانه أن يشير إلى مكانه منذ وفاته في هذه الجزيرة سنة 616 هـ..

أين يا ترى كان الحميدي صاحب التصانيف الكثيرة ومن أشهرها (جذوة المقتبس) يبث علمه الذي قال عنه صاحب (نفح الطيب) بأنه أظهره في طرقات وأزقة ميورقة، وترك لها فخرا تباهي به غيرها من المدن ؟ ولعلها تفاخر بغداد الأمس واليوم بالحافظ أبي عامر الميورقي الذي ما إن دخل بغداد حتى اعتبر من (أعيان علماء الإسلام بها)...

أسماء عديدة عرفتها أزقة وشوارع وبيوت ومساجد وقرى وأرياف ميورقة، أسماء لها في العلوم جميعها صولة وجولة، الشاعر الشهير ابن اللبانة

أحد مداخل مدينة ميورقة

الذي توفي بها سنة 498 هـ، أبو الوليد الشقندي الذي خصها بوصف جميل رائع، الشاعر أبو بكر بن عيسى الداني الذي توفي بها سنة 507 هـ، مطرف بن عميرة الذي ألَّف كتاباً وصف فيه سقوطها وتغلب الروم عليها سنة 627 هـ، وما دمنا ذكرنا الداني الشاعر فإنه من الواجب أن نخص «من هو أحق بالتقديم والسبق، الشهير عند أهل الغرب والشرق»، «الذي لم يكن في عصره ولا بعد عصره من يضاهيه في حفظه وتحقيقه»، أحد الأئمة «في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه»، من «له المنتهى في علم القراءات، وإتقان القرآن، والقرّاء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء، وغير ذلك، وله مائة وعشرين مصنفاً»، من قال عن نفسه: «ما رأيت شيئاً قط إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته فنسيته»

إنه الإمام الحافظ عثمان بن سعيد المعروف بأبي عمرو الداني الذي لا يكاد مصحف مطبوع يخلو من اسمه، هذا الإمام أمضى بميورقة ثمانية أعوام يعلم الناس ويؤلف ويناقش، ولكن لا أحد ولا أثر يمكنه أن يدلنا على مكان جلوسه.. أو مكان إقامته، ولو لم يكن لميورقة غير شرف احتضان هذا الإمام لكفاها...



مهما وصفنا حجم التغيير الذي لحق بميورقة فإننا لن نحيط بذلك، طال التغيير كل شيء، ومع ذلك فقد أفلتت بعض الكلمات من عوامل الزوال، ها هو مخبز تعلو مدخله كلمة (فرن Forn) باللغة اللاتينية.. وتحت تمثال (رامون يول) جملة كتبت باللغة العربية، ونصها «لا فضيلة في إرادة بدون محبة»، أما قصر المدينة فلا زال يحتفظ بشيء ما

من الفن الأندلسي المندمج مع الفن المسيحي وعصر النهضة..

أدركنا التعب، بدأنا رحلة البحث عن مطعم لا يرتاده الأجانب كثيراً، وذلك تنفيذاً لنصيحة ثمينة من شأنها أن تمكننا من تناول وجبة ميورقية حقيقية، وفيما كنا على هذا الحال مررنا جوار مبنى يحمل ملامح الفن المدجن وعلى بعد أمتار منه تمثال رخامي ضخم للشاعر روبين داريو، المنظر العام كان فيما يبدو محاولة للمزج بين مرحلتين متباعدتين، تجاذبنا أطراف الحديث مع النادل الذي اكتشفنا أنه من كولومبيا، سألناه بشيء من الحذر عن الوجبات التي يقدمها هذا المطعم، ويبدو أنه فهم ما نرمي إليه، قال وهو يمرر قطعة قماش مبللة ليمسح بها وجه طاولة عتيقة: أنتم محظوظون مرتين، الأولى أنكم دخلتم قبل أن يقفل هذا المطعم أبوابه، والثانية هي أنكم في المطعم الوحيد في هذه المنطقة الذي يقدم المأكولات الميورقية العريقة، قبلنا ما قاله على مضض.. ولعل ما تناولناه كان شبيهاً إلى حد ما بما يقدم في كل اسبانيا.. وعوضاً عن القيلولة التي تشتهر بها شعوب البحر المتوسط أكثر من غيرها تناولنا كوباً من القهوة...

### بلد موسى

على مقربة من مكتب الاستعلامات السياحية تقع محطة القطار العتيق والحافلات الحديثة، كانت الحركة هادئة تماماً، فكّرنا أن القوم في قيلولة، لكن الأمر في حقيقته كان عدم وجود سواح كثر في هذه الفترة، اكتشفت صعوبة زيارة ما كنت أنوي زيارته،



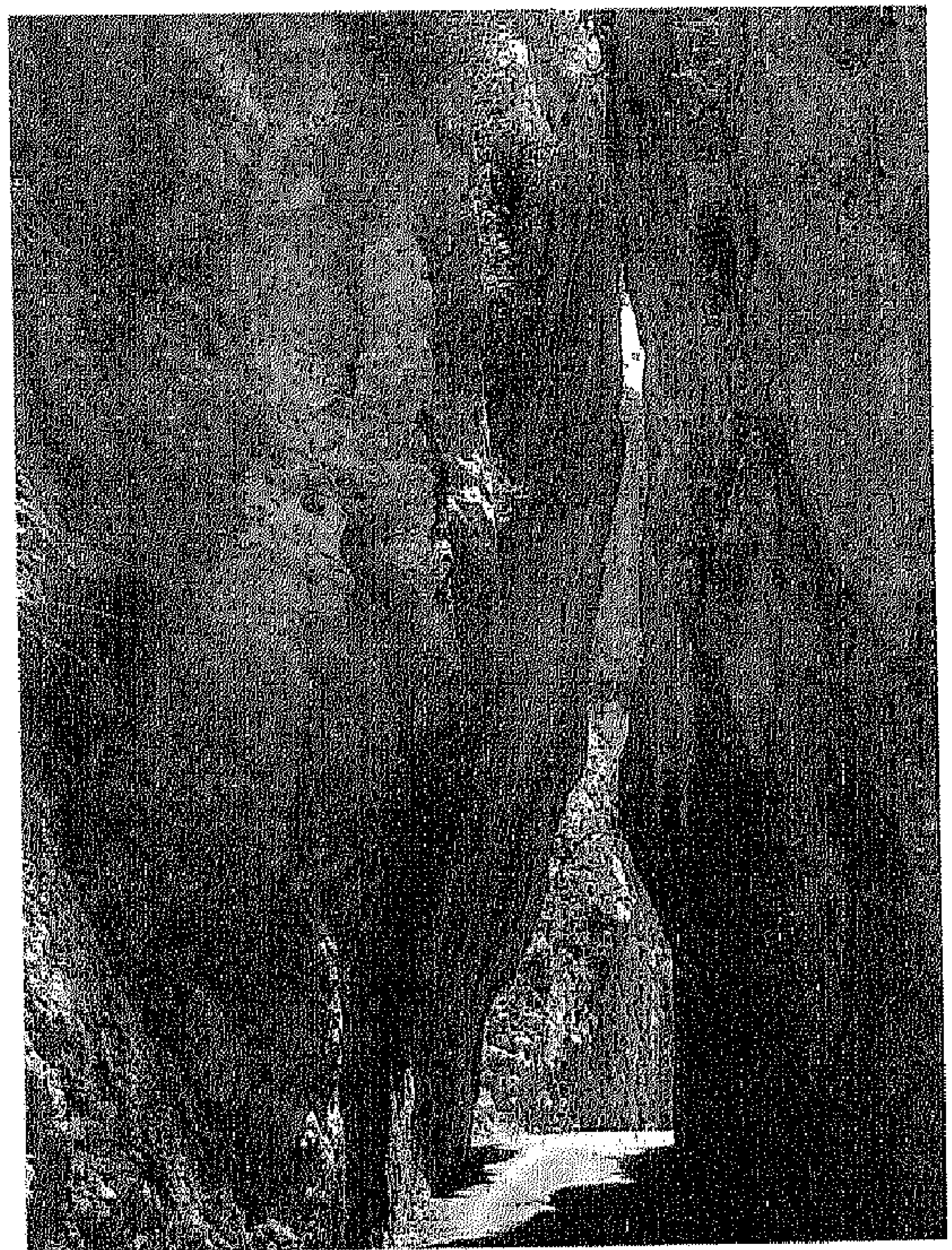
كلمة (فرن) على مدخل أحد المخابز

القصر العربي وخلفه الكنيسة إلى اليمين، تمثال رامون يول، وعلى قاعدة التمثال باللغة العربية: لا فضيلة في إرادة بدون محبة...

فالقرى والمدن متناثرة في كل الجزيرة تقريباً، بعضها في الشمال الشرقي، وبعضها في أقصى الشمال، ومدن وقرى أخرى تقع في أقصى الجنوب، ولكن إذا كانت الأهداف كباراً تعبت في مرامها الأجسام، مع الاعتذار لهذا التحوير الذي أدخلناه على البيت الشهير...

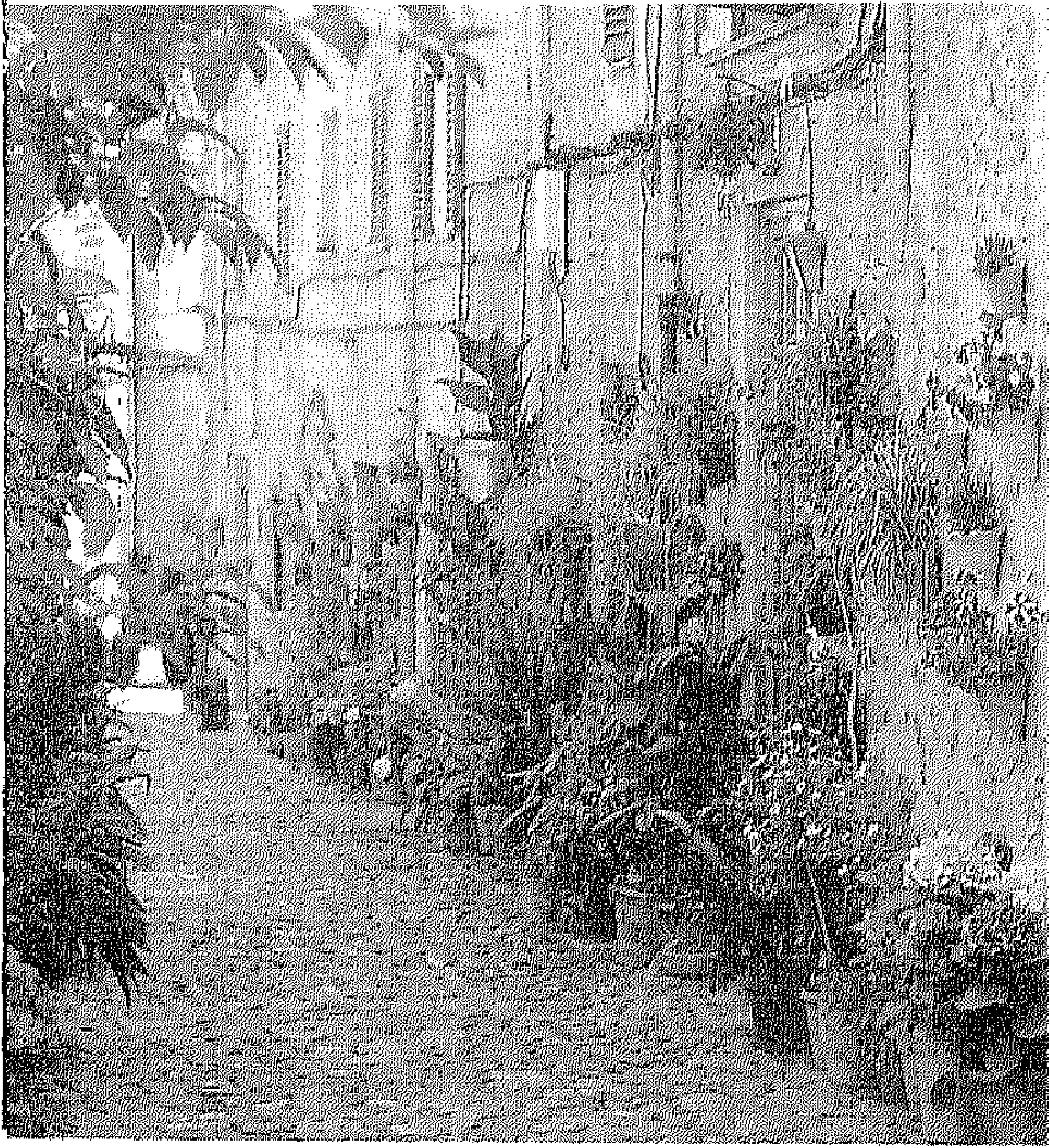
ما إن تغادر المدينة حتى تكتشف عدداً آخر من وجوه ميورقة، السهول والمرتفعات، الوديان والجبال، المزارع والحقول، قطعان الماشية، طواحين الهواء، تجد نفسك أحياناً في أعلى نقطة من الجزيرة، وأحيانا تعبر طريقاً بين صخرتين...

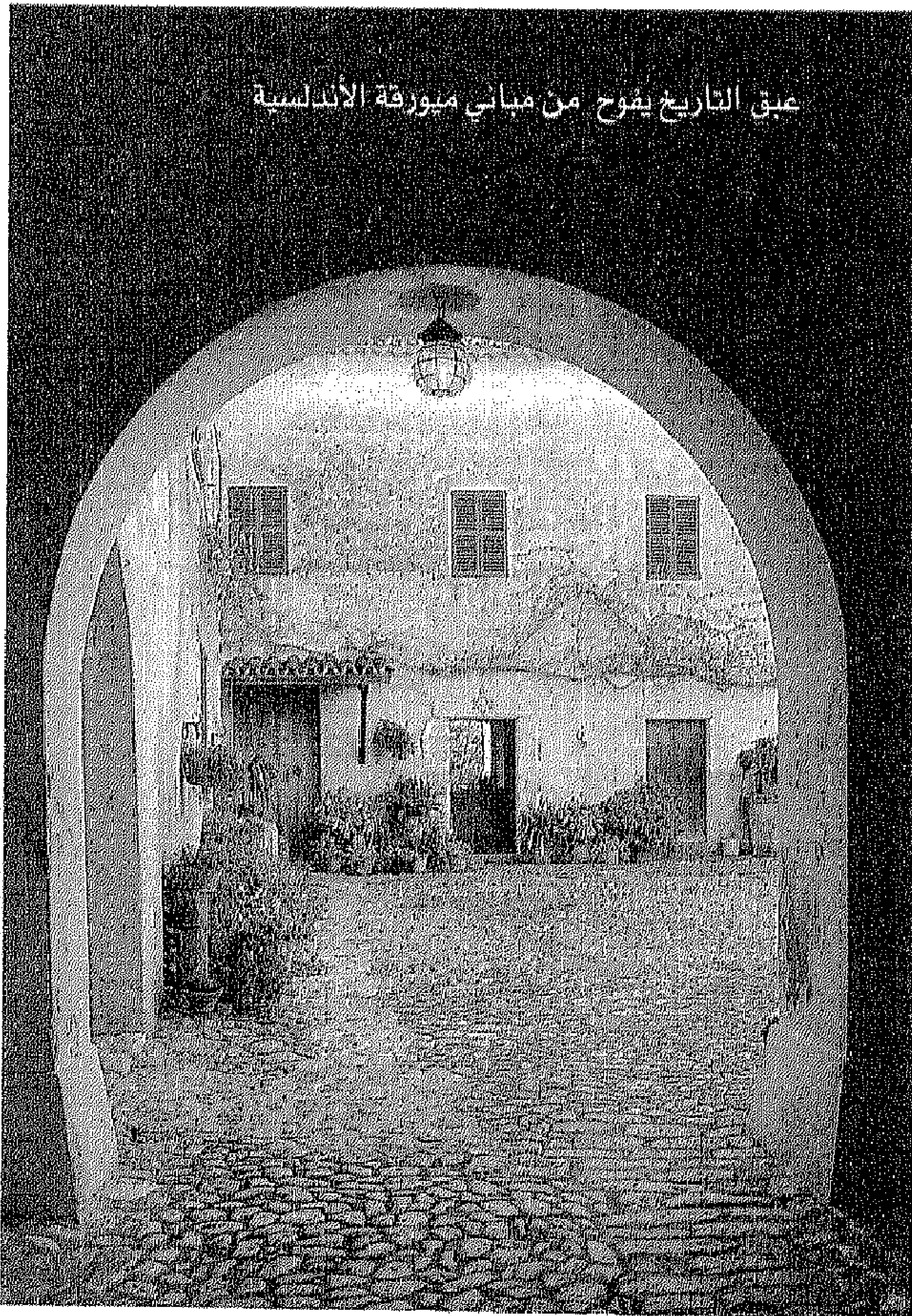
كنت كالعادة حين بدأنا نتعلم اللغة الإسبانية نقرأ كل شيء: أسماء الشوارع، أسماء المحلات، لوحات الإعلانات، وفي هذه الرحلة أيضاً كنت أمارس هذه



.. وأحياناً تمر بين صخرتين..

> قتل الشاعر ابن اللبانة من قبل الحملة البحرية التي قادتها بيزا وبرشلونة، تلك الحملة التي أنهت الحياة الثقافية الرائعة والمتميزة لجزيرة ميورقة، ابن اللبانة، تلك الشخصية المتميزة والرائدة، لو أنه مات في بلد آخر لصنع له تمثال ضخم في أهم المواقع، ولكتبت أبيات شعره التي قالها في ميورقة باللغات الثلاث الحية: العربية والميورقية والقشتالية (الاسبانية).
>
> الكاتب الاسباني: خوان خوسيه بايي


زقاق في بلد موسى...


عبق التاريخ يفوح من مباني ميورقة الأندلسية

الهواية، وفجأة تسمرت عيناي على لوحة كبيرة تشير إلى: بلد موسى، نعم، بلد موسى، والتي تكتب بلغة القوم هكذا: valldemossa، وإلى الشرق منها: الجابية.. بلد موسى قرية شمال (بالما دي ميورقة)، ولعلها القرية الأكثر شهرة باسمها العربي وأزقتها الضيقة ذات الطابع الأندلسي، وبيوتها التي لا تزال تختزن ملامحها الأندلسية، أما برج كنيستها فهو أقرب إلى مئذنة مسجد منه إلى برج الكنيسة.. تنام على سفح مغطى بالأشجار من كل جانب، تحيط بها بعض المدرجات الزراعية، تتميز مبانيها المشيدة بالحجارة بنوافذها وأبوابها ذات اللون الأخضر، الأزقة حدائق مفتوحة ذكرتني بمنازل قرطبة أيام مهرجان الزهور، معظم شوارعها وأزقتها مبلطة بالحجارة..

هي القرية الأكثر شهرة، لا على مستوى الجزيرة أو اسبانيا، بل على المستوى العالمي، إليها تشد الرحال، وفيها أمضى عدد كبير من الكتاب والأدباء

برج كنيسة هو أقرب إلى مئذنة مسجد... في بلد موسى

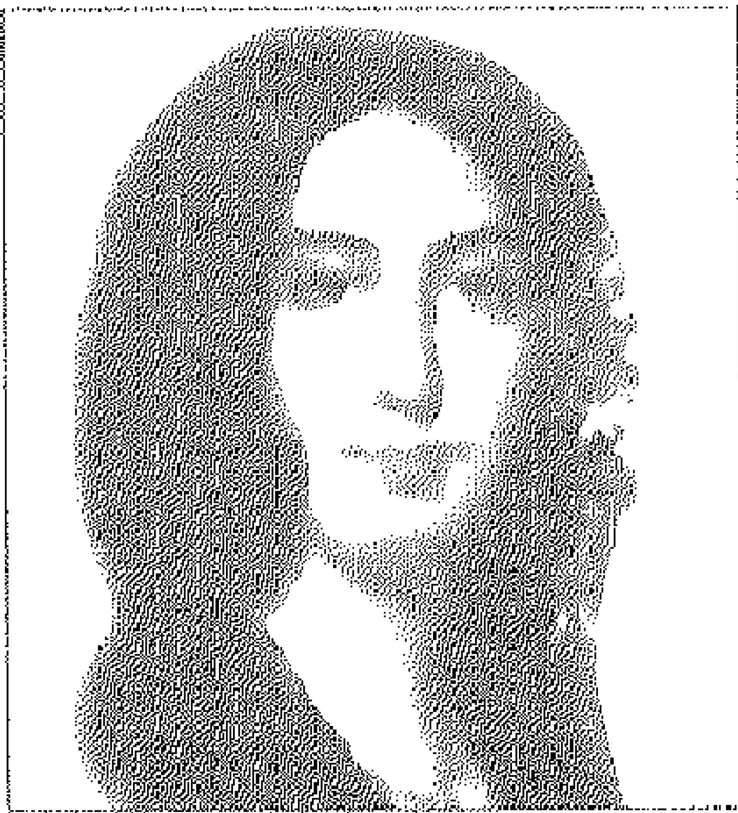
أفضل أوقاتهم، عاش فيها الموسيقار شوبان بين عامي 1838 ـ 1839 مسيحي لأسباب صحية حيث نصح بالبقاء فيها حتى تتحسن صحته، وللسبب ذاته قدم إليها الشاعر روبين داريو سنة 1913 مسيحي وفيها كتب عدداً كبيراً من قصائده، وخصها بكتاب أسماه (ميورقة الذهبية)، كما استوحت منها الكاتبة الروائية جوج ساند فكرة كتابها (صيف في ميورقة)، وأمضى



سيدة من بلد موسى ترتدي الزي التقليدي



شوبان



جوج ساند

معصرة زيتون... هي ذاتها التي نجدها في قرانا العربية..

فيها لويس سلفادور دوق النمسا فترة من الزمن حيث وضع موسوعته حول جزر البليار.. كما شهدت بلد موسى تأسيس أول مطبعة في الجزيرة سنة 1276 من قبل رامون يول..

بلد موسى تشدك إليها ببساطتها، ودفء وحميمية أزقتها وشوارعها، وستلاحظ تمسك سكانها بزيهم التقليدي الذي يعود إلى المرحلة الأندلسية..

## الضيعة

تقع بلدة الضيعة شمالي بلد موسى، أسسها الأندلسيون ومنحوها اسمها، التعرف على أصلها الأندلسي لن يكون من خلال اسمها فحسب، بل ومن خلال جمال شوارعها وحسن تنظيمها، وطرق الري التي ابتدعها الأندلسيون والتي لا تزال تستخدم حتى

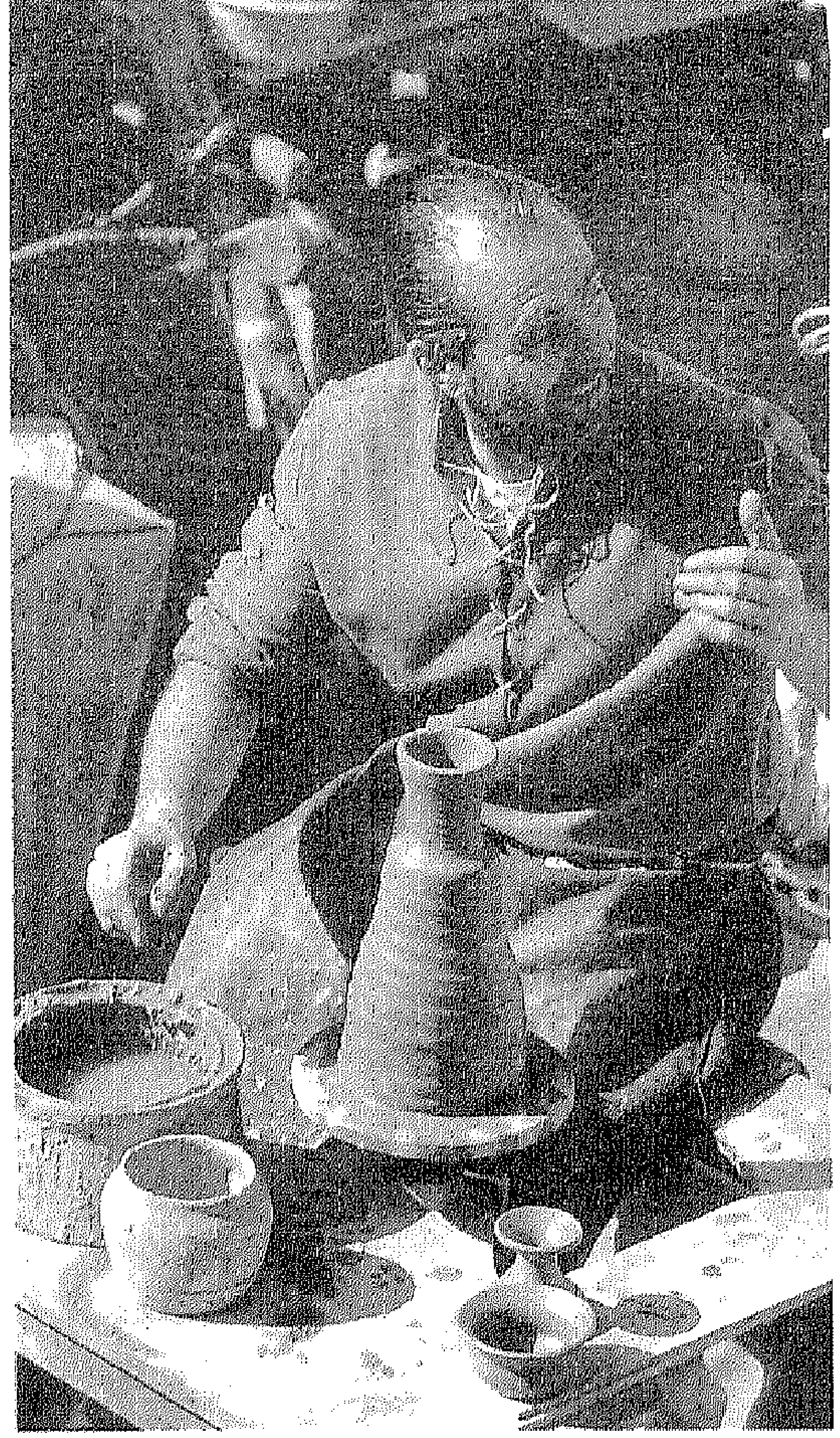


مدرسة الجمال الأندلسية تتضح في قرى ميورقة...

الآن، جمالها الذي ساهمت في إبرازه بيوتها الأندلسية وشاطئها ومرتفعاتها دفع بالكاتب الإنجليزي روبيرت غرافيس إلى اختيارها ليمضي فيها بقية حياته، وظل مدافعاً عن طابعها الأندلسي المتميز، لن تستغرب كثيراً حين تجد موسيقياً عالمياً يجلس وحيداً جانب شجرة أو نخلة أو في حقل زيتون يعزف لحناً ربما سيعتبر فيما بعد قطعة موسيقية عالمية...

## قبائل عربية في الطريق إلى سوبير والكدية

وأنت في شمال ميورقة وفي الطريق إلى سوبير أو الكدية تصادفك قرى لا تزال تحمل اسماء عربية، صحيح أنها مكتوبة بلغتي القوم الإسبانية والميورقية، لكن لن تخطئ أصلها العربي: بنو عريش، بنو سالم، بنو عمار، بنو خلدون، بنو مراد.. وغيرها كثير.. الأمر المؤكد هو أنك لن تجد سالماً أو عماراً أو مراداً، رغم وجود أسمائهم في لوحات كبيرة.. لم يبق من مراد وعمار وسالم وخلدون سوى أسماء القرى أو احتفالات سنوية ابتدعها السكان الجدد تعرف بـ: عرب ومسيحيون Moros y Cristianos كما يسميها كل



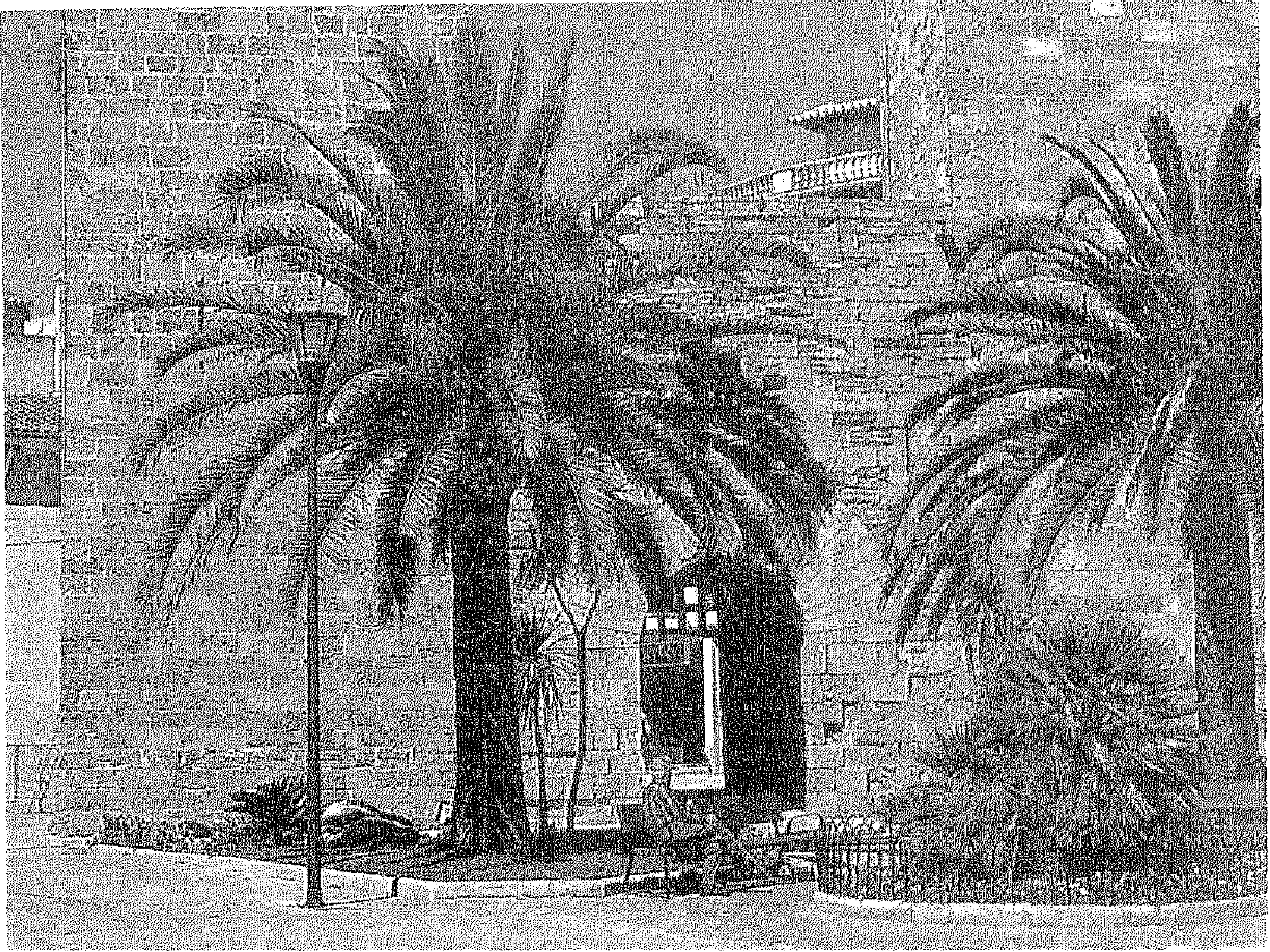
صانع الفخار، ملامح مشتركة ميورقية أندلسية عربية...



سيدة ميورقية



طفلة من بني سالم ترتدي الزي التقليدي.. معلم أندلسي واضح..

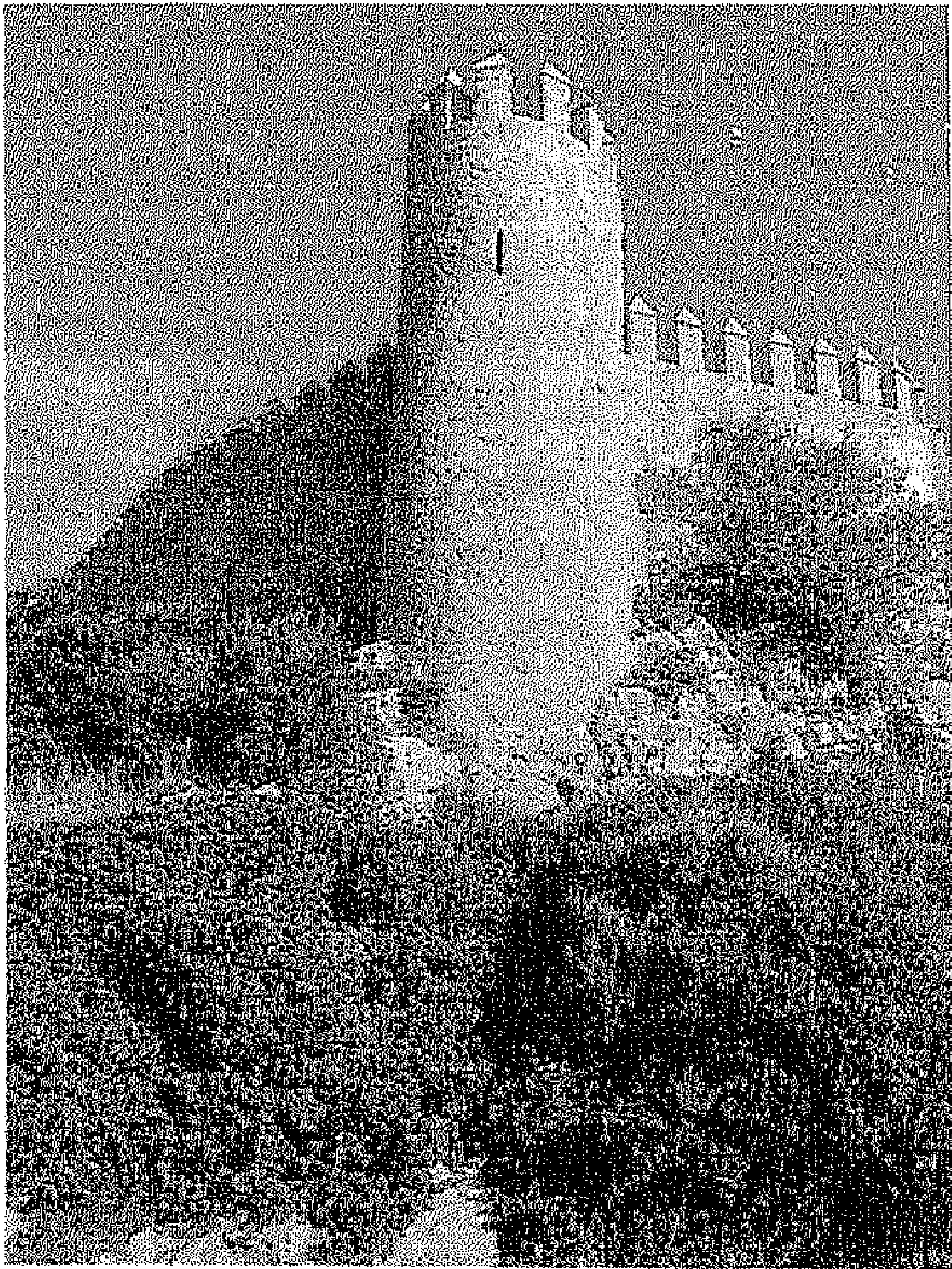


بوابة أندلسية التصميم والطراز في قرية الكدية..

إسبان المنطقة الشرقية.. عدا ذلك فعليك أن تكتفي ـ مثلي تماماً ـ بمحاولة استنطاق بيوتها وأزقتها وشوارعها ذات الطابع الأندلسي لعلك تسمع شيئاً جديداً..

بعد قرية بني بونا تصل إلى بويينشا، ومنها استوحت أغاثا كريستي روايتها (مكيدة في بويينشا)، ولم ينس سكان هذه القرية مواجهات مع الأتراك بقيادة درغوث باشا سنة 1550 مسيحي حيث يحيونها سنوياً باسم: عرب ومسيحيون، وربما كانت تلك الغزوة التركية تمهيداً لاحتلال طرابلس سنة 1551 مسيحي رداً على ما فعله أهالي بويينشا وشمال ميورقة.. ربما..

الكدية: واحدة من أهم القرى التي احتفظت بملامحها التاريخية من خلال الحي القديم، تبرز



قصر أندلسي في أرطا

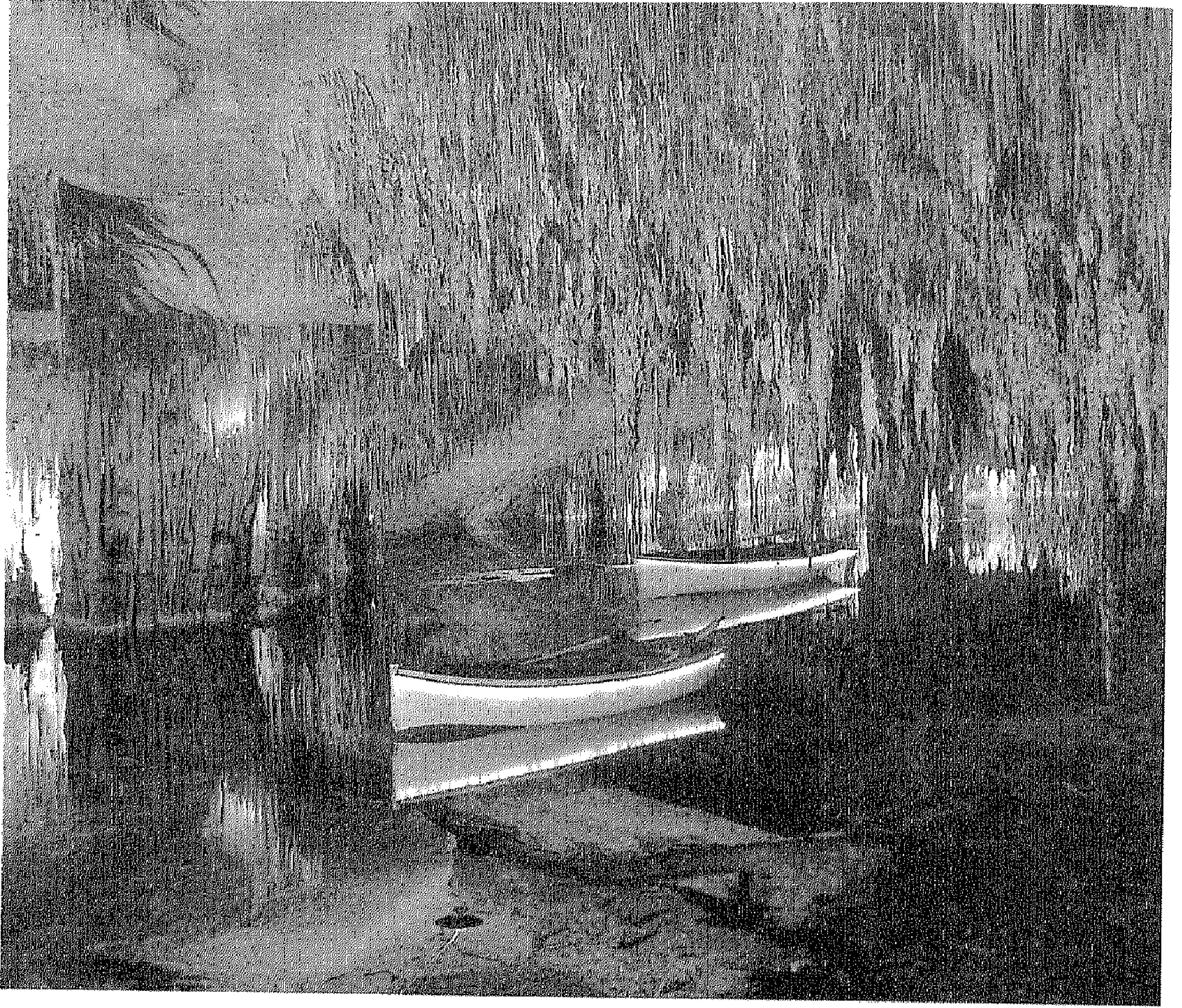
ملامحها العربية من خلال منازلها ذات الطابقين والأسوار التي لا تزال في مصالحة مع الزمن، إلا أن أهم معلم لا يزال قائماً هو بوابتها الأندلسية، كانت هذه المنطقة تتبع مدينة دانيا التي تقع إلى الغرب من الجزيرة على الشاطئ الشرقي الإسباني، أما أرطا فهي أحد الأقاليم الثلاثة عشر التي تشكلت منها جزيرة ميورقة أثناء العهد الأندلسي، ولا تزال بعض حصونها وأسوارها في حال جيدة، تشتهر بكهوفها ومغاراتها ذات الأشكال المتميزة، يقولون أن عدداً كبيراً من سكانها غادرها إلى أمريكا في القرن التاسع عشر، مثلما هاجر سكان مدينة (سانتا في) إلى شمال إفريقيا، خاصة مدن الجزائر الساحلية..

## القصر الدائري الوحيد

حادثتان جعلتا من زيارة ميورقة أمراً لا ينسى، يربط بين الحادثتين: المطر وأكثر من ثلاثمائة درجة كدت أصعدها في جو ماطر لا نظير له.. قبل أن تميل شمس اليوم الثاني إلى المغيب، وبعد الاطلاع على أهم ما يميز ميورقة، كان لا بد من زيارة قصر بيبفير الذي شيد على ربوة عالية تطل على المدينة من الجانب الغربي، وهو القصر الإسباني الوحيد المبني بشكل دائري، كدت من أجل الوصول إليه أن أصعد ما لا يقل عن ثلاثمائة درجة، لكن الأمر لم يحدث لأنه كان مستحيلاً مع المطر المنهمر! كان لا بد من وسيلة توصلني إلى هناك،



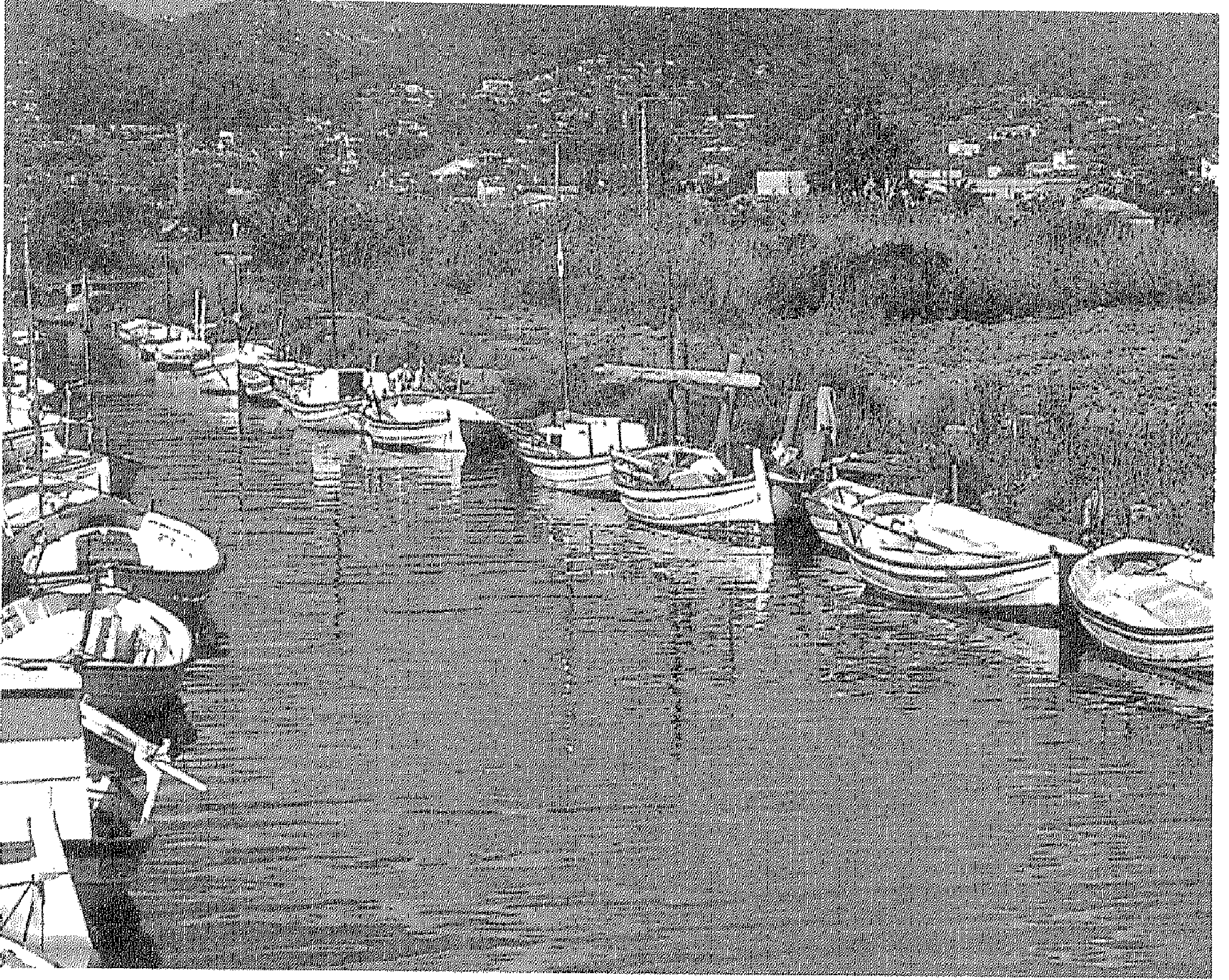
أحد أبراج حصن بيبفر



مغارة طبيعية في ميورقة

وجدت حافلة خيل إلي أنها تحمل الركاب إلى ذلك المرتفع، في آخر محطة قال لي السائق: هذه هي المحطة الأخيرة، لم يكن أمامي وصديقي الذي لم يعد بإمكانه الصبر أكثر سوى البحث عن وسيلة مواصلات أخرى تقلنا إلى بغيتنا، ولأول مرة نضطر لاستعمال سيارة أجرة، وطالت الرحلة، لكننا وصلنا، من المهم جداً أن تختار الركن الذي تستطيع من خلاله رؤية المدينة بكاملها، لكن المطر المنهمر ربما لن يمكنك من ذلك، قيل لنا ونحن ندفع رسم الدخول أن القصر يعتبر الوحيد من نوعه، وأنه بني على فترات من قبل الأسبان بعد أخذهم مدينة بالما، القصر عبارة عن دائرة من طابقين: الأول يحوي غرفاً متصلة عرض فيها تاريخ المدينة منذ ما قبل التاريخ وحتى يومنا هذا، المرحلة الأندلسية عرضت على استحياء، رغم أن المؤرخين الذين كتبوا عنها أكدوا أنها عاشت أزهى عصورها في المرحلة الأندلسية..

في الطابق الثاني متحف مليء بالتماثيل الخاصة بالقادة العسكريين، من رومان وبيزنطيين وإسبان، أما الأندلسيون فلا مكان لهم في هذا العرض العسكري المتجمد.. صعدنا إلى سطح القصر لنرى جبالاً تعانق السحب الركامية، ثم تختفي الجبال لتبقى تلك السحب، ولا داعي مرة أخرى للتذكير بنتائج تلك السحب...



مراكب صيد صغيرة تنتشر في كل ساقية

حتى تعود إلى المدينة أمامك أحد حلين، إما أن تتصل بشركة ما لترسل لك سيارة أجرة، وإما أن تقطع المسافة مشياً على الأقدام، وهذا ما اخترناه، تذكرت محاولة صعودنا وقررت أن أحصي عدد الدرجات التي كنا نحاول صعودها !! فاق عددها الثلاثمائة، ثم اكتشفنا ونحن نعود إلى فندقنا ذي النجمتين أننا حين قدومنا للمرة الأولى اخترنا الطريق الأبعد والأصعب، أكثر من ثلاثين دقيقة صعوداً، لكننا اكتشفنا أن الأمر كان أسهل بكثير، فالأمر لا يتطلب أكثر من خمس دقائق عبر صعود سلم حجري يمر أمام بيوت عتيقة لا تزيد عدد درجاته عن المائة...

## مع (الميورقي) وبني غانية فوق السحاب

وكأي زائر يغادر مدينة ما عرجت على أحد المحلات التي توفر فرصة اقتناء ما يذكرني بالساعات القلائل التي أمضيتها في رحاب هذه الجزيرة، الاختيارات صعبة لعدة أسباب.. من أهمها تنوع المعروض وارتفاع ثمنه، ولتحقيق هدف كهذا عليك أن تتجول بين عشرات الأماكن والمحلات في محاولة منك لاختيار شيء ما من أشياء كثيرة لا تحصى، وبعد وقت ليس بالقصير وجدت نفسي أمام مكتبة صغيرة علقت على مدخلها صور قديمة لبعض معالم الجزيرة.. دخلت.. اقتنيت بعضها.. وفيما كنت أغادر تلك المكتبة لمحت كتاباً على غلافه كلمة



بيوت مسقوفة بالجبال

عربية، اقتربت، أخذت الكتاب، كان عنوانه (الميورقي).. ودون أدنى تفكير اقتنيته، تذكرت أني اطلعت عليه ـ وبشكل سريع ـ منذ أشهر..

وأنا استعد لمغادرة الجزيرة خُيل إلي أنها غادرت التاريخ من باب التأثر والتأثير، وغدت مجرد مربع سياحي يستقطب أسماء لا تجد فيها غير شواطئ وسهول وقرى يسكنها الهدوء.. خُيل إلي أنها لن تزيد عن كونها مساحة للسياحة، لكن كتاب (الميورقي) كان عاملاً مهماً في تغيير وجهة نظري، كما أنه كان عاملاً مهماً في تبديد جزء من الملل الذي يداهم أي مسافر وهو ينتظر ساعات في مطار يسكنه الهدوء..

(الميورقي) رواية تسافر بك إلى الماضي أحياناً، وتضع الماضي بين يديك أحياناً.. حاول مؤلفها خوان خوسيه بيبا ـ من خلال إعادة صياغة حياة أحد أفراد أسرة بني غانية الذين حكموا الجزيرة ـ أن يقول من خلال دمج وقائع تاريخية بخيال منبهر بالأندلس عن ميورقة أنها جزيرة لا تستحق أن يلفها النسيان، أو يحيلها إلى مجرد مرابع للسياحة.. رواية يقول مؤلفها إن شخوصها وأحداثها ومعاركها ليست من بنات الخيال..

يعيب المؤلف على أهل ميورقة ـ والأسبان عموماً ـ ذلك التجاهل الكبير للجزيرة ودورها في عهدها الأندلسي، ويستغرب كيف أن عدداً من المؤرخين العرب لم ينقصوا من قيمتها، ولم يغمطوها حقها، بينما لا يكاد يذكرها مؤرخ إسباني واحد بما يليق !! وحاول من خلالها تقديم وجه آخر من وجوه ميورقة..

وفيما كنت أتصفح الرواية تلقيت مكالمة هاتفية من صديقي الذي أنبأني أنه تحصل على مقعد في طائرة تغادر بعد نصف الساعة إلى منورقة.. تبادلنا عبارات الشكر والتقدير.. سألني فجأة: هل تعتقد أن الرواية التي اقتنيتها ستضيف شيئا جديداً ؟ قلت: لمن؟ أجاب: لك ولميورقة.. قلت: هذا أمر سابق لأوانه.. وقلت في نفسي: لا بأس من الإبحار إلى ماض بعيد، بعيد جداً مع (الميورقي) وقصة بني غانية..

في الطائرة وعبر نافذتها.. لاحت بعض التفاصيل لأرض خضراء.. وبدلاً من أن يغطينا السحاب ها هو يغطي كل وجوه ميورقة.. وفيما كانت الطائرة تقتحم السحب التقطت بعض الصور لما رأيت أنها لوحات نادرة رسمتها السحب التي كانت تحجب كل شيء لتنفتح نافذة على أفق لا حدود له.. ها نحن نفترش السحاب.. ولا غطاء لنا غير فضاء لا تدرك حدوده.






- من آثار عبقرية المسلمين في إسبانيا عند جوزيف ماكيب
- القابض على الجمر في رحلة البحث عن الذات
- وامعتصماه!! (شعر: عمر أبي ريشة)



# من آثار عبقرية المسلمين في إسبانيا عند جوزيف ماكيب

جوزيف ماكيب Joseph Macape



غلاف الكتاب ترجم إلى العربية

جوزيف ماكيب راهب إنجليزي ولد في سنة 1867 م، تعلّم في الأديرة، وعاش بداخلها اثنتي عشرة سنة خلّفت في نفسه آثاراً سيئة كما يقول عنها في كتاباته، وانتهى به المطافُ إلى الإلحاد والكفر بالأديان. أجاد عدداً من اللغات، وصنَّف نحو مائتي كتاب في فروع المعرفة المختلفة، وترجم ثلاثين كتابا. ومن تآليفه :

* كتاب الأخلاق 12 جزءاً.
* مفتاح التهذيب 40 جزءاً.
* الخرافات العامة جزء واحد.
* الحكاية الحقيقية للكنيسة الكاثوليكية، 6 أجزاء.
* مدنية المور ( المغاربة ) في الأندلس، جزء واحد.

وهذا الكتاب الأخير مع ما فيه من هجوم شرس على الأديان إلا أنه أنصف حضارة المسلمين في الأندلس.

يقول جوزيف ماكيب في كتابه (مدنية المور في إسبانيا) الذي ترجمه عن الإنجليزية د. محمد تقي الدين الهلالي تحت عنوان (مدنية المسلمين في إسبانيا) :

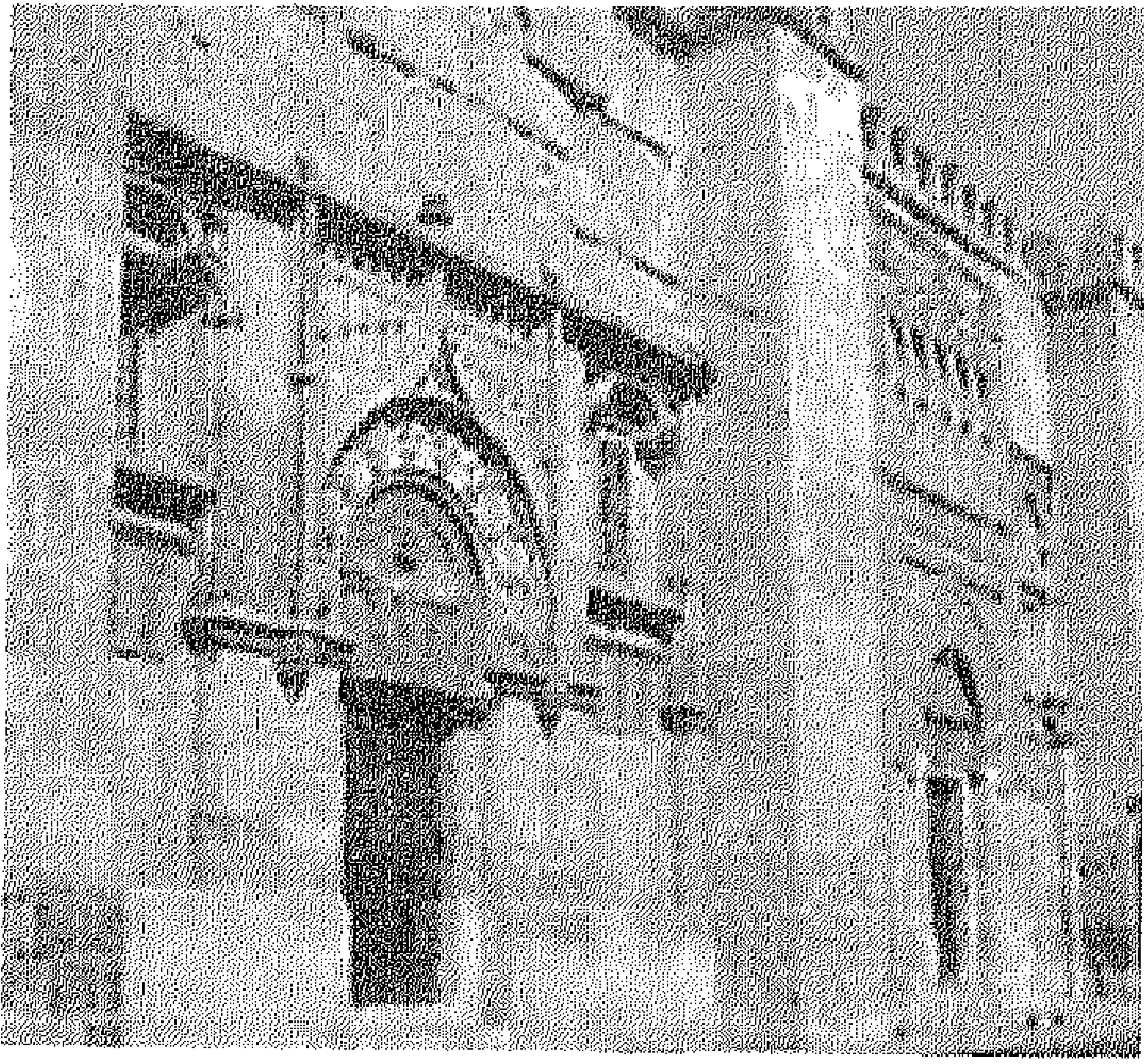
« في سنة 1085 م استردّ الإسبانيون أقصى مدينة في الشمال من أيدي العرب، وهي طليطلة قاعدة ملك الإسبانيين القديمة. وهذه المدينة اليوم في حالة تدلّ على ما جناه الإسبان على المدنية في قضائهم على العرب .. حين رُفِسَت المدنية تحت الأقدام وتلاشت.. ومن العجيب ألا نجد إلا قليلاً ممن يعرفون أنّ قُرطُبَةَ كانت تضاهي في عظمة مجدها بابلَ وروميةَ وبغدادَ مع أنّ عهدها ليس ببعيد. ولا أريد اليوم بهذا النوح والعويل الدائم أن أهيج سخط الناس على الدّين الذي ألهم الإسبانيين أن يبيدوا هذه المدنية العظيمة. وأنا أشدّ تأسّفاً وتحسّراً على خسارة النوع البشري مني على جناية أولئك الجناة.

لو عمّت أفكارُ قرطبَةَ وعلومُها وتهذيبُهَا جميعَ أوروبا لبلغت أوج المدنيّة، وتقدّم العلمُ فيها تقدّماً عظيماً في القرن الثالث عشر، ولكانت أميركا وسائر بقاع الأرض قد اكتُشِفت قبل تاريخ اكتشافها، واستعمرت بِحكمة وإتقانٍ أكثرَ وأسْبَقَ مما وقع لها، ولكان النوع البشري بأسره اليوم متمتعاً بثروةٍ ورفاهية، ورقي وحرية، وسموّ فكرٍ مثلما سيكون حوالي سنة 2500 م.

لم يبق من آثار قرطبة في القرون الوسطى إلا أثرٌ

واحدٌ وهو جامعها الذي لا يزالُ إلى اليوم يسميه أطفال قرطبة مسجداً، ولولاه ما تجشّم أحدٌ عناء السفر لمشاهدة قرطبة، ولو كانت على خمسة أميالٍ منه. وهو أعظم معبد في الدنيا بعد كنيسة سانت بطرس، وهو آيةٌ لا نظير لها من الهندسة والبناء. وظاهر هذا المسجد لا يستولي على اللب . ولم يكن المغاربة ( المور ) الذين يُفَضّلون الإقامة داخل البيوتِ أكثر من الإقامة خارجها يهتمون نسبياً كثيراً بالظاهر. وأما في الداخل فهناك العجائب إذا دخلت الجامع من أيّ بابٍ من أبوابه التسعة عشر. وله سقف خشبي منخفض نسبياً قد زُخرف بالأرجوان والذهب. وفي الأعياد الكبيرة توقد مائتان وثمانون ثريا من الفضة والنحاس، يحترق فيها زيت العطر، وتتلألأ فيه آلاف كثيرة من المصابيح، فتلقي أنوارها على ذلك المشهد. وأكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية وثلاثين قدماً، وتحمل ألفاً وأربعمائة وأربعاً وخمسين مصباحاً، ولها مرآة تعكس النور، فيزيد شعاعه تسعة أضعاف...

لقد قرأت جميع التآليف التي أُلّفت في سيرة المغاربة، مستندة على ما كتبه المعاصرون لهم، فرأيتُ يقيناً لا ريبَ فيه أنّ أخلاقهم كانت سامية.. وأمّا غيرتهم على شرفهم وشهامتهم فهناك ألفُ قَولٍ وألفُ عَمَلٍ يُجليها لك في أكبر التآليف التي أُلّفت في تأريخهم وقد ظهرت آثارُها في شهامتهم المعروفة في الحروب. وليس ظهورها بأقلّ من ذلك في تسامحهم مع السكان والزوّار من النصارى ما داموا مستقيمين في سلوكهم وفي معاملتهم لليهود بمقتضى الأخوّة التامة، وكرمهم واهتمامهم بالمرضى واليتامى والأرامل والفقراء. لقد كانوا يرعون أوامر الإنسانية حق الرعاية في الإحسان إلى المرضى والمحتاجين، وقد حافظوا على تلك الأوامر تديّناً وكرماً أكثر من محافظة النصارى على مواعظ المسيح التي كان يلقيها على حواريه من



مسجد قرطبة

فوق الجبل. وإذا درست التواريخ حق دراستها ترى إنما يتبجّح به النصارى من كونهم متمسكين بأعمال الخير والأخوّة التي جاء بها الوحيُ يتضاءل ويتلاشى أمام ما عمله المغاربة من ذلك. والغيرة على بثّ العلوم كانت عامة في ملوك المغربيين، وكان في كلّ قرية مدارس كافية لحاجة أهلها، وكان التعليم فيها قائماً على أفضل التسهيلات وأنفعها. وكلّ الأطفال الذين قعد بهم العُدْمُ عن التعليمِ كانت الحكومة تعتني بهم وتؤسس لهم مدارس مجانية على نفقتها. وعل هذا نقول إنه يتعذّر أن يوجد فلاح أندلسي لا يعرف القراءة والكتابة في حين كان ملوك بقية أوروبا لا يقدرون أن يكتبوا أسماءهم في توقيعاتهم، وكذلك أشراف الروم من أعلى الطبقات لم يكونوا قادرين على القراءة والكتابة، وتسعٌ وتسعون في كلّ مائةٍ من أهل الممالك النصرانية كانوا أميين تماماً.

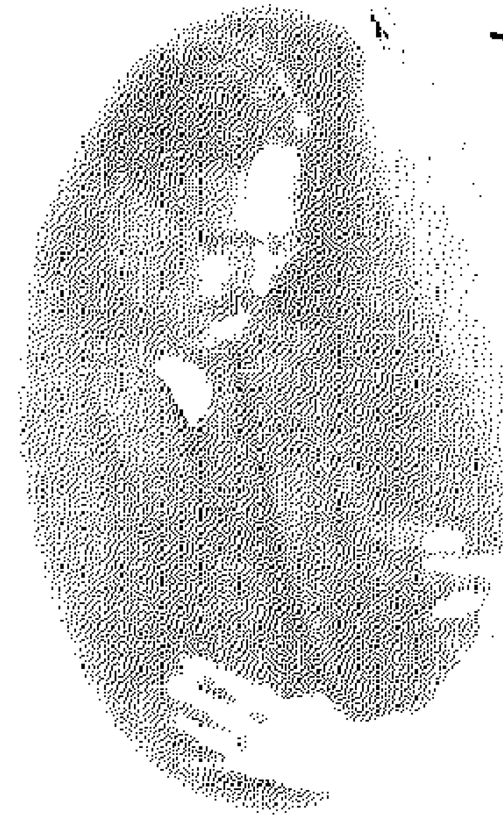
ولم تكن حرّية الفكر في الأندلس، التي أقلّ ما يقال فيها أنها كانت حالها أعلى وأجلّ بكثيرٍ منها في الممالك النصرانية، وحدها التي تغذي حبَّ العلم والولع به، بل كان يثيره إجلال العلماءِ الذي زال من الدنيا بزوال دولة الأندلس، ولم يرجع بعدُ إلى الدنيا.



# القابض على الجمر في رحلة البحث عن الذات

## أسرار خودي

محمد إقبال



محمد إقبال شاعرٌ فيلسوف، انشغل بالكشف عن الأدواء التي أنشبت أظفارها في جسد الأمة وَجَدَّ في البحثِ عن العلل التي مستها حتى غدت جسداً سقيماً مرتعاً للأوصاب.

أدرك هذا الفيلسوف اليقظ، والشاعر المرهف، أنّ بلية هذه الأمة في الانسلاخ عن عقيدتها، فشرع ينبّه في أشعاره ودروسه إلى حقيقة أن سرّ عظمة الإسلام تكمن في تحرير الذات الإنسانية من عبودية العباد، وإخلاص العبادة لرب العباد، فكان منبراً قوياً يحارب البدعة والخرافة والدجل، ويدعو إلى تنقية الإسلام من الشوائبِ التي ألصِقَت به ظلماً وعدوانا. فكتب أعظم مناجاة عن النفس المؤمنة المطمئنة التي هي مستودع الإيمان، والتي هي مبعث القوة واليقين. فكان ديوانه الشهير أسرار خودي أو أسرار الذات. كان إقبال الفيلسوف والشاعر العبقري المجدّد يقول: «إن أدب اليأس لا يمكن أن يخلد في الدنيا أبداً، لا بدّ أن يكون الأدبُ داعياً إلى الأمل والرجاء في حياة الأمة».

لقد استرعى ديوانه (أسرار خودي) انتباه الغرب لمّا تَرجمه نيكلسون إلى الإنجليزية في سنة 1920 بسبب الخواء الروحي الذي يعانيه. لقد وَجَدَ الغَرْبُ فيه نفحةً إيمانيةً مشبوبةَ العاطفة يكتنفها فهمٌ عقليٌّ مستنير. ولذلك ربطته صداقات علمية بنخبة من كبار المستشرقين من طبقة توماس آرنولد، ونيكلسون.

لقد كانت ترجمة ديوان (الأسرار والرموز) إلى العربية أجمل هدية قدّمها د. عبد الوهاب عزام إلى قراءِ الضاد في الخمسينيات من القرن العشرين، تُضَافُ إلى جملة مكارمه في خدمة الأدب العربي التي ضمّت ترجمته لدواوين إقبال الأخرى: ضرب كليم، ورسالة المشرق.

أنا لَحْنٌ دون ضَرْبٍ صَعَدَا
أنا صوتٌ شاعِري يَأتي غدا
دون عَصْري كُلُّ سرٌّ قد خَفِي
ما بِهَذي السوقِ يُشرى يُوسُفي
أنا في يَأسٍ من الصَّحْبِ القَديم
مُشْعَلٌ طوري لِيَغْشاه كليم
بَحْرُ صَحْبي قَطْرَةٌ لا تَزْخَرُ
قَطْرَتي كَاليَّمِّ فيهِ صَرْصَرُ
مِن وُجودٍ غيرِ هَذا لي غِناء
وِلِرَكْبٍ غيرِ هذا لي حُداء

كَمْ تَجَلّى شَاعِرٌ بعد الحِمَام

يُوقِظُ الأعْيُنَ حيناً وَيَنَام

وَجْهُهُ من ظُلْمَةِ الموْتِ سَفَر

وَنَمَا من قبْرِهِ مثل الزّهَرْ



كمْ بِهذا السّهْبِ مَرّت قَافِلَه

مِثلَ سَيْرِ النُّوقِ رَهْوَاً سابِلَه

غيرَ أنّي عَاشِقٌ ديني النُّواح

ثَورَةُ المَحْشَرِ في هذا الصّياح

أنَا لَحْنٌ كَلَّ عنه الوَتَرُ

لا أُبالي أنَّ عودي يُكْسَرُ

أبْعِدِ القَطْرَةَ عن سَيْلٍ طَمَا

وانْظُرَنَّ اليَمَّ منه التَطَمَا

لا تَعِي مَوجِيَ هَذي الأنْهُرُ

لا تَعي لُجِّيَ إلا أبْحُرُ

ليسَ أهْلٌ لِسَحَابي زَهْرَةَ

ليسَ فيهَا لِنُمُوٍّ رَوضَةُ

كَمْ بُروقٍ نَائِمَاتٍ في الجَنَان

ضَاقَتِ البِيدُ لديهَا والقِنَان

إن تَكُن صَحْرَاءَ فاطْلُب لُجّتي

أو تَكُن سيناءَ فاقْبِسْ شُعْلَتي

قد حُبيتُ الوِرْدَ من عَيْنِ الحَياه

وَوُهِبْتُ السّرَّ من عَيْنِ الحياه

صور من مراحل حياة إقبال

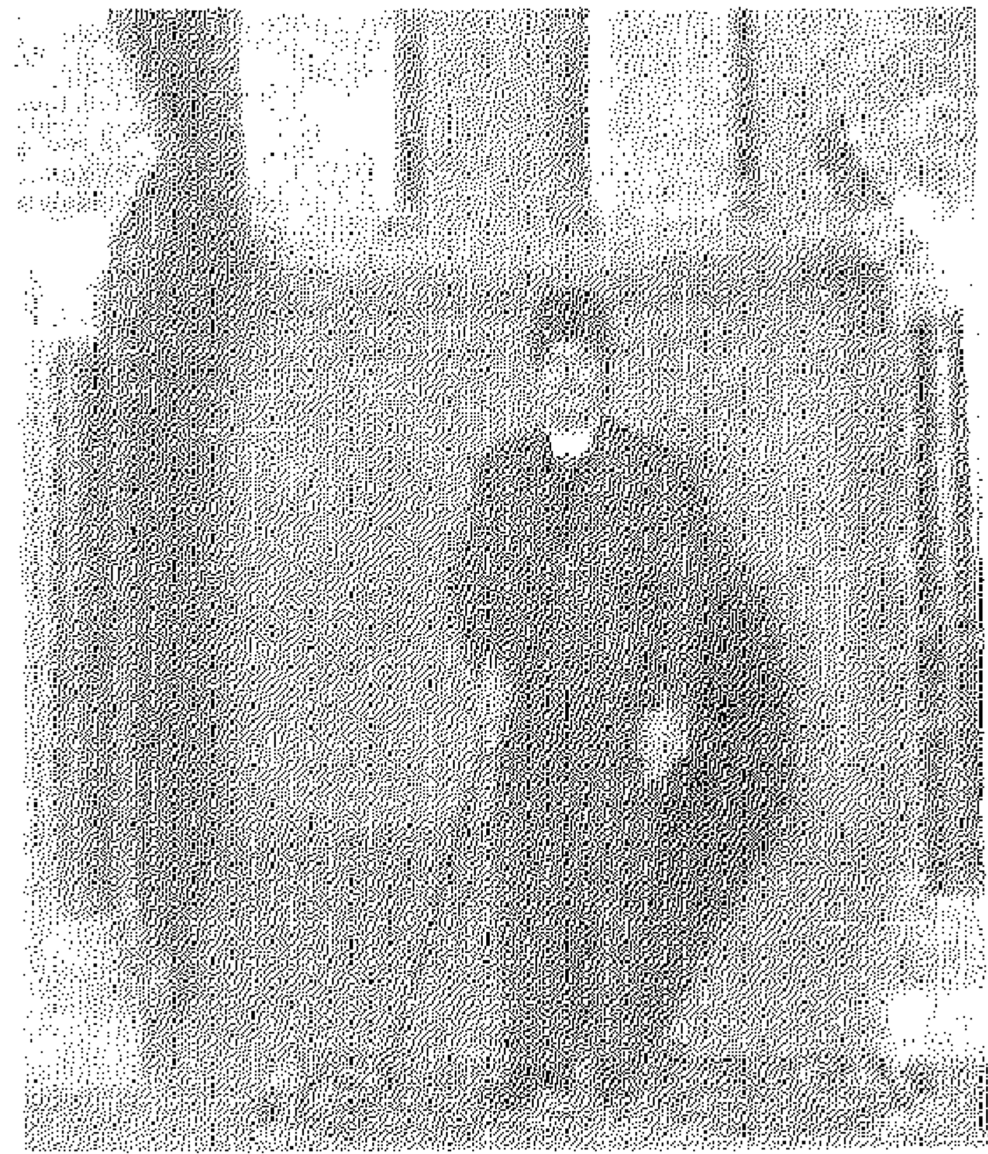






## صور من مراحل حياة إقبال





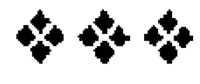


أشْعَلَ الذرّةَ لحني الثّائِر

رَفْرَفَتْ فَهْيَ يَرَاعٌ طَائِرُ

ما نَشّا ذَا السرَّ غَيري في البَشَر

لم يُثَقِّب نَاظِمٌ مثلي الدُّرَر



❖❖❖

أفْشَتِ الأفلاكُ لي السِّرَّ القَديم

كيفَ يُخْفى السرُّ من دونِ النديم

أيّها السّاقي مِنَ الرّاحِ اسْقِني

وأسُ في قَلبي جِراحَ الزّمَنِ

شُعْلَةُ المَاء التي مِن زَمْزَمِ

قَيْصَرٌ يَعْنو لَها كَالخَدَمِ

مُقْلَةُ المُبْصِرِ منها أبْصَرُ

وَشِعَابُ الفِكْرِ منها أنْوَرُ

تَجْعَلُ الرِّيشَةَ طَوْداً قَاهِرَا

وَتُري الثّعْلَبَ لَيْثاً زائِرَا

هي تَسْمو للثُّريّا بِالثّرَى

وَتَعي القَطْرَةُ منها أبْحُرا

املأ الكَأسَ بِصَفْوٍ نَيِّرِ

نَوِّرِ الفِكْرَ بِنُورِ القَمَرِ

لأقودَ الرَّكْبَ شَطْرَ المَنْزِلِ

بَاعِثاً شَوْقَ السُّرى في المُقَلِ



❖❖❖

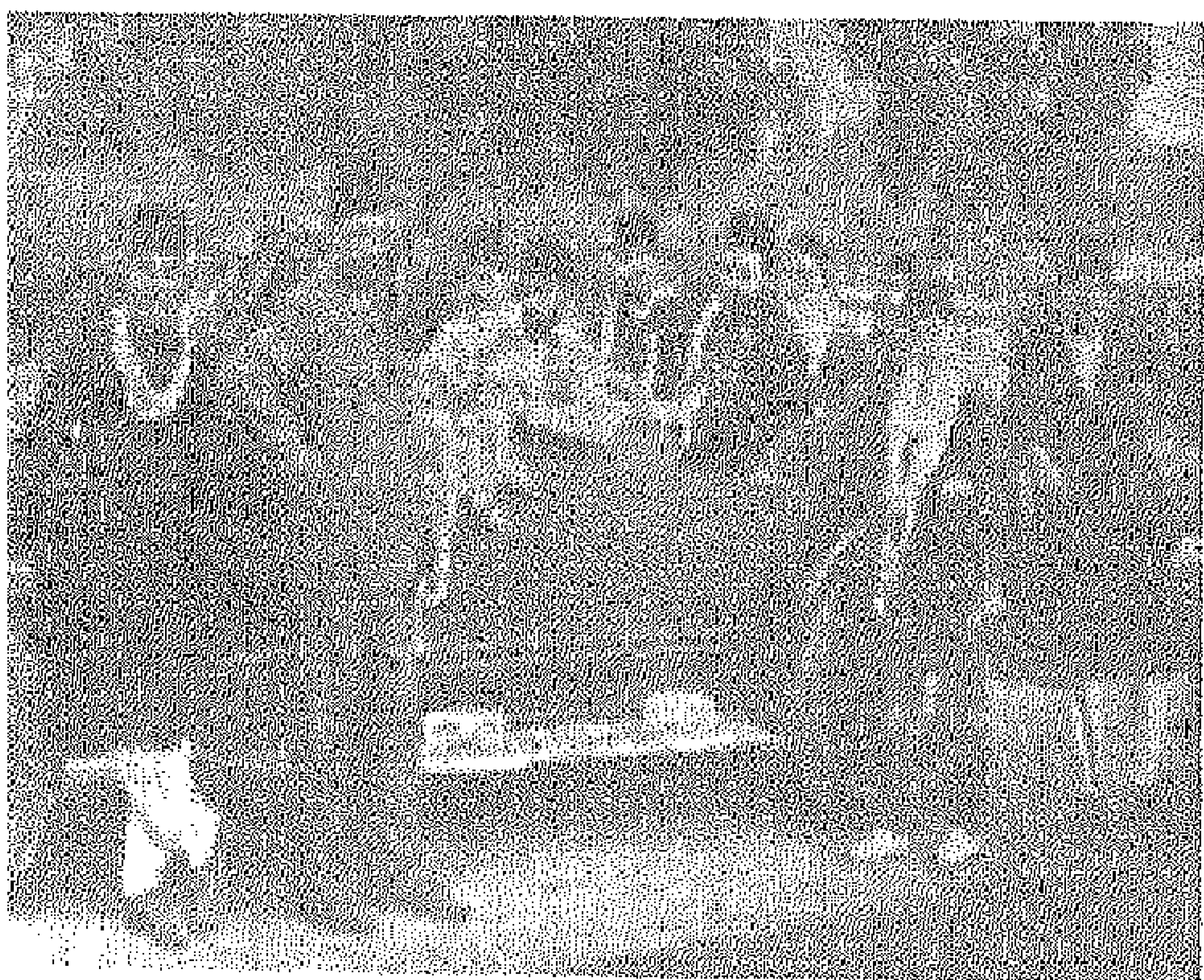
صِرْتُ نَاراً في ثِيَابي تُسْعَرُ

صِرْتُ كالنّايِ هَيَاجاً أُضْمِرُ

## صور من مراحل حياة إقبال





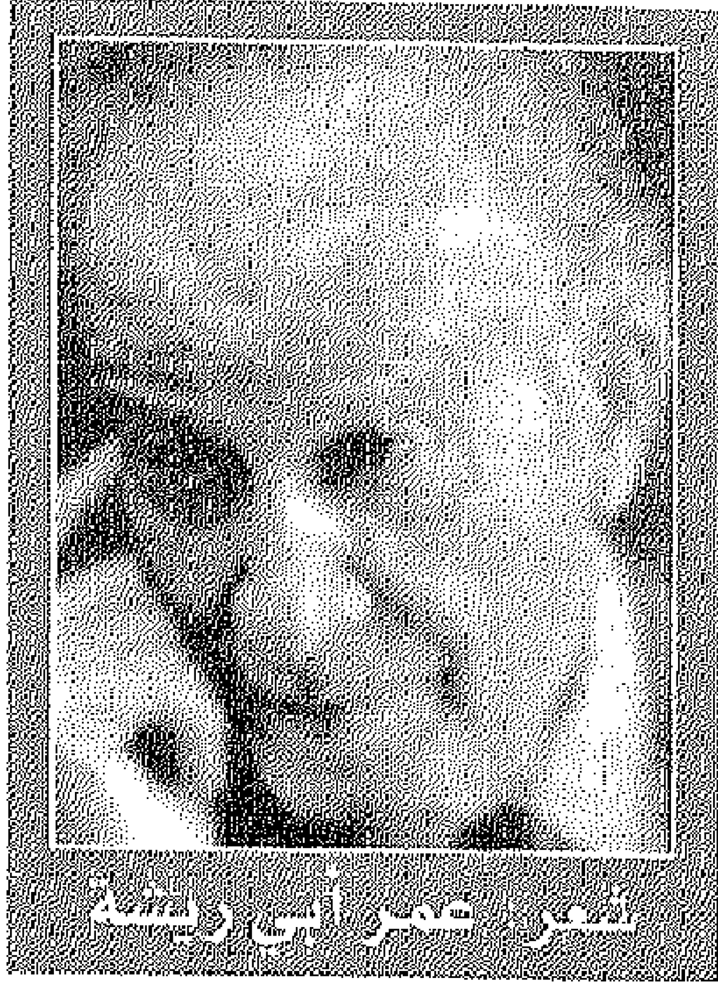


ثُرْتُ مِن أوتارِ نَفسي نَغَمَا
شِدتُ مِن حُسْنِ بَياني إرَمَا
فَرَفَعْتُ السِّترَ عن سِرِّ خودي
فَبدا الإعجَازُ من أمْرِ خودي
كَانَ كوني صُورَةً لم تَكْمُلِ
كَان سِقْطَاً مُهْمَلاً في الهَمَلِ
مِبْرَدُ العِشْقِ بَرَاني رَجُلا
كيفَ هذا الكَوْنُ والكَمُّ جَلا
فَرَأت عَيْنَايَ نَبْضَ الأنْجُمِ
وَبِعِرْقِ البَدْرِ دَوْرَاتِ الدَّمِ
وَبَكيتُ النّاسَ جُنْحَ الظُّلَمِ
فَبَدا سِرُّ حَيَاةِ الأمَمِ
مَصْنَعُ الكَوْنِ أرَاني ما حَواه
فَتَجَلى سِرُّ تَقْويمِ الحَياه
(أنا) مَن في ظُلْمَةِ الليلِ أنَار
في طَريقِ المِلّةِ البَيْضَا غُبَار
صَوْتُهَا في الشّرْقِ والغَرْبِ عَلا
لَحْنُها في القَلْبِ نَاراً أشْعَلا
ذرّةٌ ألقَت وَشَمْسَاً حَصَدتْ
ألفَ (رُوميٍّ) وَ (عَطّارٍ) جَنَتْ
آهتي الحَرّى سَمَت فَوْقَ العَنَان
عِتْرَتي النّارُ وَإن كُنتُ الدّخَان
قَلمي في مَسْرَحِ الفِكرِ عَلا
فَجَلا الأسْرَارَ في السّبْعِ العُلا

❖❖❖








# وامعتصماه!!

أمّتي هل لكِ بين الأممِ ... منبرٌ للسّيفِ أو للقلمِ

أتلقاكِ وطرفي مُطرقٌ ... خجلاً من أمسِكِ المُنصرمِ

ويكاد الدمعُ يَهمي عابثاً ... ببقايا كِبْرياءِ الألمِ

أين دُنياكِ التي أوحت إلى ... وَتري كُلَّ يتيمِ النّغَمِ

كم تَخطّيتُ على أصدائهِ ... مَلعبَ العزِّ ومغنى الشممِ

وتهاديتُ كأنّي ساحبٌ ... مِئزري فوق جِباهِ الأنجُمِ

أمّتي! كم غُصّةٍ دامِيةٍ ... خنَقَتْ نَجوى عُلاكِ في فمي

أيُّ جُرحٍ في إبائي رَاعِفٍ ... فاته الآسي ولم يَلتئِمِ

الإسرائلُ تعلو فيها رايةٌ ... في حِمى المَهْدِ وَظلُّ الحرَمِ

كيفَ أغضَيْتِ على الذُّلِ ولم ... تنفُضي عنكِ غُبارَ التّهَمِ

أوما كُنتِ إذا البَغيُ اعتدى ... مَوْجَةً من لَهَبٍ أو من دَمِ

فيمَ أقْدَمتِ وأحْجَمْتِ ولم ... يَشْتَفِ الثّأرُ ولم تنتَقِمي

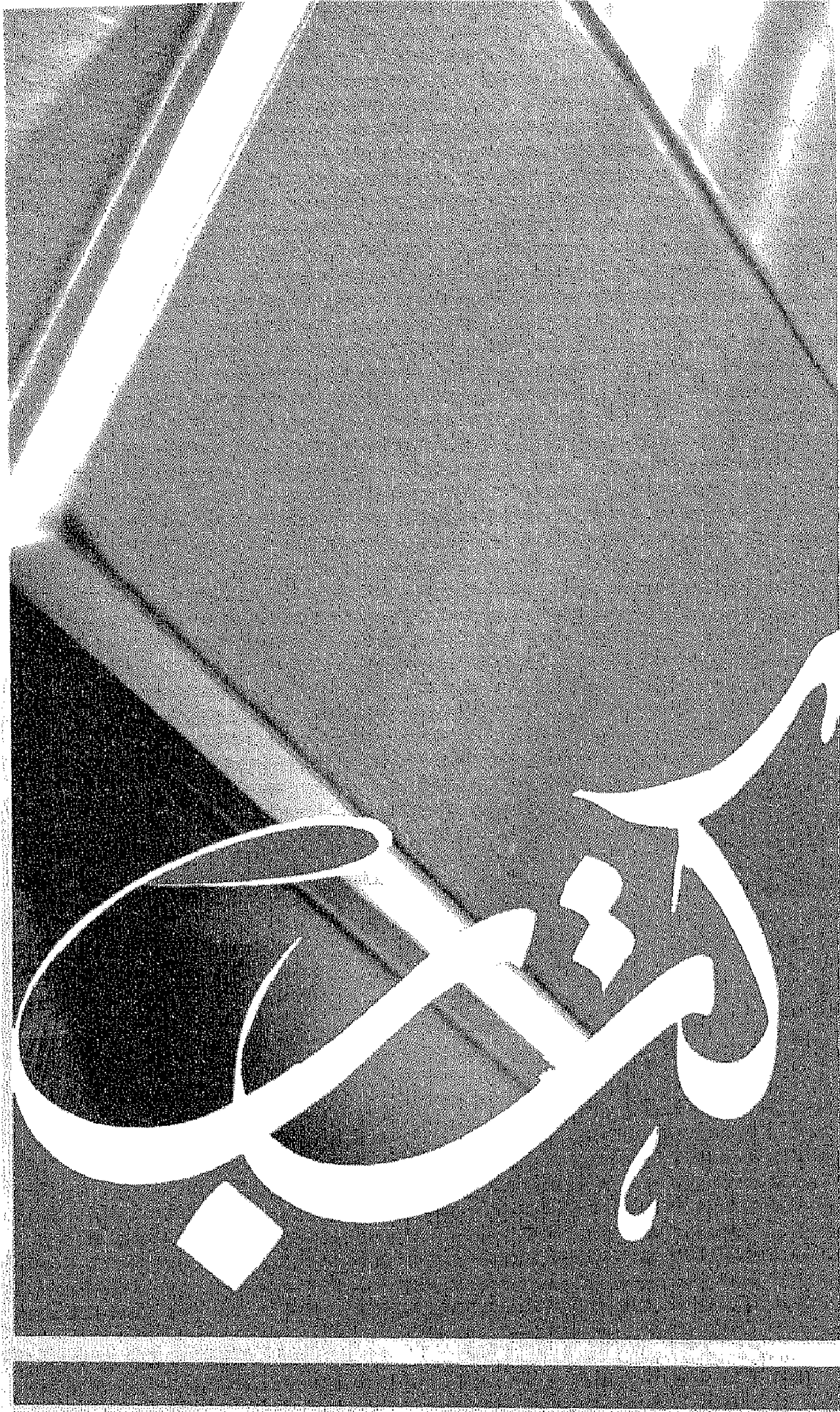
إسْمَعي نَوْحَ الحَزَانى واطربي ... وانظُري دَمْعَ اليتامى وابسمي

ودعي القَادةَ في أهوائها ... تَتَفانى في خسيسِ المَغنمِ

رُبّ «وامُعتصِماه» انطلقَتْ ... ملءَ أفْواهِ البنَاتِ اليُتّمِ

لامَسَتْ أسْماعهم لكنّها ... لم تُلامس نَخْوَةَ المُعتصِمِ

أمّتي!! كم صَنَمٍ مَجّدْتِهِ ... لم يكُن يَحمِلُ طُهرَ الصّنَمِ

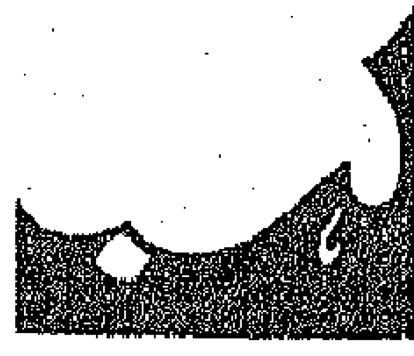


❖ تاريخ التفكير الجمالي عند العرب

الأندلس والجمال العربي القديم

❖ الطوارق في تمبكتو والصحراء

❖ لأول مرة في اللغة العربية : تاريخ القرآن



# تاريخ التفكير الجمالي عند العرب
# الأندلس والجمال العربي القديم

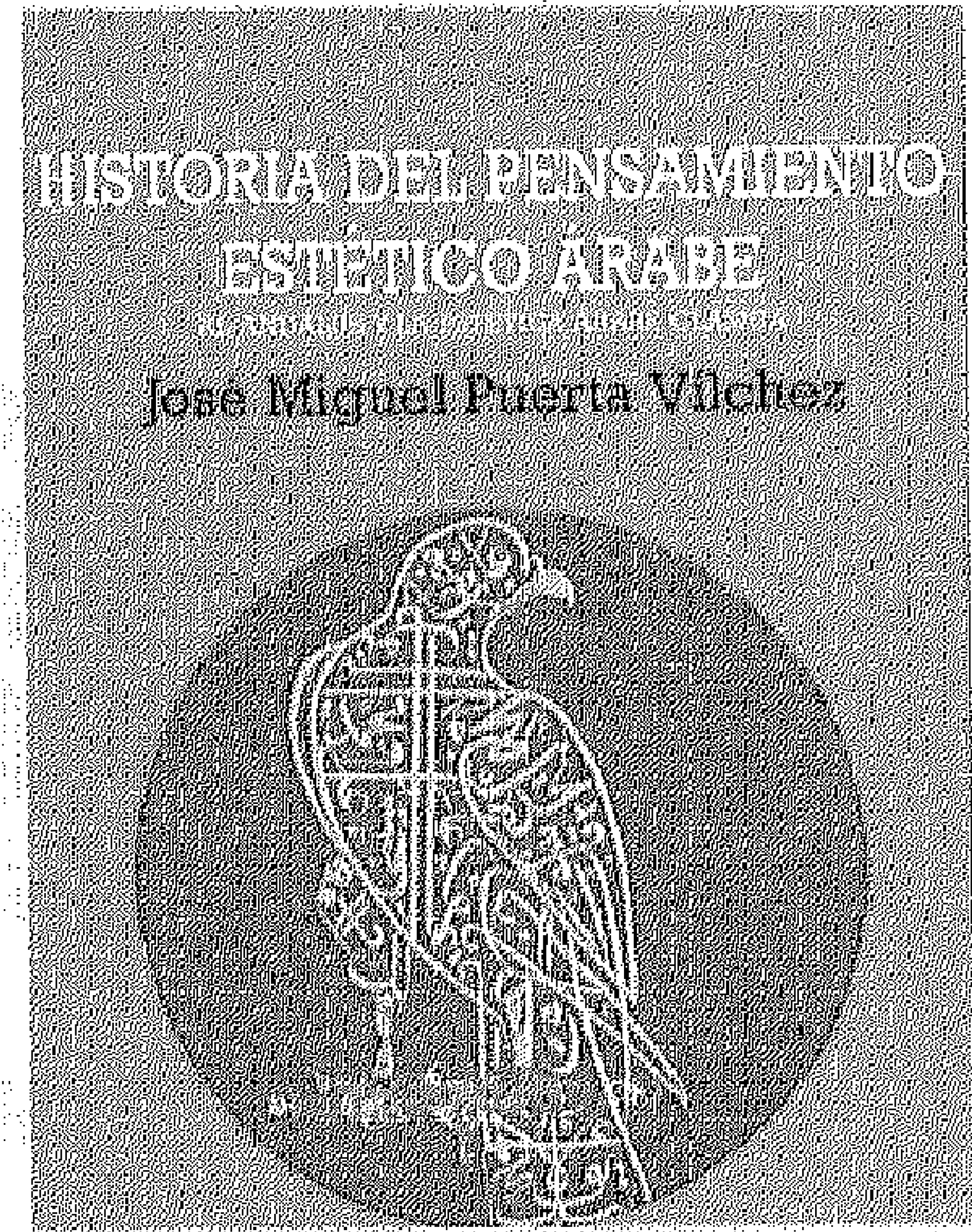
عرض: د. عبد الله محمد الزيات *

الكتاب في الأصل أطروحة للدكتوراه نوقشت في جامعة غرناطة بإسبانيا عام 1996.

وقد حوى الكتاب تقديماً، وشكر الباحث لمن قدم له مساعدة على إنجاز كتابه، ومقدمة ومدخلاً، وثلاثة أبواب، وخاتمة وفهارس مختلفة.

وقد قدم للكتاب الدكتور خواكين لومبا فوينتي أستاذ الفلسفة في جامعة سرقسطة بإسبانيا، الذي يبدأ تقديمه للكتاب بمقولة لأفلاطون جاءت في كتابه المأدبة، كما يقول خواكين، وهي «يستحق الإنسان الحياة بجدّارة عندما يتأمل النفس ومقولة أخرى في الكتاب نفسه: «وإذا حدث أن أحداً استحق أن يجعل من نفسه صديقاً للآلهة، وأن يصل ذلك ليكون خالداً، فعلى كل إنسان أن ينافس ليصير ذلك الأحد».

كما يتعرض خواكين لذكر الجمال في الحضارة اليونانية ويذكر أن الحضارة العربية رغم استقلاليتها، ورغم أن أفكار أفلاطون وأرسطو قد تعرضت للتنقيح والتعديل بما يلائم شخصية الحضارة الإسلامية، فإن هذه الحضارة في رأيه لم تخل من تسرب بعض المفاهيم اليونانية في الجمال إليها، بما في ذلك في بلاد الأندلس، كما يأتي على ذكر أثر نسبه إلى




الكتاب : تاريخ التفكير الجمالي عند العرب
Historia del pensamiento estético arabe
الأندلس والجمال العربي القديم
Al-Andalus y la estética arabe clàsica

تأليف: خوسي ميغيل بويرتا بيلتشيث
José Puerta V Bihez

دار نشر: Madrid 1997 Akal مدريد

عدد الصفحات: 913 صفحة

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

الرسول ﷺ، وهو: «إن الله جميل يحب الجمال»، ويضيف في السياق نفسه كلاماً لابن عربي الذي يسميه شيخ التصوف العالمي وهو القول : «جمال الكون هو جمال الله».

وقد ذكر في هذا التقديم أن أرض الأندلس كانت تدين بالإسلام وتتفيأ ظل الحضارة الإسلامية، وكلاهما في رأيه ينطلق من الجمال الذي يكمن في كل زوايا الاستقامة؛ سواء أكانت هذه الزوايا منبعثة من الثقافة، أم وليدة من العلاقة مع الله؛ حيث يراها المقدم ـ كلها ـ متصلة في النهاية بالزهد الصوفي، كما يؤسس في تقديمه هذا أن المسلمين ينطلقون في فهم الجمال والتعامل معه من الحضارة الإسلامية التي نجد في أهم كتاب فيها وهو الوحي المنزل على محمد ﷺ إشارة إلى الجمال الذي تحدى الله به البشر، ألا ذلكم هو جمال الكلمة؛ وهو مايشير إليه قوله تعالى :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 88]

ويشرح المقدم فائدة تأليف هذا الكتاب الذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه فيقول: إن البحاث السابقين قد تعرضوا لبحث الجمال في الحضارة العربية الإسلامية، ولكنهم كانوا يبحثونه في بعض الأحيان من زاوية فلسفية، وفي أحيان أخرى من زاوية تاريخ الفن، أو من زاوية الفكر فقط، ولذا كان من الضروري أن يغطي ذلك النقص، وهو أن يبحث الموضوع من كل الجوانب، وأن يعتمد في ذلك البحث على النصوص وعلى روح الإسلام الذي يقترب في عمقه من كل ما هو جميل، بكل الاعتبارات؛ ابتداء من الدين وعلم الكلام، حتى الفلسفة، ومن نظرية الجمال الفني، حتى نظرية الجمال الطبيعي، ومن اللغة حتى علم النفس، وعلم طبائع الإنسان وعلم ما وراء الطبيعة، وهذا البحث الذي يشتمل على هذه الجوانب هو ما قام به خوسي ميغيل بويرتا في هذا الكتاب .

ويعترف المقدم بمؤهلات المؤلف الباحث التي ترشحه لتلك المهمة الشاقة، فيشيد بإتقانه الجيد وبمعرفته الواسعة للغة العربية والحضارة الإسلامية، وهو في رأيه ما انعكس في هذا الكتاب القيم الذي وضعه في موضوع الفن والإحساس والجمال في الفكر الأندلسي، وهي أمور تتداخل جداً في الإسلام عامة والإسلام المشرقي على وجه الخصوص، ولهذا فإن الكاتب عندما كان يمس أي موضوع جمالي كان يتفحص وجهة النظر نفسها التي توجد عند المشارقة، وهي وجهة نظر اجتازت فيما بعد إلى أندلسنا ـ كما يقول ـ فيدمجها بما هو أندلسي، أو يقارنها به.

وقد ذكر المقدم أن الكتاب حوى كثيراً من النصوص الأصلية التي ما زال بعضها مخطوطا وقد مثلت فترات عربية مختلفة، منذ عصر الجاهلية، حتى عصر ابن خلدون وابن عربي، مروراً بالفارابي وابن سينا والغزالي في المشرق، وابن حزم وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وآخرين كثر في الغرب الإسلامي .

كما يذكر مقدم الكتاب أن الكتاب قد حلل تيارات جمالية كثيرة، كان لها صدى في الأندلس مثل الحب العذري وتيار إخوان الصفا، أو أتباع مذهب علم الجمال عند التوحيدي، كما احتوى الكتاب ـ إضافة إلى ذلك ـ عملاً موحداً عظيماً، لأبحاث متفرقة قامت هنا وهناك أخيراً، في الوقت الذي يقدم شرحاً للفكر الأندلسي الجمالي، وهو بالإضافة إلى أنه العمل الأول الجديد والأصلي، فإنه يفتح آفاقاً عديدة وطرقاً كثيرة للأبحاث اللاحقة.

كما رأى المقدم أن هذا الكتاب ضروري لتحسين

التعرف على العالم الإسلامي، ومعرفة تاريخ الإسبان وماضيهم الأندلسي، وتحسين معرفة علم الجمال بصفة عامة، وهو علم بدأته الحضارة الإسلامية، التي اعتبرها الحضارة المنقية المصفية في القرن التاسع؛ إذ قام بذلك زرياب العراقي وعبد الرحمن الثاني في قرطبة، التي كانت في مستوى حضاري ينافس سمو حضارة بغداد في تاريخ الحضارة الإسلامية، كما كانت قرطبة ـ في رأي المقدم ـ في مستوى المظاهر الجمالية الغربية، وبخاصة عندما تشكل ماهو روماني وما هو قوطي، وكان جامع قرطبة يومها، قد بلغ منذ حين قمة من القمم الأكثر تفوقاً في الفن الإسلامي والعالمي، وعندما بدأت تظهر نظريات الجمال عند بكتورنيس، وسان بوينابنتورا، وغييرمو، وأوبيرنيا، وآخرين كثر في الغرب، فإن الإسلام الأندلسي كان قد عاش نظريات الجمال وراجعها مائة مرة ومرة .

وقد كان مؤلف الكتاب، في نظر مقدمه، جديرا بلا مناقشة، في أن يُطلق عليه بأنه صاحب اكتشافات أمور عديدة، وإن لم يقم بمقارنات معينة، لأنها لم تكن هدفه في الكتاب، إضافة إلى ذلك فإن القارئ سيجد نفسه أمام كتاب بالإضافة إلى أنه يتحدث عن الجمال فإنه يغري القارئ بقراءته؛ وذلك بسبب جمال بحثه العميق، وبسبب عمق مضمونه، ومنهجيته وأسلوبه .

وفي المقدمة يرجع خوسي ميغيل بورتا الفكرة الأولى التي انبعثت لتأليفه الكتاب موضوع الحديث إلى العام 1980، عندما كان يتلقى دروس الاختصاص في تاريخ الفن في جامعة غرناطة، وعندما نشأ لديه اهتمام منذ إذٍ بتاريخ المفاهيم الجمالية وبالفن الإسلامي، وهو ما حمله على أن يسائل نفسه عن إمكانية وجود تاريخ للفكر الجمالي في اللغة العربية، وعندها ـ كما هو الشأن الآن ـ أجابته المصادر المختلفة بالصمت التام الذي كاد أن يكون مطبقاً؛ فأبت تلك المصادر المتمثلة في الكتب السيارة لتاريخ الفن، وكتب علم الجمال، وكتب الأبحاث المجموعة المخصصة للفلسفة أو للفن الإسلامي، أبت كلها إلا أن تقف في صمت أمام تساؤلات ذلك الشاب المتطلع إلى معرفة شيء حول المسائل الجمالية المطروحة من قبل حضارة قريبة جداً، لكنها منهجياً هي مبعدة بالخطابات الجمالية المعتادة، وإضافة إلى هذه الظروف فإن الموانع التي كانت تقف بينه وبين تحقيق أمله في معرفة مضامين الجمال ومفاهيمه في الحضارة العربية واللغة العربية كانت مجهولة تماما بالنسبة إليه.

وذلك الشوق المتطلع لتلبية رغبة مطالب متعة الجمال التي كان يحس بها أمام ماحققه الفن الإسلامي من أعمال عظيمة، خاصة تلك الأعمال التي ما زالت حية ماثلة بالنسبة إلى إنسان غرناطي؛ كما هو الشأن في الكاتب نفسه [1]، ذلك الشوق مع المتعة الثقافية الناتجة عن معرفة البواعث الفلسفية المرتبطة بذلك الفن، كلها أمور كانت تبدو مستهدفة التحول إلى واحد من هذه الآمال التي تخالج الإنسان مدى الحياة، وتبقى غير راضية إلى الأبد، ومع ذلك فإنه عندما أكمل دراسته الجامعية كانت له فرصة أن يتواجد في مدينة عربية اليد واللسان كما قال الشاعر العربي القديم، وهي مدينة إمليلية، فيبدأ دراسة اللغة العربية هناك، وتتأكد رغبته في هذه اللغة، ويزداد عشقه لها كما يقول، وهذا ما سمح له بعد ذلك بقليل، بانبعاث أو طرح أمله القديم الذي كان يراوده لأن يلتحق بقسم الدراسات السامية بجامعة غرناطة، ليدرس فن التفكير الجمالي في اللغة العربية .

يذكر مؤلف الكتاب أن أحد المستعربين الإسبان

(1) الكاتب ينتمي إلى قرية دوركر الغرناطية .

السابقين له ـ الأستاذ الدكتور إميليو دي سانتياغو Emilio de Santiago، الأستاذ بقسم الدراسات السامية بجامعة غرناطة، والشهير في دوائر الاستعراب الإسبانية والعالمية ـ نصحه بأن يلج دراسة العربية والفن الجمالي في الفكر الإسلامي واللغة العربية بوضع دراسة أولية عن قصور الحمراء بغرناطة، وقد كانت نتيجة تلك الدراسة كتاباً بعنوان

«قوانين تصميم حمراء غرناطة»

Alhambra de Granada ca de la digos de utoplos

وهو ما جعله يثمن تثميناً مفصلاً النظريات الجمالية أو المقولات الجمالية، ومفاهيم الفن الإسلامي، ويستوعب كثيراً من النصوص العربية المتعلقة بالفن والتفكير، قديمهما وحديثهما، ويستطيع أن يطرح طرحاً جدياً إمكانية تحمل أعباء دراسة جامعة لعلم التفكير الجمالي في اللغة العربية، متخذا من الأندلس إطاراً مكانياً وزمانياً محددا للدراسة.

بدأ خوسي بويرتا في تأليف كتابه تاريخ التفكير الجمالي العربي القديم موضوع الحديث في نهايات عام 1986، كما يخبرنا في مقدمته التي يعدد فيها المشاكل والعراقيل التي اعترضت طريق هذه الرسالة وكان من أبرز تلك المشاكل :

1 ـ غياب المصدر النصي المعترف به والمحدد، الذي يتناول التفكير الجمالي العربي.

2 ـ عدم وجود مصادر مكتوبة في اللغات الأوروبية عن التفكير الجمالي في الحضارة الإسلامية، بل أيضاً عدم وجود مصادر في اللغة العربية نفسها عن هذا الموضوع.

بعد تقديم الكتاب من قبل أستاذ الفلسفة في جامعة سرقسطة الأستاذ الدكتور خواكين لومبا فوينتس، ومقدمة المؤلف نفسه لكتابه وذكره في هذه المقدمة لأسباب تأليف كتابه وبدايات التفكير في ذلك، يأتي تسجيل الشكر لمن ساعده ـ بأي نوع من المساعدة ـ على إنجاز دراسته هذه، ويذكر منهجه الذي سلكه في كتابه لكتابة الألفاظ العربية التي استعملها في الكتاب محولاً إياها إلى الحرف القشتالي.

ثم يقتبس بعض مقولات لبعض المفكرين والمؤرخين المشهورين في الحضارة العربية الإسلامية وعلى وجه الخصوص الأندلسية، ويكتب هذه العبارات بالعربية والإسبانية، وهي مقولة ابن خلدون التي وردت في المقدمة: «أعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا يأخذها العد»[2]، ثم عبارة ابن حزم التي وردت في رسالته مداواة النفوس «الْحُسْن هو شيء ليس له في اللغة اسم يُعَبَّرُ به غيره، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه»[3]، ثم عبارة ابن عربي التي يقتبسها من الفتوحات المكية «فجمال العالم جمال الله» ثم عبارة لأحد فلاسفة علم الجمال الأوروبيين المحدثين هانس خيورخي غادمر Hans George Gadme.

يفتتح مدخله بالقول: «إذا كان هنالك من يشك في وجود علم جمال أسطوي غربي حتى وقت قريب... وإذا كانت قضية وجود علم جمال أسطوي عربي أمراً مشكوكاً فيه أيضاً، فإن وجوداً محتملاً لعلم جمال مكتوب في اللغة العربية في الفترة التاريخية نفسها مسألة ما زالت تحت النقاش...

كما تحدث في المدخل عن المبحثين الرئيسيين التاليين :

(2) ط 4 دار القلم، بيروت 1981، ص 405 .

(3) رسالة في مداواة النفوس، ضمن مجموع رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس، ط2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987 ص 375 .

صورة خاصة




**1 ـ التاريخ المعاصر أمام التفكير الجمالي العربي الإسلامي .**

**2 ـ نظرية الجمال والجمال العربي الأندلسي:**

**الباب الأول: الجمال والفنون في نشوء الثقافة العربية المكتوبة**

1 ـ الفصل الأول: الحسية والمعجم الجمالي قبل الإسلام:

2 ـ الفصل الثاني: رسالة الوحي الكبرى والبعد الجمالي:

**الباب الثاني:**

**الفنون على هامش المعرفة: أفكار ومفاهيم الفن في الثقافة العربية القديمة**

1 ـ الفصل الأول: الفنون في الموسوعة العربية الإسلامية.

2 ـ الفصل الثاني: أفكار فيتارغورس وأفلاطون الجديدة في فن إخوان الصفا وجماعة التوحيد البغدادية.

3 ـ الفصل الثالث : علم الخط في علوم اللغة عند ابن السيد البطليوسي.

4 ـ الفصل الرابع :مصارحة وفن وأخلاق في أعمال ابن حزم.

5 ـ الفصل الخامس : المحاكاة تحديد أو تعريف للفن في الفلسفة المشرقية:

1, 5, 2.أصل مفهوم المحاكاة في الإسلام المشرقي القديم وطرق مساره : متّى، الفارابي، ابن سينا.

أ ـ متّى والرواية العربية للمحاكاة.

ب ـ المحاكاة في نظرية الفارابي : فلسفة الأخلاق والسياسة والخيال .

ج ـ ترجمة ابن سينا لكتاب الشعر لأرسطو.

2, 5, 2. المحاكاة مفهوماً موحداً للفنون في الفلسفة المشرقية.

3, 5, 2. الاستمتاع الفني: عناصر لعلم جمال فلسفي.

6 ـ الفصل السادس: نظرية المحاكاة في الفكر والنقد الأندلسيين.

7 ـ الفصل السابع: التاريخ وعلم الاجتماع وتحديد الفنون في مقدمة ابن خلدون.

**الباب الثالث : تعريف الجمال وإدراكه في الفكر العربي القديم**

1 ـ الفصل الأول : نظرية المعرفة وتحديد الجمال في فكر ابن حزم القرطبي.

2 ـ الفصل الثاني: شروحات جمالية في علم فلسفة الأخلاق العربي قبل ابن حزم.

3 ـ الفصل الثالث: عقلية الجمال وحسيته في الفلسفة العربية القديمة.

4 ـ الفصل الرابع :

نظرية الإدراك والتأمل الجمالي في الفلسفة الأندلسية : ابن باجة ـ ابن طفيل.

5 ـ الفصل الخامس :

حسية وإدراك : مساهمة ابن رشد في تشكيل الحقل المفاهيمي للجمال.

6 ـ الفصل السادس :

بصريات ابن الهيثم ونمو نظرية الإدراك الجمالي البصري عربياً وعالمياً.

7 ـ الفصل السابع : علم الجمال عند الغزّالي بين علم الكلام والتصوف.

8 ـ الفصل الثامن: انسجام وتناسب : الجمال في التطور التاريخي عند ابن خلدون.

9 ـ الفصل التاسع : من جانب آخر من العقل؛ النواة الجمالية لتصوف ابن عربي المرسي.

ثم بعد ذلك الخاتمة التي أفرد لها المؤلف ثماني صفحات 809 ـ817.

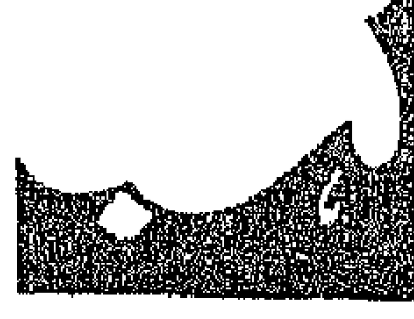
وما تجدر الإشارة إليه في ختام هذا العرض أن قائمة مراجعه ومصادره كانت متنوعة وموسعة حيث جاءت هذه القائمة في الصفحات ثماني عشرة صفحة 819 ـ837، وقد تنوعت لغاتها بين العربية ولغات أوربية مختلفة، كما أن العربية منها قد تنوعت زمناً بمعنى أن منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث، وتنوعت في المضمون أيضاً فمنها اللغوي والأدبي والتاريخي والفلسفي والفقهي والتاريخي والحديثي والصوفي ودواوين الشعر وكتب الأدب بمفهومه العام، كما شملت من باب أولى كتب النقد وعلم الجمال والتفسير وعلم الكلام والبلاغة، والكتب المترجمة إلى العربية عن علوم اليونان في الشعر والخطابة والبلاغة وغيرها. وكل ما من شأنه أن يحوي شيئاً عن الفن وعلم الجمال و تاريخ التفكير الجمالي العربي خصوصا في الأندلس.

كما ألحق بكتابه فهرساً تحليلياً لمواد الكتاب، ضم حوالى سبعين صفحة، وفهرساً عاماً لمحتوياته.

لقد كان لآراء ومؤلفات الغزالي وابن عربي وابن العريف وابن باجه وابن رشد والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن خلدون مكاناً فسيحاً في أطروحات ومقولات وتحليلات هذا الكتاب، كما ردد هذا المؤلف أفكار أفلاطون وأرسطو وغيرهما من أعلام الفكر الأوربي القديم والحديث وأعلام الفكر العالمي؛ عربا وغيرهم، قدامى ومحدثين، من ذوي الاتجاهات المختلفة والمذاهب ربما المتباينة في بعض الأحيان، من حسين مروة [1]، إلى عابد الجابري، إلى القطبين؛ سيد ومحمد، ومن هيجل إلى جلال الدين الرومي، إضافة إلى مفكرين وكتّاب عرب معاصرين آخرين أمثال عباس محمود العقاد وسلامة موسى وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وزكي نجيب محمود ممن اهتموا بالجانب الجمالي ضمن الدراسات الأدبية النقدية أو الدراسات الفلسفية مما سماه الأوروبيون نقد الفن في القرون الوسطى.

وهكذا يبدو أن هذا الكتاب يعد مرجعاً لا غنى عنه لدارس فلسفة الجمال في الحضارة العربية الإسلامية، أو لدارس الأدب والنقد وخاصة في الأندلس ذلك الفردوس المفقود أو المنشود.

(1) لبناني درس في النجف ثم في الاتحاد السوفييتي وكان ناقداً فيلسوفاً ترك كتبا من أهمها النزعة المادية في الفكر العربي الإسلامي .



# الطوارق في تمبكتو والصحراء

عرض: علي الصادق حسنين *

كان الدكتور كلاوديو باتشيفيكو (Claudio Pacifico) سفيرا للجمهورية الإيطالية في ليبيا، حيث ـ قام في أثناء مدة عمله ـ بعدة رحلات في ربوع الصحراء وذلك لمواصلة جولاته السابقة التي كان قد باشرها في مطلع شبابه والتي هيأت له جوب ممالك بلاد السودان الغربي.

وفي خاتمة المطاف جمع رصيداً من المعلومات والأخبار والانطباعات ارتأى تضمينها كتاباً ألفه بلغته الأم وتولت اصداره مؤخراً دار الفرجاني للنشر «DRAF» بلندن ـ 2005 مسيحي.

إن المؤلف يروي قصة وصوله إلى تمبكتو التي يسميها «ملكة افريقيا» و«ملكة الصحراء» المحرمة التي يكتنفها الغموض، إنها خرافة نسج خيوطها كبار الرحالة والرواد الغربيون، وإنه يورد في إيجاز تاريخ هذه الحاضرة وحقب ازدهارها.

ثم يشير إلى المد العربي الإسلامي الذي اجتاح القارة السمراء بريادة وقيادة عقبة بن نافع، ويعرج على امبراطوريات غانا وسونغاي ومملكة سوسو والمرابطين، فيذكر القادة الخرافيين والملوك أولي الأبهة أمثال أبي بكر يوسف بن تاشفين وسومنغورو كانتي «الدوامة» وسون ديانا «ليث مالي» وكنكو موسى وسوني علي وأسيكا محمد «الكبير».

وفي سياق حكاية اكتشاف تمبكتو في القرون الوسطية وعصر النهضة يتعرض المؤلف لذكر كبار الرحالة العلماء العرب نحو البكري والادريسي وابن خلدون وأبي الفداء وابن بطوطة والكاتي، كما يذكر التاجرين الرحالين الإيطاليين انطونيو مالفانتي وبنيديتّو داي، والجغرافيين الكبيرين جوفاني كارينيانو وجوفان بطيسطا راموسيو.

وبعد ذلك ينتقل بنا الدكتور باتشيفيكو إلى القرن الميلادي التاسع عشر، إذ يتجدد اكتشاف تمبكتو، ومن ثم يستعرض ملحمة الريادة الرومنطيقية العظيمة التي كان أبطالها فريدريك هورنمان ومونغوبارت وغوردون لانغ وجوفاني باطيسطا بلتزوني ورينيه كايّيه وهاينريتش بارت وأنري دوفيرييه وأليكزاندرين تنيه و أوسكار ليتز، وغيرهم من الرواد الأوروبيين، ويتعرض المؤلف للرحلات الاستكشافية التي كانت الصحراء موضعها إبان القرن العشرين، ويخص بالذكر خرافة الفرقة الأجنبية والعقيد فلاتير واللواء لابرين وكذلك الرواد

---

* كاتب وباحث / ليبيا

الجدد من عسكريين ومدنيين علماء وفنيين.

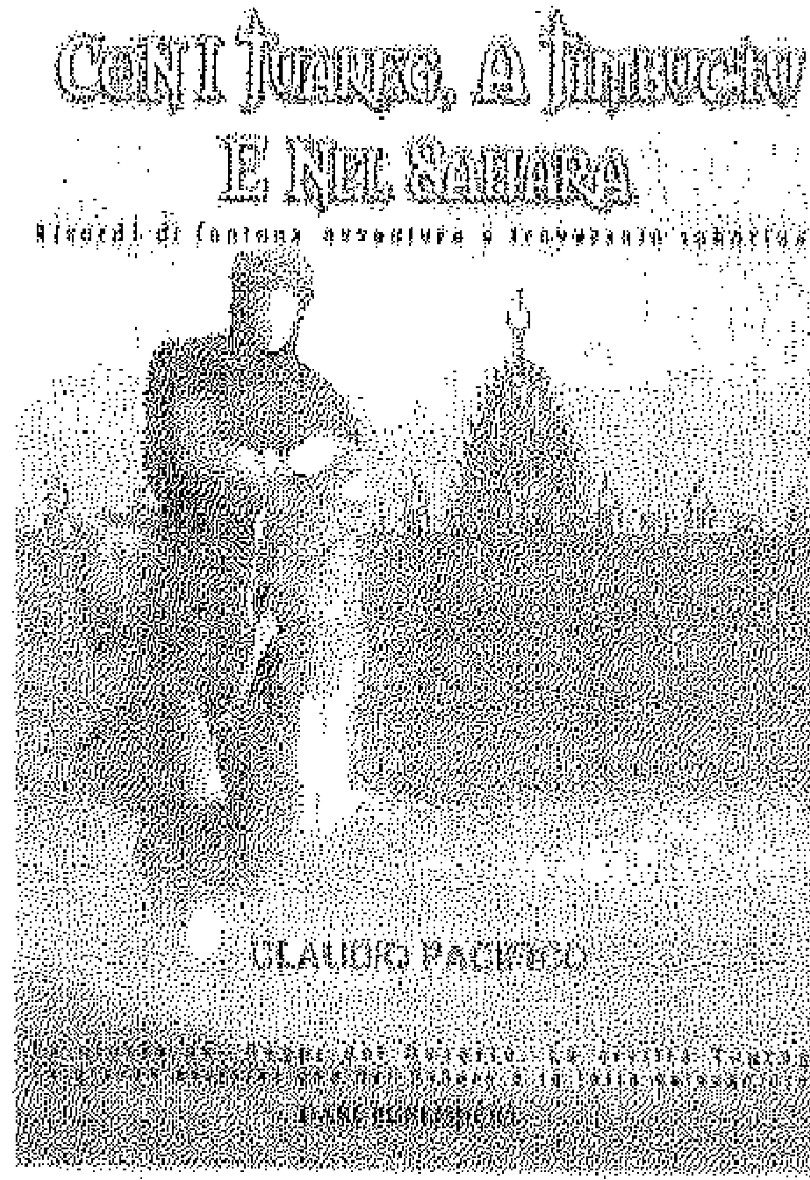
ومما كان محل اهتمامات المؤلف تلك الطبيعة العلمية للاستكشافات المعاصرة التي خاض غمارها كبار الرواد البحاث الصحراويين أمثال أي. ف. غوتييه وأنري لوت وتيودور مونوه وأرديتو ديزيو وباؤلو غراتزيوزي وفابريزيو موري.

ومما يجدر ذكره أن المؤلف ذاته يتناول المغامرات الصحراوية التي كان هو بطلها في عهد سابق، فيصف تجربته الأولى في تمبكتو وسعيه الحثيث في سبيل البحث عن أزالاي وقوافل الملح، كما يرسم صورة لمقابلته زالمعلمز علي محمد عليّو ولمرحلة قيامه هو كمبتدئ في دراسة ومحاولة استيعاب تاريخ الطوارق وفهم عادات هؤلاء القوم وتقاليدهم، وذلك على يد النبيل الطارقي السالف الذكر، الذي يخلع عليه المؤلف صفةسأستاذس ويسميه الأستاذ علي، ويورد فضلاً عن ذلك وفرة من المعلومات القيمة الأخرى.

هذا ومن خلال تعميق بحثه اكتشف الدكتور باتشيفيكو أن أب التاريخ هيرودوتس كان له قصب السبق في توفير معلومات موثوق بها عن أصول أسلاف الطوارق، هؤلاء الأقوام الأسطوريين وعن سكان الصحراء القدامى.

ويتناول احتكاك الرومان بالقرمانتيين، ويسهب في عرض الفتوحات الرومانية بربوع إفريقيا وفي ارتياد الرومان للصحراء وحملاتهم بقيادة كل من كورنيليوس يالبوس وسبتيميوس فلاكّوس ويوليوس متيرنوس.

ثم ينتقل الى تناول فترات الحرب والسلم التي تخللت المواجهات بين الفيالق الرومانية وقبائل الطوارق وذلك حسب ماجاء في كتب سترابو



غلاف الكتاب

وديودورس الصقلي وبلينيوس الأكبر وبطليموس وكذلك وفق ما أوردها كل من البكري وابن خلدون وابن بطوطة وقدماء الباحثين في ثقافة الطوارق وفي مؤلفات البحاث المتأخرين نحو دوفرييه وفوكول وغوتييه ولوت.

ولم يفت المؤلف أن يتناول بعدئذ قصة قافلته من تمبكتو صوب تاؤديني ويصفها بأنها كانت تشبه سفينة ضلت سبيلها في خضم لاحدود له من الرمال.

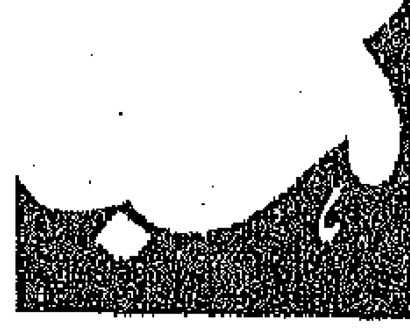
ويقول: إن الرحلة في «أزواد» كانت ـ نهاراً ـ في جو شديد الحر تحت أشعة الشمس اللاسعة، ناهيك عن شدة العناء والعذاب، أما ( ليلاً) فكانت الرحلة في جو منعش هادئ، وكان القمر منيراً، وكانت تبدو قبة السماء كأنها مرصعة بالنجوم المتلألئة ترصيعاً.

وكان يقضي الضاعنون الليالي في رواية القصص الحقيقية والخيالية وفي انشاد الأناشيد الحماسية / الغرامية الطارقية وملاحم الفروسية، وغير ذلك من الحكايات المنظومة والخرافات المنثورة.

ثم يصور المؤلف رحلة عبوره فيافي «أزواد» ويصف فترة الاستراحة في واحة الشيخ سيدي حامد «آغ أده» ويشير إلى وفرة الحيوانات البرية ويسر اصطيادها في دوكاس.

وختاماً يرسم لوحة رائعة للعاصفة التي داهمت القافلة ويصف حط الرحال في تاوديني، حيث انتهت الرحلة، وبانتهائها كانت بداية مغامرات جديدة.

وفي ملحق قيم يورد الدكتور باتشيفيكو في آخر كتابه قائمة طويلة مفيدة بأسماء الرحالة والباحثين الصحراويين في العصر الحديث مع ذكر أهم مؤلفاتهم.



## لأول مرة في اللغة العربية

# تـــاريـــخ القـــرآن

| عرض: الصديق بشير نصر *

تاريخ القرآن Geschichte des Qorans لتيودور نولدكه Theodor Nöldeke، من أهم الكتب التي ألّفها المستشرقون في القرآن. ولقد تأخرت ترجمته إلى العربية كثيراً، وها هو ذا يصدر أخيراً بعد طول انتظار. وقد قام بترجمته إلى العربية عن الألمانية الأستاذ جورج تامر بمعونة نخبة من الأساتذة، وهم: السيدة عبلة معلوف تامر، والدكتور خير الدين عبد الهادي، والدكتور نقولا مراد. وقد طُبِعت هذه الترجمة ببيروت عن مؤسسة كونراد ـ أدناور Konrad - Adenauer في سنة 2004.

وتيودور نولدكه، أو عميد المستشرقين في الدراسات القرآنية، وُلد في 2 مارس 1836 في هارزبورج بهانوفر بألمانيا، وتوفي في 25 ديسمبر 1930. ويُعدُّ أحدَ الباحثين في الدراسات السّاميّة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وقد أُختير ليكون أوّلَ أستاذ ألماني يشغل كرسي الدراسات الساميّة في جامعة ستراسبورغ في سنة 1872.

وكتاب تاريخ القرآن يَصدُر في دائرة التعاون العلمي الألماني ـ العربي كما صرّح بذلك البروفسور برنهارد فوغل رئيس مؤسسة كونراد في تصديره للطبعة العربية.

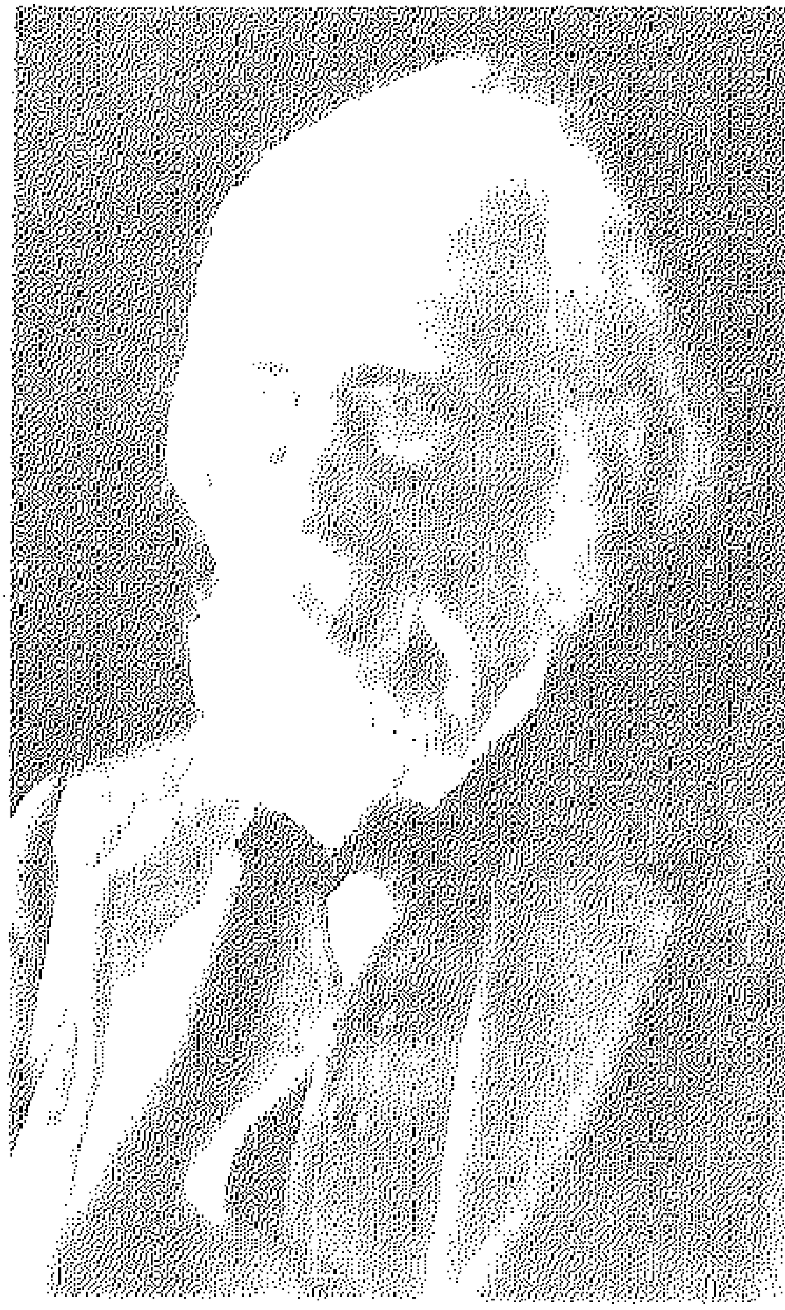
وقد صدر الكتاب أوّل مرة بالألمانية سنة 1860، ثم أعاد فريدريش شيفالي Friedrich Schwally نشر الجزء الأوّلَ منه بعد تنقيحه تحت إشراف أستاذه تيودور نولدكه سنة 1909 وأهداه لعلمين من أعلام الاستشراق، هما: إجنتس جولدتسيهر، وسنوك هرخونه.

وبوفاة شيفالي سنة 1919 توقف إصدار بقية أجزاء الكتاب حتى جاء أوغست فيشر August Fischer فأصدر الجزء الثاني مع إدخال بعض التعديلات عليه. أمّا الجزء الثالث فقد اعتنى بنشره المستشرق برجشتراسر Gotthef Bergsträßer وأكمله تلميذه أوتو بريتسل Otto Pretzel في مطلع سنة 1937 بسبب وفاة براجشتراسر قبل ذلك بأربع سنوات. يقول مترجم الكتاب في مقدمة ترجمته العربية: «لقد تعاقب ثلاثة أجيال من علماء الدراسات القرآنية الألمان على هذا الأثر حتى أبصر النور، وهو يضم نتائج في هذا المجال خلال سبعة عقود ونيّف».

---

* كاتب وأستاذ جامعي / ليبيا

ولقد أثار هذا السِّفرُ اهتمام المستعمرين منذ أكثر من قرنٍ ونصف، فلا تكاد تجد واحداً منهم كتب عن القرآن في أيّ لغة أوروبية أغفل ذكره، أو لم يكن عالةً على نتائجه. بل قد لا يكون من قبيل المغالاة إذا قلنا إنّ هذا الكتاب هو أهمُّ ما أُلّف في تاريخ القرآن حتى يومنا هذا. ولذلك نرى الكاتبين غرباً وشرقاً يتهافتون عليه، فينقلون عنه أو يسطون عليه. وقد بلغ الشأن بهذا الكتاب أن عُدَّ إنجيلَ الباحثين الغربيين في القرآنِ وتاريخه، ومن لم يقرأه ولم يطّلع على ما جاء فيه يُعدّ متخلّفاً في المجال العلميّ. ولعلّ تدريس الجامعات الأوروبية وإقراره مرجعاً أساسياً لدراسات القرآنية فيها علامةٌ على القيمة العلمية التي يصنفونها على الكتاب.


تيودور نولدكه

ونحن، قراء العربية، نسعد بصدور هذا الكتاب وإن تأخر صدوره طويلاً، وذلك لأسباب:

الأوّل: إنّ هذا الكتاب يعكس قيمةً علميةً كبيرةً، بصرف النظر عما ورد فيه من أخطاء علمية وتاريخيه، لأنه يعدّ نقلة هائلة في دراسة القرآن وتاريخه من خلال العقل الغربي مستخدماً في ذلك منهجيات بحثية لم يألفها الدارسون العرب حتى الآن بالرغم من صدور الكتاب في طبعته الأولى قبل قرن ونصف.

الثاني: إن صدوره بالعربية سوف يفوّت الفرصة على بعض من ينتحل أفكار الآخرين فينسبها إلى نفسه حتى يشعر القارئين له بأنه على اطلاعٍ واسعٍ على لغات قديمة لا يمكن فهم القرآن بمعزلٍ عنها. وأحسب أن كتابات حديثةً في العربية على القرآنِ وتاريخه سوف يُكتَشَفُ أنها أفكار نولدكه ونتائج دراساته، ولكنها في ثوبٍ عربيّ.

الثالث: إنّ صدورَ الكتاب باللغة العربية سوف يتيح الفرصة أمام الباحثين المسلمين من أهل الاختصاص للنظر في نتائجه وتقويمها، وإذا علمنا أن أكثر العلماء في هذا الفنّ ليسوا ممن يجيدون لغاتٍ أخرى أدركنا أهمية أن نضع هذا السفر بين أيديهم ليقولوا قولتهم فيه فلا ينفرد بذلك مَن لا شأن له بالقرآن وعلومه، وبذا ستفوّت الفرصة على بعض الأدعياء الشائنين.

والكتاب لا يفي بقدره عرضٌ مختصر، لأنه في حاجة إلى دراساتٍ نقدية عميقة نرجو أن يتصدى لها الباحثون، أو أن تتولاها المراكز والمؤسسات العلمية.

ومن خلال قراءة عجلى لبعض مباحث الكتاب يمكن ملاحظة ما يلي:

1 - وقوع المؤلف ومنقّحي كتابه من بعده في دائرة التعميم والتهويل أحياناً وهذه صفة يتسم بها كثير من المستشرقين.

2 - اعتماده في نصرة بعضِ آرائه على أخبار تالفة، أو لا تصح. والعجيب أن نولدكه، شأنه في ذلك شأن غيره من المستشرقين، يشككون في الأخبار الصحيحة، ويحتجون بالأخبار والروايات الفاسدة والموضوعة التي لا يخفى فسادها ووضعها على ذي نظرٍ فضلاً عن الباحث المدقق.

3 - سَوقُه لبعض التحليلات التي جاء بها سلفه من المستشرقين، وعدم تعليقه عليها يدلّ على تسليمه بها مثل وصفهم للوحي بأنه حالة مرضية تشبه الصرع تنتاب الشخص فيظلّ يهذي ويتصوّر أشياء خيالية وهلوسات. يقول نولدكه ص 25: «هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب إلى درجة المرض يفسّر الأحلام والرؤى التي رفعته فوق مستوى

العلاقات البشرية المعتادة... ولا يجوز أن نغفل عن أنّ معظم الوحي حدث ليلاً كما يبدو حين تكون النفس أكثر قابليةً لاستقبال التخيّلات والانطباعات النفسية عمّا هي عليه في وضح النهار».

4ـ زعمه أنّ ترتيب القرآن على النحو الحالي غير جيّد فاقترح ترتيباً جديداً لسور القرآن أفضل من الترتيب الموجود ظنّاً منه أنّ هذا الترتيب الذي أتى به سيحل كثير من المشكلات التي يعاني منها النسق القرآني.

5ـ زعمه أن القرآن من تأليف محمدٍ ﷺ بالرغم من إدعائه أنه وحي إلهي. ففي الفصل المعنون بـ (القرآن المحمدي في علاقته بالكتب المقدسة المسيحية واليهودية) يقول: «وبالرغم من أن محمداً، موضوعياً وفعلياً، هو مؤلف الآيات والسور الموضوعة في هذا الكتاب، فهو لا يعتبر نفسه صاحبها، بل الناطق باسم الله والمبلّغ كلامه وإرادته.. ولا يسع المتخصص في تاريخ الأديان إلا أن يرى في هذا الأمر وهماً».

6ـ زعمه أنّ محمداً ﷺ كان له اطلاع جيد على اليهودية والمسيحية، وأنه قد اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنه نادراً ما توجد فيه فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما. وهذه أفكار قديمة ترجع إلى القرون الوسطى، تتجدد من حين إلى آخر على ألسنة المستشرقين.

7 ـ كثيرٌ من الآراء التي يظنّ الباحثون في القرآن وعلومه أنها من بنات أفكار نولدكه وتلاميذه من بعده ليست كذلك، بل سبقهم إلى ذكرها العلماء المسلمون قبل أكثر من ثمانية قرون. ولمّا كانت أعمال أولئك العلماء المسلمين لا تزال مخطوطةً وبعيدةً عن أيدي الباحثين في مطلع القرن الماضي، وانفرد بالاطلاع عليها المستشرقون واعتمدوا على ما جاء فيها، حسب الكثيرون من بعدهم أنهم سبقوا في ذلك. فقدرٌ كبيرٌ من الأفكار وردت في أجزاء الكتاب لا سيّما ما يتعلّق بجمع القرآن واختلاف نسخه وقراءته وترتيبه، ودعاوى ما في المصحف العثماني من تحريفٍ بالزيادة والنقصان منقولٌ عن كتبٍ مثل: تاريخ المصاحف للأبي داود السجستاني، وكتاب المباني المؤلف مجهول حققه المستشرق الإنجليزي آرثر جيفري في الخمسينيات من القرن الماضي، فضلاً عن كتبٍ في علوم القرآن مثل الإتقان للسيوطي.

8 ـ الغمز في بعض الصحابة والتلميح إليهم بأنهم ساهموا في تزوير القرآن وتحريفه لأغراض سياسية، فضلاً عن نعت السيدة عائشة بنعوتٍ لا تليق كقوله في صفحة 189 في معرض حديثه عن سورة النور: «وبينما تُعتبر الآيات المذكورة ذات طابع عمومي، تتناول الآيات من 10 إلى 20 من دون شك حدَثاً معيّناً. ويُجْمِعُ النقلُ على أنّ المقصود هو مغامرة(!) عائشة التي حصلت أثناء الحملة على بني المصطلق، وأشاعت الشكّ في أنّ زوجة النبي ﷺ زنت مع رجل غريب». وفي معرض التشكيك في الرواية التي تقول أنه لما استحرّ القتل بالقراء في يوم اليمانة سأل عمرُ بن الخطاب الخليفةَ أبا بكرٍ أن يجمع القرآن، وما زال يُراجعه في ذلك حتى لان قلبه لذلك وانتدب إلى هذه المهمة زيداً. وأن هذه الرواية ربما تكون من صنع عائشة التي تريد أن تضفي على أبيها شرفَ جمع القرآن. يقول نولدكه: «وربما أيضاً كان لعائشةَ، أرملة محمد الشهيرة، وابنة أبي بكر، اليدُ الطولى في هذه الجهود، خصوصاً أنها لم تكن بعيدةً عن أجواء السياسة العائلية، وأنها كانت معتادة على التضحية بالحقيقة والشرف(!) لأجل طموحها». وكلما ورد ذكر حديث الإفك عبّر عنه نولدكه بقوله: «مغامرة عائشة» كما في صفحة 378.

9ـ لا ريبَ أن المترجمين قاموا بجهدٍ كبيرٍ ومضنٍ في سبيل إخراج الكتاب في اللغة العربية، ولهم نجزي

جزيل الشكر والامتنان، ولكن مع ذلك يلاحظ القارئ على الترجمة العربية أمرين: الأوّل: ضعف صلة المترجمين على ما يبدو من خلال النص بموضوع الكتاب بشكل أكاديمي، ويلاحظ القارئ ذلك في ترجمة بعض المصطلحات كقولهم: «أحاديث الشريعة»، أو «الحديث الشرعي» وهذا تعبير غير دقيق وغير معروف في الاصلاح الإسلامي، والصحيح هو «أحاديث الأحكام»، وقد حاول المترجمون أن يشرحوا ذلك في الهامش ص 356 بما لا طائل من ورائه مما ينبئ عن بعدهم عن هذه العلوم الشرعية. ومن هذا القبيل أيضاً: «أدب الحديث»، والصواب: «مصنفات الحديث» لا سيّما أن شيفالي يدين بأغلبية ما جاء من معلومات تحت هذا العنوان إلى جولدتسيهر في ذلك الفصل الثامن من الجزء الثاني من كتابه دراسات محمدية. وما تحدث عنه جولدتسيهر في ذلك الفصل يتعلّق بمصنفات الحديث. ولعلّه يريد «أدبيات الحديث» وهو استعمال مستهجن مع شيوعه في العقود الأخيرة في لغة العرب بسبب الترجمة الحرفية، وهو إن صحّ في اللغات الأوروبية التي تستخدم لفظة Literature في الإنجليزية، و Litérature في الفرنسية، و Literatur في الألمانية بمعنى الأدب، وبمعنى مجموع الآثار المصنفة، أو التراث المخطوط والمطبوع فإن ترجمة هذه اللفظة إلى العربية بالأدب غير دقيقة.

10 ـ تتسم لغة الترجمة أحياناً ببعض الركّة، ربما بسبب انسياق المترجمين وراء الترجمة الحرفية، فضلاً عن الأخطاء النحوية والإملائية.

وأخيراً، ها هو ذا كتاب (تاريخ القرآن) يخرج إلى العربية بعد أمدٍ طويل، ولعلّه يجد من الباحثين المسلمين من ينظر فيه نظرة نقدية تظهر محاسنه وعيوبه على حدٍّ سواء. كما أنه يسعدنا أن نعلن أن ترجمةً أخرى للكتاب يعكف عليها الأستاذ عمر لطفي العالم منذ سنين ستظهر قريباً جداً عن دار المدار التي نرجو أن يتجنب فيها الأستاذ العالم ما يمكن أن تكون قد وقعت فيه هذه الترجمة من مآخذ و هَنات.

تيودور نولدكه

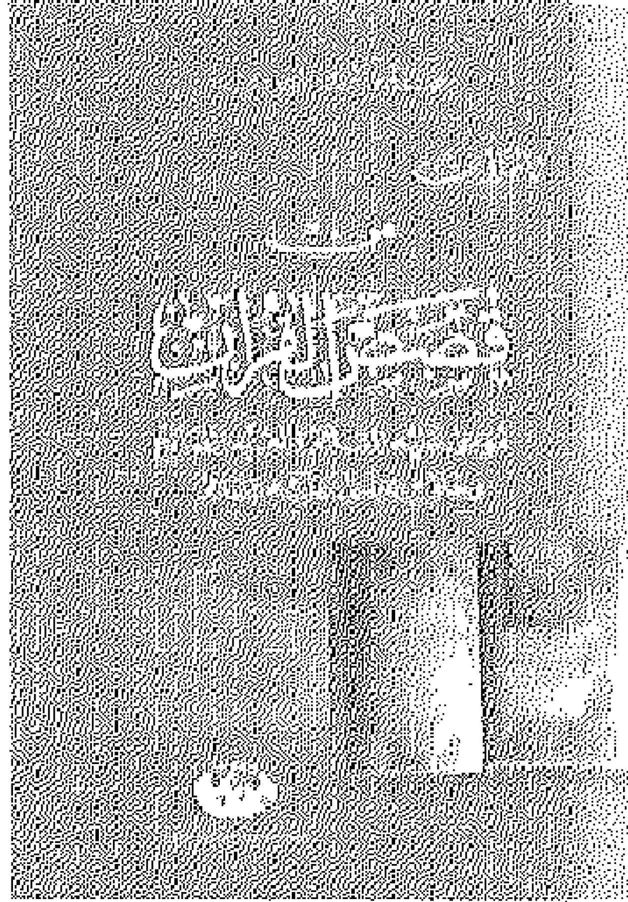
# تاريخ القرآن

نقله إلى العربية وحققه

جورج تامر

غلاف الكتاب

## فهرس محتويات الكتاب



## تأملات من قصص القرآن الكريم

**موسى عليه السلام والعبد الصالح**

**وخلق عيسى عليه السلام**

**المؤلف : محمد مبارك المزيودي**

**الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية**

**الطبعة الأولى / 112 صفحة / قطع متوسط**

قصتان من قصص القرآن العظيم : قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح، وقصة خلق عيسى عليه السلام . ويعتمد المؤلف بشكل أساسي في تناول هاتين القصتين على النص القرآني، من أجل الوقوف على بعض الحالات والمعاني التي قد يوحي بها ذلك النص، وفي هذا السياق يتعامل المؤلف مع النص القرآني من خلال ثلاثة جوانب :

- ❖ الجانب اللغوي : حيث إن اللغة في كتاب الله لم تكن إلا لتأدية المعنى الذي أراد الله جل شأنه إيصاله إلى عباده .
- ❖ ما ورد في الأثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الخصوص .
- ❖ ثم المنطق الذي تفرضه طبيعة الحدث، وذلك من جانبين :

الطبيعة البشرية الاعتيادية، والطبيعة النبوية وما تستلزمه من دلالات وقدرات.



## تراكيب الحروف

**المؤلف : الدكتور محمد سالم المقيد**

**الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية**

**الطبعة الأولى / 144 صفحة / قطع متوسط**

يتضمن الكتاب مجموعة من النصوص التي لا تكتفي بما يشحنها مباشرة، ولكنها تنفتح على الأبعد، وتطرح ما يتطلب استشراف القادم أيضاً، من هنا فهي تحتاج إلى هدوء نفسي وتركيز عند الاقتراب منها، خاصة وأنها موجهة إلى متلقٍ خاص في الوقت الذي تطرح فيه مشروعاً عاماً، والإشكالية في خروجها عن النمط المألوف كون الكاتب لا يستسهل فعل الكتابة، ولكنه يتعامل مع الكلمة في إطار المقدّس . إنها نصوص لا تقبل الشريك، لا تمنحك نفسها دون أن تأخذك، إمّا أن تنحاز إلى المبادئ السامية والأهداف النبيلة أو تكون بعيداً عنها، فالأفكار المدجنة لا تمنح حياة أخرى، فهي مجرد بذور مسنونة تفقد المستقبل ، وتقف عند تحقيق الإشباع المادي فقط. ومن هنا يتلمس قارئ نصوص الكتاب الشفافية والموقف والنصيحة والصدق والانحياز إلى ما يسمو بإنسانية العربي المسلم. وهكذا نمضي مع المؤلف في تراكيب الحروف ورحلة الحرف الذي نعرف مدى معاناته وهو يسطره على الورق .. كلمة .. كلمة. ولكن كيف نتصور تراكيب الحروف ؟؟

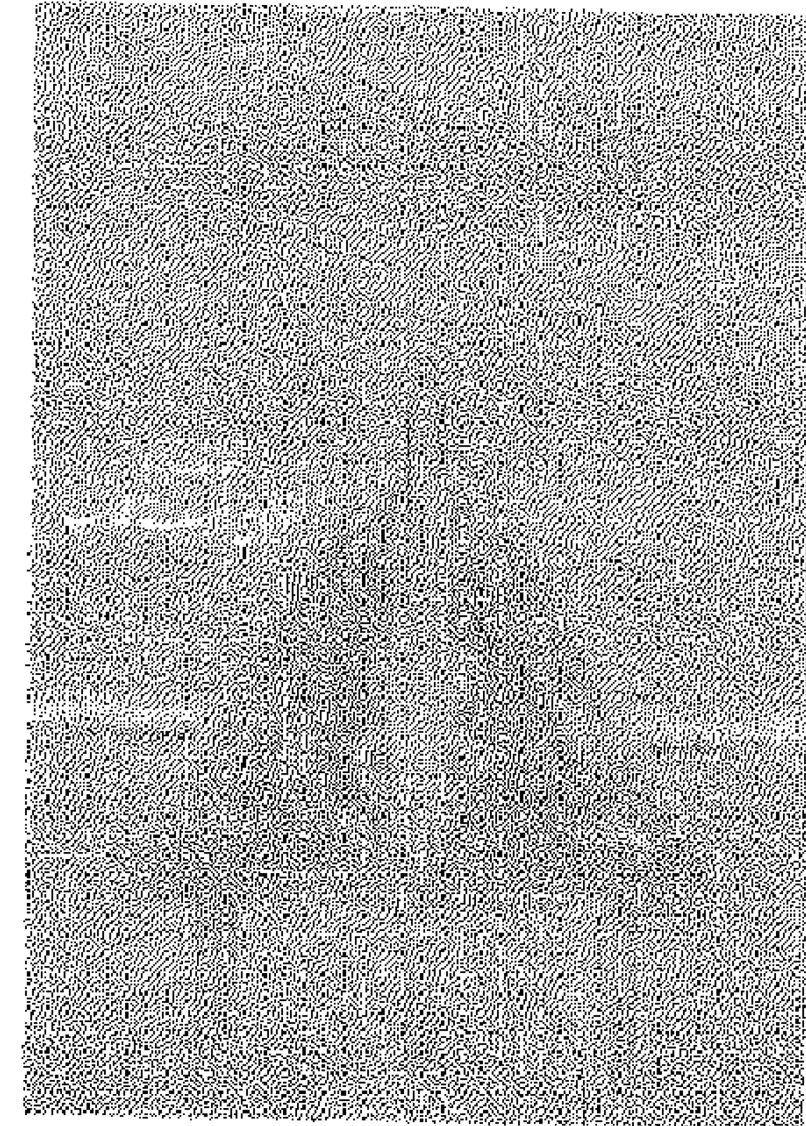
# القياس النحوي

من عبد الله بن أبي إسحاق إلى سيبويه

المؤلف : مفتاح رجب الخلاب

الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

الطبعة الأولى / 494 صفحة / قطع متوسط



هذه دراسة تتبعية مهتمة بجذور علم النحو ومعرفة رجاله والأسس التي قام عليها، والاطلاع عليه في فترة نقائه من الشوائب التي علقت به عبر عصوره المختلفة. ويجد قارئ الكتاب توضيحاً لنشأة علم النحو مرتبطاً بالقرآن الكريم ، كما يجد دراسة للعوامل والأسباب التي أدت إلى وضع ضوابط هذا العلم وتقعيد قواعده، والبداية الأولية للقياس النحوي على أيدي شيوخ سيبويه. ويعتني المؤلف بدراسة ما جاء في الروايات المختلفة منسوباً إلى أولئك العلماء ، بمقارنته بما ورد في كتاب سيبويه من آرائهم باعتباره أول كتاب والمصدر الوحيد لدراسة هؤلاء العلماء. وفي الكتاب تعريف بأهمية كتاب سيبويه، وبما أحدثه من أثر في الدراسات النحوية، وما اشتمل عليه من أدلة وشواهد وعبارات وأساليب أدبية.

# اللغة العربية

وعلاقتها باللغات الإريترية (الجذور والامتداد)

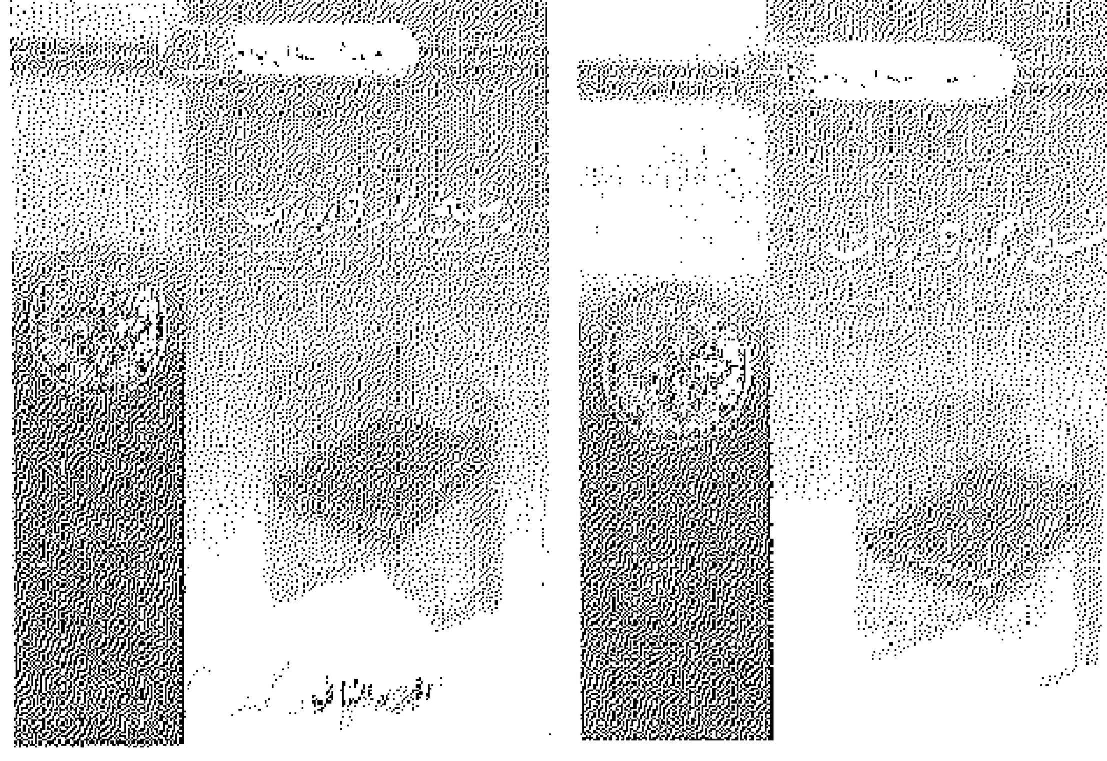
المؤلف : إدريس محمود حامد موشي

الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

الطبعة الأولى / 242 صفحة / قطع متوسط



تشكل المقومات الدينية والثقافية الجذور الأساسية والمهمة في الكيان الذاتي للأمة ، وتضطلع بدور متعاظم في صنع الشعوب : تاريخها وحضارتها . واللغة هي الوعاء الجامع لكل تلك المقومات الدينية والثقافية ، بل هي صورة لجميع جوانب حياة الشعوب التي تتكلم بها ، ومرآة لذاتيتها النفسية والاجتماعية ، وهي رمز كيانها وعنوان وحدتها . ولم يقيض لأية لغة في إريتريا أن تلعب هذا الدور الشامل إلا اللغة العربية من جذورها إلى اليوم ، فقد وجدت منذ اتصالها المبكر بإريتريا تجاوباً واسعاً من الشعب الإريتري ، فامتزجت بهم ، وطبعتهم بطابعها ، وكونت تفكيرهم ومداركهم ، وشكلت قيمهم وثقافتهم ، وجعلت منهم على اختلاف لغاتهم لحمة واحدة موحدة . في هذا السياق يسعى المؤلف إلى إبراز حقيقة أن اللغة العربية هي ربيبة البيئة الإريترية ، ويغوص في بحر الموروث الإريتري وتحليل مكوناته البشرية واللغوية والحضارية ، ويحاول إسعافنا بفهم جملة أساليب اللغة العربية وحلقات تطورها من نحو وصرف ومفردات وقوانين صوتية ، للوقوف على جذور وأسرار لغوية خفية ليس في إطار اللغة العربية فحسب ، وإنما أيضاً لإثبات العلاقة العضوية الوثيقة بين العربية والإريترية من جهة ، وبينها وبين سائر اللغات السامية من جهة أخرى ، من خلال المقارنة العلمية الدقيقة .



## الشيخ أحمد ديدات

**ومنهجه في الحوار والدعوة**

**وأهم مجالاته التطبيقية الممكنة**

**المؤلف : حمزة مصطفى مَيْغا**

**الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس**

**جزآن / الطبعة الأولى / 960 صفحة / قطع متوسط**

---

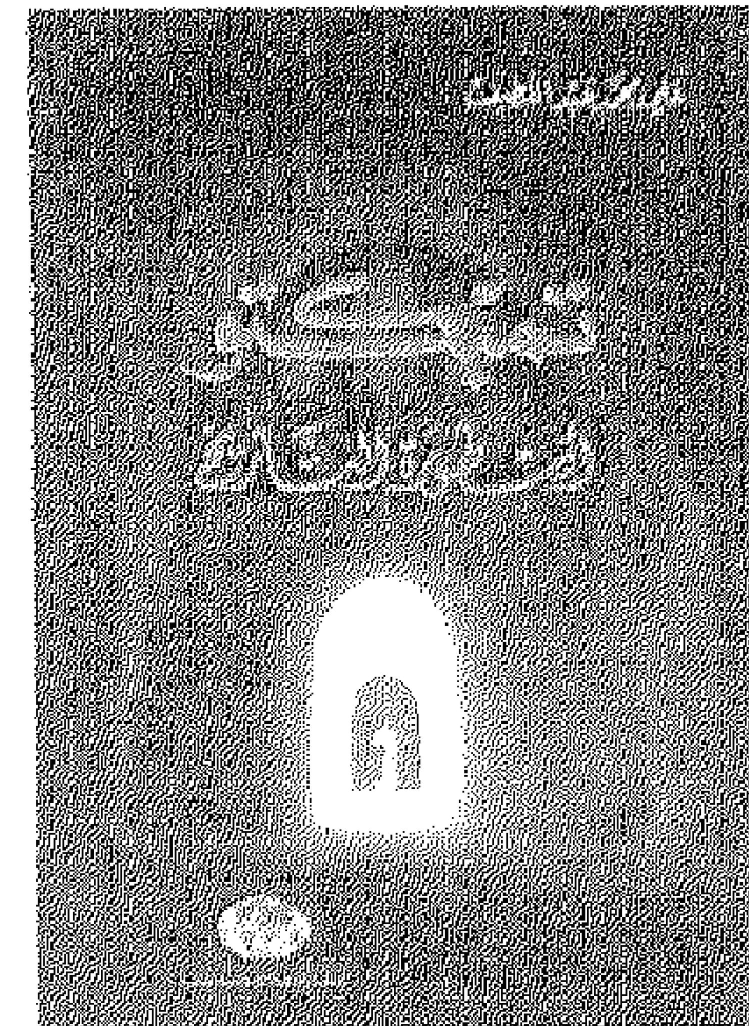
يطمح المؤلف - في هذا الكتاب - إلى الإسهام في الإجابة عن عدد من الأسئلة والإشكاليات العلمية والدعوية، من أهمها: دراسة الدعوة الإسلامية في جنوب إفريقيا ووضع المسلمين فيها قديماً وحديثاً، وأهم وأبرز أعلام الدعوة والعمل الإسلامي هناك، ومن هو أحمد ديدات بين هؤلاء الأعلام، ودراسة بيئته ونشأته، وتحليل جهوده وحركته الدعوية في ضوء تحليل المكونات الذاتية والموضوعية لشخصيته،، مع التركيز على جهوده الحوارية الدعوية ممارسة وتأهيلا للدعاة، وما أسفرت عنه تلك الجهود من نتائج على الصعيدين العلمي والعملي. ويحاول المؤلف تلمس ما يوليه الشيخ ديدات من عناية لمختلف الوسائل الإعلامية، ومقارنة منهجه الحواري بمن تأثر بهم أو أثّر فيهم. كما يدرس المؤلف سبل الإفادة من إيجابيات تجربة ديدات ومنهجه في العمل الإسلامي، متناولا أهم الدوائر والمحاور الدينية والفكرية ، كنماذج لما يمكن توظيفه في حقل الدعوة والحوار، مع عدم إغفال الحديث عن بعض الآليات والمقترحات التي قد تكون كفيلة بالتوظيف الأمثل والفعال لهذا المنهج .

## تمبكتو .. أسطورة التاريخ

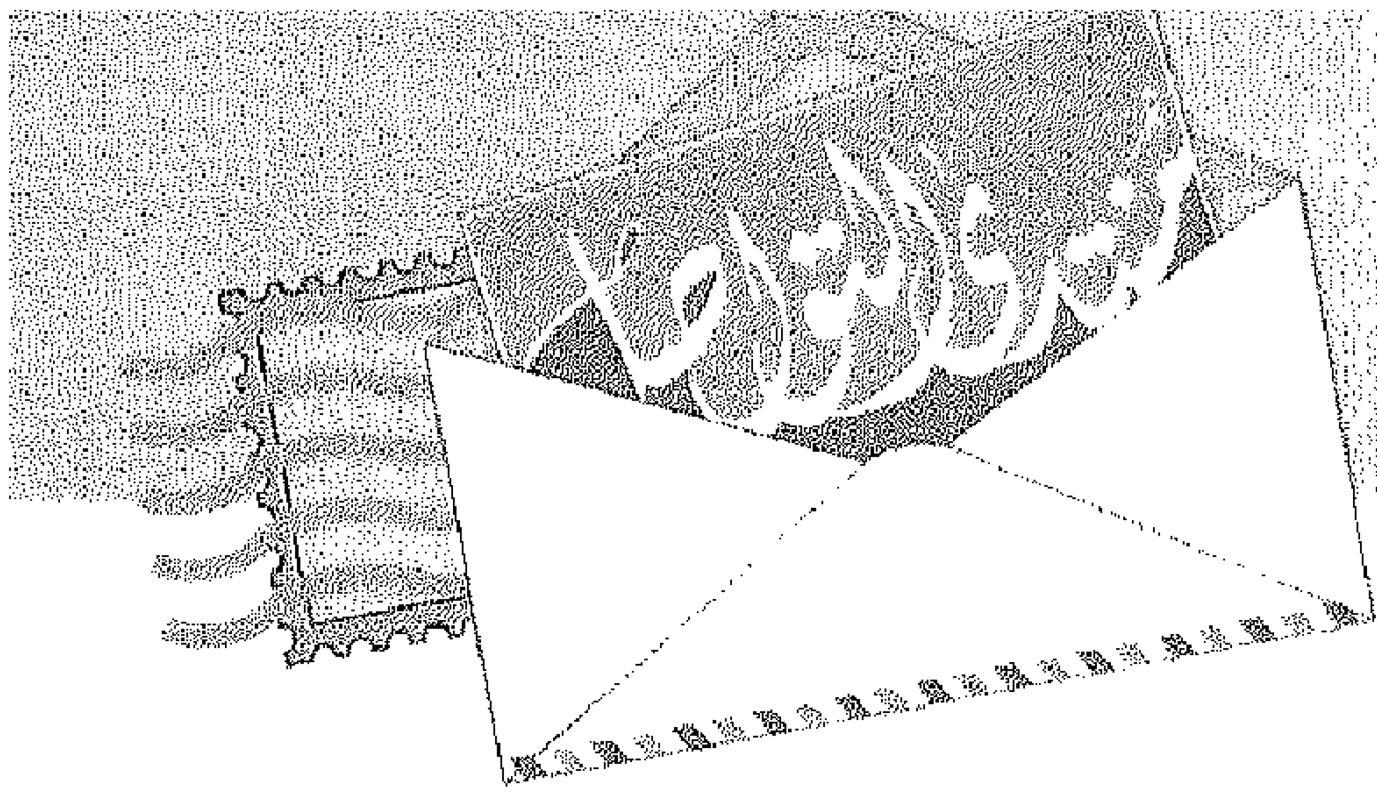
**المؤلف : علي محمد عبد اللطيف**

**الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية**

**الطبعة الأولى / 128 صفحة / قطع متوسط**



هذا الكتاب رحلة تاريخية عن - وفي تاريخ - مدينة تمبكتو منذ أن بدأت ورأت النور إلى أن عرف العالم سرها وغموضها ، وهي المدينة التي حملت أسماء (المدينة الغامضة / المدينة السرية / المدينة الممنوعة / جوهرة الصحراء / مدينة الإشعاع الإسلامي ...) وغيرها من الأسماء الأخرى التي عكست حضارتها على مدى ثلاثة قرون، أشعّت فيها بفضل علمائها وأئمتها وشيوخها على كامل السودان الغربي والأوسط، وإلى أبعد من ذلك،فعلى أرض هذه المدينة أقيمت امبراطوريات وممالك إسلامية ساهمت في نشر رسالة الإسلام في ربوع إفريقيا.




هذه مجلة جديدة على خريطة الثقافة والفكر في بلادنا، تملأ فراغاً كان كبيراً وواسعاً في حقل المعرفة الإنسانية، والفكر الجاد .

في عددها الأول الذي وصلني عن طريق البريد - دون سابق معرفة بهيئة تحريرها - قرأت قضايا معاصرة بلغة معاصرة، وهذا ما أعطانا انطباعاً بأن (التواصل) إنما تريد أن تضيف شيئاً جديداً في حقل الفكر الإسلامي المعاصر، وأنها لا تريد أن تصدر كأي إصدار عابر يمشي قليلاً ثم يسقط في منتصف الطريق ...

وقد تواصلت المجلة مع جميع المثقفين والمفكرين والأدباء، بما يعني توجهها إلى كل ذي فكر متفتح معاصر، يتصدى للقضايا الكبرى و يجادل فيها، وإنها بذلك إنما تعزز الاعتقاد الراسخ في مفهوم الثقافة والصحافة، وهو الذهاب إلى المثقفين والمفكرين، لا انتظارهم بلا طائل.

وقد قرأت مجلة مهمة على صعيد قضاياها وعلى صعيد إخراجها ومشهدها كمجلة فكر وثقافة، واطلعت على لغة جديدة خالية من التشنج والمبالغة وازدراء الآخر، بل هي مجلة حوار وتحليل وتقصٍ للحقيقة فيما يجري من حوار فكري على الساحة الإسلامية.

في عددها الرابع طرحت المجلة قضية معاصرة ومهمة وذات بعد جدلي، ضمن مفهوم الحوار مع الغرب، وهو يتعرض للإسلام في صحافته وفي إعلامه بعامة وفي السينما بخاصة، وبالتالي ما ينعكس على مشاعر المتلقي الغربي الذي يقرأ ويتابع ما يعرض للإسلام في صحافته وفي إعلامه بعامة، وفي السينما بخاصة، وبالتالي ما ينعكس على مشاعر المتلقي الغربي الذي يقرأ ويتابع ما يعرض ويضخه الإعلام الغربي، فيشكل مفاهيمه في ضوء ذلك، بما يكون الرأي العام الغربي الذي يرانا الآن عن كثب ونحن نموت مجاناً و تهدر أوطاننا وتمزق جغرافياً بلادنا، فيقول .. لا ترحموهم .. إنهم قتلة!!.

فمرض الخوف من الإسلام - وهو محور مجلة (التواصل) في عددها الرابع - جاء بمعرفة شاملة عن خلفيات الخطاب الإعلامي الغربي و الأمريكي، ومَن المستفيد - وما هي أبعاده السياسية - . الاطلاع على هذا الملف سيعبر بسهولة إلى نماذج من الفكر الغربي - العنصري - المعاصر .....

في الملف - على سبيل المثال - الحديث عن رواية (المنصة) للفرنسي ميشيل ويلبيك، وهي رواية حاقدة مليئة بكل ما يؤذي مشاعر العربي والمسلم .. وقد أ شارت المجلة - أعني مجلة التواصل - في مقدمة الحديث عن هذه الرواية، إلى أن الأدب في الثقافة العربية له معنى في الكتابة وأخلاقياتها، بينما في المفهوم الغربي للكتابة لا يشترط العامل الأخلاقي، فهي كتابة وحسب . وقد أثارني فعلاً، كما أثار سخرية القراء، كتاب (الغضب والكبرياء) للعجوز الإيطالية.. حين انصرفت إلى هجاء الإسلام والعرب، وقارنت بين شارون - وشكسبير، وهي بالطبع لا تعلم بأن شكسبير مؤلف (تاجر البندقية) سيغضب في قبره إن علم بذلك لو يعلم .

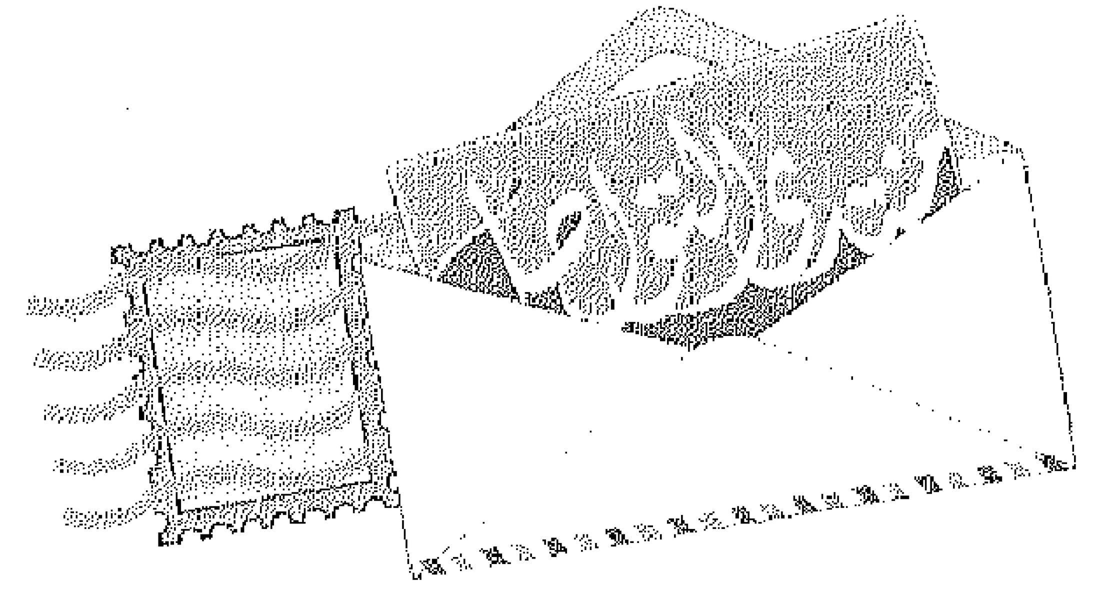
مجلة (التواصل) مجلة جديدة في مظهرها الأنيق المنسق الجذاب، وفي خطابها العقلاني العميق الموسع. أريد أن أهنئ القائمين عليها، وأشكر لهم جهدهم، وأتمنى أن تصمد في وجه كل ريح حتى لا تتوقف فتخسر سنبلة نريد منها أن تصبح حقلاً ثم فضاء للمعرفة المتفتحة وللخطاب العربي الإسلامي الجديد المستنير و المضيء .

**عبد الرسول العريبي**

**كاتب وناقد / ليبيا**

---

❖) خاطرة نشرتها صحيفة الجماهيرية/طرابلس/ ليبيا - العدد رقم : 3454/ بتاريخ: الأحد 12 محرم الحرام 1373/2/20 من وفاة الرسول ﷺ 2005 مسيحي، أعيد نشرها بإذن من الكاتب.



## الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد مضي عقد من الزمن، بعد تخرجي في رحاب كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وتفرغي في ميدان العمل الدعوي ببلدي نيجيريا، لم تحتو أرفف مكتبتي المتواضعة، من أعمالكم الجليلة وعطائكم الواسع في ميدان العم والمعرفة، وفي العمل الصحفي والإعلامي المتميز، سوى بعض الكتب القيمة، لعل من أهمها كتاب (أوراق أندلسية) الذي يثير في مخيلتي ذكريات عذبة، ومعاني روحية المعرفة السامية، التي عشناها في قاعات الدروس والمحاضرات. وأتذكر دائماً ما درسناه في مادة (الإعلام الإسلامي)، والتي ما زلت - أنا شخصياً كداعية ومدرس - أستفيد بموضوعاتها القيمة والهادفة في مجال عملي الدعوي والتعليمي، بل وفي مجالات الحوار الهادئ والبنّاء.

وبعد مرور كل هذه المدة، إذا بالتواصل يتجدد عبر مجلتنا الغراء والرائعة (التواصل) المتميزة شكلاً وفكراً وموضوعاً، التي تحصلت عليها عن طريق مكتب الجمعية في نيجيريا. ولا أملك إلا أن أسجل لكم عبر هذه السطور أسمى آيات الشكر والتقدير، على جهودكم الدؤوبة والمتواصلة في خدمة العلم والثقافة، ولا ننسى للجمعية ذلك الفضل والدور الريادي - الذي قامت به وما تزال - لتصنع منا دعاة ومدرسين يقومون بحمل شعلة الدعوة الإسلامية، ونشر الدين الإسلامي، والثقافة الإسلامية، في جميع أرجاء المعمورة.

وإننا نؤكد لكم استعدادنا للتواصل معكم في العمل الدعوي، عبر هذه المجلة، ومن خلال برامج الجمعية المختلفة، ونعدكم بأننا سنكون من قرائها وكتّابها الدائمين، للإسهام في إثراء العمل الثقافي والدعوي، آملين منكم تزويدنا بكل ما يصدر من أعدادها الجديدة بصورة مستمرة.

وتفضلوا بقبول فائق الحب والتقدير والاحترام، والسلام عليكم ورحمة الله.

**الداعية والمدرس / أحمد عبد الرحمن آدم الفلاني**

**مدينة كادونا / نيجيريا**

## تحية طيبة .. وبعد

لقد تلقيت ببالغ الاهتمام العدد الرابع من المجلة الفصلية الثقافية الشاملة (التواصل) التي تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. وإذ أعرب عن عميق شكري وتقديري للجهود المثمرة التي تبذلونها لمزيد إثراء فضاءات الحوار، وبلورة الرؤى النيرة حول أمهات القضايا الفكرية والإنسانية السامية التي نصّ عليها ديننا الإسلامي الحنيف؛ فإنني أتمنى لكم مزيدا من النجاح والتوفيق، مع خالص معاني الشكر والتقدير

**منتصر وايلي**

**وزير تكنولوجيا الاتصال / الجمهورية التونسية**

## الإخوة أسرة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية

لقد اطلعت على الأعداد الأول والثاني والثالث والرابع من مجلة التواصل، وأستطيع القول إن هذه المجلة تعتبر مرجعاً علمياً قيماً، لما تحتويه من موضوعات فكرية وثقافية مهمة، وأشكر المسئولين عن تحريرها على هذا الجهد الطيب المبارك، وأطلب تزويدنا بهذه المجلة خدمة للباحثين عن العلم والثقافة الإسلامية الرصينة.

**يانو محمد الأمين**

**نائب مدير المعهد الإسلامي**

**بريكاما / غامبيا**

## الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحن أعضاء جمعية الهداية الإسلامية / بولي / غانا، لقد أعاننا الله على إنشاء هذه الجمعية التي يأوي إليها المسلمون من شتى القرى المجاورة، ليفهموا الدين الصحيح ، وتساعد على نشر الإسلام في هذه البلاد التي هي بأمسّ الحاجة إلى تفهم الدين الإسلامي من مصادره الأصلية. وإننا نود مساعدتكم في الحصول على بعض الكتب التي تساعدنا في أداء رسالتنا، خاصة إصدارات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ومنها مجلة التواصل، المجلة الفكرية الثقافية القيمة. جعلكم الله عونا للإسلام والمسلمين، وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

**جمعية الهداية الإسلامية**

**بولي / غانا**

**المحرر:** بخصوص تزويد جمعيتكم ببعض الكتب ، يمكنكم مخاطبة مكتب البحوث والإعلام والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية. أما مجلة التواصل فنعدكم بأنها ستصل إليكم تباعاً بإذن الله.. وفقكم الله.

## الإخوة بمجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

نبارك لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية خطوتها الميمونة في إثراء الساحة الثقافية والعلمية بجلتها الرائدة والراقية (التواصل)، وأمانينا في أن يكتب الله لكم التوفيق ، وأن يوفقكم لما يحبه ويرضاه.

نتمنى أن تضعوا مشكورين مكتبة كليتكم (كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية)، ضمن لائحة أو قائمة المشتركين في مجلتكم الرائعة (التواصل) عسى أن يستفيد منها الطلاب والباحثون .

**مع التقدير والاحترام**

**أ . د . محمد بشير**

**وكيل كلية اللغة العربية / إسلام آباد / باكستان**

## تنويه

**في الوقت الذي ترحب فيه أسرة تحرير مجلة التواصل بما يرد إليها من الإخوة الكتاب (مقالات، دراسات، بحوث ....) للنشر على صفحاتها؛ فإنها قد لاحظت أن بعض المواد والموضوعات التي تصلها ليست أصلية، فضلا عن أن بعضها أرسل إلى أكثر من مطبوعة. وعلى هذا فإن أسرة التحرير تعتذر عن عدم نشر تلك الموضوعات، وتفيد السادة الكتاب علماً بأنها لا تنشر إلا المواد التي تُكتب للتواصل خاصة (النسخة الأصلية) ويفضل أن تكون مطبوعة ومحفوظة على قرص مرن. لذا فإنّ أسرة التحرير غير ملزمة بإعادة المادة التي تتلقاها للنشر إلى أصحابها نُشرت أم لم تنشر.**

**وصفحات التواصل مفتوحة أمام كل الأقلام الجادة التي ترغب في الكتابة وفق معايير النشر الموجودة في كل عدد.**

**المحرر**

# ..ونتواصل

محمد حسن جحا*

قد لا نأتي بجديد إذا قلنا إن ما أنجزته تقنية الاتصال ووسائله في عالم اليوم؛ قرّب المسافات بين شعوب العالم وأممه، وجعلها تعيش في قرية صغيرة مرتبطة بشبكة متداخلة ومعقدة، تختصر الوقت والجهد، وتوفر مساحات للتواصل والحوار والمعرفة لم تكن متاحة من قبل.. وتلك أصبحت من المسلّمات والبديهيات التي لا تحتاج إلى برهان. وفي أكثر من مكان على الأرض تعدّدت ملتقيات الحوار بشتى صوره وأشكاله، وتنوعت المؤتمرات والندوات التي يتنادى لها المفكرون والعلماء ـ والقادة الروحيون خاصة ـ والتي حاولت وتحاول تلمّس طريق ومنهج للحوار والتواصل والتعارف، يجنّب البشرية ما تعانيه من ويلات الحروب، وما يجره عليها جنون العظمة والاستعلاء من كوارث وأزمات. ورغم كل تلك الجهود والمحاولات، ورغم تنوعها وتعدّدها على أكثر من ساحة وصعيد في بلاد الله الواسعة؛ إلا ان صوت القوي المتعجرف يبقى للأسف الشديد هو الأقوى، وبالتالي هو المسيطر!!. ولعل في ما تتناقله وسائل الاعلام والاتصال على تنوعها من أخبار وتقارير عن حوادث مشينة تقترفُ من قبل أولئك الذين تربّوا على ثقافة الحقد والكراهية للآخر ـ وخاصة المسلم ـ ما يبدّد كثيراً من الأمل في بناء عالم خالٍ من النزاعات والحروب والأحقاد.

وقد صُدِمَ العالم الإسلامي بالتقرير الذي نشرته مجلة نيوزويك الأمريكية والذي ذكرت فيه أن محققين أمريكيين بمعتقل جوانتانامو قاموا بتدنيس القرآن الكريم، حيث وضعوا نسخاً من المصحف الشريف في الحمامات، وفي حالة واحدة على الأقل ألقوا إحدى النسخ في المرحاض ثم قاموا بفتح الشطاف عليها، وتكرّر ذلك الفعل المشين من قبل الصهاينة في السجون والمعتقلات الاسرائيلية، كما لو أن الفاعل واحد، والجريمة متعمّدة، وفي ذلك دليل واضح على ان الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين ماضية دون هوادة، في مسلسل تتوالى حلقاته يوم بعد آخر، وهذا السلوك يعكس بلا شك حقيقة الموقف من الإسلام ديناً وحضارة.

ولا يخفى ان حقوق الانسان ليست هي ما ينتهك فقط في سجون جوانتانامو وأبي غريب وفلسطين المحتلة، بل مقدّسات المسلمين ومصحفهم أيضاً. وفي سياق تبرير ما جرى ربما ادّعت الإدارة الأمريكية كما يدعي الكيان الصهيوني أنها حوادث فردية، لا علاقة لها بما حصل، بَيْدَ أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما الذي يدفع الصهاينة والأمريكيين لتدنيس كتاب منزل من عند الله، لولا التثقيف على الكراهية والحقد، ومحاولة إلغاء الآخر؟؟.

ولا شك في أن هذه الجريمة البشعة، والسلوك الوضيع الذي أقدم عليه الجنود الأمريكيون في جوانتانامو، والجنود الإسرائيليون في فلسطين، والمتمثل في تدنيس المصحف الشريف، يعكس بحق حالة الأمة، ودرجة الذل والهوان التي وصلت إليها!! كما أنها تجسّد بصدق نزعة الكراهية البغيضة، والحقد الدفين المتأصل ضد الإسلام، ربما يكون مدفوعاً بمواقف سياسية لبعض المعادين للحوار والتعايش السلمي المتحضر!.

هذه الجريمة ولّدت حالة من الغضب لدى المسلمين في كل مكان، خاصة وأنها تأتي في سياق الهجمة المنظمة التي تستهدف النيل من المقدسات الإسلامية، بدءاً من التطاول على شخص الرسول ﷺ ومروراً بالتهديدات المتواصلة باقتحام المسجد الأقصى وهدمه، لإقامة الهيكل المزعوم!!

وفي هذا السياق نتساءل: هل يمكن القول إنها أحداث عرضية لا رابط بينها؟ أم أنها تعكس في الحقيقة والواقع توجهاً رسمياً لمواقف أصبحت أكثر من واضحة لدى العديد من المسؤولين في دوائر صنع القرار في بعض الدول!؟

ثم إنه من المفارقات العجيبة ان هذه الحملة قد جاءت متزامنة مع مساعي البيت الأبيض لإعادة (ترميم) صورته على مستوى العالم الاسلامي، بل والعالم كله، لتدارك ما يمكن تداركه من ملامح الوجه الأمريكي (القبيح) الذي لم تعد عمليات (التجميل) تفيده بعدما شوّهته سنوات متتالية من الظلم والقهر.. وامتهان الكرامة للإنسان العربي والمسلم!.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: أين احترام الأديان وصون الحريات مما نشاهده يومياً من إهانة وتدنيس للمقدسات الإسلامية؟ ولماذا لا تُحترمُ مشاعر أكثر من مليار مسلم عبر العالم إذا كان دعاة الحرية والسلام حريصين فعلاً على حماية الحريات الدينية... كما يدعون!؟

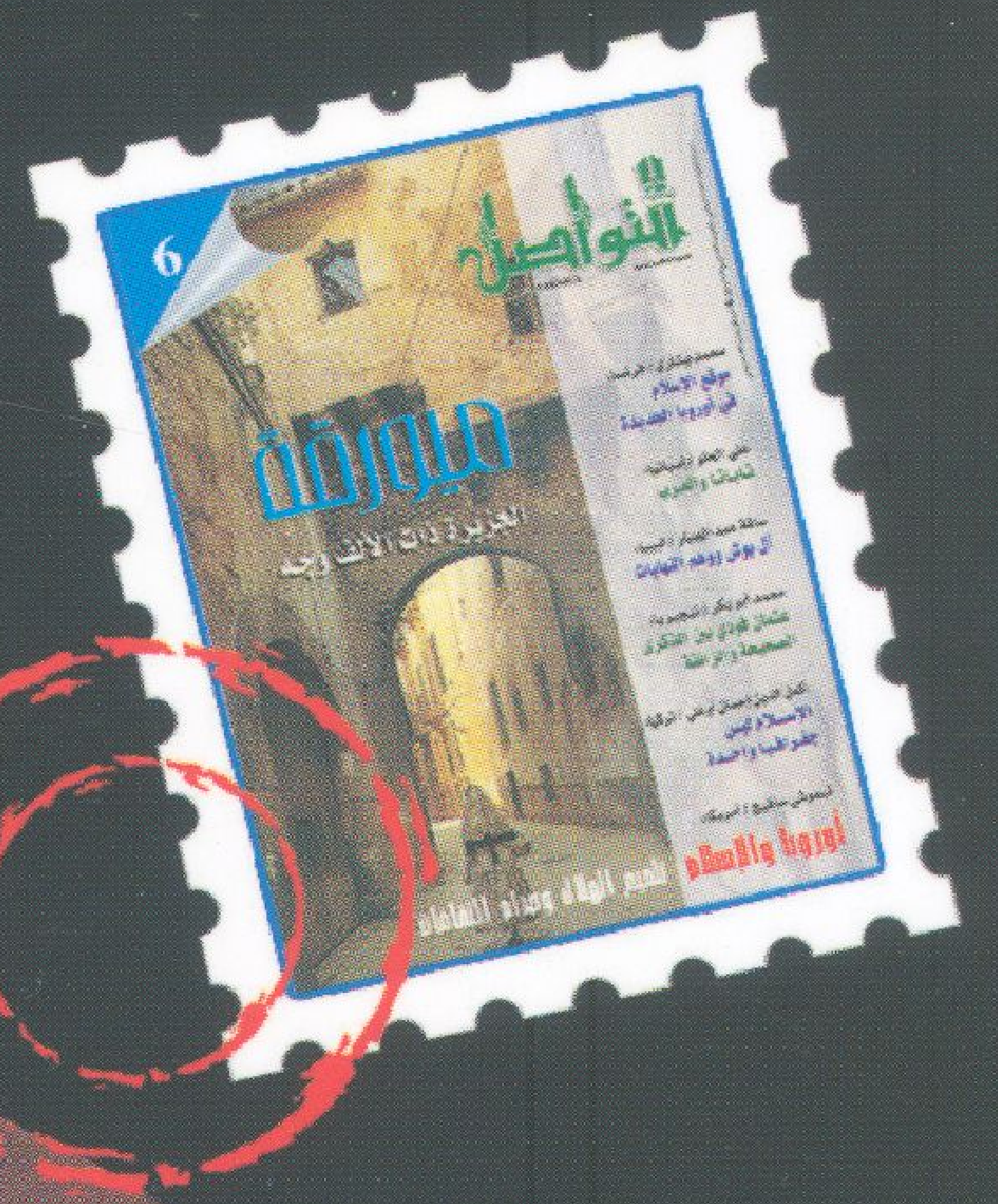
ومهما يكن.. فإن هناك عدداً كبيراً من الكتّاب والمفكّرين، وقادة الرأي، فضلاً عن المسؤولين في مراكز صنع القرار الذين يرفضون مثل تلك السلوكيات ويقفون ضدها، وبالتالي فهم يعملون على الالتقاء والتحاور فيما ينفع الناس، بغض النظر عن المعتقد والجنس واللون، ترسيخاً لقيم الحوار والتواصل، وسعياً إلى إشاعتها بين الناس.

---

* كاتب، إعلامي، أستاذ جامعي / ليبيا



مع تحيات مجلة التواصل




تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر